

www.kotobarabia.com

هكذا تكلم الشيوعيون



www.kotobarabia.com



د. رفعت السعيد

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

المجلد الخامس

هكذا تكلم الشيوعيون

- محاضر نقاش
- تقارير
- مذكرات
- رسائل
- تحقيقات قضائية
- بيانات انتخابية

د. رفعت السعيد

فهرس

- ١- الاقتراب من الخاتمة..... - ٦ -
- ٢- محمود الأطرش..... - ١٤ -
- ٣- مارسيل إسرائيل تشيريزي..... - ٢٦ -
- ٤- مارسيل إسرائيل تشيريزي..... - ٥٧ -
- ٥- هنري كوريل..... - ٧٧ -
- ٦- نادي الاتحاد الديمقراطي..... - ٨٦ -
- ٧- السيد سليمان الرفاعي..... - ٩٢ -
- ٨- مبارك عبده فضل..... - ١٠٤ -
- ٩- حدثو في معركة الكفاح..... - ١٥٢ -
- ١٠- د. مصطفى هيكل..... - ١٧٧ -
- ١١- د. مصطفى هيكل..... - ١٨٢ -
- ١٢- محمود حمدي عبد الجواد..... - ١٨٧ -
- ١٣- د. مصطفى هيكل..... - ١٩٢ -
- ١٤- محمد الجندي..... - ١٩٨ -
- ١٥- زكي مراد..... - ٢٠١ -
- ١٦- فوزي جرجس..... - ٢٠٨ -
- ١٧- أحمد صادق سعد..... - ٢١٣ -
- ١٨- حلمي يسن..... - ٢٢٨ -
- ١٩- أبو سيف يوسف..... - ٢٣٤ -
- ٢٠- أحمد صادق سعد..... - ٢٣٩ -
- ٢١- دار الأبحاث العلمية..... - ٢٤٥ -

- ٢٢- ألبير آرييه - ٢٥٠ -
- ٢٣- محمد سيد أحمد - ٢٥٤ -
- ٢٤- سعد رحمي - ٢٥٧ -
- ٢٥- فاطمة زكي - ٢٦١ -
- ٢٦- أحمد نبيل الهلالي - ٢٦٤ -
- ٢٧- نقولا غاريس - ٢٦٨ -
- ٢٨- فخري لبيب - ٢٧١ -
- ٢٩- هليل شوارتز - ٢٧٤ -
- ٣٠- هليل شوارتز (٢) - ٢٧٦ -
- ٣١- جمال الدين محمود غالي - ٢٨٣ -
- ٣٢- أحمد خضر - ٢٨٤ -
- ٣٣- مصطفى طيبة - ٢٨٩ -
- ٣٤- الدكتور جمال غرسه - ٢٩٤ -
- ٣٥- محمد الجندي - ٢٩٨ -
- ٣٦- عبد الرحمن الخميسي - ٣٠٥ -
- ٣٧- مبارك عبده فضل - ٣٠٨ -
- ٣٨- أحمد الرفاعي - ٣١٣ -
- ٣٩- محمد حلمي يس - ٣٧٦ -
- ٤٠- مهدي الحسيني - ٣٨٤ -
- ٤١- أحمد الرفاعي - ٣٨٨ -
- ٤٢- محمد الجندي - ٣٩٣ -
- ٤٣- عيد صالح ميروك - ٣٩٨ -
- ٤٤- شحاتة النشار - ٤٠٠ -

- ٤٥- عبد الله الزغبى - ٤٠٣ -
- ٤٦- سعد رضى - ٤٠٦ -
- ٤٧- فوزى حبشى - ٤٠٩ -
- ٤٨- فخرى لبيب - ٤١٢ -
- ٤٩- جمال الشرقاوى - ٤١٨ -
- ٥٠- حلمى يس - ٤٢٠ -
- ٥١- صابر زايد - ٤٢٢ -
- ٥٢- أنور إبراهيم - ٤٢٥ -
- ٥٣- محمد الزعفرانى - ٤٢٧ -

١ - الاقتراب من الخاتمة

نعم.. ها نحن نقرب من نقطة الانتهاء من هذه الدراسة.

عشرون عاماً وأكثر ونحن ننسج الحلم معاً، بأن ننجز رحلتنا المشتركة عبر تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، تحديداً اثنان وعشرون عاماً، تسعة كتب، أربعة آلاف وخمسمائة صفحة أو أكثر قليلاً.. موسوعة متكاملة حاولت أن تحيط بمجمل تاريخ هذه الحركة سياسياً وتنظيمياً ونضالياً.

ولست أزعم أن قدمت كل ما هو واجب، لكنني وبإخلاص حاولت كل ما هو ممكن. كما أنني لا أزعم أنني قلت كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة، فقط أزعم أنني بذلت قصارى الجهد.. وربما ما هو أكثر - بحثاً واستقصاء، تصحيحاً وتصويباً، تجميعاً للحقائق واستكمالاً لها، ولم يكن الأمر سهلاً ولا يسيراً.

فما هو بالأمر السهل أن يقذف إنسان بنفسه على غمار مجهول يمتد قرابة القرن، وأن يواصل رحلته عبر شوك خاص وعام ليصل بها نحو شاطئ الختام.

وكانت لكل مرحلة مصاعبها الخاصة، وشوكها المميز، فالمراحل الأولى - مطلع القرن وما قبله بدت في أول الأمر ضباباً كثيفاً لا تقتحمه العين مهما تفحصت، لكن الضباب ما لبث أن لان وتبدد أمام إصرار الباحث، وأمام الإلحاح المضني عبر صحف الفترة ووثائق السفارات وملفات القضايا وذكريات الرجال، وأمام استقصاء كل ما كتب أو نشر مما يسمى في عالم التاريخ بمعلومات الدرجة الأولى؛ أي تلك المعلومات المستقاة مباشرة من مصادرها الأولية وليست منقولة عن طريق غير مباشر.. وكان ذلك كله مضنياً وشيقاً ورائعاً..

فما أجمل أن تمسك بالخيط الصحيح وتنشبت به بحثاً عن الحقيقة حتى تجدها.. والأمثلة عديدة منها مثلاً أن تلتقط معلومة عابرة عن أول منشور شيوعي وزع في مصر (مارس ١٨٩٧) فتتشبث بالخيط لتصل على النص الكامل وإلى اسم من قبض عليه من موزعيه، وجنسياتهم والمناسبة التي صدر فيها.. إلخ.. أو أن تتهاذى إليك معلومات عن أن الإسكندرية كانت لفترة في عام ١٩٠٢ محطاً لتهرب أعداد (الايسكرا) المجلة التي كان يصدرها لينين في أوروبا ليهربها إلى روسيا.. فتتزع عنك ثياب الدهشة وتبحث عن إبرة في كومة من قش حتى تهتدي إلى مطعم سباستوبول وصاحبه والمخزن الذي احتوى هذه الشحنات وأسماء البحارة والسفن والموانئ.. ووزن الكميات المهربة وكل ما هو مطلوب من معلومات..



والرجال.. الذين وردت أسماءهم كرموز لهذا النضال المبكر، والذين شقوا الخطى الأولى لرحلة الاشتراكية المصرية عبر صخر صلد.. هؤلاء المناضلين، تلتقط أسماءهم وتعيش معها تستجمع كل ما هو متاح عنها من معلومات، حتى تشعر وكأنك تتعارف معهم، تتآخي، يتجسدون أمامك مجموعة من حقائق ونضال مبهر، حتى ليخيل إليك أنك كنت معهم، وأنك توشك أن تلتقي بهم، فتيسر متلفئاً بحثاً عنهم.

هذه المرحلة الأولى كنت أتصور أنها هي الأكثر صعوبة، وأن الخطى التالية، أيسر، فأنت تقترب مما تعرف، ومما عشت وفعلت، والصناع الحقيقيون لهذا النضال ملئ السمع والبصر يمكن الحديث إليهم ومراجعتهم فيما حدث وما قيل.. لكن - وبصراحة مريرة- كانت الخطى التالية هي الأصعب، فشوك الذات، ومواطئ الخلاف لم تزل تدمي الكلمات وتلتوي بها في بعض الأحيان، والكثيرين يمتلكون تحفظات احتفظوا بها عبر سنوات، ولم يكن الزمن بقادر على تجاوزها، والبعض يتطلع إلى ما تكتب بحرص الراغب في الاستزادة لنفسه والإنكار للآخرين، والبعض يقيس ما تكتب عنه أو عن غيره بالمساحة، مؤملاً أن تمنحه مساحة أوفر حتى ولو على خلاف الحقيقة.. وينسى هؤلاء وأولئك أنني ما كان لي أن أذهب كل هذه السنوات، وهذا الجهد كي تصبح كلماتي مطية لغرض شخصي كبر أو صغر.. وأنني لم أفعل ذلك كله تصفية لحساب قديم أو جديد، فما من شيء يستحق كل هذا الجهد، وكل هذا العمر إلا الحقيقة ذاتها، إلا الدرس الذي يبقى لنا وللأجيال القادمة من اليساريين أن تتعلم منه.. وعلى أية حال.. فلقد حرصت طوال رحلة الاثنتين وعشرين عاماً ألا أكون مؤرخاً لحساب أحد أو متحيزاً ضد أحد، ولقد حاولت جهدي ألا أعطي أحداً أي قدر من المجاملة، وألا أجامل إلا الحقيقة ذاتها..

ولعل هذا التشبث بالموقف، والإصرار على عدم الخضوع للابتزاز سواء عبر صداقة قديمة أو قادمة، عبر خصومة قد تبدو محيرة في أسبابها.. لعل ذلك كله قد منحني غضب الكثيرين سواء من أصدقاء الأمس أو اليوم، أو من خصوم الأمس واليوم.

لقد حصرت على ألا أجامل أحداً مهما كانت علاقتي به أو صداقتي له، حتى نفسي أبعدتها رغماً عنها وحرمت عليها أن تطل عبر هذه الأسطر، فبرغم كل ما كان، لم يرد اسمي في كل هذه الصفحات إلا مرة أو مرتين وعندما كان ذكره ضرورياً وحذفه طمساً للحقيقة.

ومع ذلك، وأمام غضب البعض أو تحيزهم فإنني أقول وبصراحة أنني لم أغلق لا باب الإبداع ولا باب الانتقاد، لقد أديت ما اعتقدت أنه واجبي، وعلى الآخرين من منتقدين أو غاضبين أن يشمروا عن أعلامهم ويسجلوا ما أرادوا.. ولعل أية كتابات أخرى ستكون إضافة مكملية للصورة.



وأيضاً.. فإنني لم أكتب لإرضاء أحد أو إغضاب أحد، ولعل من الصعب أن أمضي كل هذه السنوات وأن أنفق كل هذا الجهد لغرض كهذا..

فما كتبت إلا متطلعاً للمستقبل، وللأجيال القادمة وبهدف أن أقدم لها التراث مجمّعاً والدرس مستخلصاً لتتقن كيف تصحح المسار الحالي والمقبل..

ولعل ما منحني القدرة على المواصلة، هو يقيني أن الزمن سيطوي كل الأهواء الشخصية وسيبقى الجهد والدرس الحقيقة التاريخية.. وأن الأجيال القادمة هي الحكم الذي أرتضي حكمه.. وأتقبله..

ولعلها سوف تقدر الفارق بين أن تضني نفسك جهداً وبحثاً وبين أن تكتفي بالنقد والانتقاد..

والفارق سيكون كبيراً عندما نضع في ميزان المستقبل مجلدات هذه الدراسة في كفة وبمقابلها نضع كومة لانتقادات والثرثرات والشتائم.
ومن الآن أرتضي حكم الحاضر والمستقبل.

وإذا كانت ندرة المعلومات تمثل عقبة صعبة أمام المؤرخ فإن وفرتها هي أيضاً مشكلة حقيقية، فأمام الندرة أنت تشعر بالعجز، وأمام الوفرة أنت تشعر بالحيرة، ماذا تختار وماذا تترك؟ خاصة وأن الأمر ليس أكاديمياً صرفاً فأنت مطالب بأن تقدم المعلومات المتوازنة، وفق حجمها الحقيقي، فلقد تتوافر معلومات شتى عن حدث ليس بالهام، ولقد تضن عليك مصادر المعلومات بما هو ضروري للتعرف على الحدث الأكثر أهمية ويكون من الخطأ أن تتساق وراء الكم وأن تتجاهل كيف.. كذلك فإنك تكتب والأعين تلاحق سن القلم.. والبعض لا يرضى منك أو عنك إلا إذا أوردت عنه كل شيء وحتى التفاصيل المثيرة للملل والقليلة الدلالة يعتبرها هو مهمة، وكم يكون صعباً أن تجتاز بعض المعلومات إن رأيت أنها غير هامة بينما أعين تلاحقك بعضها غاضب والآخر عاتب.. وحيرة الانتقاء تفرض عليك حياءً صارماً لا يخضع لأي ابتزاز، وتملي عليك أن تتشبث بالأكاديمية الصارمة.. التي تفسر علم التاريخ ومنذ أيام الإغريق بأنه "علم البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة التي وقعت في الماضي".

ولكم تبدو سهلة تلك العبارة الموجزة.. "الأشياء الجديرة بالمعرفة".. ولكم يبدو صعباً.. أن تتلاقى وجهات النظر لتحديد ما هو جدير بالمعرفة..

وبرغم ذلك فقد اكتفيت بما اعتقدت بضمير خالص "أنه جدير بالمعرفة" وكنت أتجاهل غضب البعض الذي لم يكتف بما أوردته عنه، ولم يكتف بما قلته تأييداً لمواقف اتخذها أو انتقاداً لمواقف عارضها هو في الماضي.

كنت أتجاهل كل هذا الغضب وأزعم لنفسي - بلا أية محاولة لخداعها- أن ضميري يجب أن يفرض نفسه على سن القلم.. وألا يخضع - ولو بأقل قدر- لرغبات أو ابتزاز أحدًا أيًا كان..

ولقد بذلت جهدي في أن أورد دراسة متوازنة أكاديميًا، ولكن متى كانت الأكاديمية المتوازنة قادرة على إرضاء الناس، أو حتى البعض منهم.

وأمام الضغط النفسي من أصدقاء أحبهم.. وخصوم أحترمهم، وآخرين لا يستحقون قدرًا كافيًا من الاحترام ولا يتقنون سوى ثرثرات المقاهي ونقولات العاجزين عن أي فعل.. قررت ألا أخضع لأي ضغط حتى ولو كان حسن النية.. ولم أكتب إلا ما اعتقدت أنه صواب أو أنه ضروري.

ولست أزعم أن كل ما ورد في هذه المجموعة من الكتب كان كل الصواب، أو أنه يخلو من الخطأ أو الأخطاء، أو حتى من شبهة التحيز أو الانحياز، فكيف لإنسان أن يكتب تاريخ عمره وعمر جيله وقد نزع قلبه وألقى به بعيدًا، لكنني أزعم أنني كنت في كل الأحوال أو أغلبها متوازنًا، وعلى أية حال فإن وجدت شبهة تحيز فيكفيني أنها غير مقصودة ويكفيني أيضًا أنها لم تنصرف إلى شخصي، ذلك أن الوحيد الذي تم التحيز ضده وعلى طول الدراسة هو شخصي الذي تجاهلت إirاده عن عمد، وأغفلت ذكره متعمدًا..

وعلى أية حال، فإنني أكتفى - لنفسي- بأنني حققت لها هذا الحلم، فدونت هذه الملحة لتتخذ من الضياع والنسيان تاريخًا مجيدًا يستحق أن يدون، ودروسًا غالية يتعين الإلمام بها والانتفاع منها..

وأنني طاولت بها محاولات المؤرخين البرجوازيين لتسجيل تاريخ طبقتهم دون طبقتنا، وأزعم أنني سدّدت الطريق على محاولات تزيف تاريخنا بل وأعنتقد أن كتب هذه الموسوعة قد أصبحت - ودون أي استعلاء- مرجعًا هامًا لكل من أراد دراسة تاريخ طبقتنا وتاريخ الحركة الشيوعية المصرية.. ويكفيني هذا ويزيد.

ولست أزعم بأي حال أنني وضعت نقطة الانتهاء في تدوين هذا التاريخ، هو مجرد أساس يمكنه البناء فوقه، استكمالاه، فحصه، انتقاده، تصويبه.. وهل كان بالإمكان الاستكمال أو النقد أو التصويب دون وضع الأساس.

.. وبهذا يكون حلمي قد تحقق، ذلك الحلم الذي تسلط عليّ قرابة الربع قرن، عشت معه وله، وبه، ومن أجله، ولقد كان ككل الأحلام البهيجة ممتعًا.. وجميلًا برغم الإرهاق والمشقة.



ولكنه.. وبكل الصدق - لم يكن بإمكانني أن أواصل هذه الرحلة الطويلة ما لم أحظ باهتمام وتشجيع ومساندة رفاق وأصدقاء أعزاء، أعطوني بسخاء المناضل كل ما يحتفظون به من معلومات ووثائق وفتحوا قلوبهم وذاكرتهم أمام أسئلتني الملحة والمثيرة للحرج. كذلك لم يكن بإمكانني أن أواصل ما لم تحظ كتبتي الأولى باهتمام القارئ، وإلحاحه في متابعتي ومتابعتها..

وبعد الطبعة البيروتية الأولى من كتابي الأول في هذه الموسوعة.. "تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠-١٩٢٥" شعرت بإحباط شديد إذ منع طبعه في مصر، كما منع توزيعه، وخيم على قدر من التردد، فما قيمة أن تكتب كلمات لا تصل لأصحابها، ولا تثبت في تربتها، وما قيمة أن نستخلص دروساً وخبرات لا يتعلم منها من تخصهم ثمارها.

وأصبح توالي الطبعات البيروتية، وأرقام التوزيع العالية واهتمام الصحافة الغير مصرية أمراً يثير من الإحباط في نفسي بأكثر مما يثير من الرضى. لكن القارئ فرض عليّ إرادته في أن أواصل فلکم دهشت إذ علمت وخلال فترات الشدة أن بضعة نسخ من الكتاب قد تسربت، وأن البعض من شباب الجيل الحاضر المتطلع إلى تجارب الماضي يقوم بنسخها، وتداولها مخطوطة.. هنا أتاني قرار بأن أواصل، قرار أصدره هؤلاء الشباب الذين نسخوا الكتاب وتداولوه سرّاً رغم الحظر والعنت.

أحسست أن لا جهد يضيع، وأن مصر وطبقتها العاملة، وطلبة هذه الطبقة، تمتلك القدرة على الإلهام بالمواصلة حتى في الزمن الصعب؛ حيث كانت العيون المعادية ترقبني شذراً وتحذرنني علناً وبفجاجة مثيرة..

وواصلت رحلتي..

والوثيقة هي عصب علم التاريخ، وتتنوع الوثيقة باختلاف الزمن، وتتفاوت أهميتها وفق الموضوع فللعصر الفرعوني مثلاً وثائقه من البرديات أو الحجر المنقوش، وللعصور التالية تنويعات من الوثائق.

لكنك قد تستجمع مئات البرديات وتقف مبهوراً أمام عشرات من لوحات الحجر المنقوش دون أن تزداد فهماً للعصر الفرعوني.

هنا يأتي دور المؤرخ.. أو بالدقة المرحلة الثانية من دوره، فهو مطالب أولاً بأن يستجمع أكبر قدر من مصادر المعلومات والوثائق، لكن ذلك كله لا يكفي، لأنه مطالب بعد ذلك بأن يدرس كل ما جمع دراسة منهجية تستهدف التعرف على أكبر قدر من الحقيقة حول موضوع الدراسة.

وفي موضوعنا تنوعت الوثائق.. نشرات، مجلات، مطبوعات، تقارير، ووثائق قضائية (تحقيقات نيابة، مرافعات المحامين، قرارات الاتهام، حيثيات الأحكام، أقوال المتهمين) ووثائق حكومية كتقارير رجال الأمن، أو مداولات الهيئات المختلفة وقراراتها، ووثائق دبلوماسية كتقارير السفارات إلى حكوماتها، ووثائق شخصية أو هكذا أحاول أن أسميها إذ هي وثائق مستمدة من معلومات شخصية مباشرة، مثل محاضر النقاش، المذكرات، الذكريات، الرسائل الشخصية.. إلخ.

ولقد كانت هذه الوثائق الشخصية هامة جدًا بالنسبة لي، ولقد أملاها عليّ موضوع البحث، ولعلها كانت المرة الأولى التي اعتمدت فيها دراسة أكاديمية هذا الكم من الاعتماد على الوثائق الشخصية، ففي حركة سرية تعيش حياتها النضالية في ظل مطاردة لا تتوقف، تصدر الوثائق ليختفي أكثرها بعد فترة من الزمن، وتجمع أرشيفات ليضبط أغلبها، ويبقى من ذلك كله مجرد علامة طافية على سطح متموج، مثل منظر الغواصة يظهر وحده فوق الماء، بينما الجسد كله أسفله، فالسيناريو الداخلي للمنظمة، حواراتها، صراعاتها، أسرارها، كيفية نسج الموقف، ومبرراتها كل ذلك يبقى في أغلب الأحيان حبيسًا في صدور المناضلين وفوق ذلك كله فإن الأبنية التنظيمية وأسلوب تكوينها، وتكوين الهيئات وفك رموز الأسماء السرية وعشرات الأسرار التي تحفظ عليها أصحابها تحفظ الصوفي على مسبحته كل ذلك لا مجال للتعرف عليه دون "الوثائق الشخصية" وكله ضروري لبحثنا بحيث لا يمكن تصويره بدونه.

ومن هنا اكتسبت هذه الوثائق الشخصية أهميتها في دراستنا هذه على وجه الخصوص، ورغم ذلك فإن الدراسة قد فرضت على الكاتب أن يجتزئ القليل الأقل منها ليستند إليه في بناء عملية التدوين التاريخي، ويتبقى من هذه الوثائق الشخصية الجانب الأكثر أهمية.. وهو تكاملها، وما تحتويه من معلومات وبيانات لم تجد طريقها إلى الدراسة الأصلية كذلك يبقى منها قدرتها على أن ترسم أمامك صورة المتحدث وأن تقدمه لك كما كان أو كما هو، وتحكي لك كيف اقترب من الفكرة، كيف أصبح وكيف ناضل، كيف أخطأ وكيف قال الصواب.. أنها المدرسة الحقيقية التي يمكن أن يتعلم منها كل ما أراد أن يطل على الماضي ليتطلع للمستقبل.

ولهذا فقد كنت وطوال رحلتي مع هذه الدراسة أنتزع نفسي من مواصلة الاقتباس من هذه الوثائق الشخصية فكل كلمة تستحق أن تنتشر، ولكن لا حيلة لها إلا أن تخضع لمطالبات توازن دراسة هي أكاديمية بالأساس.

وكنت أمني نفسي وأعدها بأنني ما أن أنتهي من إنجاز هذه الدراسة.. إلا وأنشر كامل هذه الوثائق الشخصية وها أنا أفى بوعدى لنفسي..

ولست أشك في أن الاعتماد على الوثائق الشخصية يمثل - في بعض الأحيان - نوعًا من المخاطرة الأكاديمية، فأنت هنا تعتمد على ذاكرة إنسانية، وعلى رؤى ذاتية وأحيانًا قد يغلب على هذه الرؤية التي تتحول إلى "معلومة" نزعة شخصية أو حتى خلافات أو مشاحنات قديمة أو حديثة.. ولكم عانيت من أشخاص أرادوا أن يصوروا أنفسهم فرساناً لكل حدث، ولكل حديث، وأن يطفئوا أي جهد للآخرين.. ولكم عانيت من تواضع البعض الذين ينكرون ذواتهم فينكرون ما فعلت أو يقللون من قدره..

ولكن.. متى كان المؤرخ مجرد "مجلد" يقوم بمهمة "تجليد" مجموعات الوثائق بعضها إلى بعض في كتاب.

فالمؤرخ إزاء الوثيقة، فاحص ومدقق وناقد، يطابق الواقع ويفحص كل قول ويقارنه بالمعلوم وبالمتيقن منه ويستخرج من عمله التحليل والمقارنة هذه.. الصحيح من الخاطئ.

لكن الوثيقة الشخصية تبقى ذات طابع خاص فهي تشي بصاحبها.. وهذا ما نريد منها بالضبط، فنحن من خلال عملية التاريخ نريد أن نضع أصحاب هذه الوثائق موضع التقييم، ليس فقط بما فعلوا، وإنما بما قالوا، وكيف قالوه. وبموقفهم من الآخرين.. وبمساحة ما افترضوه لأنفسهم وما تركوه للآخرين أليس هذا في حد ذاته تقييماً.

لكنه هنا تقييم يشاركني القارئ في أدائه.

ومن ثم فلا بد للقارئ أن يجد اختلافاً في الروايات، بل وتناقضاً في بعض الأحيان، وأحذر مسبقاً من أن يستند إلى رؤية دون أخرى، بغير تدقيق، وهكذا فلعلها المرة الأولى التي يشرك فيها الباحث قارئه معه في محاولة استخراج الخيط الصحيح من كومة الخطوط المتقاطعة.

وفي غمار روايات متعددة لحدث واحد لا بد من بعض تكرار، لكنه تكرار غير ميكانيكي، بمعنى أنه ما من شهادة تشبه الأخرى، فلكل شهادة مذاقها الخاص، ورؤيتها الذاتية المميزة.

ولقد توقفت طويلاً حول كيفية ترتيب هذه الوثائق، ولقد كان أمامي أكثر من خيار، كان بالمكان ترتيبها نوعياً.. محاضر نقاش، ثم مذكرات وذكريات ثم رسائل.. إلخ.

وكان بالإمكان ترتيبها أبجدياً، أو مرحلياً..

لكنني اخترت أن أحاول قدر الإمكان أن أرتبها زمنياً أي وفق المرحلة الزمنية التي تتحدث عنها الوثيقة، لكن الأمر أكثر تعقيداً فلقد تمتد الوثيقة الواحدة لتغطي مراحل زمنية

متعددة، كذلك فلقد وجدت من الأوفق أن تتجاوز وثائق الشخص الواحد وربما المنظمة الواحدة إلى جوار بعضها البعض، لعل ذلك يسهل على القارئ رؤية أكثر شمولية للحدث وللمتحدث.. ولست أقدم الآن كل الوثائق الشخصية المتاحة.

فلا بد للقارئ المتابع أن يلاحظ أن المجلدات الثلاث السابقة قد تضمنت عديداً من محاضر النقاش وتحقيقات النيابة والدراسات التي ضمنت كملاحق هذه الكتب.. ولم يكن ممكناً ولا ضرورياً إعادة تضمينها هنا، بل لعله كان إلزاماً للقارئ بما هو غير لازم.

ولهذا فقد تجاوزت عن ضمها إلى هذا المجلد معتمداً على أن أغلبية القراء يتابعون هذه الدراسة منذ بدايتها ويمتلكون القدرة على العودة إلى المجلدات السابقة لاستكمال الرؤية إزاء الوثائق الشخصية إن وجدوا ذلك ضرورياً. أخيراً..

ماذا يمكن أن أقول وأنا أكد أضع نقطة الانتهاء.
ما من كلمات مهما امتدت يمكنها أن تصف حلماً يتحقق ولا أن تفي بعرفاني بالجميل لكل من أسهم معي في هذا الجهد، بالقول أو بالوثيقة أو بالنقد.
ما من كلمات يمكنها أن تصف فرحتي وامتتاني.
ومن ثم فما من ضرورة للإلحاح على الكلمات كي تقدم ما هي عاجزة عنه..

القاهرة ١١ أكتوبر ١٩٨٨

* * *



٢- محمود الأطرش(*) رسالة

الجزائر في ١٩ أغسطس ١٩٦٩

فضيلة الأستاذ رفعت السعيد

تحياتي وأشواق حارة وبعد.. تجد طيه الرسالة المطلوبة عن دور الأممية الثالثة في الشرق الأوسط وتحتوي على ١٣ صفحة.

أنني رغم عدم تدقيقنا في مختلف المواضيع التي يجب أن تتضمنها هذه الرسالة بالتفصيل، أرى نفسي مضطراً إلى كتابتها بالشكل الذي تراه - وكل ما أرجوه أن أكون قد بلغت المقصود في مساعدتك على عملك النبيل متمنياً لك أطيب النجاح.

كنت أرسلت لك جواباً لم أتلّق أي رد عليه، لذلك أعلمك بأنني أرسلت نسخة من هذه الرسالة إلى مجلة "الطريق" اللبنانية قصد نشرها ولست أدري إذا كانت ستنتشر أم لا..
الرجاء إبلاغ الأخ الكبير عاطر تحياتي وكذلك جميع الأصدقاء عندكم مني أطيب تحياتي وتمنيات.

محمود الأطرش

(مراد)

(*) تردد اسم محمود الأطرش (المسمى حركياً مراد) أكثر من مرة خلال المناقشات مع عبد الرحمن فضل ومحمد دويدار حيث التقيا به في جامعة كادحي الشرق بالاتحاد السوفيتي (١٩٢٤-١٩٢٦) .. وقد تعرفت على الرفيق محمود الأطرش بعد بحث مضن، وكان مقيماً بالجزائر ثم بألمانيا الديمقراطية وقد طلبت إليه أن يسجل ذكرياته كتابة.. فأوردها في التقرير المرفق.



دور الأممية الثالثة الشيوعية في تطور الوعي الوطني والاجتماعي

لدى الطبقة العاملة والشعوب العربية

تأسست الأممية الثالثة الشيوعية رسميًا في مؤتمرها الأول في ٢-٦ آذار "مارس" ١٩١٩ بقيادة فلاديمير ايليتش لينين، وكان تأسيسها ضرورة تاريخية حتمتها تطورات الأوضاع والتبدلات المحلية والعالمية العميقة، التي حدثت خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها، ولا سيما بظهور أول دولة اشتراكية للوجود تسيرها دكتاتورية البروليتاريا الثورية في الاتحاد السوفيتي وبتعاظم حركات البروليتاريا الثورية في العالم، وثوراتها في أوروبا ثم بنهضة الحركات الوطنية التحريرية لدى الشعوب المضطهدة والمغلوبة على أمرها هذا من ناحية وانحراف الأممية الثانية من ناحية أخرى عن المبادئ الماركسية بعدما استولى الانتهازيون من الاشتراكيين الديمقراطيين على قيادتها أمثال كاوتسكي، فاندرفلد، غيد جول، وهيلفروبغ وخيانة هذه القيادة للمبادئ الاشتراكية والطبقة العاملة وانحرافها خلف تيار التعصب القومي والشفونية بجانب برجوازياتها عند إعلان الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ واتخاذها من شعار "الدفاع الوطني" ستارًا لحياتها، ولدفاعها عن مصالح رأسمالي بلادها وعن مشاريعهم الحربية وأطماعهم الاستعمارية.

وجد تأسيس الأممية الثالثة تأييدًا ودعمًا قويين لدى كافة الأحزاب والحركات الشيوعية والثورية في أوروبا والعالم التي رأت في تأسيسها رمزًا لوحدها ووحدة كفاحها ضد نير الاستغلال الاجتماعي والاستبعاد القومي. وقد تضمنت رسالتها تطبيق التعاليم والمبادئ الماركسية - اللينينية على الأوضاع الجديدة آنذاك، سواء من أجل دعم وتعزيز أول حكومة للعمال والفلاحين والجنود، والدفاع عما بدأت القيام به من تجارب بناء الاشتراكية على أسس عملية لأول مرة في التاريخ الإنساني. أو من أجل مساعدة الأحزاب الشيوعية والثورية الموجودة على تقوية صفوفها والاستفادة أكبر ما يمكن من تجربة الأممية الثالثة والحزب الشيوعي البلشفي في الاتحاد السوفيتي والمساعدة على تكوين أحزاب شيوعية وثورية في الأقطار التي لم تكن موجودة فيها، ومنها أقطار الشرق العربي والأوسط، وتعزيزها لتقوم بدورها التاريخي في تحرير البروليتاريا من عبودية الرأسمال وتحرير الشعوب المظلومة والمستعبدة من سيطرة أكبر عدو لها، الإمبريالية الغربية، تلك الشعوب التي أسقطتها زعماء الأممية الثانية من حساباتهم والتي أولتها الأممية الثالثة الشيوعية كامل عنايتها وخير شاهد على ذلك ما فرضته المادة الثامنة على الأحزاب الشيوعية في الأقطار الأوروبية من شروط الانتساب للأممية الثالثة والتي جاء فيها:



".. فكل حزب يرغب في الانتساب للأممية الثالثة ملزم بأن يفضح بلا رحمة ولا هوادة أحاييل إمبريالي (بلاده) في المستعمرات وأن يدعم لا بالأقوال بل بالأفعال كل حركة تحريرية في المستعمرات وأن يطالب بطرد إمبريالي بلاده من هذه المستعمرات، وأن يربي في قلوب عمال بلده موقفاً أخوياً حقاً من السكان الكادحين في المستعمرات ومن القوميات المضطهدة والمظلومة وأن يقوم بالتحريض الدائب المنتظم في صفوف قوات بلده المسلحة ضد كل اضطهاد للشعوب المستعمرة."

وعليه فإن ما أبدته الأممية الثالثة من الاهتمام بأقطار الشرق العربي والأوسط كان ناتجاً عن خطتها المبدئية التي اعتبرت القضايا القومية لشعوب المستعمرات جزءاً لا يتجزأ من الكفاح العام القائم ضد الأنظمة الإمبريالية والرأسمالية العالمية. ويلقى ما جاء في تقرير اللجنة المختصة بالمسائل القومية وقضايا المستعمرات على المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية ٢٦ تموز "يوليو" ١٩٢٠ ضوءاً على هذه الخطة بنصه ما يلي:

"... ما هو الأهم في موضوعاتها وما هي فكرتها الأساسية؟ إنها الفرق بين الأمم المظلومة والأمم الظالمة ونحن نبرز هذا الفرق على خلاف ما تفعله الأممية الثانية والديمقراطية البرجوازية يهتم البروليتاريا والأممية الشيوعية جداً في عصر الإمبريالية الإشارة إلى الوقائع الاقتصادية المعينة والانطلاق من حل جميع قضايا المستعمرات والقضايا القومية لأمن المبادئ المجردة، بل من ظاهر الحياة الواقعية.."

جاء تأسيس الأممية الثالثة الشيوعية كأصدق تعبير عن أماني البروليتاريا الثورية والشعوب المضطهدة والطامحة في الانعتاق من نير الرأسمالية والإمبريالية كما جاء تأسيسها كرد فعل على التحالف الرأسمالي الذي أصبح قوة عالمية، تتطلب مكافحتها والتغلب عليه لصالح تحالف قوى الكادحين والشعوب المضطهدة في العالم ومن هنا تبدو أهمية الشعار الذي ألقاه لينين وحيويته: "يا عمال العالم ويا أيتها الشعوب المضطهدة اتحدوا".

إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أبدته الدول الرأسمالية والإمبريالية على مختلف ألوانها من ضروب القمع الرهيب الدامي ضد الحركات الشيوعية والثورية منذ نشوئها وكل الشعوب المجاهدة من أجل حقها في الحياة واستقلالها، وكذلك ضربها نطاق الحصار حول الاتحاد السوفيتي الفتى وتطويقه بستار حديدي كثيف، قصد عزله عن بقية شعوب العالم للقضاء عليه في مهده وخوفاً من تسرب أفكار الاشتراكية العلمية والتحررية بين صفوف الطبقة العاملة والشعوب المظلومة بعد ما باء عدوان تلك الدول المتكرر على تراب الاتحاد السوفيتي بالخيبة والفشل. هذا عدا الدعايات المسمومة والمضللة التي نشرها في أطراف العالم حوله، وفي ذلك يقول لينين:



"... وإذا فصلت أوروبا الغربية عنا نفسها بسور كسور الصين، وحتى إذا سقطت البلاشفة الروس في هوة لا قرار لها، فإن ذلك لن يخفف من وضع الإمبرياليين الغربيين" من خطاب ألقى في دار الشعب في بتروغراد ١٣ آذار مارس ١٩١٩.

إذا أخذنا بعين الاعتبار كافة تلك التدابير وغيرها، تبين لنا كم هي عظيمة تلك الجهود التي بذلتها الأممية الثالثة للتغلب على ذلك الوضع الذي أوجده الإمبرياليون والرجعيون عملاؤهم في جميع أنحاء العالم ولمساندة ودعم قوى التحرر الوطني المناضلة والبروليتاريا العربية في الشرق الأوسط كي تشد أزرها في كفاحها الثوري ضد عدوان الإمبرياليين والصهيونية والرجعية العربية كي تمكن تلك الجماهير العاملة العربية والفلاحين والمتقنين الثوريين من تنظيم كفاحهم الوطني والاجتماعي داخل أحزاب شيوعية وثورية لم تعهد الأقطار العربية مثلها في السابق وإغنائها بتجارب ثورية علمية جديدة لتصبح قادرة على قيادة الجماهير وتعبئتها في الكفاح اليومي حول مطالبها ومن أجل التحرر الوطني خارج نطاق الملوك والأمراء العرب والرجعية المحلية التقليدية.

غمرت الشرق العربي والأوسط آنذاك موجة ثورية عارمة لا سيما بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية ١٩١٧، التي نادى منذ نشوئها بحق كل الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها، وكشفت في نفس الوقت عدوان الإمبرياليين الإنجليز والفرنسيين وتأمرهم على تقاسم الأقطار العربية كأسلاب حرب فيما بينهم، وبفضل جهود الأممية الثالثة وبفضل مساعدة الاتحاد السوفيتي السخية تمكن الشعب التركي من طرد الغزاة الإمبرياليين وإجلائهم عن تراب بلاده وتمكن الشعب المصري بدوره من زحزحة أسس نظام الحماية الذي فرضه المستعمرون البريطانيون على مصر بعد ثورته الشهيرة سنة ١٩١٩ وكذلك ثورة الشعب العراقي والسوري والفلسطيني...

وساعد مؤتمر مدينة باكو في الاتحاد السوفيتي الذي عقد في غضون سنة ١٩٢٠ وجمع بين جوانحه الثوريين من مختلف أمم الشرق وفيهم من مثل الشعب العراقي على تعزيز يقظة شعوب الشرق، وأثار الطريق أمام إمكانية تحريرها من نهب الإمبرياليين إذا هي جندت صفوفها ووحدت قواها وجاهدت كما فعل البلاشفة في أقطار الاتحاد السوفيتي من أجل استقلالها وحريتها.

وجه لينين أنظار الأممية الثالثة والبروليتاريا الثورية في العالم، نحو الأهمية الخارقة لكفاح الأمم والشعوب المستعبدة من أجل انعتاقها وتحريرها ودور هذا النضال الهام في إضعاف الإمبرياليين وتعزيز مستقبل الثورة الاشتراكية بقوله:



"... وعلى ذلك فالثورة الاشتراكية لن تكون لا كلياً ولا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البروليتاريا الثورية في كل بلد من البلدان ضد برجوازياتها، إنما ستكون نضالاً من قبل جميع البلدان التابعة ضد الإمبريالية ثم يقول:

"... نحن نعلم أن الجماهير الشعبية في الشرق ستتهدد مستقلة بوصفها صانعة الحياة الجديدة لأن مئات الملايين من سكان الشرق تنتسب إلى الأمم التابعة والمهضومة الحقوق..".

(لينين وحدة الحركة الشيوعية العالمية صفحة ١٨٦ الطبعة العربية).

إن الأقطار العربية عدد لا بأس له من الشيوعيين الذين ينتمون إلى مختلف الأقليات القومية ولا سيما الأقلية اليهودية مثل فلسطين ولبنان وسوريا غير أن الكثير من هؤلاء الرفقاء الذين أتوا للحركة الشيوعية من مختلف الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية ومنظمات البوند والصهيونية والذين أولاهم الرفاق العرب كامل ثقنتهم، أظهروا عجزهم عن إدراك حقيقة المبادئ الماركسية اللينينية فيما يتعلق بالقضايا القومية والاستقلالية، وبطبيعة تلك المرحلة التي تتطلب تجنيد كافة الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة ومتقنين ثوريين وحتى قسم كبير من البرجوازية الوطنية، ثم توحيد كفاحها الوطني التحريري في جبهة وطنية ثورية قادرة على تحقيق الاستقلال والديمقراطية وتوطيد اسمها وجروا الكثير من الرفاق العرب وراء خططهم الانعزالية هذه.

أجل ساعد الكثير من هؤلاء الرفاق الشيوعيين الأحزاب والحركات الشيوعية في الأقطار العربية بنسب متفاوتة كما ساعدوا الحزب الشيوعي المصري مثلاً على تأسيس بعض القواعد له بين صفوف العمال في الإسكندرية ومصر وبورسعيد وطنطا والسويس.. ضمن آلاف العمال وكان الحزب يتمتع في أوائل العشرينيات بنفوذ لا بأس به بين المتقنين الثوريين وخاض على رأس النقابات عدة معارك وإضرابات عمالية لها أهميتها في تاريخ الحركة الثورية في مصر ونظم العديد من الاجتماعات والمظاهرات وكان أول حزب شيوعي اعترفت به الأممية الثالثة في الأقطار العربية في مؤتمرها الثالث سنة ١٩٢١ كما كان الحزب الوحيد في مصر آنذاك المبني على أساس فرق وخلايا شعبية.. إلا أن هؤلاء الرفاق أسأوا فهم دور الطبقة العاملة وطبيعة الكفاح الوطني التحريري وطبيعة تلك المرحلة بالمرّة وطبيعة أهدافها.

كان الكفاح القائم ذاك العهد ممثلاً بين حكومة الباشاوات الرجعيين وعلى رأسهم الملك فؤاد ومن خلفهم الإمبرياليون الإنجليز من جهة وبين حزب الوفد البرجوازي الوطني ومن خلفه جماهير الشعب المصري الكادحة من جهة أخرى في نظر هؤلاء الرفاق كفاحاً بين الطبقات المستغلة "بكسر الغين" لا شأن للطبقة العاملة به بدلاً من الوقوف بجانب حزب الوفد ودفع ذاك الكفاح إلى الأمام بالعمل على توسيع أشكاله الثورية وتعميقها بين الجماهير الشعبية بصورة تجعل



من الصعب على حزب الوفد التراجع عن مطالب الشعب الأساسية خلال مفاوضاته مع الإنجليز ولاكتساب أكثر ما يمكن من حقوق الشعب المصري الوطنية والاجتماعية.

أنهم أخطئوا أيضاً في تقدير دور الأقليات القومية في مصر كما في باقي الأقطار العربية إذ في الوقت الذي كان فيه المستعمرون البريطانيون والفرنسيون يعملون على تفضيل تلك الأقليات القومية في مصر وبالأخص في فلسطين ومنحها مختلف الامتيازات على حساب الجماهير العاملة والشعوب العربية حتى أصبحت برجوازيته تسيطر بأشكال متفاوتة على قسم كبير من اقتصاد البلاد العربية وفي الوقت الذي كان يقوم فيه المستعمرون البريطانيون والفرنسيون باستخدام تلك الأقليات كآلة ضغط واضطهاد في أيديهم لقهر الشعوب العربية وتحطيم حركاتها الثورية والتحريرية وجعلها جزءاً متمماً لاستعمارهم كانت أكثرية هؤلاء الرفاق تنادي الشعب المصري والفلسطيني والشعوب العربية الأخرى للاتحاد مع هذه الأقليات اليومية باسم التضامن البروليتاري الأممي بدلاً من تحليل مواقف تلك الأقليات تحليلاً علمياً ماركسياً لينينياً وكشف ما تقوم به من آثام على أيدي برجوازيته بتحالفها مع المستعمرين البريطانيين والفرنسيين في مقاومة أماني الشعوب العربية وحركاتها الوطنية التحريرية، ومطالبة جماهير تكل الأقليات بالتخلي عن تأييدها مع برجوازيته للمستعمرين البريطانيين والصهيونية إذا أرادت حقاً تأمين مستقبلها والتحالف مع نضال الجماهير العاملة والشعوب العربية التحرري وربط مصيرها بمصيرهم كما فعلت جماهير الأقلية القومية الأرمنية في سوريا ولبنان.

ساعدت مثل هذه المواقف التي لا تتفق والمبادئ الماركسية - اللينينية والتي كان ظاهرها التطرف اليساري وباطنها الانتهازية والتخلي عن الكفاح الثوري على عزل الأحزاب الشيوعية في الأقطار العربية ولا سيما الحزب الشيوعي المصري آنئذ عن الجماهير الشعبية الواسعة والفلاحين وسهلت للإمبرياليين البريطانيين ولعملائهم الرجعيين المصريين الذين هالهم وجود مثل هذا الحزب الثوري في مصر، وما سيجره من الأخطار على مستقبل استعمارهم وامتيازاتهم الإمبريالية ومصالحهم الرجعية في مصر والشرق العربي سواء منها البترولية وغير البترولية، مثل تأمين الاحتفاظ بطريق الهند ومستقبل الوطن القومي اليهودي في فلسطين، ساعدت مثل تلك الأخطاء البريطانيين على دفع حكومة حزب الوفد المصري عند استلامه زمام الحكم ١٩٢٤ لتوجيه أقصى الضربات للحزب الشيوعي المصري، وهكذا قضت الحكومة الوفدية على علنيته بإعلانها حله ومصادرة أملاكه واعتقال الكثير من قادته وأعضائه وزجهم في مختلف السجون وفي بعضهم خارج البلاد.

أصبحت منذ ذاك العهد ملاحقة الشيوعيين واعتقالهم وتعذيبهم والحكم عليهم بالسجن. والتشريد والنفي والإبعاد والإعدام والشغل الشاغل للمستعمرين البريطانيين وللحكومات

الرجعية المصرية المتتابعة وكثيرون هم الذين لقوا حتفهم من الشيوعيين على أيدي البوليس البريطاني والرجعية المصرية أمثال أنطون مارون وحافظ شعبان..

لم تر الأممية الثالثة أو بالأصح القسم الشرقي في الأممية الثالثة بداً لتلافي مثل تلك الأخطاء، ولدفع الحركة الشيوعية والثورية في الأقطار العربية إلى الأمام من الإلحاح أكثر من أي وقت مضى على تنفيذ خطة التعريب في القيادات والأحزاب الشيوعية في سائر الأقطار العربية، وقد سجلت هذه المرحلة التي بدأت منذ أواسط العشرينيات.. بدء انتقال بعض قيادات الأحزاب الشيوعية لأيدي الرفاق العرب، وبالطبع لم تمر تلك المرحلة التي سجلت تقدماً ملحوظاً في إقبال بعض الجماهير العاملة والمتقنين العرب على الانخراط في الأحزاب الشيوعية لا سيما في سوريا ولبنان وفلسطين دون صعوبات ونضالات داخلية عنيفة طوراً، وطوراً هادئة أدت في النهاية بمساعدة الأممية الثالثة إلى إبعاد العناصر الانتهازية منها والصهيونية والتروتسكية عن الحزب والبلاد، وبالأخص تلك التي جاھرت بعدائها لخطة التعريب ونادت بالتعريب ولكن زائد التبليش - ومعنى ذلك هو حرمان الإطارات العربية من الوصول للقيادات الحزبية حتى تتبلش أي حتى تمر بمختلف الامتحانات والمراحل مثل السجون والملاحقات والتعذيب والتشريد، وحتى تنتشع على زعمهم بالمبادئ الماركسية اللينينية. مع أن أكثرهم لم ير لا السجون ولا التعذيب طيلة حياتهم، وقد أظهرت التجارب جهلهم الفاضح للمبادئ الماركسية - اللينينية وبالأخص في القضايا القومية.

كانت تلك العناصر ترى في التعريب خطة شوفينية مبنية على التعصب للقومية العربية، ولكل ما هو عربي، وتؤدي إلى معاداة السامية والرفاق الأجانب، وترمي إلى دفعهم للصفوف الخلفية من الكفاح، مع أن التعريب كان لدى الأممية الشيوعية خطة سياسية علمية مدروسة على أسس ماركسية لينينية فرضته طبيعة المعركة التحريرية ومتطلباتها، ويعبر عن مرحلة تاريخية معينة ومحتومة من تاريخ النضال من أجل الثورة الاشتراكية، وهذه المرحلة هي مرحلة التحرر الوطني والاستقلال.

بما أن الأقطار العربية. كانت أقطار مستعمرة وشبه مستعمرة يسيطر عليها الإمبرياليون البريطانيون والفرنسيون بمساعدة الصهيونية والشركات الرأسمالية الأجنبية والأقليات القومية والرجعيين المحليين لذلك تتطلب المرحلة الأولى من السير نحو الثورة الاشتراكية أولاً وقبل كل شيء الانعتاق من سيطرة الإمبرياليين البريطانيين والفرنسيين وعملائهم الصهيونيين الرأسماليين الأجانب والرجعية المحلية الذين يشكلون أكبر عائق في طريق تحقيق الاستقلال الوطني، أي في طريق بلوغ الهدف الأول من أهداف الثورة الاشتراكية ففي هذه المرحلة يساهم العمال والفلاحون وبرجوازية المدن الصغيرة منها والمتوسطة وفريق



من البرجوازية الوطنية بجانب الجماهير العاملة العربية في النضال البارد والحر من أجل الاستقلال وهم جميعاً يشكلون جيوش الثورة الوطنية المحاربة في سبيل هذا الهدف..

ولا يمكن لهذه الجماهير في نفس تلك المرحلة أن تثق لا في حاييم إبرهام ولا في اسحق.. ولا أن تسير خلف قيادتهم المباشرة، حتى ولو كانوا من أفضل المناضلين للاستقلال الوطني لأنهم ينتمون إما للأمة الحاكمة أو للأقليات اليومية التي أغدق عليهم الإمبرياليون مختلف الامتيازات على حساب الشعوب العربية وجعلوا منها آلة ظلم واضطهاد لمحاربة أماني الجماهير العاملة والشعوب العربية وحركتها الوطنية والاستقلالية.

ولا يمكن لهذه الجماهير والشعوب العربية في تلك المرحلة بالذات أن تثق إلا في زيد وعلي وبكر المنبثقين من صفوفها وأن تسير خلفهم وخلف قيادتهم لأن بها تربطهم رابطة القومية واللغة والعادات والتقاليد والدين ومعهم تنقاسم البؤس والهناء.. هذه هي بعض المعطيات الأساسية التي جعلت من التعريب ضرورة حتمتها طبيعة المرحلة الأولى من مراحل ثورة الاشتراكيين ألا وهي مرحلة الاستقلال الوطني وقد رأت الأممية الثالثة أنه بدون تحقيق خطة التعريب هذه لا يمكن إعطاء هذه المرحلة الضروري من التكتيك الثوري ولا أن تصبح الأحزاب الشيوعية أحزاباً جماهيرية حقاً وطلائعية، أهلاً للإسهام في قيادة كفاح الشعوب العربية بجانب القوى الثورية الأخرى، وتعبئتها للمعارك الحاسمة من أجل التحرر الوطني والاستقلال التام والديمقراطية.

لم تتدخل الأممية الثالثة لفرض خطة التعريب لا في الأقطار العربية التي أمكن فيها إيجاد إطارات جديّة أظهرت قدرتها على القيام بتلك المهمة التاريخية مثل فلسطين لبنان وسوريا.. ومن هذه الناحية لم يساعد الكثير من المسؤولين الشيوعيين الذين ينتسبون إلى الأقليات القومية كما أسلفت هذه الخطة بل عمل بعضهم على عرقلتها ومحاربتها طوراً بالطرق العلنية وطوراً تحت الخفاء مثل أبو زيام الكاتب الأول للحزب الشيوعي الفلسطيني الذي نادى في أوائل العشرينيات بالهجرة الصهيونية بحجة أنها تأتي بالشيوعيين وبالمبادئ الديمقراطية لفلسطين.

وناداب عضو السكرتارية للحزب وأتباعهما، الذين أبعدتهم الأممية الثالثة بعد نضال شاق، عن فلسطين والشرق العربي لسنة ١٩٣٠، ومنهم من وافق على التعريب علناً وحاربه سراً مثل أفيجدور، ويوسف برجر (ابراهيم بارزيلي) الذي اختفى من فلسطين إثر اعتقال عضوين من أعضاء سكرتارية اللجنة المركزية العرب، إثر انعقاد المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني أواخر سنة ١٩٣٠ وأوائل سنة ١٩٣١ وهما محمود المغربي، ونجاتي صدقي وهو اليوم خارج الحزب والحركة الشيوعية، ثم ظهر يوسف برجر - فيما بعد



في برلين كما أبعد أيضاً أفيجدور ونحمان ليستيفسكي عن لبنان وسوريا سنة ١٩٣٣ وبذلك ساعدت الأممية الثالثة على فسخ المجال واسعاً أمام تطور الإطارات الشيوعية العربية وإقبال العمال والفلاحين والمتقنين الثوريين العرب على الانخراط تدريجياً في صفوف الأحزاب الشيوعية ومن خلال النضال الوطني والاجتماعي اليومي ووضوح سياسة الأحزاب هذه وخطتها الوطنية والاستقلالية..

كانت الأممية الثالثة تدعو دائماً الأحزاب الشيوعية في الشرق العربي والأوسط إلى إرسال أكبر عدد ممكن من العمال والفلاحين والمتقنين الثوريين للدراسة في الجامعة الشيوعية لعمال الشرق في موسكو لتوسيع مداركهم العلمية والثورية والاطلاع أكثر على تجارب الأحزاب الشيوعية الأخرى والنقابات وبالأخص تجارب الحزب الشيوعي البلشفي والنقابات السوفيتية لتربية قادة شيوعيين وثوريين قادرين على مجابهة الأحداث وقيادة الجماهير في مقاطع الكفاح الثوري ضد الإمبرياليين والرجعية والتغلب عليها.

شاهدت الثلاثينيات من القرن الحالي تقدماً ملحوظاً في سير الحركة الشيوعية في الأقطار العربية ففيها تبلور شعار الجبهة الوطنية والشعبية على أساس الجمع بين كافة القوى الوطنية التحريرية ضد عدوها الأكبر الفاشية والأنظمة الاستعمارية من أجل الحصول على مطالبها الوطنية والاجتماعية.

اعتنى المؤتمر السابع للأممية الشيوعية في صيف ١٩٣٥ بهذا الشعار بإعطائه محتوى ملموساً ساعد على توحيد طبقات الشغيلة في كثير من الأقطار وتعزيز تحالفها مع الفلاحين والفئات المتوسطة حول أهداف عاجلة ومطالب معينة ووجه في نفس الوقت ضربة قاسية للميول الانعزالية والانتهازية، التي ظهرت خلال ذلك في الحركة الشيوعية.

لهذا كان المؤتمر السابع للأممية الشيوعية أهمية تاريخية عظيمة، لا بالنسبة للحركات البروليتارية في الأقطار الرأسمالية فحسب، بل للقوى الوطنية التحريرية في الأقطار المستعبدة والمغلوبة على أمرها ذلك أنه ساعد على رفع شعار الجبهة وتعزيزه في كل قطر تقريباً من أقطار العالم، وعلى درجة عالية، بقصد تجنيد الجماهير العاملة الشعبية، والشعوب في النضال ضد عدوان النازية وخطر حرب عالمية جديدة، كما ساعد على رؤية مختلف التيارات في الحركة الوطنية وأوضح كيفية العمل من أجل تطوير الميول الثورية والتحريرية في ميدان الكفاح الوطني وطرق توحيدها ودعى الشيوعيين عبر العالم للاشتراك في الحكومات دون تحقيق دكتاتورية البروليتاريا بالاستناد على النضال الموحد للجماهير الشعبية من أجل تحقيق مطالبها العاجلة ولمحاربة أخطار الفاشية والحرب.

أظهر المؤتمر السابع للأممية الشيوعية أن توجيه النضال ضد النازية والفاشية لا يعني الاستسلام لسياسية المستعمرين الإنجليز أو الفرنسيين العدوانية ضد الشعوب الضعيفة بل يعني النضال العنيد الدائب من أجل تحقيق مطالبها الوطنية والاجتماعية العاجلة منها والآجلة وتجنيد أكبر عدد ممكن من جماهيرها العاملة والشعبية، حولها مع السعي لتحقيق التضامن من خلال ذاك النضال بين القوى الثورية والتقدمية في كلا البلدين الظالم والمظلوم لقهر خطر النازية الناشئ حتى في البلدان الأوروبية الحاكمة نفسها.

وفي الثلاثينيات نشأ وترعرع الحزب الشيوعي العراقي الكبير سنة ١٩٣٤ الذي لم يمنعه القمع الاستعماري الدامي والإقطاعي الرهيب ولا ما قدمه من هذا العدد الهائل من الضحايا الثمينة عن متابعة نشاطه الصلب وأن يصبح أكبر حزب شيوعي جماهيري في العراق وباقي الأقطار العربية.

وكان الشيوعيون السوريون - اللبنانيون إحدى العوامل الأساسية التي قضت مع الجماهير الشعبية السورية العاملة لا سيما في مدينة دمشق على المعاهدة الفرنسية السورية التي أراد المستعمرون الفرنسيون فرضها على الشعب السوري بقوة الحديد والنار في شهر تشرين ١٩٣٢ على أساس تجزئة سوريا إلى خمسة ممالك كما كانوا إحدى العوامل الأساسية في كشف مؤامرات المستعمرين الفرنسيين الفاشيست سنة ١٩٣٦ وعلى رأسهم المندوب السامي ودفعه للتمرد والثورة دونما استعداد لإراقة دماء أبنائه وحرمانه من حقوقه ومطالبه الوطنية المشروعة وخلق في نفس الوقت مشاكل جديدة للحكم اليساري القادم للجبهة الشعبية في فرنسا. وساهم الشيوعيون السوريون - اللبنانيون بنشاط في الثورة السورية ٢٥-١٩٢٧ بالأموال والرجال وتحملوا السجون والمنافي في جزيرة تادوار كباقي الوطنيين الثوريين، كما ساعدتها الأممية الشيوعية مساعدة مادية ومعنوية كبيرة.

ساهم الحزب الشيوعي السوري - اللبناني في سنة ١٩٣٦ بقسط وافر من النضال من أجل اعتراف حكومة الجبهة الشعبية بمعاهدة فرنسية - سورية جديدة تستجيب للكثير من رغبات الشعب السوري ولأمانيه الوطنية، وكانت بمثابة خطوة أولى - كما اعتبرها الشيوعيون آنذ في طريق النصر والانعقاد من نير الاستعمار الفرنسي والرجعية السورية ومواقف الشيوعيين في سوريا ولبنان معروفة في قيادة وتنشيط الإضراب العام الذي امتد إلى خمسين يوماً والذي أعلن في ربيع ١٩٣٦ وأرغم المستعمرين الفرنسيين على التراجع عن سياستهم العدوانية والاستجابة لمطالب الشعبين السوري واللبناني وكذلك نشاطهم الحازم في الحركة الاستقلالية وانتخابات ١٩٤٣ التي فاز فيها مرشح الحزب المأسوف عليه الرفيق فرج

الله الحلو بـ ١٠ آلاف صوت في جبل لبنان، وكذلك نشاطهم في المؤتمر الوطني ودورهم في إعلان يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣ عيداً وطنياً لبنانياً للاستقلال..

وبفضل نشاط الشيوعيين في سوريا ولبنان والعراق وفلسطين أخذ الكفاح العمالي والتنظيم النقابي يتطوران بسرعة فائقة وعلى أسس تنظيمية ديمقراطية جديدة لم يعهدها العمال العرب في تاريخ كفاحهم وقاد الشيوعيون مع العمال عدة إضرابات هامة مثل إضراب عمال المطابع في مدينة بيروت أغسطس ١٩٣٣ وغيره.. وقادوا مظاهرة عمال النسيج اليدوي في دمشق ١٩٣٤ وشرعوا في تلك السنة بتنظيم عمال النسيج الآلي وعمال معمل الأسمنت والكوتسروه وساعدوا في تنظيم أعمال نقابة عمال السكك الحديدية في دمشق وعمال النسيج اليدوي في حلب وعمال المطاعم والفنادق وعمال البناء في بيروت ونظموا نضال الفلاحين في لبنان سنة ١٩٣٣ ضد احتكار شركة الريجي الفرنسية للدخان اللبناني الذي فرضه المستعمرون والفرنسيون والرجعية المحلية على الفلاحين بالقوة وغير ذلك..

لم يكن تكوين الحزبين الشيوعيين السوداني والأردني وليد الصدف بل كان نتيجة لتلك الجهود الجبارة التي بذلتها الأممية الشيوعية ولتطورات الحركة الشيوعية ونضالها الوطني التحريري والاجتماعي الدائب ويعتبر هذان الحزبان اليوم من دعائم النضال التحريري والاجتماعي في الشرق العربي والأوسط وكذلك الحزب الشيوعي الإسرائيلي (ركاح) الحزب الوحيد في إسرائيل الذي وقف ويقف بجرأة نادرة ضد الحرب العدوانية التي شنتها دولة إسرائيل بمساعدة الإمبرياليين الغربيين الأمريكيين على الأقطار العربية المجاورة رغم القمع والإرهاب الصهيوني وطالب بانسحاب الجيش الإسرائيلي إلى ما وراء حدود ٥ يونيو ١٩٦٧ والاعتراف بحقوق اللاجئين الفلسطينيين العرب في الرجوع إلى أوطانهم وأماكنهم طبقاً لقرارات هيئة الأمم المتحدة ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧.

كما لم يأت انبعاث الحركة الشيوعية فيما بعد في مصر، من عالم الغريب، بل كان نتيجة لتلك الجهود التي بذلها الشيوعيون المصريون القدامى بمساعدة الأممية الثالثة وبجهود الحركة الشيوعية بمجموعها ولا سيما في الشرق العربي.

وإذا بلغت الحركات القومية والثورية في الأقطار العربية هذا المستوى الشعبي وال جماهيري الواسع والذي تشاهده اليوم بعدما تخلصت من قبضة الملوك والأجراء والباشوات ومن احتكار كبار الملاكين والتجار الذين طالما تاجروا جميعاً مع المستعمرين والصهيونية بحقوق الشعوب العربية حفظاً على استغلالهم وامتيازاتهم الجائرة وتقاسموا معهم مختلف الغنائم وجنوا الأرباح على حسابهم. فإنهم تركوا ميراثاً ثقيلاً للحركات القومية والثورية يتمثل اليوم في دولة إسرائيل، والشركات البترولية والبنوك الاستعمارية.

وإذا بلغت الحركة القومية الثورية والتقدمية هذا المستوى الذي نشاهده اليوم هذا لأن الشيوعيين العرب مع شيوعي الأقليات القومية المخلصين تمكنوا بفضل الجهود الجبارة التي بذلتها الأممية الشيوعية بصمت وصبر وأناة طويلة عشرات السنين وما بذلوه هم من جهود خارقة وتضحيات كبيرة من المساهمة الفعالة في رفع مستوى هذا الوعي والنضوج الوطني والاجتماعي وأغنوه بالأفكار والنظريات العلمية الماركسية اللينينية وبتسطير برامج وتكتيك ثوري لها وهم لا يزالون يساهمون بهمة ونشاط في رفعة سواء في النضال اليومي، من أجل تحقيق جبهة القوى الوطنية الثورية والديمقراطية ضد أعدى أعداء شعوبنا العربية والإمبرياليين والصهيونيين وعميلتهم الرجعية المحلية أو بتطبيق الأفكار والنظريات العلمية الماركسية - اللينينية على واقعنا الوطني وبين أوسع الجماهير العاملة العربية والفلاحين والمتقنين ولم ولن يمنعهم كل ما يلاقونه من ضروب القمع والإرهاب القاسي والدامي من سجون وتشريد وتقتيل منذ نشوء الحركة الشيوعية في الشرق العربي طليعة الكفاح الوطني والاجتماعي.

وعلى هذا الأساس كان ما قامت به الأممية الثالثة من أعمال لمساعدة الطبقات العاملة والشعوب العربية على تنظيم أحزابها الشيوعية، وتعزيز نضال الحركات القومية والثورية ضد الإمبرياليين والصهيونيين والرجعية المحلية ومن أجل التحرر الوطني والاجتماعي إيجابياً رغم ما اعترض تلك الأعمال والجهود من أخطاء ونواقص ومن غير الصواب تحميل الأممية الثالثة وزر أخطاء بعض المسؤولين وأعمالهم التخريبية في الشرق العربي والأوسط لذلك فإن تأسيس الأممية الثالثة الشيوعية الوريثة الشرعية للأممية الشيوعية الأولى كان كما قال لينين:

".. واقعاً تاريخياً يدل على مدى تخطي الأحداث للمفاهيم الاشتراكية الديمقراطية القديمة ولأحزاب الاشتراكية الديمقراطية وزناً وأيديولوجية وفعلاً.."

إن الشيوعيين العرب وبالأخص القدامى منهم أدركوا بتلك الجهود الكبرى التي بذلتها الأممية الثالثة رغم جميع الموانع والعراقيل ورغم الإرهاب الدامي الذي ساطه الإمبرياليون والصهيونيون والرجعيون وبدون تلك المساعدة المباشرة وغير المباشرة كان من الصعب أن تبلغ الحركات الوطنية والثورية هذا المستوى الفكري والوعي الوطني والاجتماعي الذي بلغته اليوم.. ليس الشيوعيين وحدهم الذين ينادون اليوم بمبادئ الاشتراكية العلمية ويدعون للثورة الاشتراكية، بل هناك فئات واسعة من المتقنين الثوريين والبرجوازية الصغيرة الذين يتبنون مبادئ الاشتراكية العلمية والثورة الاشتراكية كأنجح طريق للقضاء على التخلف الموروث عن العهود الاستعمارية الغابرة وأضمن وسيلة لتعزيز الاستقلال للوصول بجماهيرنا العاملة وبشعوبنا إلى قمة التصنيع والتقدم والازدهار والقضاء على استغلال الإنسان للإنسان..

"محمود الأطرش"

* * *



٣- مارسيل إسرائيل تشيريزي

تقرير (*)

فيما يلي نص القسم الثاني من التقرير الذي كتبه مارسيل إسرائيل (تشيريزي) عقب إبعاده عن مصر في عام ١٩٥٣ محاولاً أن يلخص فيه من وجهة نظره خبرة الحركة الشيوعية في الفترة التي عاصرها فيها وقد رفع هذا التقرير إلى الحزب الشيوعي الإيطالي.

وما يلي هو ترجمة عن النص الفرنسي المكتوب على الآلة الكاتبة والذي أرسله مارسيل إسرائيل (تشيريزي) بنفسه للمؤلف بالبريد في يناير (١٩٧٣)

وفي يوليو ١٩٤٢، وأثناء تقدم روميل سريعاً تجاه مصر، لجأ أغلب الشيوعيين الأجانب إلى فلسطين؛ حيث قاموا باتصالات مع الحزب الشيوعي هناك ومع علم الحزب الشيوعي في فلسطين بالانقسام الموجود داخل الحركة الشيوعية المصرية دعا وعلى الفور عدة أعضاء يمثلون مختلف التجمعات لدراسة أسباب الفرقة فيما بينها ووضع حد لهذه الفرقة. فاجتمع أعضاء سكرتارية الحزب الشيوعي الفلسطيني مع ممثلين للمجموعة المرتبطة بمجلة "المجلة الجديدة" وتلك المرتبطة بمجلة "حرية الشعوب" والمجموعة الماركسية التي يرأسها السويسري J. D. وكانت هذه المجموعة الأخيرة تؤيد الفكرة التي تقول بأن الظروف الموضوعية غير مواتية لتكوين حزب شيوعي، في حين رفض الحزب الشيوعي الفلسطيني هذه الفكرة. أما المجموعات الأخرى فكانت ترى أن الظروف الذاتية للحركة هي التي تحول دون إعادة بناء الحزب، ولا يرون أن هذه العملية تشكل مهمة أو واجباً عاجلاً.

وكانت هذه المحاولة هي المحاولة رقم ٣ لتوحيد الماركسيين، والتي قامت بمساعدة الشيوعيين الأجانب، وكما حدث في المرة الأولى عام ١٩٣٩، فإنها قد فشلت فشلاً ذريعاً، فبالإضافة إلى أنها قامت بمساعدة حزب كان خارجاً لتوه من أزمة سياسية قاسية، فإنها كانت أيضاً محاولة سطحية واصطدمت بموقف عدائي عنيد لمجموعة J. D. التي كانت تصر على اعتبار أن أعضاءها هم الشيوعيون الوحيدون في مصر.

(*) راجع القسم الأول من هذا التقرير في د. رفعت السعيد: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الأول - ص ٦٩٨ رمز لجاكو دي كومب.



وفي أوائل ١٩٤٦ كان موقف الحركة الشيوعية كالتالي:

(١) المجموعة الماركسية برئاسة السويسري J. D. نجحت في تجنيد عناصر مصرية، وتعمل بطريقة بطيئة للغاية. ولكنها حذرة، "فلم تحدث اعتقالات بين أعضائها حتى يوليو ١٩٤٦".

وكانت هذه المجموعة على علاقة بمجموعة الشيوعيين اليونانيين في مصر، كما بدأت في تكوين علاقات مع النقابات، ونجحت في ربط بعض القيادات العمالية بها. خصوصاً في المنطقة الهامة لصناعة النسيج بشبرا الخيمة. والتي تعتبر أقوى موقع للشيوعيين. وظلت هذه المجموعة بالإضافة إلى قياداتها تتكون من الأجانب. وأهملت هذه المجموعة التربية الماركسية للأعضاء النقابيين الذين عقدت معهم صلات بصورة أو بأخرى. واكتفت بإسداء النصائح لهم في القضايا النقابية.

أما على الصعيد السياسي، فقد سعوا إلى تكوين جناح يساري للحزب البرجوازي المسمى بالوفد، ورغم افتقار هذه المجموعة إلى الديناميكية في ذلك الوقت، فقد كانت ذات قدرة وتأثير.

(٢) الحركة المصرية للتححر الوطني بقيادة H. C. (*) وكانت أكثر المنظمات ديناميكية في مصر. وتمتعت بثقة عديد من الشيوعيين الإنجليز من جنود الاحتلال في مصر، وكان عدد أعضائها من المصريين قليلاً وقت ذاك. وقد أنشئوا مكتبة ساعدت كثيراً في نشر الأدب والصحافة الشيوعية في مصر باللغات الأجنبية. وكان رئيسها في ١٩٤٣ قد استضاف هنري مارتني لدى مروره بمصر مما زاد من هيئته وتأثير هذه المنظمة. كما كانت لها علاقات سطحية ببعض الفنانين، خصوصاً الموظفين. كما يجب أن نذكر من نشاط تلك المنظمة أنها نشرت عشر كتيبات ماركسية باللغة العربية وقد طبعتها ووزعتها سرّاً.

وهذه المنظمة - كما يظهر من اسمها - تتبع من الناحية السياسية، خطأ يرمي لإنشاء جبهة وطنية ستندمج حسب اعتقادهم في الحزب الشيوعي. لقد كان له أيضاً انحرافات قومية صريحة، ولكن يحسب لها كونها قد حاربت البروادرية في مصر.

(*) رمز لهنري كورييل.



(٣) اسكرا بقيادة H. S. (*) وكانت حتى ذلك الوقت مكونة من الأجانب فقط، ولكنها بدأت في إنشاء علاقات مع بعض المثقفين المصريين، كما كانت تساعد ماليًا على إصدار جريدتين عماليتين ظهر في النهاية أن محرريها كانوا من المغامرين. وكانت تحظى بثقة عدد كبير من الجنود الإنجليز الشيوعيين، وكانت تعطي اهتمامًا كبيرًا للتنقيف النظري لأعضائها. ولكن هذا التنقيف كان يتم بطريقة أكاديمية بعيدة عن الواقع المصري وعن احتياجات النضال، كما كانت تهيمن على بعض التجمعات الأجنبية؛ حيث جرى تجنيد واسع النطاق بين العناصر البرجوازية الصغيرة من الأجانب في مصر. وقامت هذه المنظمة بأكبر دور في الدعاية والتأييد للبراونية في مصر، ولكن تم بعد ذلك نقد ذاتي لهذا، ونشر بين أعضاء المجموعة.

(٤) كان هناك أيضًا مجموعة من الماركسيين مكونة من أغلبية الأعضاء السابقين في تحرير الشعب وكانت قد تلقت ضربات عديدة وعنيفة من البوليس وكانت تصدر المجلة الجديدة كما أسست حلقة أسمتها "لجنة نشر الثقافة الجديدة" وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأت دارًا للنشر بمساعدة إيطالي سميتها مطبوعات الفجر ونشرت عشر كتيبات عن الماركسية والاتحاد السوفيتي ومن عناوينها (ستالين - الجيش الأحمر - تطوير الإنسان - فونتمارا).

وكان هذا التجمع الذي يتكون من المثقفين الماركسيين على صلة بالمجموعات الثلاثة الأخرى، ولكنه استمر في اتجاه تمصير "تحرير الشعب" ويرفض اعتبار المجموعات الأخرى تجمعات ماركسية مصرية (بالنظر إلى قيادتها الأجنبية).

ولا يمكن القول بأن هذا التجمع كان منظمًا بالمعنى الدقيق، كما أنه احتوى على أخطاء وعيوب المثقفين.

وفي عام ١٩٤٤ حين استطاع الإيطالي M. I. (*) العودة إلى مصر، بعد أن ظلت السلطات المصرية طوال ثمانية عشر شهرًا تعارض في عودته من فلسطين وقديمًا نتيجة تدخل اللجنة المعادية للفاشية، اشترك M. I. في هذا التجمع تبعًا لرأي أيد بواسطة قيادات الأحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية.

وكان هذان الحزبان قد أرجعا انقسام الحركة الشيوعية في مصر أساسًا إلى إسناد قيادتها لمجموعة من الأجانب يتصارعون باستمرار لأسباب لا تمت بصلة لمصالح الطبقة العاملة المصرية ولا يمكن إنكار أن وضع قيادة الحركة الشيوعية المصرية في أيدي الأجانب

(*) رمز لهليل شوارتز.

(*) مارسيل إسرائيل



يشكل أحد الأسباب الجوهرية في النزعات الانقسامية المتزايدة التي كانت تمثل سمة أساسية لهذه الحركة وقتذاك.

ثم ظهر اتجاه يرمي إلى توحيد جميع الشيوعيين المصريين في تنظيم مصري خالص يضم جميع أعضاء المجموعات ذات القيادات الأجنبية. وقد دافع التجمع عن هذه الغاية ونظم مؤتمر أعيد من خلاله تنظيم "تحرير الشعب" على أساس أن تقتصر القيادة دائماً على المصريين، وكان العضو الوحيد الأجنبي الذي قبل قيادتها هو أحد الإيطاليين وانفصل بعض الماركسيين المصريين عن التنظيمات الأخرى، وانضموا إلى هذه المنظمة، ولم يحل ذلك دون احتفاظ جميع تلك المنظمات بعلاقات طيبة بأعضاء تحرير الشعب، واعترفت لها بطابعها المصري الصميم. ولكن بعض أعضاء المنظمة الجديدة كان لديهم اتجاه إلى عدم الثقة في الماركسيين الأجانب (وهو الأمر الذي يمكن تفسيره - وليس تبريره - بالنظر إلى الموقف الملموس للحركة في مصر) وكان لتحرير الشعب علاقات وثيقة مع الشيوعيين في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق.

ويجب أن نشير هنا إلى أن انتصار ستالينجارد كان له دوي كبير في مصر خاصة بين طبقة المثقفين وبعض الفئات المتقدمة من البروليتاريا.

وقد أعطت الحرب دفعة قوية للصناعة (وخصوصاً الغزل والنسيج) واستخدمت ورش الجيش عشرات الآلاف من العمال كانوا يحصلون على أجور مرتفعة نسبياً بالعملة المصرية المستندة إلى غطاء الخزانة البريطانية، وحققت الشركات أرباحاً خيالية وصلت في بعض الحالات إلى مائة في المائة من رأس المال وأتاح الطلب المتزايد على الأيدي العاملة فرصة للعمال لكي يشعروا بأهميتهم ونظمت الإضرابات بنجاح متزايد وزادت قوة النقابات. وفي عام ١٩٤٢ اعترف التشريع المصري لأول مرة بالنقابات. وكانت هذه خطوة واسعة للأمام بالرغم من محدودية ذلك القانون، والذي كان مثلاً يمنع إقامة اتحاد عام للعمال أو تنظيم نقابات للعمال الزراعية. وبذلك أخذت الحركة العمالية في النمو بشكل مواز للحركة الماركسية، ولكن العلاقة بينهما كانت سطحية، ولم تكن موجودة فعلاً إلا في قطاع صناعات الغزل والنسيج.

وفي خلال ١٩٤٤ حدث تمرد بين القوات اليونانية المتمركزة في مصر، واجتمعت آراء كافة المنظمات الماركسية في مصر رغم خلافاتها على مساعدة ذلك التمرد. وحدث تعاون ملموس في ذلك بين مختلف المنظمات لمساعدة اليونانيين ولكن الحركة المصرية للتححر الوطني بقيادة كورييل كانت هي التنظيم الذي ساهم بأكبر نصيب في تلك العملية.

وكانت ضروب من الشجاعة تمارس من أجل تمويل الفرق اليونانية التي تحاصرها القوات البريطانية في الصحراء.

وقد كانت سنوات ١٩٤٤، ١٩٤٥ سنوات حاسمة بالنسبة لقضية التمصير، أما المجموعة الماركسية التي يرأسها J. D. فقد أصدرت مجلة اسمها "الفجر الجديد"، مستندة إلى القوة التي هياها لها دعم وتأيد الأعضاء الذين جندتهم من بين الماركسيين المصريين، وسارت هذه المجلة على نهج "المجلة الجديدة"، ولعبت دوراً فعالاً في نشر الشيوعية في أوساط الطلاب والمتقنين في مصر وبعض الأوساط العمالية في مصر حتى يوليو ١٩٤٦.

وبالإضافة إلى ذلك أسست هذه المجموعة داراً للنشر أسمتها "دار القرن العشرين"، نشرت سلسلة من الكتيبات الهامة. أما تنظيم "تحرير الشعب" فقد استطاع الارتباط مع "اتحاد خريجي الجامعة"، وسرعان ما تمكن من تأسيس وإدارة المجلة التي تصدر باسم هذا الاتحاد، وهي "الطلعة"، كذلك فإن دار النشر التابعة لذلك التنظيم وهي دار الفجر، (يجب عدم الخلط بينها وبين الفجر الجديد) قد أصدرت عدداً كبيراً من المطبوعات التقدمية تعرض الكثير منها للمشكلات المصرية مثل المسألة السودانية - الملايا في الصعيد - مشكلة المرأة في مصر.. إلخ.

أما الحركة المصرية للتحرر الوطني فقد كان لها أيضاً مجلة هي "أم درمان" ورغم أن هذه الصحف الثلاثة كانت تعادي بعضها البعض، إلا أنها لم تشتبك في معارك وإنما كانت تكتمل بتجاهل بعضها.

أما "ايسكرا" فقد أنشأت وأدارت جماعة سمتها دار الأبحاث، نالت شعبية كبيرة بين المتقنين، وحتى بين بعض رجال السياسة الليبراليين وقامت بدعاية ماركسية واسعة رغم انحرافها بتأثير البراودرية.

وفي عام ١٩٤٥، شارك وفد مصري في مؤتمر الاتحاد الدولي للنقابات، وكان أعضاء الوفد الثلاثة - رغم أنهم نقابيون - موظفين وليسوا عمالاً.

وكانت مجموعة الفجر الجديد والحركة المصرية للتحرر الوطني هما اللتان قامتتا بتنظيم المشاركة المصرية في ذلك المؤتمر الذي أحدث دويًا هاماً في الأوساط العمالية (خصوصاً في شبرا الخيمة) وقد كانت هاتان هما المنظمتان الوحيدتان اللتان ارتبطتا بالعمال ارتباطاً عميقاً.

وأخذت الشيوعية في الانتشار بين الطبقة العاملة، ولكن من سوء الحظ أن ارتباط الشيوعيين بالحركة العمالية، كان يسير جبناً إلى جنب مع انتقال الانقسامات التي تمزقهم إلى تلك الحركة.

وأصبح الأعضاء النقابيين البارزين في تلك المنظمات الشيوعية يتصارعون فيما بينهم وفقاً لتوجهات قياداتهم.

وفي نهاية ١٩٤٥ - ورغم أنه كانت هناك ثلاثة منظمات لا زالت قياداتها أجنبية - أصبح من الممكن القول بأن هناك عملية تمصير الحركة قد تمت، سواء من حيث غالبية كوادرها وصحفها ومطبوعاتها أو من حيث ارتباطها بالواقع المصري.

خامساً: النضال للسيطرة على قيادة الحركة الوطنية:

طرح انتهاء الحرب على الفور، قضية التحرير الكامل لمصر من نير الإمبريالية. فمصر كانت مستقلة من الناحية الشكلية (طبقاً لمعاهدة ٣٦ المبرمة بين مصر وإنجلترا) ولكن من الناحية الواقعية كان الإنجليز هم الذين يحكموها ولم يكونوا ليتورعوا إذا دعت الضرورة من استغلال قوات الاحتلال في فرض إرادتهم، مثلما حدث في فبراير ١٩٢٤. لقد أظهرت الحرب خبث وزيف اتفاقية ٣٦، فالإنجليز يحتلون مصر عسكرياً ويراقبون ويتحكمون في عملتها التي كان عطاؤها في الخزانة البريطانية، ويمتلكون المواقع الاقتصادية الحيوية (البنوك وشركات التأمين وشركات البترول) ويعينون ويعزلون الوزراء. وبذلك عبرت شرائح واسعة من البرجوازية المصرية التي صفتت من قبل لاتفاقية ٣٦ واعتبرتها انتصاراً كبيراً لحزب الوفد. عبرت تلك الشرائح عن استيائها وعدائها لتلك الاتفاقية. فقد اصطدمت تلك البرجوازية من خلال نموها الضخم أثناء الحرب بالعوائق التي يضعها الاستعمار.

أما البرجوازية، وخصوصاً جماهير الموظفين - والتي وقعت ضحية الغلاء والتضخم - فقد أخذت منحى راديكالياً.

أما جماهير الفلاحين، فقد ازدادت أوضاعها سوءاً أثناء الحرب. بدليل ما قاسته من أوبئة الملاريا والحمى الرابعة (التي قضت في أسابيع على عشرات الآلاف من الفلاحين) ولكنها كانت دائماً وبشكل عام تلك الجماهير التي يسيرها خوفها من كبار الملاك الإقطاعيين وجهاز الدولة. أما البروليتاريا.. وبالنظر إلى نمو وتطور الصناعة وزيادة احتياجات ورش قوات الاحتلال إليها. فقد زادت عددياً بشكل واضح وكذلك زاد تركزها. وبالتالي ارتفعت أجور العمال بزيادة الطلب عليهم، بينما كان ارتفاع تكاليف المعيشة يعمل بشكل مواز على خفض القيمة الحقيقية لتلك الأجور.

وزادت قوة الحركة النقابية. ولكن الظاهرة الهامة كانت هي الارتباط ولا (نستطيع أن نقول حتى الآن الانصهار أو الاندماج) بين الحركة العمالية والحركة الماركسية التي كانت تسعى إلى تنمية الوعي السياسي لدى البروليتاريا.

وهناك أيضاً فئة أخرى من الجماهير لها أهمية كبرى في المستعمرات وأشباه المستعمرات. وهي الطلبة الذين كانوا عام ١٩٤٥ كثيري العدد، ويعمل - أو يقع - أغلبهم تحت تأثير الشيوعية.

وقد تأثرت الحركة الوطنية المصرية بما تميزت به الحرب الثانية من سمة التحرر وزادت قوتها بتزايد تأثير الاتحاد السوفيتي والذي لعب الدور الأساسي عالمياً بالنسبة لقضية تحرير جميع الشعوب. وفي داخل تلك الحركة الوطنية - والتي كان الوفد غالباً هو قيادتها الفعلية - احتلت الحركة الشيوعية مكانها وأخذت تقترب من موقع القيادة.

وفي أوائل عام ١٩٤٦، في شهر فبراير على وجه التحديد، قمعت السلطة مظاهرة طلابية بعنف شديد، وسقط عشرات الطلاب في النيل، وهو ما عرف بمذبحة كوبري عباس. وأمام استنكار جماهير الشعب اضطرت الحكومة (التي كان يساندها كل من القصر والإنجليز والاحتكاريون المصريون) إلى الاستقالة.

وفي الوقت نفسه، تأسست في القاهرة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وضمت مندوبين من النقابات ومن الاتحادات الطلابية.

وكانت أغلبية هذه اللجنة - وهي جنين حقيقي لجبهة ثورية وطنية - أعضاء في الوقت نفسه في تنظيمات شيوعية مختلفة - وأصدرت تلك اللجنة كثيراً من النداءات والمنشورات وتميزت بديناميكية كبيرة.

وفي خلال عدة أيام، أصبحت تلك اللجنة على رأس الحركة الوطنية في مصر. أما الوفد فأخذت لجنته القيادية موقفاً سلبياً بتأثير الخوف، بينما أيدت شبيبة الوفد اللجنة الوطنية (بل وحتى بعثوا بممثلين لهم فيها).. وكذلك أيدتها الصحافة الواقعة تحت تأثير الجناح اليساري من الوفد.

وبدأت اللجنة الوطنية على الفور تكوين لجان إقليمية (محلية) في جميع المدن المصرية فنادت بإضراب عام ضد الإمبريالية في الحادي والعشرين من شهر فبراير. وكان ذلك يوماً لا ينسى فقد توقفت الحياة تماماً ليس فقط في المصانع ومرافق المواصلات والجامعة والمحلات، وإنما أيضاً في جميع مصالح الحكومة.

ونظمت مظاهرات ضخمة صامتة تحت قيادة أعضاء من اللجنة، قاموا بإلقاء الخطب في مختلف أنحاء القاهرة. وحين اقتربت المظاهرات من ثكنات جنود الاحتلال قرب قصر النيل، أطلقت عليهم النيران حيث قتل العشرات. وأصدر البوليس المصري نداءً إلى الجيش، وجاءت لحظة كاد فيها الجيش المصري الذي هتف له المتظاهرون أن يطلق النار على قوات الاحتلال البريطاني التي انتشرت في الطريق بالمصفحات.

وقد ظل هذا اليوم الذي شهد لأول مرة قيام الشيوعيين بقيادة الحركة الوطنية المصرية سياسيًا وتنظيمًا، أشهر وأهم يوم في تاريخ الحركة الوطنية المصرية تحت اسم يوم الجلاء. وقد أدى بالفعل على جلاء القوات البريطانية من القاهرة والإسكندرية وتمركزهم في منطقة القنال.

وجعل الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي يوم ٢١ فبراير عيدًا عالميًا لكفاح الشعوب المستعمرة. فقد شهد هذا اليوم نفسه في الهند أيضًا هبة جماهيرية ضد الاستعمار.

ثم أصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بعد عدة أيام نداءً بالقيام بإضراب عام في مصر للاحتجاج على مذبحه ٢١ فبراير وتم تنفيذ ذلك الإضراب بشكل كامل في جميع مدن مصر.

وحين رأت حكومة الباشا الرجعي صدقي نفسها في خطر، لجأت إلى الإخوان المسلمين لبث الاضطرابات في صفوف الشعب. وكون أولئك لجنة أخرى أخذت تصدر البيانات الديماغوجية والتي في حقيقتها تؤيد الحكومة.

وكان لجوء الحكومة إلى تنظيم فاشستي لمقاومة الحركة الديمقراطية دليلًا جديدًا على نمو تلك الحركة. ومن ناحية أخرى فقد فشلت محاولات الإخوان المسلمين وانضمت كثير من قواعدها إلى اللجنة الوطنية.

وقد شكل تكوين اللجنة الوطنية للعمال والطلبة نقطة تحول في تاريخ الحركة الشيوعية في مصر. فقد اكتشفت هذه الحركة لأول مرة مدى قوتها وقدرتها على السيطرة على الجماهير (ولقد أصيبت مختلف المنظمات الشيوعية نفسها بالدهشة إزاء النتائج التي أسفرت عنها حركتهم) ولكن للأسف فإن الصراعات الانقسامية بين المنظمات الشيوعية قد استمرت في داخل اللجنة - الأمر الذي كان لا بد وأن يؤدي لإضعافها.

وتحت قيادة الشيوعيين (المنتمين إلى مختلف التنظيمات) وجهت الدعوة لإقامة مؤتمر للنقابات لأول مرة في مايو ١٩٤٦، ولكن البوليس حاصر المقر الذي كان مقرراً عقده به. إلا أن المنظمين قرروا في اللحظة الأخيرة تغيير مكان الاجتماع مما أدى إلى إمكان انعقاده، وأصدر هذا المؤتمر كراسة مطالب للطبقة العاملة وبدأت جماهير الطبقة العاملة المصرية في التجمع تحت لواء الشيوعيين.

ومما لا شك فيه أن الشيوعيين لو كانوا منظمين في حزب (وليسوا منقسمين على أنفسهم) ولو كان لهم برنامج معلن واستراتيجية موضوعية (بدلاً من الارتجال التقليدي) لكان بإمكانهم أن يحافظوا على مكانهم على رأس الحركة الوطنية المصرية ويدعموه. ذلك المكان الذي حصلوا عليه حين طرحوا شعاراً واضحاً ومحددًا هو الجلاء. وكان بإمكانهم أن يكسبوا



إلى صفوفهم الطبقة العاملة التي كانت تزداد نضالية، ويجب هنا أيضًا أن نؤكد أن الخطأ الأكبر لتلك اللجنة هو عدم ارتباطها بالفلاحين وهو الأمر الذي حال بينها وبين تجربتها - وإلى جانب الاضطرابات السياسية فقد نظمت سلسلة من الاضطرابات الاقتصادية قام بها العمال، ذلك أنه بعد انتهاء الحرب العالمية، لم يعد باستطاعة عديد من المصانع في مصر (وكثير منها أجنبي، أن تستمر في تحقيق الأرباح الخيالية التي كانت تحصل عليها إبان الحرب، ومن ثم حاولت تخفيض أجور العاملين، ولكن العمال عبروا دائمًا عن درجة عالية من النضالية حين يتعلق الأمر بتحقيق مستوى أعلى من الموجود فعلاً.

فقد قاوموا محاولات أصحاب المصانع والتفوا حول نقاباتهم، وقد جمع مؤتمر مايو ١٩٤٦ فعليًا الطبقة العاملة على المستوى الوطني. وكان كثير من قاداته ينتمون إلى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة التي كانت تأثيرها السياسي في تزايد مستمر. وكانت قد دعت منظمات الموظفين والمستخدمين إلى إرسال مندوبين عنهم فيها. وقررت حكومة صدقي بأوامر من الإمبريالية اللجوء إلى العنف؛ فقبض على عدد كبير من النقابيين في شهر مايو وعلى رأسهم من شاركوا في اللجنة الوطنية. وفي يوليو منعت جميع الصحف التقديمية من الصدور (الفجر - الجديد - الطليعة - أم درمان) بالإضافة إلى جريدة يومية وقديمة كبيرة هي الوفد المصري بتهمة تأييد اللجنة الوطنية واعتقل مئات الشيوعيين والوطنيين التقدميين وأقيمت عليهم دعوى كبرى سميت المؤامرة الشيوعية وأثارت ضجة كبرى حول الذي صوروه على أنه المليونير اليهودي زعيم الحركة الشيوعية. (وذلك بهدف الحط من شأنه والإساءة إلى سمعته) وحين أفرج القضاء عن جميع المتهمين قدم صدقي مرسومًا بقانون يشكل تشريعًا جديدًا مضاد للشيوعيين مستوحى من التشريع الفاشيستي (وهو التشريع الذي يحاكم الشيوعيين بمقتضاه حتى اليوم).

وبمجرد خروج الطلبة المصريين من السجن. شاركوا في المؤتمر العالمي للطلاب في براج بل وانتخب أحدهم عضوًا في اللجنة التنفيذية وفي نفس الفترة التي ارتبطت فيها الحركة الشيوعية بالجماهير (العمال والبرجوازية الصغيرة) ظهر تيار قوي في قواعد مختلف المنظمات يدعو إلى توحيدها. وكان ذلك التيار سائدًا بالذات بين العناصر التي اقتضى عملها اتصالاً مباشرًا بالجماهير وحظى هذا التيار بتأييد قيادات الأحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية خلال مرورهم بالقاهرة. وكذلك بتأييد عضوين من الحزب الشيوعي البريطاني. وعقدت كثير من الاجتماعات بين هؤلاء وبين قيادات المنظمات الشيوعية المختلفة في مصر في أوائل ١٩٤٦. وشكلت لجنة للتوحيد ودعيت كل من المنظمات الأربع الموجودة إلى إرسال ممثلين عنها في تلك اللجنة، لمناقشة الخلافات التي تفصل بين تلك التنظيمات. ووافقت على



ذلك جميع المنظمات ما عدا الفجر الجديد التي رفضت الاعتراف بأن المنظمات الثلاث الأخرى شيوعية. ولكن المنظمات الثلاثة الباقية قررت استئناف المناقشات في موضوع التوحيد وقام على الفور تعاون ومشاركة على مستوى العمل العلني (المشروع).

وتكونت لجان فرعية للتنسيق. وفي النهاية انضمت الفجر الجديد إلى إحدى هذه اللجان. وهي المختصة بتوجيه الصحافة العلنية.

وبذلك حدث تعاون بين المجالات الثلاثة الكبرى وهي الفجر الجديد والطليلة وأم درمان (قبل أن يمنع صدورها). وفي النهاية تعاونت التنظيمات الثلاثة في إصدار نشرة شهرية سموها (وحدة) وكانت تلك هي المحاولة الرابعة لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية. (وقد تمت أيضاً بمساعدة الشيوعيين غير المصريين).

واصطدمت هي الأخرى بالعناد الانفصالي لمجموعة الفجر الجديد. وتميزت هذه المحاولة عن الثلاثة التي سبقتها بحدوثها في مرحلة لم تكن الحركة الشيوعية فيها قد تم تمصير غالبيتها فقط وإنما أيضاً كانت قد بدأت ترتبط عضوياً بالطبقة العاملة وبالجماهير، ولكن تلك المحاولة تشابهت مع سابقتها في أنها خلقت انفصلاً مصطنعاً بين قضية التوحيد وقضية بناء الحزب، أو إعادة بناءه وبعبارة أصح. بدلاً من مناقشة البرنامج واللائحة والخط الاستراتيجي والتكتيكي، أو باختصار بدلاً من مناقشة توحيد الحزب انصرفت اللجنة إلى مناقشة الاتهامات المتبادلة في الأمور التفصيلية.

ولكن ذلك لا ينفي أن هذه اللجنة قد حققت بعض النتائج. وفي بداية ١٩٤٧ اتحدت كل من اسكرا وتحريير الشعب مكونين منظمة جديدة سميت الطليعة المتحدة. وقد اتحدت تلك المنظمة بدورها بعد عدة أشهر مع الحركة المصرية للتححرر الوطني مكونة المنظمة الكبرى المعروفة باسم الحركة الديمقراطية للتححرر الوطني (حدثو). وفي يوليو وأغسطس ١٩٤٦. تأسست منظمة جديدة انقسمت عن الحركة المصرية للتححرر الوطني مجموعة اتخذت اسماً لها "العصبة الماركسية". وفي نفس الوقت رفض بعض أعضاء تحريير الشعب الاعتراف بالاتحاد مع اسكرا وأعادوا تكوين منظماتهم باسمها القديم.

وشكل تكوين "حدثو" خطوة واسعة في تقديم الشيوعية المصرية وقد كان هذا التنظيم قائماً على أساس أقرب إلى الجبهة الوطنية منه إلى الحزب ويجب أن نتذكر هنا أنه مع بداية تمصير الحركة الشيوعية أصبح المصريون والأجانب ينظمون بشكل منفصل ومستقل في داخل المنظمات الشيوعية القائمة (وقد كان أغلب المصريين تماماً). وحين بدأ الارتباط بالعمال اتسع نطاق تطبيق هذه الأسلوب بحيث نظم قطاع منفصل للعمال وآخر للطلبة وهكذا. وقامت اللجنة المركزية لكل منظمة بتوزيع المسؤوليات عن مختلف القطاعات على أعضائها.

أما داخل "حدثو" وهو الشكل الذي ولد تاريخيًا كنتيجة لتكوين الحركة في بدايتها من الأجانب فقد تطورت إلى نوع من الفدرالية. (وحتى الآن يرجع عدد كبير من الصفات المميزة للحركة الشيوعية المصرية إلى التركيب الأجنبي الأصل للقيادات) بحيث أن كلاً من قطاعاتها (وكان هناك حوالي عشرة قطاعات منقسمة تبعاً للطبقة الاجتماعية والجنس والجنسية.. إلخ) كانت ترسل ممثلاً إلى اللجنة المركزية حيث غلبت على طبيعة المناقشات بين أعضائها لغة التحاور بين ممثلين لقطاعات مختلفة أكثر من العمل على قيادة وتحريك التنظيم ككل. وبالإضافة إلى ذلك، كان لكل قطاع نشرته أو جريدته السرية. وكثيراً ما كان يحدث أن تتبع تلك الجرائد خطوطها مختلفة بل ومتناقضة.

وكانت حدثو وهي منظمة مصرية أساساً تخضع لقيادة سكرتارية يسيطر عليها اثنان من الأجانب (يكره كل منهما الآخر). الأول باعتباره سكرتيراً سياسياً والثاني تنظيمياً. وسادت أشد أشكال المركزية بيروقراطية في ذلك التنظيم. أو بالأحرى فإن أموراً مثل حق النقد أو إمكانية مناقشة الخط الذي تتخذه القيادات كانت منعقدة تماماً في القاعدة.

واستمراراً لاتجاه التلقائية الذي ساد الحركة الشيوعية المصرية فإن "حدثو" لم يكن لديها أي برنامج أو لائحة واكتفت بأن تطرح من وقت إلى آخر خطوط تكتيكية متفاوتة في الصحة (فمثلاً خطها تجاه المسألة الفلسطينية كان سليماً أما اتجاه المسألة السودانية فقد اعتبر موقفها انحرافاً شوفينياً). وقد ضمت حدثو في وقت من الأوقات حوالي ألف وستمائة عضو وكانت المنظمة المصرية الأولى التي أنشأت فروعاً في جميع أنحاء مصر (كانت لها فروع في جميع المدن المصرية) وقد جندت أعضاء من بين أفراد الجيش المصري كما بدأت في إنشاء علاقات مع الفلاحين كانت لديها مجلة أسبوعية علنية هي "الجماهير" التي أنشأتها "الطليلة المتحدة" عشية التوحيد وكان يديرها صحفي موهوب هو شهدي عطية الشافعي (الذي حكم عليه عام ١٩٤٩ بالأشغال الشاقة سبع سنوات مع وضع القيود في قدميه) ووصل توزيع هذه المجلة إلى ١٥ ألف نسخة وكانت هي الأداة المحركة والمسيطرة على الجامعة حيث أخذ التجنيد صورة متزايدة السرعة. كما كانت هي المنظمة الوحيدة التي لها علاقة عملية بالعمال في القاعدة الصناعية بالإسكندرية، أما في القاهرة فقد شاركتها منظمة الفجر الجديد في تأثيرها على العمال. وكانت "حدثو" توزع عدداً كبيراً من المنشورات السرية سواء في مجال الكفاح السياسي أو الاقتصادي ولجأت في كثير من الأحيان إلى الملصقات الحائطية ولكنها أهملت الجريدة المركزية السرية التي لم تعد تصدر بشكل منتظم واتسمت مادتها بالسطحية التي تعكس عدم اهتمام اللجنة المركزية، كذلك فقد أهمل التكوين النظري للأعضاء إهمالاً خطيراً. وظهر تيار داخل اللجنة المركزية ينادي بتقوية النشاط النقابي. وتم تدعيم مكتب الدعاية



المركزي وسرعان ما ظهرت نشرة نظرية دورية باسم "الوعي" ونشرت مقتطفات من نشرة مكتب الدعاية باللغة العربية ونظمت دراسات في الماركسية بالإضافة إلى صدور عدد كبير من الكتيبات بشكل علني وشرعي عن طريق دار نشر الفجر (التي أعيد تأسيسها تحت القيادة النشطة لمؤسسها أسعد حليم) منها تقرير زدانوف أمام الاجتماع الأول لمكتب الإعلام (الكومنفورم) وبالإضافة إلى ذلك كانت تصدر نشرة باللغتين الفرنسية والإنجليزية باسم (أخبار مصر) بغرض إحاطة الحركة الشيوعية العالمية بالموقف في مصر. كذلك كانت حدثت على علاقة رسمية بمكتب المستعمرات في الحزب الشيوعي الفرنسي. وإلى جانب ذلك ففي عام ١٩٤٧ كلف عضوان لدى مرورهما بإيطاليا بمناقشة قيادة الحزب في بعض المسائل التكتيكية مثل (خلق حزب ديمقراطي - دور الأجانب في الحركة المصرية.. إلخ) ولدى عودتهما إلى مصر قدما تقريراً ناقشته قيادة حدثت.

وكانت حدثت أكثر المنظمات تأثيراً على الجماهير المصرية بشكل يفوق كثيراً جميع المنظمات الأخرى مجتمعة ويمكن إرجاع ذلك إلى الديناميكية الثورية لكادراتها الوسطى وأعضائها العاديين بالإضافة إلى إخلاصهم الكامل لقضية الشيوعية.

وبعد ذلك انضمت كل من الفجر الجديد، تحرير الشعب، العصبة الماركسية تحت لواء الفجر الجديد وارتبطوا في الوقت نفسه بمنظمة إسلامية تدعى الشيوعية ولكنها معادية للماركسية وهي حزب شعب وادي النيل مكونين بذلك جبهة معارضة هدفها الوحيد هو القضاء على حدثت باعتبارها تنظيمًا انتهازيًا ولجأت هذه الجبهة المعارضة إلى إنشاء نواة داخل حدثت لتشجيع النزعات الانفصالية فيها، كذلك وزعت على العمال والطلبة والمتقنين منشورات معادية لحدثت. وأدى الصراع المتزايد المرارة بين جبهة المعارضة بقيادة الفجر الجديد وبين حدثت إلى بذر الشقاق بين صفوف وإلى إحداث شلل حقيقي في الحركة العمالية (خصوصًا في شبرا الخيمة) مما نتج عنه تباعد عدد كبير من العمال عن الحركة الشيوعية والنقابية.

ومن الجدير بالذكر أنه في عام ١٩٤٧ كتب شهدي عطية الشافعي في جريدة الجماهير موضوعاً أساسه فكرة أن الجماهير الشعبية في حاجة إلى حزب من طراز جديد (وكان يعني بذلك حزباً شيوعياً) وردت عليه الفجر الجديد بواسطة أحد قياداتها في جريدة وفدية بأن الشعب المصري ليس في حاجة إلى أي أحزاب جديدة طالما أن حزب الوفد موجود وهو يكفي لتحرير الشعب. وأحدثت هذه المناظرة أصداء واسعة بين صفوف الشيوعيين فقد أوضحت من جانب وجود اتجاه لتفهم ضرورة أن يتم أخيراً تأسيس الحزب كما أوضحت من جانب آخر ارتباط الفجر الجديد بالفكرة الانتهازية التصفوية بتنظيم الشيوعيين كجناح يساري لحزب الوفد.



واستمرت حدثو في النمو دون توقف وازداد ارتباطها بال جماهير ولكن بالنظر إلى عملها دون برنامج ودون استراتيجية واضحة التحديد فقد تضخمت قطاعاتها الطلابية والبرجوازية الصغيرة عموماً بما ينتج عن ذلك من ضعف نسبي للقطاعات العمالية مما أدى إلى حدوث تفكك حقيقي لهذا القطاع. وساعد التنظيم الفيدرالي للمنظمة ذلك الاتجاه البرجوازي الصغير لحدثو. وأكثر من هذا فقد ثار نقاش في اللجنة المركزية حول ما إذا كان الحزب هو طليعة الطبقة العاملة أم أنها يجب أن تعتبر طليعة جميع العاملين (بما في ذلك البرجوازية الصغيرة). وقد دافعت مجموعة عن هذه الفكرة (التي سميت آنذاك خط القوات الوطنية الديمقراطية) وذلك استناداً إلى جملة ذكرها ديمتروف في إحدى خطبه بالإضافة على تفسير خاطئ للديمقراطيات الشعبية - وفي نفس الوقت ظهرت مجموعة أخرى على رأسها أحد أعضاء السكرتارية اسمها المستعار "عادل"^(*) تدافع عن الفكرة الماركسية وتعتبر فكرة يونس نموذجاً للانتهازية والمراجعة.

وسرعان ما انقسمت حدثو إلى فريقين يناصر أحدهما فكرة يونس والآخر فكرة عادل وأخذ الصراع بينهما يتزايد حدة. لقد وضع أنصار الفريق الأول البرجوازية الصغيرة على قدم المساواة في ثورتها مع البروليتاريا. كما أنهم تحت تأثير تيتو (قبل طرده من مكتب الإعلام) لم يروا أي ضرر في الشكل التنظيمي لحدثو التي أدمجت الحزب في جبهة ولا في اتجاهها السياسي البرجوازي الصغير. أما الفريق الآخر (العادليين) فقد أعلن على العكس رفضه للجبهة (رغم أن ذلك في البداية لم يكن بشكل كامل الوضوح) وتركيز النشاط بين العمال دون أن يعني ذلك توقف النشاط بالنسبة للشرائح الأخرى من المجتمع. وفي أوائل ١٩٤٨ فرض العادليين على اليونسيين إنشاء مدرسة ماركسية مركزية (سرية بالطبع) لتكوين كوادر قيادية عمالية وظلت الدراسة مستمرة بها طوال أربعة أشهر بواقع ست ساعات يومياً لعشرة من العمال.

ولكن عدم الرضا امتد إلى قواعد حدثو فانقسام القيادة إلى فريقين متعادلين يصارع كل منهما للسيطرة عليها وانحراف الخط السياسي تجاه البرجوازية الصغيرة وعدم وجود صحيفة مركزية منتظمة تحيط الأعضاء علماً بالخط السياسي المتبع بالإضافة إلى عدم السماح سواء بالنقد الذاتي أو بمناقشة الخط السياسي داخل المنظمة (رغم النداءات المؤثرة للقاعدة) كل هذه كانت العناصر الداخلية التي أدت إلى إثارة الأزمة الكبرى لحدثو.

ويجب ألا نغفل هنا أثر العوامل الخارجية أيضاً في تلك الأزمة والتي تمثلت في الحملة التي كانت تشنها الفجر الجديد بالإضافة إلى الضربات المضاعفة للبوليس والتي لا شك

(*) عبد المعبود الجبلي.



أنها أخافت بعض العناصر ودفعتهم إلى الثورة على القيادة باعتبارها مسئولة أيضاً عن غياب عنصر الأمن داخل التنظيم.

وشهد عام ١٩٤٨ انفجار وتصادد أكبر أزمة مرت بها الحركة الشيوعية في مصر والتي أدت في خلال عدة أشهر إلى انقسام (وبعبارة أدق تفتت) حدتو. كما شهد ذلك العام أيضاً تصاعد مشاعر الاستياء بين الجماهير المصرية فتتابعت إضرابات العمال والموظفين بل وشهد إبريل ١٩٤٨ الإضراب الشهير للشرطة. فلم يكن النظام الذي فرضه فاروق الفاسد مستنداً إلا إلى القوة الغاشمة وسعى ذلك النظام بمباركة الإمبريالية البريطانية إلى الانحراف باهتمام والطاقت والشعبية نحو الخارج. ومن ثم كانت حرب فلسطين. وفي نفس يوم إعلان تلك الحرب والقبض على بعض الصهيونيين بدأت حملة اصطياد الشيوعيين وسرعان ما امتلأت معسكرات الاعتقال بمئات من المناضلين المنتمين إلى مختلف التنظيمات هذا إذا تركنا جانباً اعتقال العمال لمجرد أنهم نقابيين.

واتخذت الأزمة التي واجهتها حدتو أساساً شكل تكتلات أو تمردات تكونت داخل الحركة ورفضت الاعتراف بسلطة اللجنة المركزية وكانت التكتلية استناداً - محرفاً من الناحية النظرية- إلى الانشقاق البولشيفيكي داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي (من ١٩٠٣-١٩١٢) ولفهم كيفية ترويج هذه الظاهرة الجديدة على مصر (حتى الآن كان يوجد انقسام ولكن لم يحدث تكتل أبداً) يجب أن نتذكر أنه منذ ١٩٤٦ كان الاتجاه نحو الوحدة قوياً جداً بين صفوف الشيوعيين (خصوصاً الكوادر الوسطى والأعضاء القاعدين) الذين كانوا يشكون من حالة الانقسام ومن الصراعات التكتلية. وقد اتخذت عمليات الانقسام صورة التكتل منذ ١٩٤٨ لأن هذه الصورة الأخيرة كانت تبدو من الناحية الديماجوجية في عيون الجماهير وكأنها موقف يتخذه أعضاء يحافظون على وحدة التنظيم ولكنهم في نفس الوقت ضد سلطة اللجنة المركزية. وكان التكتل يبدو نتاجاً لكل من التيار التوحيدي والتقاليد الانقسامية لدى الحركة الشيوعية المصرية. وكان المنضمين إلى أحد التكتلات يعتقدون أنهم ما زالوا أعضاء في التنظيم بالرغم من أنهم في الحقيقة لم يكونوا كذلك. ومن هنا فإن التكتل في مصر أخذ صورة أخطر من الانقسام المعلن وذلك لأنه بالإضافة إلى كونه ينسف من الناحية الأيديولوجية كل مبادئ المركزية فإنه لم يكن إلا انفصلاً في دراسة نظرية نشرت في سبتمبر ١٩٤٨ وأحدثت تأثيراً كبيراً على مختلف التكتلات الموجودة وقضت عليها سواء بتوحيدها أو بتحويلها إلى انفصالات معلنة وتكوين تنظيمات جديدة.

وكان أول تكتل يحدث (والذي سرعان ما انتهى إلى انفصال) هو التكتل الثوري الذي انتقد بشدة سياسة حدتو مزيحاً الستار عن بعض الانحرافات في داخلها واقترح التزام خط



التركيز على العمل بين العمال. وأخطأت هذه المجموعة بالجوء إلى أساليب عنيفة على حدتو (مهاجمة الأجهزة الفنية ومخازن الكتب.. إلخ والاستيلاء عليها) وأدى هذا بالإضافة إلى سرعة تحول التكتل إلى انفصال كامل وتشكيلها منظمة جديدة أدى إلى تخلي غالبية الأعضاء عنه وانضمامهم إلى انقسام جديد تكون في نفس فترة تكوين التكتل الثوري ويسمى "صوت المعارضة" وكان ديماجوجيًا يدين انفصال التكتل الثوري وينادي بخط يقوم على قصر النشاط على الأوساط العمالية (مستندًا إلى تفسير لجملة للينين في "واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس" وصار هذا الانقسام الجديد بطلاً لأكثر النظريات عبثاً وطفولية (الوحدة الاسمية للتنظيم في مواجهة المركزية) وأكثر المواقف تطرفاً نحو اليسار (ظلت طوال مرحلة تاريخية تقصر نشاطها على العمال) الحزب لا يكون إلا بعد أن تصبح الطبقة العاملة قوة سياسية معترف بها.

وهذا الانقسام الذي انضم إليه قسم المثقفين وقسم الأجانب في حدتو انتهى بالانفصال رسميًا عنها في أواخر ١٩٤٨ وتكوين منظمة جديدة باسم المنظمة الشيوعية المصرية م. ش. م. وكانت تخضع واقعيًا لقيادة مجموعة من الأجانب يعتقدون أنهم سوف يقضون على كل أخطاء وانحرافات الحركة الشيوعية المصرية بالالتزام بحرفية الماركسية وبمحاولة التكرار الحرفي صفحة بصفحة لتاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي. ومع علمنا بأن هذا الأسلوب للحركة لا ينتمي في شيء للماركسية (حيث لا يمكن أن تتحول الماركسية إلى دوجما) فإنه أدى غالبًا إلى الانزلاق إلى تفسيرات خاطئة لهذه النصوص. وتميزت مجموعة الأجانب التي ظلت حتى ١٩٤٨ ورغم عملية التمصير للحركة الشيوعية تكون مجموعة هامة في هذه الحركة تميزت دائمًا بدوجماتية مذهبية (وهو ما يظهر في تردددهم الشديد) وهو أمر يمكن فهمه حين نأخذ في اعتبارنا أنه كان من المتاح لهم الاطلاع ودراسة الماركسية أكثر من المصريين بكثير "بسبب معرفتهم باللغات الأجنبية" ولكنهم كانوا أقل بكثير من المصريين معرفة بالواقع المصري مما جعل من كثير منهم وكما قال ماركس - فلاسفة خلف المتاريس - بل إن بعض هؤلاء الأجانب استغلوا معرفتهم بالنصوص الماركسية ليفرضوا وجودهم دون وجه حق على رأس الحركة الشيوعية المصرية. وهذا التجمع من الشيوعيين الأجانب (الذي يتكون أساسًا من يهود مختلف الجنسيات) بعد أن أمضى سنوات طويلة في دراسة الماركسية دون أن يساهم فعليًا في أي نضال سياسي.. (باستثناء بعض الإيطاليين المعادين للفاشية الذين ظلوا طوال الحرب ينشرون جريدة تقدمية توزع بصفة أساسية بين المسجونين الإيطاليين. هذا التجمع سرعان ما تورط منذ ١٩٤٧ في صراعات عنيفة مع البوليس، خصوصًا بعد تكوين الرابطة اليهودية المعادية للصهيونية التي لم ينضم إليها سوى اليهود الشيوعيين. فقد وجهت



إليها السلطات المصرية ضربات قاسية بإجاء من الإنجليز ومن الرأسماليين اليهود في مصر والذين كان نفوذهم ضخماً آنذاك. وقد ضعف جزء من هذا التجمع وتخلّى عن الحركة أما الباقي فقد ازداد صلابة وانغمس في أكثر صور التطرف ويجب إبراز واقعة أن غالبية هؤلاء قد شكلوا رصيذاً قوياً للانقسامات وخصوصاً في بداية تكونها.

أما ثالث انقسام يكون داخل "حدثو" وكان نحو منظمة بلشفية (ن. م. ب) وتكون أساساً من قسم الطلاب (وكما نرى فإن مختلف قطاعات حدثو كونت انقسامات مختلفة، ولكنه بعد عدة أشهر اندمجت ن. م. ب مع "صوت المعارضة" لتكوين "المنظمة الشيوعية المصرية م. ش. م".

ورغم تشكيل هذه الانقسامات الثلاثة فقد ظل الصراع متزايد المرارة داخل "حدثو" بين اليونسيين والعادليين "الذين كانوا يتقاسمون بالتساوي مقاعد اللجنة المركزية تقريباً. وفي يونيو ١٩٤٨ تشكل انقسام سري بواسطة عدد من اليونسيين ولكنه صفي فيما بعد وأخيراً في يوليو ٤٨ وعلى أساس حجة سخيفة طرد اليونسيون العادليين (في اللجنة المركزية طرد الأعضاء الخمسة اليونسيون الأربعة العادليين) وكان العادليين الذين كانوا يعتمدون أساساً على كوادر المكتب المركزي للدعاية، قد قرروا تكوين لجنة تنظيمية لعقد مؤتمر لأعضاء "حدثو" من أجل تحديد خط التنظيم وانتخاب لجنة مركزية جديدة وكان ذلك قراراً صائباً وليس تكتلياً ولا انقسامياً يقوم على أساس رفض اللجنة المركزية القديمة وأن عقد مؤتمر يعكس رغبة أغلب الأعضاء وخاصة العمال. فإن المناقشات حول الخط المتبع أوضحت سقوط اللجنة المركزية، وكذلك تطبيقاً للفكرة التي أوردها لينين عام ١٩٠٤ وقبلها مؤتمر ١٩٠٥.. (الوائح الحالية للحزب الشيوعي السوفيتي تعطي المنظمات الحزبية نفس هذا الحق. فقرة ٤ بند ٣٠).

والحقيقة أن "حدثو" بالنظر إلى ظروف النضال السري كانت تخضع لمبدأ المركزية وليس المركزية الديمقراطية، ولكن الأزمة الحادة التي مرت بها هذه المنطقة وتفتتها إلى انقسامات وانشقاق لجنيتها المركزية، جعلت من الضروري عقد مؤتمر؛ حيث يتم على الأقل فتح الباب لمناقشة عامة حول خطر التنظيم. ولكن لسوء الحظ فإن اللجنة التي تكونت لتنظيم المؤتمر اتبعت خطأ لا يمكن وصفه إلا بالانقسامية (رغم أنها تشكلت أساساً لحماية وحدة المنظمة). وفي الواقع فلقد فرضت تلك اللجنة شروطاً مسبقة للمشاركة تستند إلى إدانة اليونسيين (وهو ما يؤدي تلقائياً إلى استبعادهم جميعاً) وإدانة الانقسامية (وهو ما يستبعد أيضاً الكثيرين من الأعضاء ضحايا مختلف الانقسامات) وذلك بدلاً من أن تتركهم ليدينهم المؤتمر نفسه بالإضافة إلى ذلك فقد حددت اللجنة موعداً لعقد المؤتمر لا يترك الفرصة عملياً للإعداد الأيديولوجي له، رغم أن التوضيح الأيديولوجي كان من ألح الضرورات بالنظر إلى ما ساد



هذه الفترة من ارتباك وغموض وبذلك فإن المؤتمر الذي انعقد كان من الناحية الواقعية مؤتمراً انقسامياً أدى رغم أنه إلى ميلاد منظمة جديدة سميت "المنظمة العمالية الثورية - حدثو" وسرعان ما عرفت باسم "العمالية الثورية". ولكن هذا المؤتمر الذي عقد في يوليو ١٩٤٨ والذي عرف في مصر باسم "مؤتمر الـ ٣٣" يشكل منعطفاً هاماً في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية فقد كان أول مؤتمر منتخب يعقد في مصر حيث مثل ٣٣ مندوباً ما يقرب من مائتي عضو وحضره من القاهرة والإسكندرية إلى حلوان بالرغم من تطبيق الأحكام العرفية وحركة الإرهاب المتزايدة ضد الشيوعيين بمناسبة حرب فلسطين. وكان أكثر من ثلث المندوبين من العمال.

ولكن ما يعطي أهمية خاصة لهذا المؤتمر هو الموقف الواضح الذي اتخذته اتجاه مسألة إعادة تأسيس الحزب الشيوعي، فقد كان أحد التقريرين المقدمين للمؤتمر، يحل أزمة الحركة الشيوعية المصرية، ويضع للمرة الأولى حلاً لتلك الأزمة في توحيد جميع الشيوعيين المنتمين إلى مختلف التنظيمات حول برنامج ولائحة وخطر استراتيجي وتكتيكي أو باختصار توحيدهم داخل وعن طريق الحزب. (قدم التقرير الإيطالي). وليؤكد المؤتمر أن المندوبين المشتركين فيه لا يمثلون إلا جزءاً من الشيوعيين المصريين اعتبر المؤتمر نفسه مؤتمراً تحضيرياً.

ولكن الأهم من ذلك أن التقرير المعروف قدم إعادة تأسيس الحزب باعتبارها مهمة مباشرة وعاجلة يجب إنجازها قبل ٣١ ديسمبر ١٩٤٨. وأخيراً اقترح التقرير إنشاء لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب. لجنة يجب أن تدعى للمشاركة فيها وعلى قدم المساواة جميع المنظمات الشيوعية الموجودة في مصر. وكانت تلك اللجنة هي قيادة الإعداد الأيديولوجي للمؤتمر بفتح مناقشة عامة حول مختلف القضايا المتعلقة بالبرنامج واللوائح والخط الاستراتيجي والتكتيكي الذي تقدمه مختلف المنظمات. وأخيراً تحين لحظة عقد المؤتمر وكان على اللجنة مهمة ضرورية هي التنسيق بقدر الإمكان بين أنشطة مختلف المنظمات طوال فترة الإعداد للمؤتمر.

وقد وافق مؤتمر الـ ٣٣ على هذا المشروع بالإجماع. وفي النهاية وللتعبير عن إدانة المؤتمر للخط البرجوازي الصغير الانتهازي لحدثو قرر المؤتمر إضافة عبارة العمالية الثورية لاسم المنظمة وانتخب لجنة مركزية أغليبتها من العمال.

وسرعان ما مرت المنظمة الجديدة بأزمة، فقد انتهز بعض أعضائها فرصة حدوث بعض المصاعب وكونوا تكتلاً تحول إلى انقسام باسم "نحو حزب شيوعي" وقد أفاد هذا الانفصال الجماعة المتطرفة "صوت المعارضة" فائدة كبيرة بإضعافه ولو مؤقتاً المنظمة

الوحيدة التي كانت تتناضل بفاعلية ضد نظرياتها الفوضوية والتصفوية، ولكن "العمالية الثورية" سرعان ما تخطت أزماتها الداخلية وأعدت تنظيم نفسها ونشرت دراسة حول "واجبات الحركة الشيوعية المصرية" الذي اعتبرته عدة تنظيمات منها إحدى المنظمات المنافسة وهي الفجر الجديد في نشرتها السرية "تصرًا كبيرًا للماركسية في مصر".

وبانتقال العمالية الثورية إلى مرحلة تكوين اللجنة التحضيرية لإعادة بناء الحزب فقد دعيت جميع المنظمات الشيوعية في مصر دون استثناء إلى المشاركة في تلك اللجنة. وكانت ثاني منظمة تشارك فيها بعد العمالية الثورية هي منظمة "تحو حزب شيوعي" ثم توالى عليها كل من حدثو (التي أعيد تشكيلها بقيادة جديدة) والعصبة الماركسية وأخيرًا الفجر الجديد.

أما منظمة تحرير الشعب التي كانت تتفاوض للانضمام مع الفجر الجديد فلقد أيدت اللجنة التحضيرية دون أن تشترك فيها. وكانت المنظمة الوحيدة التي حاربت اللجنة التحضيرية بكل قواها هي المنظمة الشيوعية المصرية (التي كانت تسمى صوت المعارضة) والتي كانت تعارض إنشاء الحزب.

والحقيقة أنه منذ انقسام الحركة الماركسية في مصر في نهاية ١٩٣٨ كان هناك تياران في داخل تلك الحركة:

الأول: تيار انفصالي يرى أن الحزب يجب أن يولد عن طريق النمو الذاتي لإحدى المنظمات الشيوعية والقضاء على المنظمات الأخرى التي تدان بالانتهازية وكان هذا التيار موجودًا في داخل جميع المنظمات (حيث كانت كل منها تعتبر نفسها بالطبع المنظمة الشيوعية الوحيدة). ولكنه أخذ أقوى صورته في "الفجر الجديد".

أما التيار الثاني فكان يناضل من أجل توحيد جميع المنظمات التي تعتبر شيوعية (رغم انحرافاتهما) ولكن حتى ١٩٤٨ كان هذا التيار الثاني يفصل ما بين مهمة توحيد الشيوعيين وبين مهمة إنشاء الحزب. وأخيرًا توحدت هاتان المهمتان على أثر تكوين اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي المصري التي تعتبر خامس محاولة لتوحيد الحركة الشيوعية المصرية (وأكثرها أهمية واقتربًا من تحقيق أهدافها).

ومن جهة أخرى فحتى عام ١٩٤٨ انغمس كل من التيارين الانفصالي والتوحيدي في نظريات "تصفي الحزب قبل نشأته" وكان أخطرهما ذلك الخط الذي ينادي بتنظيم الشيوعيين كجناح يساري لحزب الوفد البرجوازي (وهي الفكرة التي تبنتها الفجر الجديد) وكذلك فكرة تكوين جبهة بدلاً من الحزب والتي تبنتها حدثو مؤقتًا. وكان اشتراك هاتين المنظميتين في اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي يعني تراجعها عن هاتين الفكرتين التصفويين. واستقبلت جماهير الشيوعيين المصريين تكوين اللجنة التحضيرية بحماس كبير وحيث اشترك منظمة



الفجر الجديد فيها وهي التي ظلت طوال تاريخها تعارض فكرة الوحدة مع المنظمات الأخرى. واعتبر ذلك إيذاناً بانتهاء التيار الانقسامي، ولكن ذلك التيار ظل حياً رغم ذلك التنظيم وأخذ شكلاً أوضح في حدثو حيث حاولت مجموعة اليونسيين تخريب اللجنة التحضيرية، ولكن تلك اللجنة التي كان يساندها جماهير الأعضاء في جميع المنظمات (ما عدا المنظمة الشيوعية المصرية) سارت بتصميم للأمام.

وخلال الربع الأول من عام ١٩٤٩ خضع تكوين الحركة الشيوعية المصرية لتغيرات كبيرة سواء على أثر تطورات داخلية فيها أو بتأثير اعتقال عشرات من المناضلين في معسكرات الاعتقال.

وكان الموقف كالتالي:

(١) كانت المنظمة العمالية الثورية هي أكثر المنظمات ديناميكية وأسرعها نمواً. وبمساعدة نشرة نظرية سرية هي "الكادر العمالي" كانت تصدر أسبوعياً بانتظام وتحارب انحرافات اليمين واليسار وتقود بحزم المعركة من أجل إنشاء الحزب.

وفي بداية العام انتخب كونفرنس جديد سرعان ما أسس جريدة سياسية سرية هي "الخبر والحرية" كانت توزعه بين صفوف العمال والطلبة وكانت المنظمة الوحيدة في مصر التي وزعت آلافاً من المنشورات تؤكد أن "الشعب المصري لن يحارب أبداً شعوب الاتحاد السوفيتي وإنما فقط الإمبريالية" (على منوال الأحزاب الشيوعية الفرنسية والإيطالية.. إلخ) أما أعضائها المعتقلين في المعسكرات فقد أسسوا مدارس ماركسية حيث درس العديد من العمال (وهم أساساً من أعضاء الفجر الجديد).

(٢) أما مجموعة الفجر الجديد فقد عملت أساساً بالتعاون مع الشبيبة الوفدية. وكانت تنقسم إلى تيارين أحدهما يؤيد اللجنة التحضيرية والآخر يعارضها.

(٣) أما حدثو فكانت فريسة أزمة خانقة فقد تركها معظم أعضائها ليلتحقوا بالمنظمات الأخرى (خصوصاً المنظمة العمالية الثورية) ولم يتوقف التيار الانقسامي بقيادة يونس عن إثارة المصاعب في وجه اللجنة التحضيرية، ولكن التيار المعادي له والذي كان يحاربه بصراحة كان يقوى باستمرار.

(٤) أما العصبة الماركسية فكان نشاطها محدوداً جداً ولكنها ساندت اللجنة التحضيرية بحزم.

(٥) تحرير الشعب: كانت في مباحثات للانضمام مع الفجر الجديد.

(٦) نحو حزب شيوعي: كانت في حالة تفكك تام وسعت إلى الانضمام إلى المنظمة العمالية الثورية.

(٧) أخيراً فإن المنظمة الشيوعية المصرية - التي كانت أكثر المنظمات تطرفاً- كانت قد اكتسبت عضوية عدد ضخم من الطلبة ألقت بهم في الأحياء العمالية وعلى أبواب المصانع من أجل تجنيد العمال. ولكن النتيجة العملية كانت اعتقالهم عن طريق العملاء السريين للبوليس السياسي. وأمام النجاح الذي أحرزته اللجنة التحضيرية لجأت تلك المنظمة الانقسامية حتى أعماقها إلى تشكيل لجنة أخرى أعلن أنها تهدف للتوحيد ولكن مع طرح ثلاثة عشر شرطاً (امتداداً لخطها المتطرف) يجب الخضوع لها قبل الانضمام إلى تلك اللجنة. وظلت المنظمة الشيوعية في عزلة بمشروعها ذلك. وفي مارس ١٩٤٩ أعلنت اللجنة التحضيرية أن أول إبريل سيكون موعد صدور العدد الأول من نشرة الإعداد البيولوجي للمؤتمر. وكان من المفروض أن ينشر ذلك العدد مختلف البرامج الحزبية المقترحة من مختلف المنظمات. ووافق الجميع على أن توزع هذه النشرة وتناقش بحرية داخل كل منظمة وبذلك يتجه الجميع أخيراً بشكل ملموس نحو تأسيس الحزب.

ولكن الأيام الأخيرة من مارس والأولى من إبريل شهدت موجة واسعة من الاعتقالات بين صفوف الشيوعيين تركزت أساساً على الكوادر القيادية للمنظمة العمالية الثورية والمجموعة المؤيدة للوحدة في حدتو وهو أمر يلفت النظر أنه في كل مرة تسير فيها الحركة الشيوعية المصرية نحو الوحدة تنقض عليها الرجعية (في عام ١٩٤٩ مثل عام ١٩٤٦).

وعرفت قضية قيادات المنظمة العمالية الثورية في الملفات القضائية المصرية باسم "فضيحة اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي للحزب الشيوعي المصري". وأدت هذه الاعتقالات إلى تقوية التيار الانقسامى سواء داخل الفجر الجديد أو حدتو ولكن الأخطر من ذلك كان سقوط التيار التوحيدي مرة أخرى في الخطأ القديم بالفصل بين مهمة توحيد الشيوعيين المصريين ومهمة إنشاء الحزب وفي خلال شهور تغير شكل الحركة الشيوعية المصرية.

وأصبح الوضع يبدو في بداية ١٩٥٠ كالتالي:

(١) نحو حزب شيوعي مصري: أصبحت منظمة جديدة. ولدت أساساً من اندماج المنظمة العمالية الثورية (التي حرمت من قيادتها السابقة) ومنظمة نحو حزب شيوعي واستمرت في الدفاع عن الخط التوحيدي للجنة التحضيرية. ولكنها انهمكت في مسائل داخلية وأخذت تمر بأزمة تلو الأخرى فتضاءل نشاطها بشدة.

(٢) الفجر الجديد اتحدت مع تحرير الشعب وكانت في نمو متزايد وجندت كثيرًا من الأعضاء ممن كانوا ينتمون لمنظمات أخرى يعتبرها هذا التنظيم انتهازية.

(٣) حدثت: كانت قد أصبحت منظمة شديدة الضعف وكانت أول منظمة في مصر تبدي اهتمامًا بحركة أنصار السلام وكانت الحلقة الأساسية في سلسلة نشاطها. واعتبرت بعض المنظمات الأخرى وعلى رأسها الفجر الجديد قيام حدثتو بجمع التوقيعات تأييدًا لنداء استكهلم مناورة بوليسية لجميع الأسماء. ولم تعد حدثتو تهتم بمشكلة التوحيد أو بناء الحزب.

(٤) أما المنظمة الشيوعية المصرية فكانت في حالة تفكك كامل فقد كان أغلب أعضائها في السجن أو تركوها سواء لتراجعهم عن المبدأ أو للانضمام إلى منظمات أخرى وبالأخص حدثتو. ذلك أن الروع الانقسامية الشديدة التطرف التي سادت تلك المنظمة قد أدت إلى اعتبارها جميع أعضاء المنظمات الأخرى عملاء بوليسيين دوليين.

(٥) أما "النجم الأحمر" فكانت منظمة جديدة ولدت بالانفصال عن "نحو حزب شيوعي مصري" وكان يقودها عمال متطرفين وتعتبر مهمتها الأساسية القضاء على جميع المنظمات الأخرى الموجودة والتي تعتبر من وجهة نظرها انتهازية.

(٦) أما "نواة الحزب" فكانت منظمة أخرى جديدة تشكلت من أعضاء قدامى في العصابة الماركسية التي توقفت عن النشاط، بالإضافة إلى بعض أعضاء حدثتو وكانت تتبنى خط اللجنة التحضيرية للمؤتمر التأسيسي للحزب.

(٧) وأخيرًا فإن "الحزب الشيوعي المصري" كان تنظيمًا جديدًا نشأ عام ١٩٥٠ من أعضاء ينمون على عدة منظمات أخرى. وكان هؤلاء الأعضاء بحماسهم لفكرة ضرورة إنشاء حزب شيوعي مصري قد وقعوا في خطأ جديد هو الفصل بين مهمة إنشاء الحزب وبين مهمة توحيد الحركة الشيوعية. وكان نتيجة تجاهل التوحيد أن الحزب لم يكن في حقيقته سوى منظمة شيوعية جديدة تضاف إلى باقي المنظمات الموجودة بالفعل. ولكنها حازت سبقًا كبيرًا عن أولئك من وجهة النظر الدعائية والتحريضية حيث قدمت نفسها للجماهير على أنها حزب شيوعي دون أن تتسمى بأسماء ذات رنين غريب على تلك الجماهير في أغلب الأحيان مثل التنظيمات الأخرى والتي كانت لا تعترف بها بطبيعة الحال.

وفي أوائل ١٩٥٠ وبعد الانتخابات العامة عاد حزب الوفد إلى السلطة خلفًا للنظام الإرهابي الذي كان يحكم تحت إشراف السراي - فقد كان عام ١٩٤٩ عامًا شديد القسوة بالنسبة للشيوعيين وشهد تشكيل حكومة عبد الهادي للمحاكم العسكرية الخاصة لمحاكمة



الشيوعيين وإرهابي الإخوان المسلمين وكان البوليس السياسي يعذب مقدماً كل من يقع في قبضته لحمله على الكلام. وتجدر الإشارة إلى أنه باستثناء حالتين أو ثلاثة قاد فيهما الضعف إلى الخيانة فقد قاوم جميع الشيوعيين المعتقلين التعذيب بشجاعة وأكثر من ذلك فإنه بعد عدة أشهر من إنشاء المحاكم العسكرية قررت جميع المنظمات الشيوعية مقاطعتها ونفذ هذا القرار رغم ما يحمله من خطر جدي بإثارة غضب القضاة.

وكان أول من نفذ قرار المقاطعة هو الطالب السوداني صلاح بشرى الذي توفي بعد ذلك بعدة أشهر في السجن على إثر إصابته بسل حاد وكان مضرباً عن الطعام احتجاجاً على النظام الشديد القسوة الذي يطبق على السجناء. وكانت جنازته مناسبة لمظاهرات جماهيرية ضخمة نظمها الشيوعيون.

ومن الملاحظ أن الشيوعيون المسجونين أو المعتقلين كان لديهم دائماً اتجاه إلى اللجوء بسهولة إلى الإضراب عن الطعام (في مصر كما في جميع بلدان الشرق) وقد دام أحد هذه الإضرابات ٢١ يوماً في مايو ١٩٥١) ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى تأثير تعاليم غاندي.

وأفرجت الحكومة الوفدية عن جميع الشيوعيين المعتقلين في المعسكرات وسرعان ما ألغت الأحكام العرفية. واستغل الشيوعيون إمكانيات الشرعية التي تزايدت أمام نشاطهم.. بتحفظ في البداية ثم بمزيد من الجرأة، وكانت أول منظمة تندمج كلية في العمل الشرعي هي حدثو وكانت أول جريدة تستغلها هي جريدة يصدرها أحد اليساريين اسمها "البشير". ولجأت لنشر فكرة أنصار السلام على أوسع نطاق وإلى تأسيس "مجلس قومي للسلام" سمي في البداية لجنة تحضيرية برئاسة السفير المصري السابق في موسكو كامل باشا البنداري وسكرتارية يوسف حلمي عضو الجناح اليساري بالحزب الوطني وسرعان ما أصبح لحركة السلام جريدتها الخاصة "الكاتب" ثم أسست حدثو جريدة أخرى هي "الملايين" التي قامت بدعاية فعالة ضد الإمبريالية ودفاعاً عن الحريات الديمقراطية والتقدم الاجتماعي. وعلاوة على ذلك كونت حدثو لجنة تحضيرية لتأسيس الاتحاد العام للنقابات مما منحها تأثيراً كبيراً بين صفوف العمال. ومن الجدير بالذكر أن الاتحاد العالمي للنقابات قدم منحة لهذه اللجنة ليساعدها على القيام بمهمتها وبفضل حدثو مثلت مصر في جميع المؤتمرات الدولية وكذلك مؤتمرات الشباب والطلاب والمرأة والسلام، وكان عام ١٩٥٠ هو حقيقة عام النمو السريع في حدثو التي أصبحت أقوى المنظمات تأثيراً في مصر بين الطبقات العمالية والطلبة والمتقنين والوحيدة التي لها علاقة جادة مع الجيش وروابط مع الفلاحين.

وهنا يجب إبراز سمة تميزت بها حدثو وهو أنها كانت تنمو دائماً في فترات ازدهار الحركة الوطنية وتتضاءل إلى حفنة من الأعضاء في فترات انحدارها. وهذا يعني: من جهة

أن كوادرها تعلم كيف تستفيد إلى أقصى حد من إمكانيات العمل الشرعي (وهي الصفة التي تفسر نموها وتطورها) ومن ناحية أخرى أن قياداتها كانت تتجاهل دائماً الحياة الداخلية للمنظمة ونشاطها السري وهذا هو الخطأ الذي يفسر تراجعها وانحدارها. وعليه فإن عام ١٩٥١ شهد دفعاً مستمراً للحركة الوطنية وصلت ذروتها يقطع المفاوضات التي كانت جارية بين الحكومة والإنجليز ورفض الانضمام إلى المفاوضات التي كانت جارية بين الحكومة والإنجليز. ورفض الانضمام إلى المفاوضات التي كانت جارية بين الحكومة والإنجليز. ورفض الانضمام إلى حلف الشرق الأوسط الذي اقترحته أمريكا وبريطانيا. وأخيراً شنت هجمات الفدائيين المسلحة على قوات الاحتلال البريطانية في قناة السويس وبالإضافة إلى ذلك شهد عام ١٩٥١ بداية حركة ثورية فلاحية ضد كبار ملاك الأراضي. وبفضل الشيوعيين (وكذلك بفضل ديماجوجية الحزب الاشتراكي بقيادة أحمد حسين) وضعت مشكلة الإصلاح الزراعي لأول مرة في جدول أعمال السياسة المصرية.

واستمرت الحركة الشيوعية في النمو المتزايد وازداد ارتباطها ب جماهير العمال كما أحرزت تأثيراً متزايداً على شرائح واسعة من البرجوازية الصغيرة (الطلبة - الأدباء - الشبان - الفنانين.. إلخ) ولكن هذا النمو كان يمكن أن يكون أسرع من ذلك وأقوى لو لم تكن الحركة الشيوعية منقسمة. ذلك أن الصراع الانشقافي بلغ مدى من الحدة لم يصل إليه أبداً من قبل خلال تلك السنة التي تميزت بالنشاط الواسع بين الجماهير. فقد مزقت الصحف السرية للمنظمات بعضها البعض وكانت الفجر الجديد تهاجم المجلس القومي لحركة السلام بضراوة ونظمت ضد هذا المجلس انشقاكات تجمع بعض اللجان الإقليمية. وكانت خطط كل منظمة فيما يتعلق بالنشاط السلمي تتعرض لهجمات متبادلة مستمرة في الصحف السرية لمختلف المنظمات مما أدى إلى تدخل السلطات لتحديد نشاط حركة السلام ذاكرتين فقرات من تلك الصحف. وكانت اللجان النقابية خصوصاً في شبرا الخيمة والقاهرة (للتسيج) منقسمة بسبب نزاعات مستمرة فيما بين أعضاء مختلف المنظمات الذين يتبادلون الاتهامات بالخيانة. وسيطرت الفجر الجديد على جريدة "الناس" ولجأت بواسطتها إلى التشهير بقيادة حركة السلام وفقد تيار الوحدة أغلبية ميادينه وعلى العكس - للأسف - فقد تصاعد وقوي في السجون وخاصة في السجن المركزي بالقاهرة. فبعد آلاف العقبات توصل أعضاء المنظمات المختلفة (ما عدا المنظمة الشيوعية المصرية) إلى تشكيل "لجنة عامة للمسجونين السياسيين" وعدد من لجان التنسيق بهدف التقريب بين أعضاء مختلف المنظمات الذين سقطوا في قبضة العدو الطبعي.



ثم ظهر خط توحيدى جديى سرعان ما اكتسب عدداً كبيراً من الأنصار وقد بنى هذا الخط على أساس موقف الانقسام المزمّن فى الحركة الشيوعية المصرية والاستحالة العملية لعقد مؤتمر عام لجميع المنظمات لتأسيس الحزب والنظر إلى ضرورة المساعدة الخارجية (خصوصاً الإيطالية أو الفرنسية أو الإنجليزية) لوضع حد للأزمة الحجرة للحركة الشيوعية المصرية. وباختصار دعيت جميع المنظمات الشيوعية لوضع مشاريع برامج ولوائح وخطوط إستراتيجية وتكتيكية وتناقشها فيما بينها فى محاولة للوصول إلى اتفاق على مشروعات موحدة. وفى حالة فشلهم فى ذلك (وكان ذلك مطروحاً لدى أصحاب الفكرة بنسبة ٩٩%) فعلى المنظمات المعنية عرض خلافاتها على رفاق معتمدين من الخارج. وهذا الخط الذى استوحى سبب وجوده من الاشتراكية الدولية قبل حلها ثم من مثال تدخل الحزب الشيوعى الفرنسى بواسطة ديكلو فى أزمة الحزب الشيوعى الأمريكى تحت قيادة براودر. ويقوم أساساً على التضامن الدولى للبروليتاريا والحركة الشيوعية (لم تكن الدولية الشيوعية إلا شكلاً محدوداً لهذا التضامن) فهى لم تطلب من الشيوعيين الأجانب وضع برامج ولائحة.. إلخ للشيوعيين المصريين وإنما فقط ساعدتهم على التوصل إلى الاختيار بين مختلف المشروعات المقدمة منهم وتحديد أيها أصح أو أيها أقل خطأ. وكان هذا الخط يؤيده الاتجاه التوحيدي.

وفى أواخر ١٩٥١ انضمت "نحو حزب شيوعى مصرى" إلى حدثو رغم أن هذا الانضمام أقيم على أساس بعيد عن الصحة تاريخياً وأيديولوجياً - وكما يحدث غالباً فى حالات الاندماج فإن جزءاً من أعضاء "نحو حزب شيوعى مصرى" رفضوا الاعتراف بقرار اللجنة المركزية وأعادوا تنظيم أنفسهم بنفس الاسم.

ومن ناحية أخرى انفصل بعض أعضاء "نواة الحزب" وكونوا منظمة جديدة أسموها "طليلة الشيوعيين".

وبمجرد أن ألغت حكومة الوفد تحت ضغط الجماهير المعاهدة التى كانت قد وقعتها مع الإنجليز عام ١٩٣٦ أثبتت الطبقة العاملة المصرية مرة أخرى دورها الطليعى بقيامها ببدء المقاومة والنضال ضد الإنجليز فقد ترك عشرات الآلاف من العمال العاملين فى المعسكرات الإنجليزية فى القنال أعمالهم مسببين بذلك شللاً تاماً لخدمات ومرافق جيش الاحتلال.

وكانت حدثو هى المنظمة الوحيدة التى شاركت بإيجابية فى النضال المسلح ضد الإنجليز واستشهد أحد كوادرها الأبطال "عباس الأعسر" وسلاحه فى يده خلال ذلك النضال وعلى العكس أخذت باقى المنظمات موقفاً سلبياً أو حتى أدانوا هذا النضال باعتباره عملاً مغامراً.

ولكن جميع المنظمات اعتبرت من الضروري تشكيل لجان وطنية تكون بمثابة جبهات شعبية تجمع العمال والطلبة والمتقنين والموظفين.. إلخ لتنظيم قواعدها في مختلف الأحياء، وبالطبع كونت كل منظمة جبهتها الشعبية الخاصة بها والمعادية للأخريات. وكان يوجد في الحي الواحد أحياناً ثلاث لجان وطنية تتصارع بقسوة.. ومع التوسع الكبير والشعبية المتزايدة للحركة الشيوعية بين الجماهير. فإن الانقسامية قد امتدت إليها وندرت الاضطرابات والفرقة بين صفوفها (باسم تكوين جبهة شعبية).

ولكن رغم كل هذا فقد كانت الحركة الشيوعية المصرية من القوة بحيث تضغط على الحكومة وتدفعها إلى اتخاذ موقف أقل تفاهماً وتصالحاً مع الإنجليز والإمبرياليين.

وفي صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ توجه آلاف من الطلبة متأخين مع رجال الشرطة (حيث كان ما يقرب من مائة من رجال الشرطة قد قتلوا بوحشية عشية ذلك اليوم على يد الإنجليز) توجهوا تحت قيادة الشيوعيين إلى مقر الحكومة في مظاهرة وطنية ضخمة مطالبين بالقطيعة الكاملة مع الإنجليز والمساعدة الرسمية لحركة الفدائيين المسلحة في القتال. وحوالي الظهر انتهت المظاهرة وهنا بدأ الاستفزازيون من عملاء المخابرات الأمريكية والبريطانية والسراي في إشعال حريق القاهرة، وفي نفس الليلة أعلنت الحكومة الأحكام العرفية وأقيمت حكومة الوفد وفرضت على البلاد مرة أخرى ديكتاتورية القصر بواسطة عملائه. وقد نجح هذا التحدي بسبب الضعف النسبي للحركة الشيوعية والتي ترجع أساساً لانقسامها من جهة وإلى عدم وجود جبهة وطنية متماسكة (وهو نتيجة لضعف الحركة الشيوعية) من جهة أخرى.

وأعيد فتح معسكرات الاعتقال في نفس المساء واستمرت الاعتقالات الجماعية للشيوعيين حتى يوليو ١٩٥٢.

وقد كانت حركة ٢٦ يناير ١٩٥٢ تهدف بصفة خاصة إلى جانب ضرب الحركة الوطنية في مجموعها - وإلى ضرب الحركة الشيوعية التي أدى تأثيرها المتزايد ونموها طوال عامي ٥٠-١٩٥١ إلى إثارة مخاوف الإمبريالية والملكية والرجعية - وضرب الحركة النقابية التي كانت قوتها قد ازدادت بشكل ملحوظ وأخذت تقع تدريجياً تحت تأثير "اللجنة التحضيرية لإنشاء الاتحاد العام للنقابات" التي كانت واقعة بدورها تحت سيطرة حدتو. وتحت ضغط العمال كانت حكومة الوفد قد وافقت على السماح بعقد مؤتمر عام للنقابات حدد مواعده في ٢٧ يناير. وقام اتحاد النقابات السوداني (وكان تحت تأثير الشيوعيين) بإرسال وفد يتكون من ألمع قياداته لحضور ذلك المؤتمر التاريخي الذي سيتم من خلاله لأول مره منذ تفكك الوحدة النقابية عام ١٩٢٤ (التي نظمها ووجهها في ذلك الوقت الحزب الشيوعي المصري) توحد الطبقة العاملة المصرية من جديد في اتحاد كبير. وقد ربط بالم دات بدقة في تحليل



أجراه للموقف في مصر العلاقة بين تحديد يوم ٢٧ يناير موعدًا لانعقاد المؤتمر الوطني للعمال وبين حركة ٢٦ يناير وقد نجح ذلك الاستفزاز في تعطيل انعقاد المؤتمر وقبض على أهم القيادات النقابية وأودعوا المعتقلات.

واستمرت الحركة الشيوعية في ممارسة نشاطها على نطاق واسع بالرغم من اعتقال عدد كبير من مناضليها ومن منع جميع صحفها الشرعية وذلك بتأثير المدى الواسع الذي كانت قد وصلت إليه قبل تلك الأحداث. واستمرت الانقسامية كما كان الحال دائمًا وممارسة تأثيرها وكانت تتصيد أقل خطأ ترتكبه منظمة أخرى لوصمها بالانتهازية والمنشيقية والعمالة للشرطة. كانت كل منظمة ترى القشة التي في عيون الآخرين متعامية عن العصا التي في عينها.

وكان الضعف النظري لغالبية الشيوعيين يرجع من ناحية إلى عدم وجود غالبية الأعمال الكلاسيكية للماركسية باللغة العربية في تلك الفترة ومن ناحية أخرى إلى الدوجمانية والجهل بالأساليب الجديدة للنضال التي طرحتها التطورات التي طرأت على النضال العالمي. وزاد ذلك الضعف من الانعزالية وأدى إلى ظهور مواقف تثير سخرية أي شيوعي له علاقة بالواقع الدولي. ومن ذلك أن إحدى المنظمات اتهمت أخرى بالخيانة العظمى لأنها أيدت فكرة أن الديمقراطية الشعبية حين تقوم في مصر سوف يكون من ضمن أعمالها توزيع الأراضي على العمال الزراعيين مما يؤدي في نظر المنظمة الأولى إلى إضعاف الطبقة العمالية بتحويلها من بروليتاريا إلى برجوازية صغيرة.

مسألة أخرى أدت إلى انقسام الحركة الشيوعية المصرية بعد أن نشرت المنظمة العمالية الثورية عام ١٩٤٨ خطها في كتيب بعنوان "مهمات الحركة الشيوعية المصرية" هذا الخط الذي يحلل الموقف المصري ويؤكد أن الثورة تمر بمرحلتين:

أولاً: ثورة ديمقراطية برجوازية من طراز جديد تقودها زعامة البروليتاريا ضد الإمبريالية والإقطاع والاحتكار.

أما الثانية: فهي الثورة الاشتراكية. وهذه الفكرة - فكرة الثورتين - المؤسسة على تعاليم لينين وماوتسي تونج كانت مرفوضة من الأساس خصوصاً من قبل منظمة الراية.

وعلى العكس فإن منظمة أخرى هي نواة الحزب أكدت أن الديمقراطيات الشعبية هي في مضمونها ديكتاتورية البروليتاريا (وهو ما ينطبق على الديمقراطيات الشعبية في أوروبا الشرقية في الوقت الراهن) وساندت فكرة الثورة الواحدة. وهي الثورة الاشتراكية مباشرة واعتبرت جميع أنصار فكرة الثورتين خونة وعملاء للبرجوازية.

كل هذه المسائل النظرية كان لها تأثيرها - قل أو كبر - على النشاط العادي فمثلاً بالنسبة لتحليل الثورة في مصر كان هناك برنامجين مختلفين وكذلك خطين تكتيكيين واستراتيجيين.

ولعل أهم نجاحات الحركة الشيوعية المصرية في الربع الأول من عام ١٩٥٢ هو تقوية الروابط مع "حركة الضباط الأحرار" بواسطة حدثو، وهذه الحركة كانت تجمع عدداً كبيراً من الضباط الشبان في الجيش المصري جهدهم العام مخلص ووطني وتأثر على فساد الملكية.

وكان من بينهم اثنان من كبار مسئولين حدثو وكانت المنشورات التي توزعها تلك الحركة تحتوي في مضمونها غالباً على الشعارات الأساسية للشيوعيين (لا اتفاق مع الإمبريالية - استئناف حرب العصابات ضد الاحتلال البريطاني - العودة للنظام البرلماني الدستوري.. إلخ). بل إنها أحياناً كانت تطبع في المطبعة السرية لحدثو.

وفي ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قام في مصر الانقلاب الذي نظمته "حركة الضباط الأحرار" والذي أدى إلى خلع الملك فاروق وإقامة حكم محمد نجيب. ولعب العضوان الهامان في قيادة حدثو مع عدد كبير من أعضائها من ناحيتهم دوراً هاماً في الانقلاب وحظوا بذلك بهيبة وتأثير كبيرين بين ضباط تلك الحركة.

وأفرج نظام محمد نجيب عن جميع المعتقلين بما في ذلك الشيوعيين (باستثناء ١٤) وسمح بإعادة ظهور جميع الصحف التقدمية التي يقودها الشيوعيون والتي كانت قد منعت من الصدور قبل ذلك بعدة أشهر.

وساعدت حدثو من أعماقها ذلك النظام الجديد وأبرزت بعض إيجابياته مقابل سلبياته (خلع الملك - إخراج المعتقلين الشيوعيين - حرية الصحافة) وصدقت ودعت إلى تصديق كافة وعوده مثل إعادة الحياة الدستورية الإصلاح الزراعي - الديمقراطية - العفو عن المحكوم عليهم من الشيوعيين.. إلخ. وتقدمت جماهير العمال - بعد طرد فاروق والإحساس بحلول عصر جديد من الحرية والتقدم - بعدة مطالب ساندتها بالإضرابات. وقمع اللواء نجيب هذه الحركة - المؤقتة على أية حال - بعنف شديد بحجة أن هذا التمرد العمالي كان أداة لعملاء فاروق وأرسلت حدثو أعضائها خصوصاً في الإسكندرية إلى الأحياء العمالية والصناعية لتهدة العمال ونصحهم بأن يتقوا في النظام، وحتى بعد إعدام اثنين من العمال في كفر الدوار لم يتغير خط قيادات حدثو ولم يعد تأثير ذلك شعور بعدم الارتياح بين أقلية منهم.

ومن الجدير بالذكر أنه بعد الانقلاب مباشرة وزع الحزب الشيوعي المصري منشورات تصف اللواء نجيب بأنه عميل للإمبريالية وكانت باقي المنظمات الشيوعية تشاركها



في هذا الرأي بشكل أو بآخر. ما عدا حدثو بالطبع التي سرعان ما ردت على ذلك المنشور بمنشور آخر أكد ثقة الشيوعيين المصريين.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن نظام نجيب لجأ منذ بدايته إلى ديماجوجية خبيثة ليس فقط لخداع الجماهير وإنما أيضاً لمواجهة ضغط حركة الضباط الأحرار التي كانت قاعدتها المؤلفة من شباب الضباط تطالب بسياسة وطنية وديمقراطية.

إذاً هذه الحركة لم تكن مرتبطة فقط بالشيوعيين بواسطة حدثو وإنما أيضاً لعب السفير الأمريكي دوراً هاماً في اكتساب قيادات ذات تأثير ونفوذ داخل الحركة. إن انقلاب نجيب كان مستنداً منذ بدايته على الأمريكيين لأنهم كانوا يعرفون أن بإمكانهم الاعتماد بأقصى درجة مع مصالحهم الإمبريالية.

وبعد أن أمضى نجيب بعض الوقت في السلطة وبعد أن أدت بعض الوقائع إلى تزايد نفوذ الأمريكيين على النظام الجديد. اتبعت حدثو خطأ مفاده أن تساند في داخل الحركة بالجيش التيار الوطني الذي يتزعمه الشيوعيون وبإضعاف التيار الرجعي الموالي للأمريكيين تمهيداً لعزله - وكان الخطأ الأكبر لحدثو هو من جهة التقليل من تقديره قوة التيار الأمريكي مع تقدير التيار التقدمي بأكثر من قوته الحقيقية (الخطأ الذي يقود دائماً إلى الانتهازية) ومن جهة أخرى إلى التقليل من أهمية نضال الجماهير (التي سعى نجيب إلى منعها بأكثر الوسائل عنفاً) وبذلك انحصرت عملياً نتائج المعركة بين الشعب والرجعية في صراع على النفوذ بين تيارين داخل قيادة الجيش. ففي بداية ذلك النظام استطاع الضباط التقدميين وضع يدهم على بعض أجهزة الدعاية في الجيش بما في ذلك مجلته الرسمية "التحرير" التي كانت لفترة من الزمن تحت الرئاسة الفعلية لأحد أعضاء حدثو الذي كان صحفياً وضابطاً في نفس الوقت والذي جعل منها واحدة من أكثر الصحف تقدمية في تاريخ مصر كله.

وهم نفس الضباط الذين ضغطوا على اللواء نجيب للإفراج عن الفرنسي روجيه فايان ورفاقه المصريين من المثقفين والفلاحين وكان قد قبض عليهم أثناء اجتماعهم في منزل أحد الفلاحين (وهو السبب في الخطأ الذي وقع فيه ذلك الصحفي في الحكم على نظام نجيب).

وفي يناير ١٩٥٣ وبعد أن وطد نجيب حكمه قام باعتقال جميع الضباط الشيوعيين والمتعاطفين معهم، مزيلاً بذلك التيار التقدمي في الجيش الذي بنت عليه حدثو كل آمالها ناسية أن منطق أي ديكتاتورية عسكرية تحرم تنظيم الجماهير لا يمكن أن يقود إلا إلى أشد النظم استبداداً ورجعية.

وقد قامت حدثو بتنفيذ يأتي على ذلك الخطأ الفادح (أخطر الأخطاء في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية بأكمله) والذي أقل ما يقال عنه أنه قد ساعد نجيب على أن يدعم مؤقتاً -



نظامه الديكتاتوري. ولكن هذا النقد الذاتي كان مقتضباً وضعيفاً وسعى إلى إزاحة المسؤولية عن كاهل قيادات حد تو وإلقائها على قطاع التنظيم في الجيش.

وأياً كان الأمر فقد ضعفت حدتو بشدة وكانت غالبية قيادتها تخضع للتعذيب في سجون نفس اللواء نجيب الذي كان يضعون فيه أكبر ثقة قبل شهور ولا شك أن الموقف المتناقض الذي اتخذته الشيوعيون قبل نظام نجيب في بدايته ساعد على زيادة حدة الانقسامية في مصر وإلى الوصول بها إلى درجة من التفاقم لم تحدث من قبل.

كذلك يمكننا من ناحية أخرى أن نتخيل مدى الاضطرابات التي شاع بين الجماهير المصرية حين ترى في غضون عدة أيام منشورين بتوقيع الشيوعيين أحدهما يهاجم نجيب بعنف والآخر يمنحه ثقته.

وهذا لا يمنع أنه في سبتمبر ١٩٥٢ وفي السجن المركزي للقاهرة حيث احتجز ما يقر من مائة من الشيوعيين المنتمين لمختلف التنظيمات قام بعض أعضاء حدتو من أنصار التيار التوحيدي بمبادرة بمساعدة أحد أعضاء اللجنة المركزية من أجل دعوة المنظمات الأخرى للمشاركة في تكوين لجنة لتحديد الخلافات الموجودة بين مختلف المنظمات حول البرامج والوائح والخط الاستراتيجي والتكتيكي ولدراسة الطريق الذي يمكن أن يقوده إلى حل الأزمة التي تمر بها الحركة الشيوعية المصرية.

وكانت هذه محاولة جديدة للوحدة وإن كانت على مستوى محدود ولم تشارك فيها قيادات مختلف المنظمات. وقبل الحزب الشيوعي المصري - وكان البوليس قد وجه له ضربات رهيبية - ذلك الاقتراح وكذلك قبلته نواة الحزب - ولسوء الحظ فإن الفجر الجديد والنجم الأحمر والمنظمة الشيوعية المصرية (التي كانت تقاطع جميع المنظمات الأخرى داخل السجن) قد رفضوا جميعاً الاقتراح ورغم ذلك تكونت اللجنة وبدأت أعمالها. ولكن قيادة حدتو التي أحاطها معدو المشروع علماً به أرسلت في الحال أمراً تنظيمياً بقطع المناقشات وبذلك تم حل اللجنة.

وهذا الموقف الانقسامي لقيادة حدتو استند على أن أحد الأعضاء المسؤولين في الحزب الشيوعي الإنجليزي كان قبل عدة أسابيع قد صرح لدى مروره بالقاهرة بأن الحزب الشيوعي الإنجليزي يرى أن حدتو تعتبر من الناحية العملية الحزب الشيوعي المصري (ومثل هذا التصريح كان قد قيل أيضاً لقيادات منظمة نواة الحزب).

ومن الجدير بالذكر هنا أن كل منظمة شيوعية في مصر كانت تسعى إلى تقوية موقفها بالسعي - وهو أمر طبيعي - للحصول على مساندة الحركة الشيوعية الدولية أو على الأقل مساندة حزب شيوعي قوي وذو تأثير. وكانت حدتو مستندة إلى ما يتهيا لها من قوة بسبب



كونها المنظمة الوحيدة القادرة على إرسال مندوبين إلى مختلف المؤتمرات الدولية - تسعى إلى ترسيخ فكرة أنها تتمتع بدعم وتأييد الحركة الشيوعية الدولية (رغم أن هذه المؤتمرات السلامية والنقابية والنسائية والطلابية كانت تنظمها هيئات ديمقراطية). أما الحزب الشيوعي المصري فكان يسعى للحصول على اعتراف رسمي من الحزب الشيوعي الإيراني "توده" بعد أن أنشأ معه علاقات قوية.

أما الآن فإن الحركة الشيوعية المصرية تمر بمرحلة صعبة بل أصعب مراحل تاريخها الطويل التعس. فإن الإرهاب الذي شنه الخائن نجيب من أجل خدمة المعسكر الإمبريالي ضد الشيوعيين (الذين لا تطالب المحاكم العسكرية الآن بأقل من رؤوسهم) لا يعد شيئاً ذا خطورة بالمقارنة مع الوباء الانقشامي الذي ينحر هذه الحركة منذ خمسة عشر عاماً ويمنعها رغم إخلاص أعضائها المتناهي وتضحياتهم التي تفوق الحصر من أخذ مكانها بثبات على رأس حركة التحرر الوطني.

ولا يمكن أن ننكر وجود العناصر العميلة والمغامرة والانتهازية في جميع منظمات الحركة الشيوعية المصرية ولكن هل هناك حزب واحد لم يزح النقاب في داخله خلال طريق النضال الطويل عن وجود أمثال بيريا ومارتي.

إن الصفة الأساسية للحركة الشيوعية المصرية هي الضعف النظري السياسي الذي يرجع أساساً إلى عدم استيعاب الصيغ الجديدة لنضال البروليتاريا بالإضافة إلى تقاليد انقسامية قديمة (فكرهية المنظمات الأخرى تغرس في نفوس المجندين الجدد في نفس الوقت مع المبادئ الأولى للشيوعية).

إذاً فإن الفرقة والصراعات الانقسامية بين الشيوعيين المصريين هي المجال الثقافي المواتي تماماً للمحرضين والانتهازيين. وإن توحيد الحركة وإنشاء الحزب هو الوسيلة الوحيدة لإزاحة النقاب بشكل فعال عن الخونة ولعزلهم نهائياً.

إن الظروف الموضوعية في مصر مواتية تماماً للشيوعية، فليست هناك تقاليد اشتراكية ديمقراطية ولا يمكن تواجد تيارات إصلاحية لأن قاعدتها الاقتصادية الاجتماعية وهي الارستقراطية العمالية غير موجودة في مصر وهي البلد شبه المستعمر. والانقسام الوحيد الموجود في الطبقة العاملة فيها إنما يرجع إلى تأثير الصراعات بين مختلف المنظمات المتعادية التي ترتبط كلها في النهاية بالحركة الشيوعية.

أما البرجوازية الصغيرة والتي تعيش في ظروف معيشية مروعة فهي طبقة ثورية مثل جميع نظائرها في البلاد المستعمرة بسبب التأثير المزدوج الذي نعاني منه. أما طبقة الفلاحين التي تشكل الأغلبية العظمى من الشعب فهي تعاني بؤساً لا يمكن وصفه. وكل آثار

وفوائد ما سمي بالإصلاح الزراعي الذي أتى به نجيب لم تتوصل إلى تقليل درجة ذلك البؤس الذي لا يمكن أن يزال دون تخليص الجماهير الفلاحية من الأوهام ودفعها للنضال. إن خيانة نجيب وخضوعه للمعسكر الإمبريالي يتكشف شيئاً فشيئاً، والشعب المصري ينتظر من يقوده ويبيصره: الحزب الشيوعي المصري طليعة الطبقة العاملة المصرية وقائد جبهة وطنية ثورية تجمع العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة - (وبشكل محدود البرجوازية الليبرالية).

إن توحيد جميع المنظمات الشيوعية المصرية التي ترتبط جميعها - رغم انحرافاتهما - بالماركسية اللينينية الستالينية فإنها جميعاً تتضامن مع المعسكر الديمقراطي المعادي للإمبريالية العالمية وعلى رأسه الاتحاد السوفيتي. وكلها تتناضل من أجل انتصار الاشتراكية الذي سيتم إن عاجلاً أو آجلاً رغم أنف الإمبريالية والرجعية رغم الخونة ومحترفي الانقسامية ولكن هذا التوحيد سوف يتم بصوره أسرع وعلى قاعدة أسلم إذا نال التيار التوحيدي في مختلف المنظمات تأييده ومساندة وتدعيم الأحزاب الشيوعية في الخارج.

باسم التضامن العالمي وفي المقام الأول ولأسباب تاريخية وجغرافية من قبل الأحزاب الشيوعية في كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا.

"هذه النبذة التاريخية تتوقف عند بداية عام ١٩٥٣".

* * *



رد على أسئلة المؤلف

إلى الرفيق المؤرخ (رفعت السعيد)

مقدمة

أولاً : بالرغم من أنني قد أبعدت عن مصر منذ أكثر من عشرين سنة، سأحاول جاهداً أن أرد على أسئلتك باللغة العربية، وأنا واثق من تسامحك فيما يختص بالأخطاء اللغوية والسبب في تفضيلي لكتابة بعض ذكرياتي الخاصة بحياتي وكفاحي في مصر باللغة العربية ولم يتم تسجيلها بذاكرتي كترجمة عن لغة أجنبية.

ثانياً : وأنا كما تعلم عضو في الحزب الشيوعي الإيطالي، وأخضع بطبيعة الحال لنظام ولائحة الحزب ولذلك لا أستطيع أن أتدخل في المسائل الخاصة بالحركة الوطنية المصرية وبما أن أي حديث عن الماضي يمتد دائماً إلى الحاضر وخاصة إذا تعلقت المسألة بالحركة الثورية المصرية والتي تميزت بالسرية والانقسامات، لذلك كان الدافع لكتابة هذه الذكريات هو الشعور بأداء واجب نحو هذه الحركة التي أتشرف وما زلت أتشرف بأنني كنت في يوم من الأيام عضواً في صفوفها.

وسأحاول بقدر الإمكان (وهذا أمر بالغ الصعوبة) تجنب كل تفسير أو أحكام قد يستطيع أن يعيد إلى الحياة منازعات قديمة، مع الحرص في نفس الوقت على ألا أقع في عملية تجميل للواقع بتغطية جوانبه السلبية.

فأرجو أن تعتبر كل المعلومات التي أقدمها إليك مادة أولية لاستعمالها بعد التأكد من صحتها وتحت مسؤوليتك في عملك كمؤرخ.

ثالثاً : إن كافة التحليلات والآراء والمنظمات السياسية التي أَدافع عنها هنا، تخص الماضي ولذا لا أتحمل مسؤولية فيما يختص بتفسيرها أو تطبيقها على الواقع الحاضر للحركة.

رابعاً : أرجو أن تعلم أنني بمجرد وصولي إلى إيطاليا بأمر من رئيس الجمهورية الإيطالية اسم العائلة الأصلي (شيريزي) وهذا لاستبعاد أية اختلاط أو صلة بيني وبين دولة إسرائيل - حتى ولو اسمياً - لأنني قد كافحت وما زلت أكافح

ضد سياستها العدوانية تجاه الشعوب العربية.

فأرجو الإشارة إلى اسمي ك (مارسيل شيريزي) - إسرائيل سابقاً.

خامساً : وقد حرصت على أن أكون موضوعياً في كتابة هذه المذكرات، ولم أكن متواضعاً وهذا يرجع إلى أنني أعتبر أن التواضع هو أخطر أشكال التفاخر.

بعض المعلومات عن حياتي:

ولدت في القاهرة بشارع تورسينا، وهو شارع شعبي بحي الظاهر ١٩١٣/٧/١٧ وأنتمي عن طريق والدي إلى عائلة إيطالية هاجرت إلى مصر في أوائل القرن التاسع عشر، وقد جاء جدي إلى مصر بناء على فرمان من السلطان العثماني لتعيينه رئيساً لطائفة اليهود بمصر، ثم أصبح في عهد الخديوي إسماعيل عضواً في المجلس الاستشاري وتحول بعد ذلك بطبيعة منصبه إلى أحد كبار الملاك الإقطاعيين بمنطقة ميت غمر، وقد كان والدي متمصراً إلى حد كبير وكان معظم أصدقائه من المصريين (وأذكر من بينهم - يوسف الجندي/ إمبراطور زفتي) وكان والدي يتكلم اللغة العربية ويرتدي الطاروش ولم يتخلف مرة واحدة عن حضور حفلات غناء صالح عبد الحي، وكان يطلق علي اسم مرقص، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى فقد أبي كل ثروته وأصبح موظفاً في شركة للحليج بصفته فرازاً للقطن.

أما والدتي فكانت من أصل إيراني وكانت أمها أي جدتي تتكلم اللغة العربية وترتدي إلى آخر أيامها عند الخروج الملابس المصرية الشعبية (الملائة) و (الحبرة).

عشت السنوات الأولى من حياتي بميت غمر، وكانت لدى الأسرة جارية تقوم بتربيته وكان اسمها (نصرة) وكانت جدتي قد اشترتها، وقد تحررت نصرة بعد ذلك ورجعت رغم هذا لتعيش معنا، وقد ارتبطت بهذه الجارية وكنت أحبها حباً عميقاً، وكانت تمثل في ذهني الكرامة والرزانة الكاملة.

اختلفت في فتوتي بالفلاحين في ميت غمر وميت بره وطلخة والعديد من العزب المحيطة وكنت أشعر بتعاطف شديد معهم (بدون أي مضمون سياسي) وأشفق عليهم من القسوة والشقاء والبؤس الذي كان يلزمهم بشكل دائم.

بدأت حياتي الدراسية بمدرسة (الفرير المسيحية) في الظاهر حيث كان ممنوعاً منعاً باتاً التحدث باللغة العربية، ثم انتقلت إلى مدرسة (الليسيه فرنسية) حيث حصلت على دبلوم عالي في التجارة والاقتصاد، وتوظفت بعد ذلك بأحد البنوك وانتسبت إلى كلية الحقوق الفرنسية حيث درست القانون والعلوم الاجتماعية ولكنني غادرت الكلية قبل الامتحان النهائي، كان ذلك بدون شك تطرفاً يسارياً ورومانتيكياً وكان لدي اهتمام كبير بجانب دراستي للعلوم



الاقتصادية بدراسة الفلسفة وقد قرأت العديد من الكتب والمراجع الفلسفية ومن بين من قرأت لهم ابن رشد وابن سينا وابن ميمون وابن خلدون الذي شدني إليه تحليله العلمي للظواهر التاريخية.

وقد أثر علي بشكل كبير قبل دراستي للماركسية كل من الكاتب الروسي (ليو تولستوي) والفيلسوف الكبير (سبينوزا) وإذا كان سبينوزا قد جعلني أوّمن قبل كل شيء بالعقل الإنساني، فقد جعلني تولستوي أنظر إلى أي إنسان كأخ يجب احترامه ومحبته بل والتضحية من أجل سعادته. وقد تأثرت أختي في نفس الوقت بآراء تولستوي مما أدى إلى اعتناقها للدين المسيحي وتحولها إلى راهبة ولا تزال، أما أنا فقد أصبحت ولا أزال شيوعياً.

كيف أصبحت شيوعياً:

أول إحساس شديد بكرهية المجتمع الرأسمالي وضرورة الثورة عليه، وقع في نفسي بأحد مصانع الخليج، ففي أوائل كل موسم كان المقاولون يقومون بجمع آلاف الأطفال والغلمان الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ١٦ سنة وشحنهم إلى مصانع الخليج للعمل بها وكان يوم العمل يتجاوز ١٥ ساعة، وكان الملاحظون والمراقبون يتجولون داخل المصنع ويضربون الأطفال بالكرابيج لأقل وأتفه الأسباب، وفي نهاية الموسم كان عدد كبير من هؤلاء الصبية يتوفون نتيجة لإصابتهم بمرض السل والأمراض الناتجة عن استنشاق غبار القطن وأيضاً من المجهود الشديد الذي يبذلونه في العمل وسط ظروف بالغة القسوة.

وكنت ذات يوم في زيارة لوالدي بمصنع للخليج كان يعمل فيه، وقد شاهدت واقعة ضرب شرسة لطفلين بالكرابيج، وأمام صرخات الطفلين لم أملك سوى أن أهجم على مراقب العمل وأنتزع السوط من يده، وقد حاول أن يقنعني بعد ذلك بأن ضرب الأطفال شيء ضروري وإلا فسوف يتفرغون للضحك واللعب وينصرفون عن العمل وقال لي أنه يتقاضى مرتبه من أصحاب العمل للقيام بضرب الأطفال من آن لآخر.

شعرت منذ تلك الحادثة بظلم المجتمع القائم، وأدركت أنه مبني على استغلال الأغنياء للفقراء.

جذبتني دائماً المظاهرات الجماهيرية، وكنت أنشد دائماً السير وسط الجموع الصاخبة فاشتركت في المظاهرات الوفدية ضد دكتاتورية الملك وعميله صدقي (١٩٣٥/١٩٣٠) وقد أصبت في العديد من المرات بضربات الهراوات وعصي الحرس.

وفي يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ اشتركت في المظاهرة الكبرى وكنت في ميدان الإسماعيلية (التحرير) أثناء اعتداء الجيش على المتظاهرين بالدبابات، ورأيت دبابات الجيش والجنود يهاجمون الشباب ويقتلون الكثير منهم.

وقد أثر في موقف (ديمتروف) من قضية الريشستاج سنة ١٩٣٣-١٩٣٤ في نفسي تأثيراً كبيراً مما جعلني أتوجه لقراءة الكتب الشيوعية.

أول كتاب ماركسي درسته كان كتاباً عنوانه (المادية التاريخية) لبوخارين، ثم بعد ذلك قرأت البيان الشيوعي، ثم رأس المال، وعندما كنت أقرأ الصفحات التي كان ماركس يتكلم فيها عن استغلال الأطفال في مصانع النسيج الإنجليزية كنت أرى أمامي عيون الأطفال المصريين الباكية في مصانع الحليج.

وفي سنة ١٩٣٤ أصبت بمرض (الربو) وكان مرضي شديداً لدرجة أنني لم أكن أحياناً أستطيع أن أتفسس، فقدمت استقالتي للبنك الإيطالي الذي كنت أعمل به، وظللت بلا عمل لمدة ٣ سنوات ولم ألتحق بأي عم آخر، بل قضيت السنوات الثلاث في دراسة النظرية الماركسية وأستطيع أن أقول بأن مرض الربو هو الذي أتاح لي أن أتفرغ لدراسة الكتب الماركسية بعمق وتوسع، بل لقد لعب ذلك المرض دوراً هاماً في حياتي بعد ذلك فيما يتعلق باتصالي بالحركات الشيوعية المنظمة؛ إذ إن الأطباء كانوا قد نصحوني بالذهاب إلى لبنان في صيف عام ١٩٣٥ وهناك التقيت برفيق شيوعي لا أذكر اسمه الآن وكان منظماً داخل الحركة الشيوعية بلبنان وقد تناقشنا كثيراً في النظرية الماركسية ولكن بدون دخول في الجوانب العملية.

عدت مرة ثانية إلى لبنان سنة ١٩٣٦ ووقع حادث جعل (فرج الله الحلو) يتصل بي فقد حدث بينما كنت أتجول بأحد القرى الجبلية واسمها (بحمدون) أن شاهدت شاباً يعتدي على بائع حلوى، وكان هذا البائع بذراع واحد وقد فقد ذراعه الآخر نتيجة لحكم جزائي وقع عليه في المملكة السعودية، اندفعت لأدافع عن بائع الكحك وأخذنا نتبادل أنا وذلك الشاب الضربات، وكان هذا الشاب ابناً لحاكم لبنان وبعد مرور يومين حضر رجال البوليس إلى الفندق وطلبوا مني تقديم اعتذار لذلك الشاب فرفضت فقامت جريدة حكومية تطالب بإبعادي عن لبنان، ودافعت عني جريدة ديمقراطية وتدخل بعد ذلك القنصل الإيطالي ولكن إزاء تصميمي على عدم الاعتذار انتهت المشكلة إلى لا شيء. اتصل بي فرج الله الحلو في ذلك الوقت وقدمني إلى شاب شديد الذكاء وقوي الشخصية وهو نيقولا شاي - بسكرتارية الحزب الشيوعي اللبناني الحالي - أخذت أجمع لعدة مرات مع شاي وآخرين من الرفاق بمنزل أحد الرفاق الفرنسيين، وقد قدمني نيقولا شاي إلى خالد بكداش ولرفيق أرمني اسمه ميدويان، وقد قام



نبقولا شاوي بإقناعي بأن واجب كل شيوعي يعيش في مصر هو الاتصال بالعمال والمتقنين المصريين وإقناعهم بالنظرية الماركسية، وقد طلب مني قبل رجوعي إلى مصر بأن أرسل إلى جريدة (صوت الشعب) مقالات عن الواقع المصري، وقد واطبت لمدة سنتين على كتابة المقالات للجريدة عن الأحداث العمالية والوطنية في مصر، وفي نفس الوقت كنت أقوم بالكتابة لجرائد فرنسية تنشر في مصر مقالات ضد الفاشية والنازية، ومقالات تأييد لقضية الجمهوريين في إسبانيا ضد فرانكو وأيضاً مقالات لتأييد الاتحاد السوفيتي.

اتصل بي في ذلك الوقت عضو من (جمعية السلام) ودعاني للانضمام إليها، وبعد مرور فترة قصيرة أصبحت ضمن قيادة الجمعية، التي كانت تقوم بنشاط ديمقراطي ولم تكن جمعية شيوعية وقد قمت في نفس الوقت بتجنيد عدد من الشبان الأجانب وبنشاط محدود في الحركة الإيطالية المعادية للفاشية.

وفي صيف عام ١٩٣٧ عدت إلى لبنان لمعالجة المرض الذي كان يهاجمني من آن لآخر نظراً للمجهود الشديد والنشاط الذي كنت أبذله، وتناقشت في تلك الفترة مع الرفاق اللبنانيين في موضوع نشاطات لجنة السلام، وقد انتقد الرفاق نشاط اللجنة نظراً لصبغته الأجنبية وعدم تكيفه بما يدور في الواقع المصري بخصوصيته، وقال الرفاق إن الواجب الأساسي للماركسيين الأجانب في مصر هو العمل على تكوين ماركسيين من بين العمال والمتقنين المصريين.

وعند رجوعي إلى مصر طلبت من سكرتير لجنة السلام، (وكنت متأكداً من أنه شيوعي) مناقشة آراء الرفاق اللبنانيين، ولكنه أجاب بالرفض وعدم الرغبة في مناقشة أي قضية عدا الدفاع عن السلام والكفاح من أجله.

وقد قمت بعد ذلك بتكوين تيار داخل لجنة السلام ينادي بتمصير نشاطها، وقد أدى ذلك إلى إبعادني عن لجنة السلام.

وفي نفس الوقت أخذ بعض أعضاء لجنة السلام يعتقدون بأنني تروتسكيًا، وأنا لم أكن ولو للحظة واحدة في حياتي تروتسكيًا، وقد كان الدافع وراء ذلك الاعتقاد هو أنني عبرت خلال الفترة ١٩٣٧/١٩٣٨ أكثر من مرة عن دهشتي وتشككي في صحة الاتهامات الموجهة ضد كافة أعضاء اللجنة المركزية البلشفية، ولكنني لم أبتعد قط عن مبادئ الدولة الثالثة وهذا موقف لا زلت أفتخر به للآن.

وفي سنة ١٩٣٧ قدمت طلباً إلى السفارة الإسبانية في مصر للانضمام إلى الفرقة الدولية التي كانت تحارب ضد فرانكو ولكن السفير الإسباني دعاني وأقنعني بالتعاون مع القوى الديمقراطية الإسبانية للدعاية في مصر ضد سياسة فرانكو وضد الفاشية عامة، وقد



قمت بذلك بشكل دعوب ومتواصل - وتعاونت في ذلك الوقت مع آخرين لنشر كتاب بالعربية والفرنسية عن إسبانيا الجمهورية- حتى سقوط الجمهورية في ١٩٣٩.. وبشكل تلخيصي فقد أصبحت شيوعياً:

- من داخل معاشتي للواقع المصري، لا باستيراد الشيوعية من الخارج.
- عن طريق حزب شيوعي ورفاق عرب وهم الرفاق اللبنانيون، وليس بمساعدة حزب أو تنظيم أجنبي.

وقد أشرت إلى هاتين النقطتين تفسيراً للاتجاه الذي دافعت عنه باستمرار والذي كان دائماً هو الأساس لنشاطي العملي كشيوعي، ألا وهو محاولة الربط بين النظرية الماركسية والواقع المصري الملموس.

عن دوري في الحركة الوطنية المصرية:

لم يكن دوري في الحركة إلا نتيجة لاقتناعي بالخط الذي يجب أن تبذل فيه كل جهودي ألا وهو تكوين الكادر الماركسي القادر على تنظيم وقيادة العمال والفلاحين، وكافة الكادحين للانتصار في معركة التحرر الوطني والاجتماعي.

وكان الدور الذي أقوم به للتعاون من أجل تحقيق ذلك الهدف منصباً على الدعاية وعلى التدريس النظري للماركسية، وبالرغم من الرأي المنتشر فأنا لم ألعب دوراً قيادياً في المنظمات المختلفة التي كافحت فيها طوال عشرين سنة باستثناء فترات قصيرة.

وأول نشاط لي في وسط المصريين كان عندما دخلت في نواة جماعة الفن والحرية، وجمعية الشبان المسيحيين (Y. M. C) وكان سلامة موسى هو الذي يقودها، وكان الغرض من دخولي هو جذب وتجنيد أوعى العناصر المصرية المشتركة في هاتين الجمعيتين.

وقد تمكنت سنة ١٩٤٠ بمعاونة الرفاق المصريين من تكوين أول منظمة كفاحية سرية تضم الرفاق المصريين والنوبيين الذين تمكنت من تجنيدهم وقد انتخبت في قيادتها مع ثلاثة رفاق مصريين، وقد أسست هذه المنظمة جمعية "الخبز والحرية" للنشاط العلني وسط العمال والمتقنين، وجمعية "الثقافة والفراغ" للعمل بين الأجانب وإلى حد ما بين الطلبة المصريين، وكان الهدف الأساسي لمنظمة "تحرير الشعب" هو تجنيد وتكوين الكادر الماركسي المتسلح بالنظرية وبتحليل ماركسي للوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في مصر، وكنت مسئولاً عن مدرسة الكادر وتركزت جهودي في إلقاء المحاضرات والدروس، وقد قمت بكتابة دراسة من جزئين:

أولاً: تفسير الواقع (المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية).

ثانيًا: تغيير الواقع (المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية).

وقد كان الجزء الأول يتكون من ٣٠٠ صفحة وكنت قد كتبت باللغة الفرنسية ثم تعاونت في ترجمته مع رفيقين مصريين إلى اللغة العربية (وقد ساعدتني هذه العملية على تعميق معرفتي باللغة العربية).

أما الجزء الثاني فقد كتبت في المعتقل سنة ١٩٤١ باللغة العربية مباشرة وبالرغم من أن قيادة "تحرير الشعب" كانت مسئولة عن نشاط جماعة الخبز والحرية فقد حرصت على ألا أظهر ولو لمرة واحدة بمقر الجمعية حرصًا مني على مصريتها.

كما قمت أثناء تلك الفترة بعمل دراسة تشتمل على المناقشات التي كنت أقوم بها مع عمال شركة المواسير في المعصرة؛ حيث كنت أعمل بها كمسئول عن المخازن، وقد تمكنا من تجنيد بعض العمال من هذه الشركة ومن شركة السكر بالحوامدية، ونجحنا في تنظيم إضراب بالمصنع، ولأن لا أزال أتذكر أحد العمال المصريين، وظلت صورته باقية في ذهني رمزًا لجوانب البطولة في الجماهير العمالية، فقد هجم هذا العامل هو ورفاقه على بوابة المصنع قائلاً "اللي عايز يربي عياله يبعد عني".

أخذنا نجتمع في بيوت العمال في المعصرة وكنت أحضر هذه الاجتماعات فقط لتقديم الرفاق المصريين، وكانوا يقومون هم بإدارة الندوات والمناقشات، ثم كشفتني إدارة المصنع وفصلتني من العمل.

وقد نجحت أثناء تلك الشهور في تجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين، وتثقيفهم بالماركسية ومن بينهم عدد من النوبيين والسودانيين.

كنت أعمل في ذلك الوقت بحرارة وحماس غامرين، وكنت أتصرف طيلة أيامي لخدمة الحركة ١٦ ساعة يوميًا وما زلت أتذكر لأن اجتماعًا دام أكثر من ٤٠ ساعة.

وفي شهر أكتوبر ١٩٤١ هجم البوليس علينا، وقبض على أكثر من ١٠ رفاق وتم اعتقالهم بمعتقل الإيطاليين وفي يولييه ١٩٤٢ عند هجوم روميل على مصر تدخلت الحركة الإيطالية المعادية للفاشية (وقد لعب الرفيق بكر سيف النصر وكان لابن وزير الحربية ذلك الوقت دورًا هامًا في الإفراج عني)، أخرجني البوليس السياسي ليلاً من المعتقل وصاحبني إلى خارج الحدود المصرية، وهنا أحب أن ألفت النظر إلى أنني لم أغادر أبدًا الأراضي المصرية بإرادتي وإنما كان خروجي دائمًا قهراً ونتيجة لأوامر رسمية بإبعادني عن البلاد، كما حدث سنة ١٩٥٣ بعد خروجي من السجن.

وفي سنة ١٩٤٤ عقب رجوعي إلى مصر اشتركت في إعادة تنظيم جمعية تحرير الشعب وكنت العضو الوحيد الغير مصري في هذا التنظيم، وكنت أعمل في قاعدة التنظيم في



مدرسة الكادر وفي تحضير وإعداد الأبحاث التي تكلفني بها قيادة التنظيم واستمر ذلك حتى سنة ١٩٤٧.

وقد رفضت طوال تلك الفترة ولعدة مرات اقتراحات (الحركة المصرية للتحرر الوطني وايسكرا للدخول في العمل معهم على المستوى القيادي).

وفي سنة ١٩٤٥/١٩٤٦ قمت بدور معهم بمعاونة رفاق لبنانيين وفلسطينيين وإنجليز في الجهود المبذولة لتوحيد الحركة وقد أدت هذه الجهود إلى الوحدة بين "تحرير الشعب" و"ايسكرا" أولاً في "الطليلة المتحدة" ثم الوحدة مع "الحركة المصرية للتحرر الوطني" وتكونت بذلك الاتحاد "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني" حدثو.

وقد انتخبت رغم معارضتي لذلك في قيادة الطليعة المتحدة (والواقع أن هذه القيادة كانت قيادة مؤقتة لأن مهمتها الأساسية كانت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطني) وعند تكوين حدثو عارضت اتجاه قيادة الطليعة المتحدة لإدخالي في قيادة "حدثو" وقد وضحت للرفاق خطورة وجود الأجانب في قيادة تنظيم أصبح على درجة كبيرة من الارتباط بالجماهير.

عينتني قيادة "حدثو" مسؤولاً عن القسم الأجنبي حيث عملت فيه لعدة شهور، ثم بناء على أوامر القيادة تم نقلي إلى مكتب الدعاية المركزي تحت إشراف الرفيق (شهدي عطية) وعندما أخذ شهدي يبتعد عن قيادة حدثو، طلبت مني القيادة أن أصبح المسؤول عن مكتب الدعاية المركزي، ولكنني رفضت هذه المسؤولية لأنني اعتبرت أن مهمة أساسية للحركة كالدعاية المركزية لا بد أن يتحملها ويقوم بها رفيق مصري، وبعد مناقشات بيني وبين القيادة تقرر أن أصبح نائب مسئول مكتب الدعاية إلا أنني في الواقع كنت المسئول عن النشاط الدعائي وحتى تم القبض علي سنة ١٩٤٩ أولاً في حدثو ثم بعد ذلك في العمالية الثورية (أرجو الرجوع إلى الملخص التاريخي).

وقبل القبض علي ببضعة شهور قرر مؤتمر (العمالية الثورية) انتخابي في القيادة وهذه المرة أيضاً كانت ترجع إلى اعتبار دور القيادة الأساسي في تلك المرحلة كان يتخلص في تحضير مؤتمر الوحدة وتأسيس الحزب، (مع العلم بأن مؤتمر تأسيس المنظمة كان قد قرر بناء على اقتراح لي عدم وجود أي أجنبي في قيادة المنظمة).

ودوري في الحركة المصرية كان عملياً خارج القيادة، وكان جهدي يتركز في مجال العمل النظري والدعاية.

* * *



أما بخصوص دوري السياسي في الحركة فقد كان استجابة لمنطلقين أساسيين:

الأول: السعي لتوحيد المنظمات الشيوعية على أسس ثورية.

الثاني: ربط عملية توحيد الحركة بعملية تأسيس الحزب.

وأني اعتبر أن الدور الذي لعبته في تنظيم مؤتمر ١٩٤٨ السري (مؤتمر الثلاثة وثلاثين) والتقرير الطويل الذي قدمته في هذا المؤتمر ثم الدور الذي قمت به في اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب سنة ١٩٤٩ هما أهم ما قمت به أثناء فترة كفاحي في مصر.

وأخيراً أضيف إلى ذلك الجهود التي كنت أبذلها داخل السجون في فترات الاعتقال مع الرفاق من سائر التنظيمات لتنظيم وإعداد المحاضرات والدروس الماركسية.

الكتب والأبحاث:

- ١- كتيب باللغة الفرنسية عن حركة السلام العالمية، وحركة السلام بمصر سنة ١٩٣٨.
 - ٢- كتاب يشمل مناقشتي مع العمال وتحليلاتي واستنتاجاتي المستخلصة من فترة وجودي بمصنع المعصرة، وقد أفادني هذا الكتاب كثيراً في معرفة الواقع المصري من زاوية العمال وإلى حد ما من زاوية الفلاحين (إذ إن معظم عمال المعصرة كانوا فلاحين أو من أصول فلاحية وفي كل الأحوال كانت هناك روابط وثيقة بينهم وبين الفلاحين).
 - ٣- كتاب لشرح النظرية الماركسية عنوانه كما جاء سابقاً (تفسير العالم) وكان يشتمل على دراسات عن الجدلية وعن تطور المجتمعات وعن العلاقات الإنتاجية كأساس تحتي للمجتمع وعن الدولة وكافة الأبنية الفوقية القانون والعلوم والفن والدين (وكنت أتناول الدين بمفهوم علمي دون أي هجوم) .. إلخ. كتب سنة ١٩٤١.
 - ٤- كتاب عنوانه (تغيير العالم) أو (المسائل العلمية والنظرية للثورة المصرية) وكان الكتاب يتكون من أربعة أجزاء:
 - (أ) تكوين الكادر الماركسي المصري.
 - (ب) تحليل الواقع المصري الاقتصادي والاجتماعي والسياسي.
 - (ج) الاندماج بالحركة العمالية.
 - (د) الاندماج مع الفلاحين.
- كتب سنة ١٩٤١.
- ٥- بحث عن مشكلة الفلاحين في مصر (١٩٤٤)

- ٦- بحث عن الصناعة في مصر (١٩٤٤)
- ٧- تقرير تفصيلي عن مشكلة الوحدة بين المنظمات (١٩٤٥)
- ٨- دراسة عن تاريخ اليهود في مصر ودورهم السياسي ووسائل تحويلهم من حليف احتياطي للاستعمار إلى حليف للشعب المصري في كفاحه الوطني والاجتماعي (١٩٤٧).
- ٩- "بيان اللجنة اليهودية لمكافحة الصهيونية" باللغة العربية واللغة الفرنسية، وهذه اللجنة كنت قد كونتها أثناء مسؤوليتي عن قسم الأجانب بمنظمة "حدثو" (١٩٤٧).
- ١٠- وقد كتبت مقدمات للعديد من الكتب وأتذكر من بينها لأهميته التقرير الذي قدمه ازادانوف إلى الكومنفورم عن تقسيم العالم إلى معسكرين (١٩٤٨).
- ١١- بحث تاريخي عن أسباب الانقسامات التنظيمية في مصر وعدم القيام بتأسيس حزب شيوعي وعنوان البحث " تصفية الحزب قبل تأسيسه " وقد اعتبره (شهدي عطية) مثلاً للتطبيق الصحيح للجدلية على الواقع المصري (١٩٤٨).
- ١٢- بحث عن واقع وضع الحركة المصرية وطريقة توحيدها، وقد أصبح ذلك البحث الأساس الذي اعتمدت عليه في التقرير الذي قدمته إلى مؤتمر (١٩٤٨) (مؤتمر الثلاثة وثلاثين) وكان البحث يشير إلى خطأ الفصل بين عملية توحيد الحركة وبين عملية تأسيس الحزب وكان يضم اقتراحاً بتكوين لجنة تحضيرية بين كافة التنظيمات للدعوة لعقد مؤتمر تأسيس الحزب على أساس مناقشة البرامج واللوائح والخطط السياسية.
- ١٣- بحث تفصيلي عن خطورة نظرية التكتل (١٩٤٨).
- ١٤- اشتركت مع رفيق في كتابة بحث مطول عنوانه (مهمات الحركة الشيوعية المصرية) وكان البحث يحدد هذه المهمات وفق تحليل لطبيعة المرحلة القادمة للثورة المصرية (١٩٤٩).
- ١٥- الاشتراك في تحضير لمشروع برنامج الحزب الشيوعي المصري (١٩٤٩).
- وقد كتبت العديد من المقالات السياسية والنظرية نشرت في المجلات والنشرات السرية والعلنية، كما اشتركت مع رفاق آخرين في كتابة عدة كتب وأبحاث، ولسوء الحظ لا أملك الآن نسخة واحدة مما كتبتة فقد صادره البوليس إما قبل أو بعد نشرها كما صادر البوليس أيضاً مكتبتتي الماركسية التي كانت تضم مئات الكتب.



طريقتي في تجنيد وتكوين الكادر:

أولاً: الاتصال بالعديد من العمال والمتقنين المصريين، ثم اختيار العناصر المخلصة والذكية بصرف النظر عن آرائهم السياسية (فقد استطعت تجنيد عدد كبير من أعضاء حزب مصر الفتاة).

ثانياً: معاملتهم على أساس المساواة والصراحة والاحترام وليس على أسس أبوية أو (طبطبة) وبدون أي تنازل عن المبادئ.

ومثال على هذا المنهج في التعامل يتضح من الموقف التالي:

في أواخر عام ١٩٤٨ اتصل بي الرفيق شهدي عطية وطلب مني الانضمام إلى تنظيم العمالية الثورية، وكانت هذه مرحلة كفاح عنيف بين المنظمات المختلفة، وخاصة في مجال التجنيد وكانت كل المنظمات تسعى إلى جانب الرفاق الآخرين إليها من المنظمات الأخرى. وكنت أكن لشهدي تقديراً كبيراً منذ اللحظة الأولى التي عرفتة فيها وقد كان الفقيد شهدي في رأيي نظراً لإخلاصه وذكائه ولشخصيته الشعبية هو الرفيق الذي كان يستطيع أن يصبح في يوم من الأيام سكرتيراً للحزب، من الواضح أن انضمام شهدي إلى العمالية الثورية كان يمثل مكسباً كبيراً لهذه المنظمة إلا أنني أجبت على الطلبة على النحو التالي:

(بما أنك قد قمت بتكوين أول كتل في مصر، وبما أن التكتلية خطر يهدد التنظيم الشيوعي في أساسه، فلا بد قبل الموافقة على انضمامك أن تعترف بخطأ النظرية التكتلية وأن تستنكرها).

وكان شهدي قد اقتنع بعد قراءة البحث الذي كتبتة عن خطر نظرية التكتل على وحدة الحركة بأنها نظرية معادية لإقامة تنظيم شيوعي قوي، فوافق على ذلك الشرط الذي قدمته، وكتب مقالة يستنكر فيها نظرية التكتلات ونشر المقال في جريدة "الكادر العمالي" وكان له أثر كبير بين كافة الرفاق، وفي نفس العدد أعلن عن انضمام شهدي إلى المنظمة.

ثالثاً: كنت أتبع طريقة في الإقناع تتلخص في ربط قضية التحرر الوطنية وهي القضية السائدة ذلك الوقت بقضية التحرر الاجتماعي، وهذا عن طريق تحليل للحركة الوطنية وإبراز مضمونها الطبقي، وكذلك عن طريق شرح الدور الذي يقوم به الاتحاد السوفيتي في مكافحة الاستعمار، كما أن المبادئ الماركسية كانت ترد في الحوار دون إقحام وفي ارتباط متين بظواهر وأمثلة مستخرجة من الواقع المصري الحي المتطور.

رابعاً: وعند تدريس الماركسية كنت استخدم لغة شعبية (وهي اللغة التي أتحدث بها طبيعياً) وكنت أتكلّم بحماس، وكنت أجعل الحاضرين يدركون أننا بالرغم من ضعفنا جزء من الحركة الشيوعية أو العمالية التي تكافح في كل مكان من أجل تحرير البشر وفي نفس الوقت كنت أجعلهم يشعرون بأن حركتنا بالرغم من الصعوبات وبالرغم مما نتلقاه من ضربات الرجعية والاستعمار ليست موسمية أو مؤقتة بل هي حركة تاريخية لا بد من انتصارها في تطور المجتمع الإنساني.

ولقد قمت بتجنيد عدد كبير من الرفاق المصريين والسودانيين أرى من الأفضل عدم ذكر أسمائهم.

خبرتي التنظيمية:

بما أنني لم ألعّب دوراً قيادياً في المنظمات المختلفة (باستثناء فترة قصيرة) فإنني لم أقم بدور تنظيمي هام.

وبما أن التنظيم يخضع للخط السياسي فقد عملت على أن أطبق في المرحلة الأولى من نشاطي الأسس التالية:

- تكوين تنظيم سري يقوم على أساس المركزية الديمقراطية في حدود السرية وتكون قيادته مصرية.
- تنظيم الرفاق المصريين والرفاق الأجانب كل على حدة.
- إصدار جريدة سرية للكادر.
- تكوين منظمات علنية ونشر دوريات ومجلات مختلفة تستفيد من كافة الإمكانيات القانونية والشرعية.

وكنت أحاول طبعاً الاستفادة من خبرات الأحزاب الأخرى وكنت أسعى إلى تطبيقات توافّق الواقع المصري وتبتعد عن الجمود النظري مثال ذلك الاقتراح الذي قدمته سنة ١٩٤٠ بصدد تطوير الاتصال بال جماهير عن طريق خلق نوعين من الخلايا:

الأولى: على أساس المصانع ومواقع العمل.

والثانية: على أساس - القهاوي البلدية - التي تنتشر في كافة الأحياء الشعبية وقد أدى ذلك الاقتراح إلى أحد الرفاق قد قال إن هذه ليست ماركسية بل مارسيلية.

وفيما يختص بسرية العمل واحترام احتياطات الأمان وقواعده فإنني كنت أنادي دائماً بذلك من الناحية النظرية إلا أنني كنت لا أبلغ في تطبيق هذه القواعد حتى لا تصبح قيوداً



تمنعني عن النشاط والحركة، ولكي لا يتهمني أحد بالخوف كما حدث بعد رجوعي من فلسطين عام ١٩٤٤.

وفي شهر يوليو ١٩٤٨ وبينما كنت أعيش مختفياً، كلفت بتحضير مؤتمر الثلاثة وثلاثين في حلوان، وقد نجحت في هذه المهمة واجتمعنا لمدة يومين في منزل قائد عسكري وقد تناقشنا بدون انقطاع وبجدية كاملة حول كل المسائل ورجعنا إلى القاهرة دون إصابة أي من المشتركين في المؤتمر بالرغم من الجو الإرهابي الذي أشاعه النفرashi باشا.

وقبل ذلك في عام ١٩٤٧ عندما أصبحت نائب مسئول مكتب الدعاية في "حدثو" قمت بتنظيم المكتب على أساس لجان طبقاً للمهام المختلفة.

واشتركت بعد ذلك في تنظيم العمالية الثورية.

أما آخر مهمة تنظيمية قمت بها قبل القبض عليّ وإبعادي عن مصر فكانت تنظيم اللجنة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب وقد اشتركت في هذه اللجنة كافة التنظيمات عدا تكتل صغير.

أسباب انقسام الحركة في مصر:

ليست الحركة المصرية هي الحركة الوحيدة التي تميزت بالانقسامات فحركات عديدة ولاسيما في البلاد التي كانت تحت سيطرة الاستعمار البريطاني عانت أيضاً من تاريخ حافل بالانقسامات.

أما فيما يختص بالحركة الشيوعية في مصر فإن السبب الأساسي في انقسامها هو أن أول منظمة شيوعية تكونت سنة ٣٤/٣٥ بعد انهيار الحزب الشيوعي المصري الأول لم تتبع خطة إعادة تنظيم الحزب بحجة أن الظروف الموضوعية في مصر لم تكن ناضجة لإعادة تأسيس الحزب، مما منع هذه المنظمة من أن تصبح مركزاً يبلور كافة الاتجاهات والتيارات التقدمية التي كانت الظروف الموضوعية المناسبة في ذلك الوقت تخلقها تلقائياً. وبذلك تكونت على حدة بمرور الوقت العديد من المنظمات فنظرية المنظمات ساعدت على استمرار حالة الانقسام فحتى سنة ١٩٤٨ لم يفكر أي تنظيم في تكوين الحزب مما كان يعني عملياً النشاط بدون برنامج وبدون لوائح وبدون خطة إستراتيجية وتكتيكية.

ولا شك في أن وجود عدد كبير من الأجانب في قيادة الحركة الشيوعية المصرية لعب دوراً في تعميق وترسيخ الانقسام، فإذا كان هؤلاء الأجانب قد استطاعوا دراسة النظرية الماركسية إلا أنهم بصفة عامة كانوا يجهلون الكثير من خصائص الواقع المصري المعاش

(وقد استغل بعض من هؤلاء الأجانب معرفتهم بالنصوص الماركسية للسيطرة بدون أي حق على قيادة الحركة).

إن الابتعاد عن المشاكل التي يطرحها الواقع المصري الملموس وعن مشاكل الجماهير الحية وبالتالي ضعف الارتباط بهذه الجماهير جعل الحركة تتخبط مدة طويلة في مشاكل نظرية منقولة في بعض الأحيان صفحة بصفحة عن تاريخ الحزب البلشفي والأحزاب الثورية الأخرى.

وقد كان هؤلاء الأجانب بلا استثناء من أصول برجوازية (لا يعني هذا أنهم من الناحية السياسية كانوا برجوازيين) ليس هذا فقط بل كانوا ينتمون إلى برجوازية أجنبية في بلد مستعمر ولا شك أن هذا الأصل الطبقي قد ساعد على إدخال اتجاهات وتأثيرات سلبية وميول زعامية لعبت دوراً كبيراً في استمرار انقسام الحركة.

محاولات التوحيد بين ١٩٣٩ و ١٩٤٩ :

(١) أول محاولة لتوحيد الشيوعيين في مصر (ولم أقل الشيوعيين المصريين؛ إذ إن الشيوعيين في هذه الفترة كانوا في الغالب من الأجانب) تمت في باريس في عام ١٩٣٩ بواسطة المكتب الخاص بالمستعمرات للحزب الشيوعي الفرنسي وكان من بين أعضاء هذا المكتب رفيق لبناني فبدأت المناقشات بين أعضاء " جمعية السلام " وأعضاء نواة الاتحاد الديمقراطي وكننت أمثل الاتحاد الديمقراطي في هذه المحاورات. إلا أن نشوب الحرب العالمية الثانية حال دون استمرار هذه المحاولة واكتمالها.

(٢) وبدأت ثاني محاولة للوحدة في نفس اليوم الذي بدأ فيه هجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفيتي فوجهت منظمة " تحرير الشعب " عن طريق جماعة "الخبز والحرية" التي كانت تخضع للتنظيم السري الدعوى لكافة المنظمات لتنسيق النشاط من أجل الدفاع عن وطن الاشتراكية ووافقت على تلبية الدعوة جماعة "الثقافة والفراغ" (كانت تخضع للتنظيم السري) كما وافقت جماعة الفن والحرية وجمعية الاتحاد الديمقراطي (بقيادتها الجديدة) ورفضت جمعية السلام الدعوة.

(٣) المحاولة الثالثة قام بها الحزب الشيوعي الفلسطيني بين تحرير الشعب وجمعية السلام وجمعية "حرية الشعوب" وقد فشلت أيضاً هذه المحاولة نظراً لمعارضة جمعية السلام "جمعية الدراسات".

(٤) المحاولة الرابعة تمت سنة ١٩٤٦ بمعاونة رفاق لبنانيين وفلسطينيين وإنجليز بين كافة المنظمات وفي عدة شهور تم توحيد كافة المنظمات الموجودة باستثناء جمعية دار الفجر (لجنة السلام سابقاً) فتكونت في البداية "الطلیعة المتحدة" نتيجة لاتحاد تحرير الشعب مع "ایسکرا" ثم "حدثو" بعد الوحدة مع "الحركة المصرية للتححرر الوطني".

(٥) المحاولة الخامسة وهي في اعتقادي أهم وأصح محاولة لتوحيد الحركة وقد جرت ما بين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ عقب مؤتمر الثلاثة والثلاثين.

فلأول مرة في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية يحدث ذلك الارتباط بين عملية توحيد الحركة الشيوعية وعملية تأسيس الحزب الشيوعي.

تكونت لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب شاركت فيها كافة التنظيمات بما فيها منظمة الفجر الجديد (باستثناء كتل صغير) ولأول مرة يجتمع الشيوعيون المصريون بصرف النظر عن انتمائهم لمنظمات كفاحية مختلفة لمناقشة وتحضير برنامج ولائحة وخطة سياسية مشتركة.

وفي مارس ١٩٤٩ أعلن صدور أول عدد للجريدة التحضيرية لمؤتمر تأسيس الحزب وكان معداً ليشمل المشروعات المختلفة لبرنامج الحزب للمناقشة بين كافة أعضاء المنظمات لقد أجهضت الضربات البوليسية الشرسة الجهود الشريفة التي بذلت في هذه المحاولة التوحيدية التي كان لها فيما بعد أثر كبير في تطوير الحركة وتوجيهها نحو هدف تأسيس الحزب.

التيار التروتسكي في جامعة الفن والحرية:

ظهر هذا التيار في ١٩٣٤ / ١٩٣٥ على يد مجموعة من المثقفين استوردوه من فرنسا بدون أي ارتباط أو إمكانية للارتباط بالواقع المصري.

وكان زعيم هذا التيار مثقفاً مصرياً أرستقراطياً متفرنجاً، وكانت لديه اتصالات بالدولية الرابعة، وكنت لديه خبرات واسعة في المجال الفني وفي تنظيم المعارض... إلخ ولذلك تمكن من التأثير على الكثير من الفنانين والمثقفين.

وقد تجمع هؤلاء الفنانون في جمعية "الفن والحرية" وقد كان معظمهم يميل إلى الفوضوية والتصورات الخيالية باستثناء البعض القليل الذي لم تكن لديهم أي علاقة بالتروتسكية على المستويين التنظيمي والنظري، وكان هؤلاء يفضلون العمل داخل تيار ثوري لا يطلب منهم أي انتظام أو التزام في بذل الجهود بشكل مستمر.

لم تكن التروتسكية أبدًا تيارًا سياسيًا في مصر.

كانت جماعة الفن والحرية تضم عددًا كبيرًا نسبيًا من المصريين ولذلك فقد دخلت الجمعية لاحتك بقواعدها بغرض التجنيد، وكان من الطبيعي أن يقع بيني وبين رئيس الجمعية "صدام" إذ إنني كنت أنادي دائمًا بتمصير الحركة بينما كان هو يعمل على تغريب المصريين. وقد صرح لي يومًا هذا (الزعيم الثوري) "بأن تحرير الشعب المصري سيتم عن طريق (الشلايط في ظهور العمال والفلاحين الأغبياء).

الخبز والحرية:

في أثناء أحد المحاضرات، أخذ زعيم "الفن والحرية" ينادي بتكوين لجان لتلبي احتياجات الشعب المصري إلى الفن (الفن السريالي) وتدفعه إلى الحرية (الحرية الفوضوية)، وقد ثارت ثائرتي عندما سمعت هذا النداء الغريب وقلت بأن الشعب المصري يحتاج بشكل أساسي إلى "الخبز والحرية" وبدأنا منذ ذلك الصدام في خلق نواة داخل جماعة الفن والحرية ذات اتجاه شعبي واقعي.

ولقد شعرت منذ بداية اتصالي بجماعة "الفن والحرية" بمدى خطورة التيار التروتسكي أو بالأحرى الاتجاه الفوضوي الذي كان يسودها والذي كان يتخذ خطأً معاديًا للاتحاد السوفيتي، لا سيما وأن هذه الجمعية كانت أول جمعية مصرية ذات تأثير كبير على جمهور المثقفين والفنانين.

كان من واجبي أن أواجه هذا الخطر، وقد نجحت في تجنيد عدد كبير من أعضاء "الفن والحرية" الذين اشتركوا بعد ذلك في "الخبز والحرية" وعملت على توجيههم نحو النشاط السياسي بين الجماهير الشعبية، وكان برنامج "الخبز والحرية" يهدف إلى الاتصال بالعمال المصريين والعمل على تثقيفهم.

وهنا يجب القول بأن عددًا من الأعضاء السابقين بجماعة "الفن والحرية" استمروا لفترات تحت تأثيرها الفوضوي، بل وقد انسحب جزء منهم من التنظيم السري لمعارضتهم للعمل المنظم على أساس مركزي.

القضايا الأيديولوجية:

سأذكر هنا بسرعة بعض النقاط الخلافية التي سادت بين الشيوعيين المصريين في الفترة ما بين ١٩٣٥ و ١٩٥٢:

(١) القيام بنشاط ماركسي بقيادة ماركسيين أو التركيز على تكوين كادر ماركسي مصري.

- (٢) تكوين جناح يساري داخل حزب الوفد أو السعي لتكوين تنظيم شيوعي مستقل.
- (٣) القيام بنشاط بواسطة الجمعيات والجماعات العلنية القانونية وإهمال التنظيم السري، أم العمل بشكل أساسي على تقوية التنظيم السري كأساس لتنمية النشاط العلني.
- (٤) العمل بين جماهير العمال فحسب، أم بين كافة الجماهير الكادحة بالتركيز على العمال.
- (٥) التركيز على الكفاح الوطني بغض النظر عن مضمونه الطبقي أو ربط الكفاح الوطني بالكفاح الطبقي.
- (٦) تأييد أو رفض النظرية البروردية (الخاصة بحل الحزب).
- (٧) الاعتراف أو عدم الاعتراف للسودان بحق تقرير المصير.
- (٨) الدفاع عن التكتلية أو محاربتها.
- (٩) تحديد طبيعة الثورة المصرية المقبلة كثورة اشتراكية أم ثورة وطنية شعبية من نوع جديد.
- (١٠) تأييد حزب الوفد بدون تحفظات أم اتباع خطة (التعاون والكشف) نقدية.
- (١١) التعاون أو عدم التعاون مع الإخوان المسلمين.
- (١٢) التركيز على تكوين الجبهة الشعبية أم التركيز على الحزب كقائد للجبهة.
- (١٣) اتباع الاشتراكية العلمية (بدون تعرض للدين بالهجوم) أم اتباع اشتراكية قائمة على الدين.
- (١٤) إقامة التنظيم على أساس المركزية المطلقة أم على أسس المركزية الديمقراطية (في ظروف النشاط السري).
- (١٥) الوصول إلى الحزب عن طريق نمو منظمة واحدة بتحطيم المنظمات الأخرى أو تأسيس الحزب عن طريق توحيد المنظمات الثورية أو معظمها على أساس برنامج ولائحة وخطة سياسية مشتركة.
- (١٦) تأييد حركة الجيش في ١٩٥٢ أو معارضتها.

الحكم على التنظيمات والقادة:

بما أنني انقطعت منذ عشرين عاماً عن الكفاح في صفوف الحركة المصرية، فإنني أفضل عدم إبداء أي رأي شخصي في هذا الموضوع.

وقد كتبت سنة ١٩٥٣ ملخصاً تاريخياً عقب وصولي إلى إيطاليا يتناول بإيجاز تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، ربما يفيد في كتابة تاريخ هذه الحركة.

ولم أقم بنشاط خاص بمصر منذ وصولي إلى إيطاليا ما عدا الفترة ١٩٥٥/١٩٥٦ حيث قمت بنشاط دعائي مع الرفيق يوسف حلمي لقضية تأمين قناة السويس ولفضح وإدانة العدوان الثلاثي على مصر وأيضاً في سنة ١٩٦٧ عندما احتلت إسرائيل جزءاً من الأراضي العربية، وقد كان نشاطي هذا بموافقة الحزب الشيوعي الإيطالي.

نشاطي في الحزب الشيوعي الفلسطيني:

اتصلت بالحزب الشيوعي الفلسطيني لأول مرة في شهر يولييه ١٩٤٢ بمجرد وصولي إلى فلسطين بعد إخراجي من المعتقل وإيعادي عن مصر فاستقبلني سكرتير الحزب وكان عربياً وطلب مني إعداد تقرير عن وضع الحركة في مصر فقامت بكتابة التقرير وأشرت فيه إلى النقاط التالية:

- انقسام الحركة إلى ثلاثة أقسام "جمعية تحرير الشعب" و "لجنة السلام" و "جمعية حرية الشعوب".

- ضرورة النشاط على أساس تنظيم ومنير مستقل للطبقة العاملة وهذه كانت سياسة تحرير الشعب التي كان تعتبر نفسها نواة لتكوين الحزب بالاعتماد على الكادر المصري ومن خلال اتصالاتها ونشاطها النامي وسط الجماهير بينما كانت لجنة السلام تدعو للعمل كجناح يساري داخل حزب الوفد.

اجتمعت سكرتارية الحزب الفلسطيني ودعنتي كما دعت مندوبين لجمعية حرية الشعوب وللجنة السلام.

دافع ممثلو لجنة السلام عن وجهة نظرهم القائلة بأن الظروف الموضوعية في مصر لا تسمح بتكوين حزب شيوعي، وقد هاجمت هذا الرأي موضحاً أن الظروف الموضوعية في سنة ١٩٤٢ أكثر ملائمة وتطوراً مما كانت عليه في ١٩٢٢ التي شهدت تكوين حزب شيوعي مصري وافق لينين نفسه على انضمامه إلى الدولية الثالثة إلا أنني كنت أعتبر أن الظروف الذاتية هي التي لم تسمح بعد بتأسيس الحزب ولا بوضع مهمة هذا التأسيس في جدول أعمال الشيوعيين المصريين، وقد أيدت سكرتارية الحزب الفلسطيني وجهة نظري ودعنتي للعمل مع الحزب الفلسطيني.

كنت أعيش في تلك الفترة داخل معسكر اللاجئين المعادين للفاشية في بيت لحم بالقرب من مدينة القدس، وبعد عدة مناقشات أجراها معي مسئولون بالحزب كلفت بتدريس الماركسية للعمال العرب فقامت بكتابة (كورس) ماركسي ملخص شبيه بالكورس الذي كنت قد كتبتة في مصر وصادر البوليس نسخته الوحيدة.

وظللت مدة عام ونصف أدرس الماركسية بانتظام بين العمال والمتقنين العرب، وقد تعاونت أثناء هذه الفترة مع الكثير من الرفاق الذين أصبحوا فيما بعد من قيادات الحركة الشيوعية في كل من إسرائيل والأردن.

كنت أتجول ما بين القرى والمدن العربية لإلقاء المحاضرات النظرية، ثم وقعت أزمة عنيفة داخل الحزب الشيوعي الفلسطيني فانقسم عملياً إلى جزئين أحدهما مكون أساساً من الرفاق العرب والآخر مكون من رفاق يهود، ولقد رفضت الدخول في مناقشة نقاط الخلاف على أساس انتمائي الأساسي للحركة الشيوعية المصرية، ولكنني استمررت في نشاط التكوين النظري.

عشت في فلسطين ما يقرب من سنة ونصف وكان كافة اللاجئين الإيطاليين قد عادوا إلى مصر إلا أنا فلم تسمح السلطات المصرية برجوعي، وأخيراً في شهر ديسمبر ١٩٤٣ استطعت العودة إلى مصر وكان والدي قد توفي منذ ساعات قليلة سبقت وصولي إلى البيت ولم أكن قد رأيته منذ عدة سنوات.

ولقد طلب مني الحزب الشيوعي الفلسطيني (اللجنة المركزية) بعد اتحاده من جديد أن انضم إلى الحزب كمسئول محترف ولكنني رفضت بعد استشارة الرفاق المصريين.

وقبل سفري نظم الحزب الشيوعي الفلسطيني حفل وداع في القدس جمعت عدداً كبيراً من الرفاق العرب واليهود وما زلت أذكر هذه الحفلة بتأثر بالغ على الرغم من وصفي لها في الخطبة القصيرة التي ألقيتها في الحفل بأنها مظهر "برجوازي صغير" ولمدة طويلة لم ينقطع اتصالي بعد ذلك بالرفاق الفلسطينيين.

الاعتقال والسجن:

قبض البوليس عليّ لأول مرة في شهر أكتوبر سنة ١٩٤١ مع عدد من الرفاق المصريين وبعد مرور شهرين أفرج عن كافة الرفاق بينما استمر اعتقالني ونقلني البوليس إلى معتقل الإيطاليين الفاشيين باعتباري إيطالي خطر على الأمن العام.

وأثناء فترة الاعتقال قمت بتأليف كتاب "المسائل النظرية والعملية للثورة المصرية" كما أرسلت عدة مقالات لمجلة "المجلة الجديدة"، كنت أخرج مرة أسبوعياً تحت الحراسة بتوسط من الرفيق بكر سيف النصر بحجة الذهاب إلى المستشفى فكنت أجتمع عادة مع الرفاق وأتناقش معهم.

وداخل المعتقل قمت بعمل دعاية مضادة للفاشية بين المعتقلين الإيطاليين، وقد أدى ذلك إبان انتصار رومل في هجومه على مصر إلى عزلي داخل المعتقل بل وأيضاً تهديدي

بالإعدام، وقد احتجت جمعية الإيطاليين المعادين للفاشية على اعتقالي وسط الفاشيين كما ناضلت أيضاً من أجل الإفراج عني مما أدى إلى الإفراج عني وإبعادي عن مصر.

وبين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٤٨ قبض عليّ عدة مرات ولكن كنت أحتجز لأيام قليلة في الأقسام وفي شهر مايو ١٩٤٨ استطعت الهروب قبل القبض عليّ وواصلت الكفاح السري حتى أوائل شهر أبريل ١٩٤٩.

كانت هذه الفترة أنشط وأجمل فترة في حياتي الكفاحية، كنت أعيش متكرراً لدرجة أن والدتي لم تتعرف عليّ، غيرت مسكني ٢٨ مرة وكنت غالباً أسكن الأحياء الشعبية وكنت أعيش مع رفاق آخرين عادة، وقد هاجم البوليس مرتين مقر اختفائي إلا أنني استطعت الهروب، وقد حدث ذات مرة عند ذهابي إلى منزل أحد الرفاق أن فوجئت بأن البوليس قد هاجم المنزل قبل وصولي بقليل وعند دخولي إلى باب المنزل واجهني بعض رجال البوليس فوجهت إليهم التحية بكل جدية ووقار رسمي كما يفعل كبار الضباط فردوا التحية بمنتهى الاحترام واستطعت أن أفلت بصعوبة من القبض عليّ وهنا أحب أن أذكر أنني قد اختفيت مع الرفيق شهدي عطية، ولم يكن شهدي يغادر المنزل فكنت أقوم أنا عملياً بدور عضو الاتصال (رغم حملة البحث عني) كنا نتناقش كل يوم ساعات عديدة في كافة المسائل، وحدث ذات يوم أن طال النقاش بيني وبينه أكثر من عشر ساعات حول نقاط خاصة بتحليل مصر الاقتصادي، وذهبت للنوم مجهداً في الصباح جاء شهدي وطلب مني أن أستمع إلى قراءة كتاب من ١٠٠ صفحة تقريباً كان قد تمكن من كتابته أثناء الليل.

كان هناك مصنع صغير بجوار مسكننا وكانت ضجة المصنع تساعدنا على تغطية ضجة آلات الكتابة والطبع مما كان مفيداً جداً لنا من زاوية الأمان، وقد نجح عمال المصنع ذات يوم في تنظيم إضراب وانقطعوا عن العمل، فكانت المرة الوحيدة التي تأسفنا فيها على نجاح إضراب عمالي لأننا اضطررنا لوقف عملية الكتابة والطبع.

* * *



س : أريد الآن وبعد المناقشتين السابقتين أن أستكمل معك صورة العمل التنظيمي في "الحركة المصرية للتححر الوطني"... وخاصة موضوع الأقسام الفئوية فالكثيرين يعيبون على هذا الشكل أنه شكل فئوي أو جبهوي وأنه لا يخلق اندماجاً حقيقياً داخل صفوف التنظيم.. فما رأيك في ذلك؟ وما هي مبررات تفضيلك لهذا الشكل من العمل التنظيمي؟

جـ : كانت هناك عدة أسباب لتفضيل هذا الشكل من أشكال التنظيم.. أولاً، أننا لاحظنا أن هناك توسع شديد في بعض المجالات ولو فتحنا الباب أمام القادمين منها لاختل التوازن داخل المنظمة، مثلاً في مجال الطلبة كان التجنيد واسع جداً وكذلك في صفوف الأجانب (في البداية) فكيف نفتح الباب كي تصبح أغلبية المنظمة من الطلاب أو من الأجانب أليس في ذلك خطر على اختلال التكوين الطبقي والسياسي والقومي للمنظمة؟ ولهذا فضلت تنظيم الطلاب في قسم خاص والأجانب في قسم الأجانب..

كذلك فقد كان النشاط في مجالات محددة ومن كوادر من نفس المجال يتيح الفرصة لإحراز نتائج باهرة وسريعة.. شيوعيين طلاب يقودون طلاب شيوعيين، كان هذا الشكل يحقق تقدماً كنا في أمس الحاجة إليه وخاصة في البداية، وكان التخصص ضرورة لازمة، كوادر تتخصص في العمل في مجال معين وتدرس كل أبعاده واحتمالاته وانعكاساته والفرص الثورية الكافية فيه..

كذلك فقد كانت خطتنا أن نكون منظمة جماهيرية ديمقراطية لكل فئة، فقد كانت مصر تفتقد للمنظمات الجماهيرية اتحاد طلاب، اتحاد عمال، اتحاد نساء.. إلخ. ومن

(*) هذا هو محضر النقاش الثالث مع هنري كورييل وقد سبق أن أجريت معه مناقشتين، الأولى في الأسبوع الأول من نوفمبر ١٩٦٨، والثانية بتاريخ ١٩٧٠/١/٢٥ ونشرتا بالكامل في: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية المجلد الأول ص ٧٢٥، وقد أجريت المناقشة الثالثة في محاولة لاستكمال النقاش سواء على مداه التاريخي أو السياسي. وقد تضمن الحوار فترة خاصة بالقضية الفلسطينية نشرت في كتاب اليسار المصري والقضية الفلسطينية والذي أعيد طبعه ضمن: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث، ص ٦٤٣.



ثم فقد كان تكوين قسم طلابي شيوعي بقيادة من كوادر طلابية شيوعية خطوة هامة لخلق النواة القادرة على إقامة هذه المنظمات الجماهيرية.

وباختصار فإن هذا الشكل كان مفيداً في البداية وقد حقق نتائج باهرة في التجربة العملية، وهو أولاً وأخيراً مجرد شكل من أشكال التنظيم..

س : كيف نظرتم في ح. م إلى القضية الفلاحية، وماذا كانت أفكاركم حولها؟

جـ : منذ البداية كنا نرى ضرورة الاهتمام بالريف وخاصة في بلد كمصر، لكن نقطة البدء كانت محاولة تلمس وسائل الفهم وتحديد الأوضاع الطبقة.

كان هناك اتفاق على الخريطة العامة للريف عمال زراعيين - فلاحين - معدمين - فلاحين متوسطين - فلاحين أغنياء - أقطاع. وعندما جاء التفكير لإيجاد حدود كل فئة لاحظت أن البعض يعالج الموضوع بالنقل من الكتب الأجنبية، ففي الكلاسيكيات الأوروبية كانوا يقولون إن حدود الملكية المتوسطة هي ٢٠ هكتار وقد ترجمت هذه الفكرة إلى العربية ليصبح الفلاح المتوسط هو من يمتلك عشرة أفدنة.

أما أنا فقد رفضت هذا الأسلوب، والغريب أنني استفدت في محاولتي لفهم المشكلة الفلاحية بكوني ابن مالك زراعي كبير. وكانت أفكارني كالتالي:

الفلاح المعدم هو الذي يمتلك أو يستأجر أرضاً لا تكفيه كي يتعيش منها ووجدت أن هذا يعني في التطبيق العملي من يمتلك أو يستأجر فداناً فأقل..

أما الفلاح المتوسط فهو الذي يعيش أساساً من عمله بالأرض التي يمتلكها أو يستأجرها ووجدت أن ذلك يعني.. من يمتلك فدانين.

أما الفلاح الغني فهو الذي يعتمد في زراعة الأرض على العمل المأجور أكثر مما يعتمد على عمله بنفسه هو وأسرته؛ أي إن العنصر الحاسم - كان في اعتقادي - هو أن كمية العمل المطلوبة للأرض تزيد عن قدرة المالك، وأن نسبة العمل المأجور أكثر من نسبة مشاركة المالك في العمل.. وهكذا كنت أفكر في هذه المسألة بصورة طبيعية وموضوعية ومرتبطة تماماً بالواقع المصري..

وأذكر أنني كنت ذات يوم مسجوناً في سجن الأجانب حتى أعزل عن الشيوعيين الآخرين، ومر بالسجن متهم عادي قادم من الريف وتكلمت معه بلغة عربية ذات لكمة أجنبية عن الشيوعية وأهدافها وسألني عن رأينا في الريف فقلت له وجهة نظري، فأيدها تماماً وجمع كل المسجونين العاديين وقال لهم هذا هو "المهدي المنتظر"... وقد أقنعتني هذه الحادثة الفردية بصحة وجهة نظري..

س : وماذا عن علاقتكم بالجيش، إن التاريخ المصري الحديث يذكر لمنظمة الحركة المصرية للتححر الوطني أنها المنظمة السياسية التي اقتحمت ميدان العمل في القوات المسلحة بشجاعة وحققت نجاحات كبيرة تركت أثرها وبصورة مباشرة على تنظيم الضباط الأحرار وحركة يوليو ١٩٥٢. فهل لك أن تروي لي كيف كانت البداية؟ وفي أي قطاع؟ وما هي أفكاركم النظرية حول التكوين الاجتماعي للجيش؟

جـ : بالنسبة للتحليل الاجتماعي للجيش كانت وجهة نظري هي:
الجنود.. عمال وفلاحين.

صف الضباط.. برجوازية صغيرة.

صغار الضباط.. برجوازية متوسطة.

وقد اهتمنا بالعمل في القوات المسلحة وبدأنا بعمال القوات المسلحة وأساساً بميكانيكي الطيران وكونا مجموعة كبيرة وسطهم وكذلك الصولات وكان لدينا قسم صولات ضخمة، وكان لدينا في البداية ضابط واحد طيار هو إبراهيم العطار وقد أقام علاقات مع جمال سالم وصالح سالم ورتب مقابلة بيني وبينهم.

وكانت هناك صلة أخرى بمحمد نجيب على أساس الاهتمام بقضية السودان وبعد ذلك كان هناك ضابط آخر هو عثمان فوزي.

وبعد ذلك اتسع النشاط بصورة كبيرة وأصبح لدينا ضباطاً كثيرين.. وخلال حرب فلسطين قبض على عمال القوات المسلحة وصف الضباط ولم يقبض على أي من الضباط. وعندما خرجنا من المعتقل قابلت عثمان فوزي وتناقشنا حول العمل في القوات المسلحة واستقر الرأي على أن نوسع النشاط بإقامة تنظيم وطني وسط الضباط وكان الاقتراح إقامة تنظيم يسمى بالضباط الوطنيين وتطور الاسم إلى الضباط الأحرار. وكان هذا خط صحيح تماماً رغم أن أخطاءاً قد ارتكبت فيما بعد عند وضع هذه السياسة موضع التطبيق.

س : ماذا كان موقفكم من التنظيمات السياسية الأخرى الإخوان المسلمين - مصر الفتاة - الوفد؟

جـ : كان تحليلنا أن الإخوان المسلمين يمثلون الفئات المختلفة من البرجوازية الصغيرة، وهم كأي قيادة برجوازية صغيرة مختلفة على استعداد لتقبل أية أوامر من أية قوة حاكمة، وهم على الدوام تابعين للقوى الأكثر رجعية.

أما مصر الفتاة فلم تكن قوة حقيقية، ولا كانت ذات مبادئ ثابتة بدليل أن أحمد حسين

قد تقلب مع حزبه مرة مع النازي ومرة مع السراي ومرة أخرى مع الشيوعيين..
أما الوفد فقد كنا نعتبره قوة وطنية، وثمة منظمات شيوعية كانت تتخذ من الوفد
موقفًا متشنجًا وكانوا يقولون إن الوفد هو العدو الرئيسي، وقد كنت أرى أن الوفد
مقسم إلى ثلاث فئات...

الوفد المصري.. في الأساس إقطاعيين، وهم يمثلون فئة محددة من الإقطاع
ويتزعمهم النحاس باشا وهو ليس إقطاعي..
الهيئة الوفدية.. برجوازية متوسطة.

اللجان الوفدية.. كانت البرجوازية الصغيرة هي السائدة في صفوفها.
وكنا نقول إن الإقطاعيين يلعبون دورهم في القمة فلنمارس نحن نشاطنا في اللجان
الوفدية، ولنمارس الضغط على الهيئة الوفدية، والهيئة الوفدية تضغط على الوفد
المصري.

وإذا كان البعض يرى أن الوفد يتردد في مواقفه ويتخذ أحيانًا مواقف جيدة وأحيانًا
مواقف سيئة وكان يفسر ذلك بأن الوفد حزب متذبذب فقد كنا نحن نرى أن السبب
في هذا التباين يكمن في أنه كان يخضع أحيانًا لحركة الجماهير الشعبية عندما تكون
قوية وعندما تضعف حركة الجماهير، ولا يلبث أن يضعف معها..

س : نأتي الآن لموضوع الوحدة.. كيف تمت الوحدة بين ح. م وايسكرا؟

ج : كنا ننادي بالوحدة، وكنا نسعى إليها دون عقد، عندما اتحدت ايسكرا معنا سارعت
قبلها بتوحيد نفسها مع كثير من المنظمات الصغيرة حتى تقوي نفسها في مواجهة
"الغول". وإذا أردت تقييمي للوحدة فإنني أقول إن الوحدة أفادتنا من الناحية السياسية
أي حلت إلى حد ما مشكلة الانقسام، وأضافت إلينا أعضاء، وأضافت موارد مالية،
وعلاقات بالبرجوازية، فقد أتى مع ايسكرا أبناء عائلات كبيرة مثل محمود النبوي
وعلي الشلقاني وبنفوذ أسرهم أمكن تحقيق بعض النتائج مثل حماية مجلة الجماهير
لبعض الوقت..

لكن ذلك كله هو الجانب غير الهام، أما الجانب الهام جانب الخبرة السياسية والخبرة
التنظيمية فإن ايسكرا لم تضيف شيئًا حقيقيًا..

وعندما تمت الوحدة قلنا لقد حلت مشكلة "التمصير" وتحققت، الأجانب جمعوا
أو ركنوا في قسم خاص بهم، والقيادة أصبحت في غالبيتها مكونة من مصريين.
وقبل الوحدة كانت ح. م قد حققت نجاحًا كبيرًا في قضية "التعميل"، وكانت لجنتنا

المركزية مكونة أساسًا من العمال، وكانت الكوادر تسعى بحماس نحو "التعميل"، بل لقد تحمس الكثيرون لترك أماكنهم في القيادة ليحل محلهم عمال وأذكر على سبيل المثال مختار العطار الذي ترك هو وغيره مكانهم في اللجنة المركزية ليحل محلهم عمال.

وبعد الوحدة كافحنا بإصرار من أجل استمرار سياسة "التعميل"، واقترحنا أن نعمل قسم عمالي وأقسام غير عمالية..

وأصبحت مسئولاً عن الأقسام غير العمالية وكان هذا خطأً مني إذ قبلت ذلك.. وكونت لجنة للأقسام العمالية من محمد شطا، سيد سليمان رفاعي - شهدي عطية - عبد الرحمن الناصر.

والحقيقة أننا التزمنا بالقواعد التنظيمية، وبأخلاقيات العمل الحزبي، أما كوادر ايسكرا، فهم مختلفون، فقد كانوا أساساً مثقفين أرسنقراطيين وأجانب، ومن هنا برزت خلافات عديدة..

وأكفهر الجو السياسي، وبدأت صعوبات المواجهة، والرجعية أخذت تستعد بشكل سافر لهجوم عام وعنيف، ومع بداية الهجوم بدأت الانقسامات، وانشغلنا نحن في كل شيء إلا التفكير العميق حول الأوضاع العامة وتطوراتها فقد انشغلنا في الفرعيات وتركنا الأساسيات. وبدأت الانقسامات تتوالى.

س : يجربنا ذلك إلى سؤال طالما تردد هو هل كانت الوحدة مع ايسكرا ضرورية؟ البعض يقول إن ح. م لو استمرت وحدها لصفيت ايسكرا لدى أول ضربة واستمر ح. م دون مشاكل أو عوائق. ما رأيك في ذلك؟

جـ : كان من الصعب تجاهل الوحدة.. كانت هناك حالة نفسية مهينة على الجميع تلح على الوحدة وكل الناس يكررون في كل يوم وفي كل لحظة لماذا لا نتحدون؟ والحقيقة أننا كنا متفائلين وقلنا إنهم ناس كويسين ويمكن أن تصحح أخطاءهم في تيار العمل. ومع الوحدة أخذت كوادر ح. م معظم المراكز الأساسية في العمل الحزبي أما هم فقد تمركزوا في مجال الدعاية وفي البداية كان الجو ممتاز وكانت هناك نجاحات، وانبهار بنتائج الوحدة.. الأجانب عندهم عملوا مع عمال من عندنا ووجد في البداية ما يمكن اعتباره شهر عسل، وبعد فترة زادت ضغوط الرجعية وبدأت تيارات الطلبة والبرجوازية الصغيرة في التمرد..

والحقيقة أنه كان هناك على الدوام وبغض النظر عن الوحدة والانقسام تياران في صفوف الحركة الشيوعية المصرية..

تيار ثوري، وتيار انتهازي.

تيار متفائل، وتيار متشائم.

تيار يسعى لتغيير جذري، وتيار إصلاح.

وكان من الضروري إدراك هذه الحقيقة والعمل على أساسها، لكن ثمة عوامل أدت إلى تجاهل الحقيقة الواضحة، حقيقة وجود تيارين تاريخيين متمايزين، وأعتقد أن مسئولية هذا التجاهل الذي أدى إلى كوارث لم تكن مسئولية مصرية صرفة، ذلك أن البعض في الخارج ضغط وظل يضغط على أساس أن الانقسام هو سبب كل المشاكل وأن الحل لكل شيء هو الوحدة.

أنا مثلاً تكونت على أرض مصري رغم أنني أجنبي، لكن ثمة مصريين تكونوا فكرياً وسياسياً في الخارج. ومن هنا كان أيضاً الفارق بين التيارين.

والرجعية كانت تدرك هذه الحقيقة، ولهذا ركزت هجومها علينا نحن وليس على غيرنا.. عندما طردت من مصر، اعترف مستشار بمحكمة النقض لمحامي قائلاً بأن هناك ضغطاً شديداً من السراي لطردني، ولو كان دورنا سلبياً لما تحمست الرجعية لطردني..

س : أريد أن استوقفك هنا لاستوضح نقطة تهمني، تتحدث في كلامك عن ضغوط من الخارج، وعن عناصر تكونت فكرياً وسياسياً في الخارج.. فهل يمكن أن توضح ماذا تعنيه بذلك؟

ج : أقرر أن التدخل الأجنبي من بعض أحزاب شقيقة قد لعب دوراً خطيراً وسلبياً، والمشكلة لم تكن في أنهم أخذوا مواقف خاطئة من الأحداث التي تجري في مصر، وإنما أنهم حاولوا فرض وجهة النظر الخاطئة هذه على الحركة الشيوعية المصرية.. ولكي أكون واضحاً فإنني أعني الحزبين الإيطالي والفرنسي.. وسأعطي أمثلة:

عندما طردت من مصر ذهبت إلى إيطاليا. وكانت الحركة الوطنية في قمة عنفوانها وتساعدتها وعندما ألغيت معاهدة ١٩٣٦ كتبت بجريدة "اليونيتا" جريدة الحزب الشيوعي الإيطالي تقول إن إلغاء المعاهدة هو نتيجة لانتصار الاستعمار الأمريكي فقد كانوا يحللون كل شيء في الشرق الأوسط على أساس الصراع بين الاستعمارين الأمريكي والبريطاني، ولم تكن لديهم معرفة ولا ثقة بحركة الجموع الشعبية في المنطقة، ولا بإمكانية القوى الوطنية على إحداث تأثير ما على سير الأحداث، وقد



رفضنا هذا المنطق وقلت لهم إن إلغاء المعاهدة هو تعبير عن مد وطني جارف وهو بذاته عمل وطني.. ورفضوا وجهة نظرنا ورفضونا معها وهاجمونا..

وكانوا أيضاً يرون أن حزب الوفد هو العدو الرئيسي وكنا نرفض هذه الفكرة.. وعندما حدثت حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قالوا في فرنسا أنها حركة أمريكية لأن تلاميذهم في مصر كانوا يفكرون بنفس الطريقة، لا جديد ولا حدث يحدث إلا كنتيجة للصراع بين الاستعماريين الإنجليزي والأمريكي.. أما نحن كنا نتابع حركة الضباط الأحرار من بدايتها وكانت منشورات الضباط الأحرار تصلنا وكنا نعلم حقيقة الحركة ولهذا رفضنا هذا الرأي وقاومناه، ومن هنا بدأت الحملة ضدي هناك.

أنني هنا لا ألوم حزباً ما، فكل حزب له الحق في أن يتخذ الموقف الذي يشاء ولكن الخطأ هو خطأ التلاميذ الذين نقلوا حرفياً مواقف وتحليلات وضعت في إيطاليا أو فرنسا وحاولوا تطبيقها في مصر متجاهلين حركة الجموع الشعبية على أرض بلادهم مكتفين بتفسير سهل لكل حدث وهو أنه نتيجة للصراع بين إنجلترا وأمريكا..

س : ثمة نقطة هامة أريد أن أستوضحك فيها هي موضوع "خط القوات الوطنية الديمقراطية" لقد قيل كلام كثير عن هذا الموضوع، واتخذت الكثير من الانقسامات منه مبرراً لانقسامها.. فهل يمكن أن تقدم لنا وجهة نظرك حول هذا الموضوع؟

جـ : لقد عملنا منذ البداية في صفوف فئات عديدة وطنية وشعبية، وقد نجحنا في التأثير عليها، مناضلون من مختلف الفئات أتوا إلى صفوفنا ولعبوا دوراً ثورياً، صحيح أن الطبقة العاملة لها الدور الطليعي والقيادي وقد كنت أول من نادى بالتعميل وعمل من أجله - إلا أنني أعتقد أنه بعد انتصار ثورة أكتوبر ثم بعد انتصارات الاتحاد السوفيتي الباهرة في الحرب العالمية الثانية والنتائج التي ترتبت عليها قد غيرت إلى حد كبير من وضعية البرجوازية الصغيرة كأداة رجعية (بمعنى أنها ترغب في الرجوع بالمجتمع إلى الوراء لأن حالتها في الماضي كانت أفضل مما هي عليه في ظل الرأسمالية) لكن الظروف قد تغيرت تغيراً جوهرياً سواء من حيث توازنات القوى أو من حيث طبيعة الدور الذي يمكن أن تلعبه البرجوازية الصغيرة وخاصة في بلد كمصر.

إن الانتصارات الهائلة للاتحاد السوفيتي ضد النازي الذي كان يطرق أبواب مصر، ونتائج الحرب العالمية الثانية والانتصارات العظيمة التي أحرزتها الحركة الاشتراكية العالمية كل ذلك أثر في موقف البرجوازية الصغيرة تجاه الاشتراكية.

ومع ذلك كله يجب تأكيد دور الطبقة العاملة كقيادة لهذه القوى الوطنية

والديمقراطية.. القيادة هي الحزب، الحزب يقود عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة. بمعنى أن الطبقة العاملة ليست هي الطبقة الثورية الوحيدة في المجتمع المصري، هناك قوات ثورية أخرى فلاحين وبرجوازية صغيرة ومن هنا فقد قلت في تقديري هذا الذي أثار كل هذه الضجة أن حزبنا الذي نريده ليس حزباً للعمال وحدهم، إنما حزب لمصر كلها، بمعنى أنه حزب لكل القوى الثورية المصرية. قلت إن النجاح الأساسي هو أن يشعر كل الشعب بأن هذا الحزب هو حزبه، وليس مجرد حزب للعمال وحدهم.

هذا هو جوهر الفكرة التي أثارت كل هذه الضجة.

وحدث نقاش حولها وجدل وانقسم الرأي وربما قيل كلام غير دقيق من الطرفين خلال النقاش، ولكن المهم هو أنني ومع إصراري على هذا الرأي كنت مصرّاً أيضاً على المضي في سياسة التعميل، وبدأنا في تجميع كل الأقسام غير العمالية في وحدة، والأقسام العمالية في وحدة أخرى، وضممنا أفضل الكوادر إلى الأقسام العمالية..

والغريب أن أكثر من عارض فكرتي هذه هم قسم الطلبة أي عناصر البرجوازية الصغيرة، لقد كانوا منزعجين من سياسة التعميل، وكانوا متصورين أن الاهتمام بالعمال يعني التقليل من قيمتهم هم..

ومن هنا فقد رفعوا رايات براقية ١٠٠% عمال.. وتصوروا أن التعميل هو أن يذهب الطلاب مرتدين ملابس عمال ليعملوا وسط العمال..

س : هل لديك أية ملاحظات تريد إضافتها إلى كل ما سبق..؟

جـ : هناك بعض ملاحظات أود الإشارة إليها..

- أننا كنا أصحاب الخط الوطني السليم.. لقد كنا أول من شعر بخطر الأحلاف العسكرية وقاومناها وخلقنا رصيذاً مصرياً يرفضها وهذا الرصيد الوطني الذي يرفض الأحلاف هو في اعتقادي الذي دفع حركة الجيش إلى رفض الأحلاف.
- أننا كنا أول من اهتم بحركة الكفاح في القنال وأسهمنا فيها وحاولنا تنظيمها وضمان استمراريتها.. وكنا في هذا نختلف عن الآخرين من المنظمات الأخرى التي تقاعست عن أداء هذا الواجب، وكنا نختلف عن الأحزاب السياسية الأخرى التي لم تستطع الربط بين الكفاح المسلح والكفاح السياسي للجماهير الشعبية على نطاق مصر كلها.. وحاولت أن تحصر نفسها في منطقة القتال..

- أننا كنا أول من أيد الوحدة العربية ورأينا جانبها الإيجابي برغم أن الجامعة العربية قد تكونت بإيعاز من الإنجليز.. وقد نلنا شتائم كثيرة بسبب موقفنا هذا..
- أننا اتخذنا موقفاً صحيحاً من قضية الدين بينما كان البعض يرى ضرورة اتخاذ موقف مغاير.
- أننا كنا دعاة وحدة وطنية، وكنا حريصين دوماً على ربط تحركنا بحركة الجموع الشعبية وبمجموع الحركة الوطنية المصرية..

* * *

٦- نادي الاتحاد الديمقراطي

"المركز الثقافي الاجتماعي"

محضر تحقيق النيابة(*)

فتح المحضر يوم السبت ١٣ رمضان سنة ١٣٦٥ الموافق ١٠ أغسطس ١٩٤٦ الساعة الثامنة وخمسون دقيقة مساء بسراي النيابة.

بالحیئة السابقة

وجدنا بين مخلفات النيابة العسكرية العليا تحقيقات أجرتها تلك النيابة بتاريخ أول فبراير ١٩٤٣ في بلاغ مقدم من حكمدارية بوليس مصر بتاريخ ١٦ يناير سنة ١٩٤٣ بشأن النادي الذي كان يطلق عليه اسم "المركز الثقافي والاجتماعي ومقره سكة الفضل رقم واحد بقسم عابدين والذي كان يتولى إدارته وأعمال سكرتاريته المدعو بلاموتس المستخدم بشركة كوتسكا واليوناني التبعية، من أن هذا النادي يقوم بنشاط سياسي ظاهره: الدعوى للحلفاء والديمقراطية. وباطنه: نشر الدعاية الشيوعية وإثارة الخواطر ضد النظم الرأسمالية وقد أشير في بلاغ الحكمدارية إلى ما وصل لعلمها وقتذاك من أن توماس بلاموتس سكرتير المركز الثقافي هو وسلمون سليم المستخدم التجاري بشركة الغزل المصرية أخذاً ينشطان في دعايتهما لإثارة خواطر العمال وأن لسلمون سليم أصدقاء بالإسكندرية وأنه يسافر إليهم أحياناً لمقابلتهم في أيام الأحاد وأن من هؤلاء أبو النيل سكرتير نقابة عمال الأحذية بالإسكندرية.

كما أشير إلى حضوره من الإسكندرية في يوم ١٦/١٢/١٩٤٢ بشأن استئجار جريدة الحقائق.

والبلاغ المشار إليه طويل ومحرر على خمسة ورقات وقد أشير فيه إلى ما تم من تفتيش بعض الأماكن بناء على أمر صادر من الحاكم العسكري بمنطقة القاهرة إذ ذاك وما ضبط بحجرة فوق سطح المنزل رقم ٦ بشارع أمين باشا سامي من أوراق ومنشورات ومنها ومنها مذكرة موصوفة بأن بعضها محرر بخط اليد والبعض الآخر بالآلة الكاتبة تتضمن دراسة عن الأحزاب المصرية وعلاقتها بالعمال، ومذكرة محررة باللغة العربية بخط اليد

(*) يتضمن هذا المحضر بعض معلومات هامة عن المرحلة الأولى من نشاط هنري كورييل وعن نادي الاتحاد الديمقراطي "المركز الثقافي الاجتماعي". كذلك يتضمن إشارات إلى معلومات البوليس حول نشاط قوى اليسار المصري في هذه الفترة المبكرة. وهذا المحضر وارد في ملف قضية الشيوعية الكبرى لعام ١٩٤٦ في الصفحات ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ (المؤلف).



معنونة "تقرير" عن مدى النشاط وتكوين الخلايا وأسماء أعضائها، وجاء به أن الخلية الثالثة مؤلفة من طلعت جوجو "نجم" طالب بالجامعة وأحمد معروف "المقرئ" موظف، وزينب جوجو "الوكيل" طالبة بمدرسة الأشراف. وأن الخلية الرابعة مؤلفة من محمد الهندي "المقاول" وعلي أبو النيل "عامل" ومحمد محرر "حراز" عامل. وأنه جاء به كذلك أن جميع هذه الخلايا قررت العمل بعد دراسة الدستور الشيوعي والسير على نظام الدولية الثالثة وضرب الطبقة البرجوازية الذي لا يمكن أن يتحقق بغير الثورة العمالية. وأن هذا التقرير كان بتاريخ ١٩٤٢/١٢/٢٠ ولاحظنا أن التحقيق الذي أجرته النيابة في هذا البلاغ جاء مقصوراً على سماع شهادة حضرة أحمد حمدي بك مفتش الضبط فرع "ب" بمحافظة مصر وقد جاء في أقواله عن المركز الثقافي الاجتماعي أنه تألف أولاً تحت اسم (الاتحاد الديمقراطي) بمعرفة هنري كورييل الإسرائيلي المصري الجنسية وكان يعاونه شخص إيطالي من المعادين للفاشية لا يذكر اسمه، وبعد بضعة أشهر انفصل هذا الشخص الإيطالي وقام بالإشراف على النادي هنري كورييل ومعه أعضاء مجلس الإدارة ثم غير اسم هذا النادي إلى اسم "المركز الثقافي الاجتماعي" وكان هنري كورييل هو المشرف عليه كذلك، وقد اعتقل هنري كورييل فترة من الزمن وأُخلي سبيله على شرط الابتعاد عن التدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية وقد تولى توماس بلاموتس أعمال سكرتارية هذا المركز وكان هو المشرف على إدارته، وعقد الإيجار محرر باسم هنري كورييل والشخص الإيطالي الذي ذكر أن اسمه اسكندر روكه أما أعضاء مجلس الإدارة فمن بينهم توماس بلاموتس وعزرا هراري وسالمون سليم ولما كان قد تبين من تحقيقات أجرتها نيابة الإسكندرية بناء على التفتيش الذي قامت به في منازل بعض من اتهموا بترويج مبادئ الشيوعية بالإسكندرية أن علي أبو النيل له صلة وثيقة بلطف الله حنا سليمان كما هو واضح من الإطلاع على محضر استجواب هذا المتهم فقد دعونا هنري كورييل وأعدنا سؤاله.

اسمي هنري كورييل

سابق سؤاله

س : ماذا كانت علاقتك بالنادي الديمقراطي أو نادي الاتحاد الديمقراطي؟

ج : كان أخي راؤول كورييل من ضمن مؤسسي هذا النادي وأنا كنت عضو فيه.

س : ومن كان سكرتيه؟

ج : السكرتاريين تغيروا كثيراً

س : ألم يكن سكرتيه توماس بلاموتس؟

ج : أنا لم أكن عضواً في النادي لما كان سكرتيه توماس بلاموتس

- س : ألم تكن أنت مستأجر مقر النادي باسمك؟
- جـ : لا.. وإنما كان أخي راول كورييل بصفته أمين الصندوق هو الذي استأجر النادي بعقد موقع عليه منه ومن ساندرو روكه.
- س : ولماذا غير اسم "نادي الاتحاد الديمقراطي" إلى "المركز الثقافي الاجتماعي"؟
- جـ : لأن الدعاية الإنجليزية في أول الحرب أرادت أن تستغل اسم النادي الديمقراطي لصالحها هي فقرر أعضاء النادي تغيير الاسم وسموه "المركز الثقافي الاجتماعي" وعلشان كمان يكون اسمه بعيد عن السياسية.
- س : ولكن المفهوم من أقوالك فيما سبق أن هذا النادي كان يشتغل بالأمور السياسية؟
- جـ : في الأول كان في النادي عدد كبير من الأعضاء، طليان من المعادين للفاشية وكان يحصل في النادي اجتماعات وحفلات إلى أن تدخلت السفارة الإيطالية قبل أن تدخل إيطاليا الحرب وبلغت الحكومة المصرية بأن النادي شيوعي فكان البوليس يمنع الاجتماعات أقصد الحفلات العامة وعلى كده الأعضاء تغيروا واتخذ النادي شكل اجتماعي.
- س : أبلغ البوليس ضد هذا النادي في أوائل عام ١٩٤٣ أنه يقوم بنشاط سياسي ظاهره الدعوة للحلفاء والديمقراطية وباطنه نشر الدعاية الشيوعية وإثارة الخواطر ضد النظم الرأسمالية؟
- جـ : أنا اعتقلت في ١٩٤٢، وأفرج عني بعد شهرين وأخذوا عليّ تعهد بأنني لا اشتغل في السياسة، وأن أكون بعيداً عن النوادي السياسية، ولهذا ابتعدت عن هذا النادي.
- س : وهل تعرف لمن كانت الحجرة التي كانت بسطح المنزل رقم ٦ بشارع أمين باشا سامي؟
- جـ : لا..
- س : هل الحجرة كانت مؤجرة بمعرفة عزرا هراري.
- جـ : أنا لا أعرفه.
- س : ألم يكن عضواً بالنادي هو أيضاً؟
- جـ : مش في الوقت اللي أنا كنت فيه.
- س : هل تعرف علي أبو النيل؟
- جـ : لا



- س : ألم تسمع باسمه؟
- جـ : لا
- س : ضبطت في ذلك الوقت أوراق ومنشورات هامة تدعو للشيوعية صراحة ومن بين هذه الأوراق مذكرة تتضمن دراسة عن الأحزاب المصرية وعلاقتها بالعمال ومذكرة باللغة العربية بخط اليد وهي عبارة عن تقرير عن مدى النشاط في تكوين الخلايا وأن من ضمن أعضاء الخلايا علي أبو النيل.
- جـ : أنا لا أعرف شيء عن هذه المضبوطات.
- س : هل تعرف طلعت جوجو أو زينب جوجو.
- جـ : لا.
- س : حدد لنا مدة علاقتك بلطف الله حنا سليمان.
- جـ : ما فيش علاقة، إنما شفته مرتين ثلاثة في مكتبة النهضة
- س : ولكنه ترك مكتبة النهضة واشتغل في مكتبة كاديموس.
- جـ : أنا لم أذهب إلى مكتبة كاديموس.
- س : ألم تعرض في مكتبك كتابة المنقول عن كتاب باللغة الإنجليزي والذي أسماه كارل لينخت؟
- جـ : لا أتذكر شيء من هذا.
- س : هو يقول أنه سلم مكتبك عددًا من النسخ من هذا الكتاب.
- جـ : يجوز أنه حضر في غيابي وسلم العاملة نسخ من كتابه.
- س : ألا تعرف شيئاً عن لطف الله حنا سليمان هذا وعن ميوله وآرائه؟
- جـ : يمكنني أنؤكد أن ما فيش أي تفاهم أو اتصال أو انسجام بيني وبينه.
- س : تبين من التحقيق الذي أجري مع لطف الله سليمان ومن بعض الأوراق المضبوطة أنه يشتغل "مأمور" الخلايا.
- جـ : أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الموضوع.
- س : هل تعرف كتباً تبحث في الخلايا؟
- جـ : لا أبداً، وأنا قرأت كتب كثيرة جداً يسارية وغير يسارية ولم أجد كتاباً يبحث في الخلايا.
- س : هل تعرف خليل الآسي؟



ج : لا

س : ضبط مع خليل الآسي خطاب مرسل من علي أبو النيل إلى لطف الله سليمان يعتب عليه فيه أنه لم يتلق معونته بسبب القبض عليه في قضية المنشورات بالرغم من أنه وصله خبر الفلوس التي أتت من الخارج؟

ج : أنا لا أعلم أي شيء عن علي أبو النيل ولا عن لطف الله سليمان ولا عن فلوس من الخارج..

س : ولكن في الأوراق المضبوطة بشأن التفتيش الذي أجراه البوليس في أوائل ١٩٤٣ بمناسبة نشاط المركز الثقافي الاجتماعي إشارة إلى الخلايا في التقرير الذي ضبط بالحجرة التي بسطح المنزل رقم ٦ بشارع أمين باشا سامي وذكر في التقرير أن علي أبو النيل من أعضاء الخلية الرابعة.

ج : أنا لما كنت عضو في النادي الديمقراطي لم أسمع باسم علي أبو النيل مطلقاً ولم تكن له علاقة بالنادي.

س : تبين من أقوال لطف الله سليمان أن له شلة من بينها رمسيس يونان وبولا العلايلي ويتردد عليهم أحياناً أنور كامل كما أن من بين الشلة جورج حنين.

ج : أنا أعرف أنهم أصحاب وأعرف إن اللي جمعهم في الأوائل مذهب السيرياليزم أو ما فوق الطبيعة، وهو مذهب من المذاهب الغامضة وظهر بعد الحرب الماضية وفيه بعض أدباء فرنساويين ورسامين أيضاً من أتباع هذا المذهب ومن المؤلفين الفرنسيين المشهورين أندريه بروتون في الأدب وسلفاتور دالي في الرسم، وهذا المذهب وإن كان فيه اتجاه يساري ولكنه غير شيوعي بالمرّة وأتذكر أنهم عملوا معرض أو اثنين لرسم هذا المذهب وعرض فيه رمسيس يونان بعض صور رسمها وأظن كان ذلك حوالي ١٩٤٣. وأنا فاكّر إنه كان فيه وقت حصل أن أنور كامل وجورج حنين زعلوا من بعض وأنا كانت علاقتي بهم عن طريق أخي راؤول وبعد أن سافر أخي إلى الكونغو وبيروت انقطعت علاقتي بهم.

س : وما سبب هذا الزعل؟

ج : مش فاكّر والكلام ده من سنتين ثلاثة لأنني من سنتين ثلاثة ما أعرفش عنهم أي شيء..

س : هل تعرف عبده دهب؟

ج : أيوه أعرفه من أيام جريدة حرية الشعوب اللي استأجرتها عام ١٩٤٢، وكان سكرتير الإدارة فيها. أما الآن فهو يعرض مجلة "أم درمان" عندي في المكتبة وليس

بيني وبينه صلة غير كده.

س : وهل تعرف عبد الماجد حسبو؟

جـ : لا

س : هل تعرف محمود العسكري؟

جـ : محمود العسكري بتاع شبرا الخيمة؟

س : هل تعرفه؟

جـ : لا

س : وكيف عرفت أنه بتاع شبرا الخيمة؟

جـ : ده مشهور وقرأت عنه في الجرائد لأنه كان له قضية علشان مجلة وطلع براءة.

س : وهل تعرف إبراهيم حافظ العطار؟

جـ : لا

س : عندما قبض البوليس على كمال أحمد شعبان وجدت معه ورقة بأسماء سبعة عشر

كتابًا في الماركسية واللينينية وغيرها وأمام كل اسم عدد النسخ وفي ذيل الورقة

عبارة "هذه هي الكتب التي وجدناها في مكتبته" فهل يمكن شراؤها؟. فهل توجد هذه

الكتب عندك في مكتبتك؟

جـ : نعم. (بعد أن اطلع على الورقة المضبوطة مع كمال أحمد شعبان والمشار إليها في

محضر استجوابه).

س : هل تعرف بخط من كتبت أسماء هذه الكتب باللغة الإنجليزية؟

جـ : لا أعرف. وهذه الكتب موجودة عندي.

س : يقول البوليس إن كمال شعبان هذا متصل بك وأنه من أتباعك؟

جـ : لا. أبدًا.

تمت أقواله وأمضى

إمضاء

رئيس النيابة

إمضاء



٧- السيد سليمان الرفاعي

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٢/١/١٩٧٦

س : كيف أصبحت شيوعياً؟

جـ : دخلت سلاح الطيران عام ١٩٤٠، وقد نشأت في بيت لا علاقة له بالسياسة، أبي كان جاويشاً في البوليس، ولهذا لم يكن له أي انتماء حزبي أو سياسي بحكم عمله، وأبي من أسرة فلاحية تعيش في قرية بجوار مدينة بنها، وقد اضطرته ظروف الحياة الصعبة للعمل في البوليس على غير رغبته، فقد كان متعلقاً بالريف، وظل طوال حياته متمسكاً بالمثل والقيم الريفية.

عندما حصلت على الشهادة الابتدائية دخلت مدرسة الصنائع وحصلت على الدبلوم، ولكن أبي كان يحلم بأن يصبح ابنه ضابطاً، ولكن الأزمة الاقتصادية كانت خانقة، والبطالة منتشرة بين المتقنين ولهذا لم يغامر بإدخالي مدرسة ثانوية وأدخلني المدرسة الصناعية بمدينة المنصورة، وكنت أهوى القراءة إلى درجة غريبة، كنت أمضي طوال أيام الأجازة في القراءة إلى درجة أنهم كانوا يحتاجوا إلى الضغط كي ينتزعوني من القراءة لأتناول الطعام. لكنها كلها كانت قراءات سطحية وأساساً في روايات الجيب التي كانت منتشرة في تلك الأيام، وكانت تصدر أحياناً مختارات من أشهر القصص العالمية لتولستوي وديستوفسكي.

وفي سنوات ٣٧-١٩٣٩ كنا نسكن في السنبلوين وكانت مدرستي بالمنصورة، وكان لي صديق اسمه "أنور" يعمل سراً في إصلاح السلاح غير المرخص، وكنت أساعده، وكان أنور هذا على علاقة بعصابة غريبة من اللصوص، كانت تسرق الأغنياء فقط، بل وتعطف على الفقراء، وكان أبي - لأنه متعاطف مع الفقراء - يساعد هذه العصابة أحياناً بما لديه من معلومات عن تحركات البوليس.. وعن طريق "أنور" سمعت لأول مرة عن كلمة "شيوعية" لكنها كانت معلومات مشوشة بل وخاطئة، لكننا كنا نواصل أنا وأنور الحديث حولها..

وفي عام ١٩٤٠ وبعد أن تخرجت من المدرسة الصناعية دخلت سلاح الطيران، وحتى ذلك الحين كنت بعيداً عن السياسة، وباستثناء مناقشاتي المشوشة أنا وأنور،



كنت لا أعرف شيئاً عن السياسة، بل كنت أقف ضد كل الأحزاب القائمة، وإن كنت معجباً بفاروق الملك الشاب الذي قدم لنا في صورة مبهرة..

وكانت دفعتنا بمدرسة ميكانيكا الطيران مكونة من ١٧٥ متطوع، وكنا أول دفعة تقبل من الحاصلين على دبلوم، وقبلها كانوا يقبلون الحاصلين على الابتدائية أو الذين أمضوا سنتين في المدرسة الصناعية.

وقد أكدوا لنا رسمياً عند تطوعنا أنهم قبلوا دفعة من حملة الدبلوم لكي يمكن ترقيةهم إلى رتبة طيار، لكننا وأثناء الدراسة علمنا أننا سنتخرج بنفس أوضاع السابقين علينا والحاصلين على الابتدائية، فبدأت عمليات تمرد تلقائية وغير منظمة ضد قادة سلاح الطيران وإدارة الجيش وأخذت عملية التمرد عدة أشكال مثل الامتناع عن الطيران، الاعتصام بالخيام.. وبالمقابل كانت هناك محاكمات عسكرية وأحكام بالسجن والجلد. واستمر العمل التلقائي، بعضهم انتحر احتجاجاً والبعض كان يمتنع عن الإجابة في الامتحانات ليفصل من المدرسة.

وفي عام ١٩٤٢ وبينما كنا على وشك التخرج سمعنا عن القبض على اثنين من ميكانيكي الطيران وهما حسن التلمساني وحبيب سليم بتهمة الشيوعية.. وقد أودعا السجن الحربي.

هذا بالإضافة إلى تحركات عديدة في سلاح الطيران لفتت أنظارنا إلى السياسة.. مثل حادثة هرب الطيار سعودي، وحادثة عزيز المصري.

وفي عام ١٩٤٢ تخرجت ووزعت إلى سرب "التي، تي" المقاتل.

وكان سربنا يخدم بعض الوقت في السويس، وكنت في حالة رفض تام لوضعي وأشعر بأن قادة الجيش خدعتنا وفكرت أنا وزميل لي اسمه حسن جوهر أن نشكل تنظيم لاغتيال كل قادة الجيش والطيران انتقاماً منهم. وأخذنا في عمل دراسات عن كيفية صناعة القنابل واتصلنا لذلك مع زملاء لنا في قسم التسليح.

وعندما عدت إلى القاهرة اتصل بي أحد أعضاء الدفعة واسمه محمد عزب قابيل، وأبلغني أنه على علاقة بتنظيم يسعى لقلب نظام الحكم ووافقت على الفور، وحضرت أول اجتماع في شارع الهرم وقد حضره أنور كامل ومعه حوالي ١٥ شخصاً وكانت مقابلة للتعارف وتحدثوا أمامي عن موضوعات معقدة وبمستوى عالي وفي النهاية أنشدوا نشيد الخبز والحرية.. ومطلعه:

يا جموع الشعب هيا ... حطمي كل القيود



واشعلوا النار سويا ... وابدأوا زحف الخلود

يا جنود الخبز والحرية

ثم نظم لنا اجتماع آخر في منزل زميل دفعتنا سيد حافظ وتحدث أنور كامل عن المادية الجدلية ولم نفهم منه حرفاً واحداً وخرجت من الجلسة وأنا أشعر بإحباط شديد.

وانقطعت عن أنور كامل، واختفى هو أيضاً وربما قبض عليه..

وسافرت إلى السويس مرة أخرى وأنا أتحرق شوقاً للمعرفة، وبدأت أشعر أن مشكلتي ليست شخصية، لكنها مسألة متعلقة بمجمل الأوضاع السائدة..

وفي أوائل ١٩٤٣ عاد محمد عزب قابيل (كما أتذكر الآن) ليتصل بي ويبلغني أنه وجد علاقة مجموعة أخرى وأخذ مني موعداً في حي السيدة زينب وقابلت موسى الكاظم، وهكذا انضممت إلى منظمة الحركة المصرية للتححر الوطني (ح.م.) وظل موسى الكاظم مسئولاً لخليتي وكنت فيها أنا وسيد حافظ ومحمد عزب قابيل وكانت هناك مجموعة أخرى تضم الطيار إبراهيم العطار وآخرين.

وبدأنا في دراسة كورس من أربع محاضرات أو خمسة أذكر منها: عيوب المجتمع - تطور المجتمع - صورة عن المجتمع الاشتراكي.

وبعد أن أنهينا الكورس أبلغنا أن القيادة قررت منحنا العضوية وأننا مؤهلين الآن كي نمارس عملاً نشطاً، وشعرنا بالثقة والفخر، ولكننا كنا نتهيب من تولي المسؤوليات فكيف لنا أن نفعل مثلما يفعل موسى الكاظم بنشاطه وأسلوبه اللبق والأخاذ.

وكلنا بالعمل كخلية في سلاح الطيران واتسع نشاطنا، وشكلنا خلايا في كل الأسراب وخلال عام واحد كان لدينا ٨٠ عضواً منظمين في خلايا، في كل سرب وكل ورشة كانت هناك خلية أو اثنتين، وجندنا أيضاً بعض المدنيين العاملين في السلاح، ثم بدأنا في الانتقال إلى الجيش وإلى الكتاب العسكريين وإدارة التجنيد وإدارة الأسلحة الصغيرة، وسلاح الإشارة وسلاح الصيانة وموسيقىات الجيش.

وبدأ نشاطنا في الشعب بصورة غريبة: إبراهيم العطار (الطيار) جند أخيه مختار العطار وكان طالباً بالفنون الجميلة، وهكذا فتح حقل واسع للنشاط أثمر فيما بعد علاقات عديدة بالفنانين التشكيليين وجند مختار العطار كمال شعبان (قسم عمارة)، كما جند أحد الأزهريين الذي فتح لنا نشاطاً بالأزهر..



وقد تعمدت أن أقدم لك هذه الصورة التفصيلية لترى كيف اتسع النشاط وتشعب لينطلق إلى مجالات عديدة كل منها يسهم في فتح مجالات أخرى..

ثم دعيت لحضور مدرسة الكادر الأولى.. وأذكر من الدارسين.. أنا، إبراهيم العطار، سيد حافظ، مختار العطار، الشيخ عبد الرحمن الثقفي (الأزهر)، كمال شعبان.

أما المدرسين فأذكر منهم: زكي هاشم (وكان وكيل نيابة)، وأحمد دمرداش، تحسين المصري - جومتالون - وأذكر أن رفيقاً من الحزب الإنجليزي حضر المدرسة وألقى في ختامها كلمة بالإنجليزية.

وأذكر أن أحمد دمرداش توني ألقى محاضرة في اقتصاديات مصر ومشكلة الفلاحين وكانت عالية المستوى بالنسبة لنا، وبعد المدرسة مباشرة صعدت إلى اللجنة المركزية.

س : ممن كانت تتكون اللجنة المركزية عند تصعيدك إليها؟

جـ : هنري كورييل - جومتالون - تحسين المصري - موسى كاظم - كمال شعبان - سيد حافظ - الشيخ عبد الرحمن الثقفي - عبده دهب - صبحي زغلول - د. عبد الفتاح القاضي - طالب أزهرى اسمه كمال وأنا.

وفي عام ١٩٤٦ صعد محمد شطا إلى اللجنة المركزية.

س : هل يمكن القول بأن دخولك إلى ل. م كان بداية لتطبيق سياسة التعميل؟

جـ : الحقيقة أن عدد العمال في ل. م. عندما دخلت إليها كان محدوداً، وكانت المسألة الملحة هي التمهيد، وعندما عقدت مدرسة الكادر الأولى كانت لنا بدايات محدودة وسط عمال النسيج، وبالمناسبة أقرر أن التعميل قد فهم على أنه مجرد ضم عمال إلى القيادة، في حين أن المقصود هو ضم كوادر جادة ونشطة وذات ثقل حقيقي وسط الطبقة العاملة، وعندما اتحدنا مع إيسكرا وتأسست حدثت هناك ابتزاز بشعار التعميل، ورشحوا للقيادة عناصر لا وزن لها وغير جديرة بالقيادة، وعندما اعترضنا اتهمونا بأننا ضد التعميل.

ولكن في عام ١٩٤٥ كانت ح. م. تركز على موضوع التمهيد، وكلما اتسع النشاط في مجال ما بشكل جاد وقادر على إفراز قيادة حقه صعدت هذه القيادة إلى ل. م.. مثلاً النوبيون (عبده دهب) الأزهر (عبد الرحمن الثقفي) الطيران (أنا).. إلخ وهكذا فالأمر لم يكن افتعلاً لتمهيد أو تعميل وإنما هو تنويع لعمل نضالي ولبناء تنظيمي.

- س : هل يمكن أن تقدم صورة عن الهيكل التنظيمي في ح. م.
- ج : في البداية كان الهيكل مبسطاً.. اللجنة المركزية ثم مباشرة لجان الأقسام في مجالات محددة حسب النشاط بهدف ضمان نشاط العضوية في مجال العمل.. مثل قسم الطيران - قسم النوبيين - قسم الطلاب.
- س : هل يمكن أن نذكر هذه الأقسام حسب ترتيب تكوينها؟
- ج : في البداية قسم الطيران ثم الجيش ثم قسم الطلبة ولما تكاثر عدد الأزهريين وسط قسم الطلبة أنشئ قسم الأزهر على أساس أن النشاط في الأزهر له وضعية خاصة ويتطلب عقلية خاصة وكان هناك أيضاً قسم النوبيين وبعد فترة بدأ نشاطنا وسط المراكز العمالية بشبرا الخيمة - المحلة كفر الزيات، وأنشئ قسم الأقاليم وكانت اللجنة المركزية تتصل مباشرة بالأقسام..
- وتكونت سكرتارية مركزية من أربعة: كورييل، كمال شعبان (طالب) وأنا وآخر لا أذكره الآن.. ومع النشاط تكونت أقسام جديدة مثل قسم السودانيين وبالمنااسبة كان له نشاط وسط الطلاب العرب مثل اليمنيين والتونسيين..
- وبالمنااسبة أثرت مشاكل حول شكل التنظيم وأثار البعض اعتراضاً على ما أُسميَ بالتنظيم الفتوي وقد تمسكنا نحن في ح. م. بفكرة خلية المنشأة أي تجميع العضوية في كل مجال مع بعضها حتى يمكنها أن تؤثر في المجال وأن تقوده قيادة حقيقية، أما الرأي الآخر فلم يكن يرى تنظيم أعضاء المنشأة في خلية واحدة وكان يرى أن الحزب يؤثر في المجالات المختلفة عن طريق الإشعاع الثوري ولعل نظرية ح. م. قد أثبتت صحتها فالخلية في المجال الواحد أكثر قدرة على التأثير وعلى ممارسة صراع طبقي حقيقي والنتيجة واضحة مثلاً في سلاح الطيران حيث تكونت منظمنا من حوالي ١٥ إلى ٢٠ خلية ثم جمعت تحت قيادة لجنة قسم. ويمكنني أن أقول إن التنظيم الفتوي كان ضرورياً في البداية حتى يمكن وضع ركائز حزبية وحتى يمكن تفهم المشاكل الحقيقية للفئات المختلفة.
- س : هل تتذكر شيئاً عن نشرات منظمة الحركة المصرية للتححر الوطني؟
- ج : أول نشرة كانت الحقيقة وكانت تطبع بالرونيو، وكانت نشرة أثارية تتناول مشاكل الجماهير وتكشف التناقضات في المجتمع، وتحدث عن ثراء الإقطاعيين والرأسماليين وأحوال الكادحين وكانت هناك لجنة مسئولة عن الأجهزة الفنية: مختار العطار، إبراهيم العطار، وأنا.

وبعد فترة أصدرنا مجلة "كفاح العمال" وقد طبعت في البداية بالرونيو، وفي ١٩٤٦ وبعد حملة القبض الأولى في عهد صدقي صنعنا مطبعة صغيرة من مطبعة بروفات وأتذكر أنه بعد الضربة مباشرة تقدم د. عبد الفتاح القاضي وفوزي جرجس (قسم المتقنين) بتحليل ينادي بإحناء الرأس للعاصفة، وعقدوا اجتماع للمكتب السياسي من خلف ظهري وأعدوا بياناً بهذا المفهوم لكنني رفضت هذا التحليل ووصفته بأنه استسلام للعدو واختلفنا بشدة في المكتب السياسي لكنني نجحت في سحب البيان من الجهاز الفني وأصدرنا بيان آخر يقول إن الشعب قادر على الرد على الطغاة وأنا سنصمد في معركتنا ضدهم.. وكنوع من التحدي طبعنا هذا البيان وعدد من "كفاح العمال" على المطبعة وأرسلناه لرفاقنا بالسجن وبعد ذلك تعددت المجالات لكن المجالات الأساسية كانت "الحقيقة" (خارجية)، "الوعي" (مجلة نظرية)، "الحياة الثورية"، وهي (مجلة خارجية وتتضمن دراسات ومعلومات عن كفاح القوى الثورية في العالم)، "كفاح العمال".

- س : هل تتذكر عدد النسخ المطبوعة من كل مجلة؟
جـ : الحقيقة حوالي ألف نسخة، كفاح العمال ٣٠٠٠
س : ما هي معلوماتك عن المكتبة الخضراء؟
جـ : قررنا إتاحة الماركسية للمواطن العادي؛ وهذه هي نقطة البدء في بناء حزب شيوعي مصري؛ أي إن يستطيع المصريين قراءة الماركسية باللغة العربية، وقد قام مكتب المتقنين بجهد كبير في ترجمة هذه المجموعة التي بلغت فيما أعتقد أحد عشر كتاباً أذكر منها:

- الاقتصاد محرك التاريخ.
- الاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية.
- القيمة والتمن والربح.
- رأس المال والعمل المأجور.
- المسألة الوطنية والمستعمرات (سالين).
- أسس اللينينية (ستالين).
- المادة التاريخية والمادة الديالكتيكية..

وقد تولى طبع هذه الكتب عدد من الرفاق منهم د. حسونة، عبده دهب، إبراهيم العطار وقد طبعت في أكثر من مطبعة وبعضها طبع بالإسكندرية.

س : كم كان عدد أعضاء ح. م. عند بداية الوحدة مع ايسكرا؟
ج : تمت الوحدة وأنا في السجن الحربي ولكن معلوماتي هي أن ح. م كان عددها حوالي ٦٠٠، وايسكرا حوالي ١٠٠٠ وإذا كانوا هم أكثر عددًا فإنهم كانوا يضمون عددًا كبيرًا من الأجانب والطلاب وأذكر أن عدد قسم الأجانب في ايسكرا كان ٤٠٠ عضو.

س : هل كان هناك قسم للأجانب في ح. م.؟
ج : لم يكن هناك قسم للأجانب في ح. م فعدد المنظمين من الأجانب لم يكن يزيد عن عشرة، أما بقية الأجانب فكان عاطفيين.. وألاحظ أيضًا أن الأجانب في ح. م. وبزعم محدودية عددهم للغاية كان كل منهم يمثل نشاطًا مهمًا مثل جوماتلون، دافيد ناحوم (رابطة عمال ومستخدمي الشركات الأهلية) سوسو حزان (نادي مكابي الظاهر) شحاتة هارون..

س : ونشاطكم العمالي قبل الوحدة؟
ج : كان تحركنا وسط العمال قد بدأ يؤتي ثماره وأصبح لنا نشاط وعضوية في شبرا الخيمة، المحلة، الطيران، الجيش، كفر الزيات، القاهرة. وتكون مكتب عمالي يضم موسى كاظم، دافيد ناحوم، مراد القليوبي.

س : ما هو تصوركم لايسكرا قبيل الوحدة؟
ج : أنا شخصيًا كنت أرى أن ايسكرا منظمة غير ثورية، وإن كانت تضم بعض العناصر الثورية، وأن واجبنا هو استخلاص العناصر الثورية من خلال معارك النضال اليومي وتصفية ايسكرا. ولهذا فقد كنت ضد الوحدة وكنت أعتبرها كارثة، وأعتقد أن الوحدة قد فرضت علينا فرضًا، تحت مؤثرات خارجية وكذلك تحت ضغط القواعد من قسم الطلاب أساسًا.. وأذكر أنه قبيل الوحدة حضر بعض أعضاء الحزب الشيوعي الفرنسي وآخرين من الحزب اللبناني والفلسطيني وضغطوا من أجل الوحدة، وكنا نحن نرى أن ايسكرا تنظيم غير كفاحي وأنه يضم أساسًا مجموعة من الأجانب ومن الأفضل أن يتركوا التنظيم ويتحولوا إلى عاطفيين، وقلنا إن ايسكرا تضم عدد محدود ولكنه جيد من الكوادر العمالية والطلابية وأن مهمتنا استقطاب هذه العناصر الجيدة وتنتهي ايسكرا.

س : في اللجنة المركزية للحركة المصرية من كان مع الوحدة ومن كان ضدها؟
ج : أنا كنت في السجن الحربي عندما تمت الوحدة، لكنني أعتقد أن أغلبية الكوادر

والقواعد غير الطلابية كانت ضد الوحدة وكانت معلوماتها وتصوراتها عن ايسكرا غير ايجابية. والحقيقة أننا قد خسرنا كثيراً بسبب الوحدة وكثير من الكوادر الثورية أحبطت.

- س : ما هو موقف كورييل تحديداً؟
- جـ : كورييل هو القوة التي دفعت ح. م. دفعاً إلى الوحدة.
- س : ما هي تحفظاتكم ضد ايسكرا؟
- جـ : لا أريد أن أتحدث تفصيلاً عن الموضوع لكن سأذكر كعناوين:
- عدد الأجانب - عدد الطلاب والمتقنين - الحفلات - المناخ التحرري النابع من التكوين الأجنبي وزيادة عدد المتقنين من أبناء الارستقراطية.
- س : بعد الوحدة كيف تكونت اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطني؟
- جـ : فيما أذكر: كورييل - شوراتز - عبد المعبود الجبيلي - شهدي عطية الشافعي - عبد الرحمن الناصر - إيمي ستون (قسم النساء) محمد شطا - عبده دهب - كمال شعبان - أنا - سيدني سلامون - جو متالون.
- وهذا التشكيل كان بذاته بداية الكارثة فقد تشكلت اللجنة المركزية مناصفة وهكذا كانت نتيجة أي تصويت التعادل.. وقد شكل هذا العمل الحزبي عموماً.
- س : وماذا عن المستويات الأخرى؟
- جـ : كان الاتفاق هو أيضاً التساوي، المستوى السياسي والتنظيمي في كل مستوى من ح. م. ومسئول الدعاية ومسئول العمل الجماهيري من ايسكرا..
- س : ومن كان المسئول السياسي لحدثو؟
- جـ : كورييل.
- س : وماذا بعد؟
- جـ : قلت إن الوحدة تمت وأنا في السجن الحربي، وعندما خرجت كانت بهجة الوحدة قد انتهت وبدأت المشاكل..
- س : وما هي هذه المشاكل تحديداً؟
- جـ : الخلافات كانت أساساً حول المواقف السياسية وقد نبع ذلك من تفاوت التكوين النظري والطبقي والممارسة العملية، كما كان هناك أيضاً التعصب الخلقي. وكان التعصب الخلقي من الجانبين لأن الوحدة تمت بأسلوب خاطئ ودون انصهار حقيقي للكادر وإنما تمت باتفاق علوي، وانتهى الأمر بمنظمة واحدة شكلاً ولكنها في الواقع



العملي تضم في داخلها منظميتين.

س : لنترك المشاكل مؤقتاً ونتحدث عن الهيكل التنظيمي لحدتو..

جـ : قلت كان هناك لجنة مركزية متساوية العدد.. وأنه في كل المستويات كان المسئول السياسي والمسئول التنظيمي من ح. م، ومسئول الدعاية والمسئول الكتلي (أي الجماهيري) من ايسكرا.

وكان ينيثق من ل. م،، مكتب سياسي، وسكرتارية مركزية.

أما الهيكل التنظيمي فكان ينقسم إلى شعبتين:

أ- دوائر: وتضم لجان مناطق - ثم لجان أقسام - ثم لجان فروع - ثم خلايا.

ب- مكاتب فئوية: طلبة - عمال - مثقفين - سودانيين - أجانب - دعاية -

نساء.. بالإضافة إلى قسم الجيش وكان يسمى حركياً باسم "موسى".

س : ما هو أقصى عدد وصلت إليه حدتو بعد الوحدة؟

جـ : ٤٠٠٠ عضو، لكنني أقرر بصراحة أنه كان هناك نوع من التسبب والميوعة والتجنيد المتسرع.

س : نعود إلى المشاكل، كيف بدأت؟

جـ : الحقيقة أن المشاكل بدأت في اعتقادي مع بداية الهجوم الرجعي على الحركة الشعبية والوطنية في البلاد العربية كلها، وبداية حالة جذر تواكبت مع اندلاع المشكلة الفلسطينية، وظهرت في الأفق بوادر حملة معادية للحركة الوطنية والتقدمية.. وبدأ القلق البرجوازي الصغير مع بداية الهجوم الرجعي وبرز في شكل تمردات وتكتلات ووصل إلى قمته مع بداية حملة الاعتقالات الواسعة في ١٥ مايو ١٩٤٨، وهنا شل التنظيم شللاً تاماً فالعدو يضرب بقسوة والبرجوازيون الصغار يفرون تحت عباءة شعارات براءة، وتحفز الجانبين كل منهما ضد الآخر. وبعد ١٥ مايو كنت هارباً من أمر الاعتقال وكنت المسئول السياسي وفي محاولة لحماية المنظمة من الانفجار في هذا الوقت الصعب، وفي مواجهة محاولات البرجوازيين الصغار الذين بدأوا في الهروب من الكفاح الفعلي رافعين أشد الشعارات تطرفاً، قدمت صغيرة عملية نقول:

١- نحن نسلم بأن هناك خلافات، وأن هذه الخلافات تحتاج إلى مناقشة عميقة

وإلى حسم إما في مؤتمر أو بأية وسيلة أخرى، لكن تحديد موعد فوري لعقد

المؤتمر مسألة غاية في الصعوبة في ظل الهجوم الرجعي وفي حالة

الفوضى والتسبب التي خلفتها العناصر البرجوازية الصغيرة.

- ٢- إن العمل اليومي وال جماهيري والسياسي واجب مقدس يأتي في مقدمة كل الواجبات وذلك في مواجهة شعارات البرجوازيين الصغار الذين هربوا من الكفاح العملي ضد العدو الطبقي وبدأوا يرفعون شعارات ثورية وتفرغوا تمامًا لعملية تفتيت التنظيم باسم الصراع الأيديولوجي.
- ٣- يوقف التسابق على عملية تعديل المراكز عن طريق تغيير تركيب المستويات.
- ٤- إدانة الانقسام.

وفي هذا الوقت كانت السكرتارية تضم أنا كمسئول سياسي ومحمد شطا وعبد المعبود الجبيلي وتحالف شطا مع عبد المعبود، وهكذا كنت وحيداً في السكرتارية ومع ذلك فقد وافقت السكرتارية على الصيغة التي قدمتها وأتفق على أن تكون النقطة الأولى في جدول أعمال أي مستوى هي العمل الجماهيري والسياسي والكفاحي.. وهكذا حافظنا على التنظيم لفترة قصيرة.

وبعد شهر ونصف من الهروب اعتقلت وبعد اعتقالني مباشرة تفجر الوضع وانقسمت مجموعة عادل (عبد المعبود الجبيلي) وكونت العمالية الثورية (ع. ث.) وانقسمت مجموعة طلابية أسمت نفسها نحو منظمة بلشفية (ن. م. ب.).

س : وماذا عن تكتل شهدي؟

جـ : الحقيقة أن شهدي كان يتبنى وجهة النظر التي أصبحت فيما بعد وجهة نظر م. ش. م.، وكان يأخذ على حدتو موقفها من موضوع التعميل، ورفع راية التعميل قبل أي شيء وهاجم فكرة التنظيم الفئوي كما هاجم ما أسماه خط القوات الوطنية والديمقراطية. واستدعي للنقاش فرفض ودعي إلى اجتماع ل. م. أو م. س ورفض وخرج هو وأنور عبد الملك وعبد المنعم الغزالي ومحمد سيد أحمد.

س : وماذا بعد الخروج من المعتقل عام ١٩٥٠؟

جـ : خرجنا لنجد حدتو ضعيفة للغاية، وتكونت لجنة مركزية جديدة من: هنري كورييل (يونس) - أنا (بدر) - محمد شطا (حميدو) - جنيد علي عمر (سوداني) - يوسف مصطفى (صدقي) - عبد الفتاح الهندي (وقد أعذر عن تولي المسؤولية وانتقل وظيفياً إلى الصعيد وتباعد تدريجياً ثم انقطعت صلته) - كمال شعبان (شوقي) وكان من الكوادر المرموقة لكنه اعتذر لأسباب عائلية ولضرورة إنهاء دراسته الجامعية ثم قطع صلته نهائياً - كمال عبد الحليم (خليل) - وقد أعذر عن العمل الداخلي بحجة أنه مراقب وظل متباعدًا عن العمل الداخلي حتى ثورة يوليو وركز نشاطه

أساساً في حركة السلام.. وبعد فترة أبعد كورييل عن مصر وانتخبتي اللجنة المركزية سكرتيراً عاماً.

وفي الواقع العملي تكونت القيادة من:

سيد سليمان سكرتير عام.

محمد شطا مسئول الإسكندرية.

يوسف مصطفى مسئول القاهرة.

جنيد علي عمر مسئول القاهرة.

وبعد فترة صعدنا إلى اللجنة المركزية مبارك عبده فضل - أحمد فؤاد - فؤاد حبشي (تولى مسئولية بحري) وبعد الوحدة مع نحشم ضم إلى اللجنة المركزية زكي مراد وأحمد الرفاعي.

س : ما هي مسئولياتك كسكرتير عام؟

ج : كانت المسئولية الأولى إعادة بناء حدثو، وطبعاً لم نكن نبدأ من فراغ، لكن العدد الباقي من الكادر كان محدوداً وكل البرجوازيين الصغار الذين ملأوا الدنيا صراخاً بالجمال الثورية والشعارات الطنانة ورفعوا شعارات ١٠٠% عمال إلخ.. كل هؤلاء هربوا كالجردان من المعركة.. وكانت مهمتنا هي إعادة الثقة للكادر وقررنا أن نبدأ بعمل قانوني يعيد الثقة إلى الكادر فأصدرنا مجلة البشير بالاتفاق مع فتحي الرملي، ثم بدأنا العمل في حركة السلام وأصدرنا الكاتب فيما بعد، وكانت قواتنا على ضالة عددها تتحرك بحيوية بالغة وتجمع التوقيعات على نداء السلام وتتصل بالعديد من الشخصيات الديمقراطية وجمعنا في الشهر الأول ٥٠ ألف توقيع.. وبدأت أقدامنا تترسخ في أرض الواقع وعادت الثقة للكثيرين وعاد الكادر المخلص يتجمع حولنا وكسبنا عناصر جديدة واتسع التنظيم بسرعة مذهلة، وكانت هناك انتقادات لفكرة العمل القانوني لكننا أكدنا أننا نركز عليه لفترة بهدف إعادة الثقة إلى نفوس الكادر وفتح مجالات وقنوات جديدة للعمل وأكدنا أن هذا ليس خطأ مستديماً وإنما بعد فترة سنلتفت لبناء المنظمة السرية ونعزل بناءها الداخلي تماماً عن العمل العلني.

وعندما كنت سكرتيراً عاماً كنت أدافع في البداية عن العمل العلني وأعتبره بداية ضرورية لتجميع شمل الكوادر وبناء عضوية واسعة.. ولكن بعد أن بدأ هجوم قيادة يوليو علينا وتجمعت نذر توحى بالبدء في حملة شاملة ضدنا تبذدت لدي الأوهام عن إمكانيات العمل العلني وطالبت بشدة التركيز وبسرعة على البناء الداخلي الشديد

السرية استعدادًا للضربة القادمة.

وبدأت الخلافات داخل القيادة حول الموقف من حركة الجيش، فعندما بدأت هيئة التحرير ثار خلاف حول هل نعتبرها جبهة ونرسل عناصرنا إلى داخلها أم لا.. أما أنا فكان رأيي أنها تنظيم رجعي ويمكن إدخال عدة أفراد فيه لمجرد الاستطلاع ولكن دون أية أوهام حول كونه جبهة وطنية..

وكانت هذه بداية الخلافات التي أدت إلى انقسام حدثو وتكوين حدثو التيار الثوري (حدثو ت. ث).

* * *



شهادتي للتاريخ

مذكرات

الالتحاق بالأزهر

التحقت بالتعليم الابتدائي الأزهري في القاهرة عام ١٩٤٢ وكان عمري آنذاك حوالي خمسة عشر سنة، فقد ولدت في ١٩٢٧ وكان التحاقى بالأزهر بعد أن حفظت القرآن كاملاً بين سنة ١٩٤٠/١٩٤٢ على يد شيخ نوبي من أبناء قريتي كان يدعى (الشيخ حسن قاسم) ..

وقد بدأت في حفظ القرآن والاستعداد للالتحاق بالأزهر بعد أن غادرت قريتي النوبية "أرمناء" ووصلت القاهرة عام ١٩٣٩ وكانت نية والدي ورغبتى الشخصية في الالتحاق بالتعليم الابتدائي المدني في بداية الأمر، لكن رسوبى في الكشف الطبى بمدرسة عنيبة الابتدائية في بلاد النوبة حيث كنت أعاني من ضعف الإبصار حال دون تحقيق نية والدي ورغبتى الشخصية، ومن ثم اتجهت نية والدي بحكم الظروف الاضطرارية إلى إلحاقى بالأزهر في القاهرة، ويعود إليه الفضل الأكبر في ذلك، لماذا أقول هذا؟

.. لقد قاومت لعدة سنوات فكرة الالتحاق بالأزهر، وكان السبب في ذلك يكمن في أمرين: أولهما: أنني كشاب نوبي نزع من القرية إلى القاهرة، وينتمي لأسرة فقيرة مطحونة كنت أميل إلى أن أكون خادماً في بيوت الأسر المصرية أو الأجنبية الغنية شأن كل الشبان النوبيين الذين أرغموا على الخدمة بالمنازل للمساعدة في إعالة أسرهم، ولتحقيق الأمانة في الزواج.

* * *

وثانيهما: أنني كنت أتصور أن من يلتحق بالأزهر، لن يزيد وضعه عن وضع "المقرئين" الذين يكتسبون قوتهم من قراءة القرآن في "المآتم والقبور" ولذا أذكر أنني قاومت ارتداء الزي الأزهري (العمة والكاكولة) لأكثر من سنة بعد التحاقى بالأزهر، كنت أحملهما ملفوفتين في يدي من الحي الذي كنت أسكن فيه (السبتية) بالقاهرة وحتى بوابة المعهد الديني بحي الدراسة وفي العودة من الدراسة إلى السبتية كنت أفعل نفس الشيء ..



أعود فأقول إن الفضل في التحاقى بالأزهر يعود إلى والدي، فقد كان يشجعني طوال فترة حفظي للقرآن، ويقول لي يا بني إن لم تتعلم فسوف تعمل خادماً مثلي في المنازل وستجد الإهانة تلو الإهانة من السادة الأغنياء من الأجانب والمصريين، ولم أعرف صدق هذه النصيحة وعمقها إلا بعد سنوات من التحاقى بالأزهر، ومعرفتي التفصيلية بحياة أولئك النوبيين من أقاربي وأبناء قريتي.

كانت حياتي في السنوات الثلاثة الأولى بالأزهر شديدة البؤس، فمرتب والدي من عمله الحكومي لم يكن يتجاوز أربعة جنيهات في الشهر، وكانت الأسرة كلها خمسة أفراد تعيش في غرفة واحدة، وكان مصروفي الشخصي خمسة مليمات، ولذا كنت مضطراً أن أسير على قدمي من حي السبئية إلى حي الدراسة يومياً ذهاباً وإياباً، والمليمات الخمسة كانت تكفيني لتناول سندوتش مكرونة بين راحات الحصص في المعهد الديني.

وظلت هذه الحياة الشديدة القسوة تلازمي وتلازم أسرتي حتى وصلت إلى السنة الثالثة الابتدائية في الأزهر.. ففي عام ١٩٤٥ قررت إدارة الأزهر معونة مادية للطلبة الغرباء في الأزهر ومن الغريب أن أبناء (النوبة المصرية) في محافظة أسوان كانوا في نظر الأزهر طلبة غرباء ويجمعهم مع الطلبة النوبيين في السودان رواق يسمى "رواق شمال السودان".

كانت المعونة ثلاثة جنيهات شهرياً، علاوة على جنيه واحد كان يصرف لي كمعونة من مجلس الوزراء، وبذا كنت أمتلك قدرة مادية تساوي قدرة أبي المادية شهرياً.

... وبعيداً عن التفاصيل الصغيرة في التعامل مع أسرتي بعد أن أصبح دخلي الشهري أربعة جنيهات فإن تعامل والدي معي قد تغير تماماً، تخلى عن ضربي لسبب وبدون سبب، وتخلّى كذلك عن إهانتي وتقريعي، وأصبح يتشاور معي في شئون إدارة مصروفات المنزل، وكان هذا وضعاً طبيعياً إذ كنت أحتفظ من هذا المبلغ بجنيه واحد وأترك الجنيهات الثلاثة الباقية لدعم ميزانية هذه الأسرة البائسة الفقيرة.

... كنت طالباً مجداً في دراستي الأزهرية فكنت أنجح دائماً من الدور الأول طوال دراستي بالأزهر التي دامت أكثر من ثمانية سنوات، وكنت شغوفاً بقراءة الأدب العربي، وأذكر وكنت آنذاك في السنة الثانية الابتدائية أنني قرأت بعضاً من كتب الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وعباس العقاد والمازني.. ولم يكن في إمكاني شراء الكتب الأدبية ولذا كنت أذهب يومياً إلى دار الكتب بباب الخلق، وفي مرحلة لاحقة استخرجت بطاقة استعارة خارجية.

ومع بدايات عام ١٩٤٥، نمت شعوري الوطني بشكل تلقائي ضد الاستعمار البريطاني، وكان السبب في ذلك بشكل أساسي - ما كنت أشاهده من عردة الجنود الإنجليز

في شوارع القاهرة ومنها شارع عماد الدين حيث كنت أعيش مع والدي في غرفة بسطح عمارة من عمارات الخديوي حيث كان يعمل أبي فراشاً في مصلحة الضرائب التي تقع في إحدى تلك العمارات.

مع نمو شعوري الوطني، تحولت قراءاتي من الأدب العربي إلى التاريخ وأذكر أنني قرأت في تلك الفترة (١٩٤٥) كثيراً من كتب المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي، لقد طرحت على نفسي سؤالاً هو هل تجدي قراءة الأدب العربي في إخراج الإنجليز من مصر؟ وكانت الإجابة آنذاك - وهي بالتأكيد إجابة سطحية - لا، وكان الموقف الذي اتخذته هو ضرورة قراءة كتب التاريخ لأعرف من خلالها كيف دخل الإنجليز إلى مصر، باعتبار أن تلك الخبرة سوف تساعد في إخراجهم من مصر.

الانضمام إلى الحركة المصرية للتححر الوطني (ح. م)

كان ذلك الانضمام في صيف عام ١٩٤٥، خلال الإجازة الدراسية، بعد أن نجحت في امتحان النقل من السنة الثالثة الابتدائية إلى الرابعة ورغم نمو مشاعري الوطنية، وهي المشاعر التي حولت قراءاتي من الأدب إلى كتب التاريخ، فلم تكن بوابة انضمامي للحركة الشيوعية المصرية، هي المسألة الوطنية، بل كانت وبالتحديد بوابة الإحساس بالقهر الطبقي والإحساس بمهانة الفقر وآلام الفقراء.. قصة مفاتحتي للانضمام للحركة المصرية للتححر الوطني، تبرز هذه الحقيقة، فالطالب الأزهري النوبي الذي فاتحني في الانضمام لتلك الحركة كان (محمد عثمان نور) وهو من أبناء قرية (أبو هور) النوبية، كان يسبقني بعامين أو ثلاثة في الدراسة، وفي صلبة مشتركة للمشاركة في لعب كرة القدم، سألني ماذا تعرف عن الشيوعية؟ قلت له لا أعلم كثيراً، إنما أعرف شيئاً واحداً عنها أنها تساوي في الحياة بين الفقراء والأغنياء؛ أي إن كلهم سواسية، فطرح علي سؤالاً آخر وهو أن البعض ينتقد الشيوعية من هذه الزاوية أو تلك في رأيك؟ قلت له على الفور كل هذا لا يهمني، إنما الذي يهمني أنها تساوي بين الأغنياء والفقراء، بمعنى أنه لا يوجد في روسيا غني وفقير.

حينئذ طرح علي (محمد عثمان نور) سؤالاً محدداً هل تقبل الانضمام لتنظيم شيوعي سري في مصر؟ قلت له على الفور نعم.

وبمجرد قبولي الانضمام كشيوعي للحركة المصرية للتححر الوطني، تم تزويدي بمجموعة من المحاضرات التي تقدم للمرشحين لعضوية التنظيم، وكانت حوالي تسعة محاضرات أذكر منها (أمراض المجتمع المصري - تطور المجتمع - الرأسمالية - الاستعمار - الاشتراكية - الحزب - الفاشية والحرب). وكانت محاضرات أولية مبسطة تتكون صفحات

كل محاضرة من ثمانية صفحات وكانت في متناول فهم العامل، والفلاح، والطالب، والموظف، ولم يكن هناك أي مرشح يكتسب عضوية التنظيم دون أن تلقى عليه هذه المحاضرات ويستوعبها تمامًا.

وكما كنت شغوفًا بالانضمام للتنظيم الشيوعي، كنت متلهفًا على الانتهاء من الاستماع إلى تلك المحاضرات في أسرع وقت ممكن.

وقد طلبت أكثر من مرة من المحاضر الذي كان يلقي عليّ تلك المحاضرات وكان طالبًا سودانيًا شيوعيًا اسمه (عبد الله الأمين) أن يلقي عليّ تلك المحاضرات في أسرع وقت ممكن، فكانت إجابته المقررة هناك نظام في إلقاء المحاضرات ولا بد من الالتزام به.

ولما ينست من إقناعه، تحول لهفي إلى اقتناء بعض الكتيبات المبسطة في الماركسية من مكتبة الميدان وقراءتها بشغف جديد.

وكان يمتلك هذه المكتبة (هنري كورييل) وكانت تقع في ميدان مصطفى كامل بالقاهرة، وتقوم ببيع الكتب الماركسية العربية والأوروبية إلى جانب بعض الأدوات المكتبية.

بعد انتهاء فترة المحاضرات تم قبولي كعضو في الحركة المصرية للتححر الوطني وانضمت إلى خلية شيوعية في معهد القاهرة الديني بالدراسة، وكان ذلك في بداية العام الدراسي ٤٥، ٤٦ وكنت آنذاك في السنة الرابعة الابتدائية بالأزهر، ومنذ ذلك الوقت تحددت هويتي الوطني في العداء للاستعمار كما تحددت هويتي الاجتماعية والاشتراكية في حب الفقراء دفاعًا عنهم ضد اضطهاد الأغنياء والمستغلين.

الخلاف يدب بيني وبين والدي

قبل أن أدخل الأزهر وبعده، كان والدي يعاملني ووالدتي وأخوتي معاملة قاسية، وأذكر أنه لم يمر يوم دون أن تضرب العائلة من والدي، أحيانًا يبدأ بوالدتي فنتعاطف معها نحن الأبناء فينهال علينا ضربًا وأحيانًا يبدأ بي أو بأحد أخوتي فتتكرر سلسلة الضرب.

ولا يعبر هذا المسلك من والدي عن كراهية منه لنا، إنما كان نوعًا من الأسلوب التقليدي الموروث من الأجيال السابقة في تربية الأولاد ومعاملة الزوجة، وكان اعتقاد والدي ومن عاصروه أن هذا الأسلوب السليم في التربية هو الصحيح ورغم انتهاج والدي لهذا الأسلوب التقليدي في التربية، كان عطوفًا إلى أبعد الحدود، وشديد التعلق بي وبأخوتي، وكان يبكي بالدمع إذا تعرض أحدها لأي طارئ كإصابته بالمرض.

وهناك تفاصيل كثيرة تعيها ذاكرتي ولا تتسع لها هذه الصفحات.. هذا الوالد القاسي في معاملته لي، تحول إلى أخ أكبر يستمع إلى كلماتي، بعد أن ساهمت في مد الأسرة بأربعة جنيهات شهريًا وهو المبلغ الذي كان يعادل مرتبه.

لكن هذا الوضع تغير للأسوأ بعد معرفته بانضمامي للحركة المصرية للتحرر الوطني، كيف حدثت هذه المعرفة؟

في يوم ما كان يشرف على تنظيف المنزل فاكتشف وجود مجموعة من النشرات التي كانت تصدرها الحركة المصرية للتحرر الوطني، فأصيب بالانزعاج ونقل الأوراق إلى منزل أحد أقاربنا.

ثم بدأ استجابي في حقيقة الانضمام إلى تنظيم شيوعي مصري ولما كنت معتدًا بسلامة وجهة نظري وموقفي لم أشأ أن أكذب عليه وواجهته بالحقيقة التي كانت حلوة بالنسبة لي، بقدر ما كانت مرة بالنسبة له.

منذ ذلك اليوم بدأ الخلاف بيني وبين والدي، بسبب إصراري على الاستمرار في النشاط السياسي، وكان ذلك الخلاف يشكل نموذجًا للخلاف بين الشباب الذي اندفع للعمل السياسي في تلك الفترة وأسرهم التي تتكون أساسًا من عائلات فقيرة.

فيما سبق ذكرت صورة من فقر أسرتي، ولذا كانت أمنية والدي التي يرددها دائمًا هي أن أخرج من الأزهر كأحد علمائه، وأن أتولى الصرف عليه وعلى هذه الأسرة الفقيرة، وكان عملي السياسي يتجسد أمامه كالصخرة التي تتحطم عليها آماله..

ولم يكن موقف والدي نابعًا من كراهية الفقراء وحب الأغنياء، بل نابعًا من خوفه من اضطهاد الأغنياء، وإذ يقول "يا بني ما تؤمن به في مصلحة الفقراء فعلاً، ولكن من يشترك في هذا العمل لا بد أن يكون غنيًا".

كان يتوسل إلي ودموعه في عينيه، وأحيانًا كان يبكي أمامي لأترك هذا الطريق الخطر في نظره، ولكنني كنت أرفض دائمًا وقد حاول إقناعي بمحاولة تأليف جهة واسعة من أقاربي للضغط علي وإقناعي، لكنني كنت أزيد إصرارًا على موقفتي.

وعندما فشلت محاولاته لجأ إلى طريق آخر قد ينجح في جذب شاب مثلي، وهو الوعد بالزواج فقد حاول تزويجي بإحدى بنات القرية التي تنتمي لعائلة غنية بالمقارنة بأسرتي، وتكفل بمصاريف زواجي وحياتي إلى أن أخرج، ولم تحقق هذه المحاولة أيضًا أية نتيجة.

ولجأ للأسلوب الأخير وهو طردي من المنزل عقابًا على إصراري في السير في نفس الطريق بعد افتعال معركة لا مبرر لها بيني وبينه.

وعلى عكس موقف والدي مني، كانت والدتي كثيرة البكاء لبعدي عنها، وكانت تحاول دائماً أن تراني وجهًا لوجه في منزل أقاربها من خلف ظهر أبي ودون أن يعلم هو بذلك، وكانت تبكي دائماً وتتوسل لي أن أعود للمنزل، ورغم تمزق قلبي نتيجة بكائها كنت أرفض العودة للمنزل بما يعني ذلك من تخلي عن الطريق السياسي الذي اخترته.

سنوات النضال الشيوعي

في الأزهر من ٤٥ - ١٩٤٨

في محضر النقاش الذي أجراه معي الدكتور رفعت السعيد وهو يستعد لإصدار كتابه (تاريخ التنظيمات اليسارية في مصر من ١٩٤٠-١٩٥٠) سجلت معلوماتي عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية في تلك الفترة، وبالذات عن الحركة المصرية للتححر الوطني (ح.م) التي انضمت إليها في ١٩٤٥، وعن الحركة الديمقراطية للتححر الوطني (حدثو). وقد يكون هناك بعض التداخل في الأحداث بين ما جاء في محضر النقاش وهذه الصفحات. وخاصة في الفترة من ٤٨-١٩٥٠.

ومن أبرز الأحداث في حياتي عن تلك الفترة أنني ساهمت بنشاط في تدعيم (قسم الأزهر) بالحركة المصرية ثم الحركة الديمقراطية للتححر الوطني بعد ذلك، كما ساهمت بنشاط في إنشاء (القسم النوبي) بالحركة المصرية ثم بالحركة الديمقراطية للتححر الوطني مع الرفاق زكي مراد، ومحمد خليل قاسم، وتمسكت بعضويتي في حدثو أمام موجة الانقسات التي انتقلت في ١٩٤٨.

الفصل من الأزهر عام ١٩٤٨

فصلت من الأزهر عام ١٩٤٨ وكنت آنذاك في السنة الثانوية الأزهرية بمعهد القاهرة الديني بالدراسة.

وكانت التهمة التي فصلت بسببها أنني "شيوعي" أما السبب المباشر للفصل أنني قاومت الترتيبات التي كانت تعد من إدارة الأزهر لإخراج مظاهرة طلابية أزهرية لتحية الملك فاروق في عيد ميلاده أو جلوسه.

وقد بذلت بالتعاون مع عناصر "حدثو" في المعهد وكنت مسئولاً سياسياً عنهم، مع التحالف مع الطلبة الوفديين جهداً كبيراً للحيلولة دون خروج تلك المظاهرة طبقاً للخطة الموضوعة من الإدارة ووصل نجاحنا إلى أن الطلبة لم يغادروا فناء المعهد، رغم أن الإدارة

رفعت علم الأزهر ليكون في مقدمة المظاهرة، ورغم أن مدرسي المعهد وكان من ضمنهم الشيخ أحمد حسن الباقوري اصطفوا في مقدمة المظاهرة.

الفشل في إخراج الماهرة كان صدمة للسراي ولإدارة الأزهر، وكانت تعدها فرصة مهمة للرد على مظاهرات الطلاب في الجامعة والمدارس الثانوية ضد الملك فاروق. بعد هذا النجاح بيومين، فصلت من الأزهر دون تحقيق أو مسائلة.

إضراب ٢١ فبراير ١٩٤٨:

رغم فصلي من الأزهر، ورغم الأوامر المشددة بمنع دخولي مبنى المعهد الديني بالقاهرة نجحت في أن أتسلل إلى فناء المعهد يوم ٢١ فبراير وأن ألقى خطبة وطنية في تلك المناسبة وأن أفنع الطلبة بالخروج في مظاهرة وطنية.

ألقي القبض عليّ لهذا السبب وقدمت للنيابة وحسبت على ذمة القضية أربعة أيام، وكان هذا بداية تاريخي مع المعتقلات والسجون في ظل الملك فاروق، ثم في ظل ثورة ٢٣ يوليو والسادات ثم حكم علي فيما بعد بثلاثة أشهر حبس في قضية المظاهرة هذه وقد نقلت من معتقل الهايكستب إلى سجن مصر لقضاء فترة العقوبة.

ورغم قرار الفصل من الأزهر كنت أعيش حياتي الكاملة وسط الطلبة الأزهريين في معاركهم الجماهيرية، وكان يساعدني في ذلك أنني كنت المسئول الأول عن قسم الأزهر في حديثي وكان لهذا القسم نشاط كبير في المعهد الثانوي وفي الكليات الأزهرية الثلاثة في القاهرة (الشريعة - أصول الدين - اللغة العربية).

وقد احتفظ قسم الأزهر بمجمل نشاطه بعيداً عن التيارات الانقسامية في ١٩٤٨، ويرجع هذا إلى أن قسم الأزهر (حتى قبل انضمامي إليه) تشكل في حضان الحركة المصرية للتححر الوطني، ولا أنكر دوري - مهما كان متواضعاً - في أن المحاولات الانقسامية لم تمتد إلى الأزهر.

كانت المنظمات الانقسامية، تلوك الأسانيد النظرية الواهية وتستشهد بتجارب البلدان الأخرى للتدليل على خيانة قيادة (حدثو) وكانوا يقولون إن الخط السياسي لتلك القيادة (خط قوات وطنية ديمقراطية) وليس خطأ ثورياً ولا اشتراكياً، وبالتالي فإن حدثو كانت في نظرهم منظمة لا تمثل الطبقة العاملة، والأغرب من ذلك أنهم كانوا يسوقون الأدلة الواهية على سلامة الموثق الانقسامى لتلك المنظمات.

وقد لعبت هذه الأطروحات دوراً في حشد العناصر وبالذات تلك التي تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة وراء تلك المنظمات الانقسامية، وخاصة في ظل ضعف الوعي النظري، وقلة الخبرة بأضرار الانقسامية.

ولكن بالنسبة لي لم يكن الموقف هو موقف المفاضلة بين أسانيد هؤلاء وهؤلاء، في المجال السياسي أو التنظيمي، بل كان اختياراً إلى جانب حدثو ضد الانقساميين على كافة فصائلهم باعتبار أن من بقى في حدثو بعد الانقسام كانوا أساساً هم عناصر (ح. م) قياديين وقاعديين، وكانت تقتي في ح. م وعناصرها القيادية والقاعدية لا حدود لها باعتباري قد تربيت في مدرستهم الكفاحية ما يقرب من عامين قبل انقسام حدثو، وكان مزاجي الفكري قد تشكل آنذاك على أن عناصر (ح. م) أكثر نضالية وأكثر شعبية، بينما عناصر (اسكرا) التي شكلت القلب الأساسي للانقسام كانت عناصر (في مجموعها) أقل نضالية ومنحدرة من طبقات وفئات غنية ومنتعشة مادياً.

ظللت أعمل في قسم الأزهر التابع لحدثو إلى جانب المعاونة في أعمال أخرى بمنطقة القاهرة، وساعد على ذلك أنني لم أعتقل في مايو ١٩٤٨ (حرب فلسطين) شأن كثير من كوادر حدثو آنذاك.

وفي النصف الثاني من ١٩٤٨ بدأت مرحلة جديدة من حياتي الثورية، هي حياة الثوري المحترف في منظمة شيوعية مناضلة.

بداية التفرغ الحزبي كثوري محترف

في المرحلة الأولى من حياتي الثورية ١٩٤٨/٤٥ لم أكن ثورياً محترفاً في الحرب، بل كنت مجرد عنصر حزبي أنتمي للصف الثالث من كوادر حدثو.

وكان يساعدني على القيام بالنشاط الحزبي آنذاك أنني كنت أتقاضى من الأزهر منحة شهرية، كنت أصرف منها على حياتي المعيشية وعلى نشاطي الحزبي في نفس الوقت، إلى جانب انتظامي في دفع الاشتراك المالي الحزبي شهرياً.

بعد خروج المنظمات الانقسامية من حدثو (العمالية الثورية - صوت المعارضة، نحو منظمة بلشفية) ناقشني الرفاق المسؤولون في حدثو (فؤاد عبد الحليم - حمدي عبد الجواد - محمد خليل قاسم - مصطفى طيبة - الأخوين عبد الفتاح وأحمد الهندي) وكانوا ينتمون جميعاً إلى النصف الثاني من حدثو، وكانوا يتولون المسؤولية في قيادة العمل الحزبي بعد اعتقال (هنري كورييل - سيد سليمان رفاعي - كمال شعبان - كمال عبد الحليم.. إلخ).

ناقشني هؤلاء الرفاق في أن أكون ثوريًا محترفًا بالحزب، في منطقة بحري وأن أترك القاهرة تمامًا.

كنت سعيدًا بهذا التقرير الدوري، وأحسست آنذاك أنني أدخل مرحلة ثورية جديدة في حياتي النضالية، وما زالت هذه السعادة تعيش في أعماقي حتى هذه اللحظة. ورغم أن خبرتي النضالية على تواضعها كانت في المدن (القاهرة) فقد قبلت دون أي تردد العمل في منطقة بحري.

ساعد على قبول هذه الأوضاع الجديدة في حياتي بعض العوامل، منها فصلي من الأزهر، وانقطاع صلتني بوالدي وأسرتي، بعد أن ساءت العلاقات بيني وبينه بسبب تمسكي باستمرار النشاط السياسي، كما ساعد عليه أنني كنت شابًا (٢١ سنة آنذاك) ولم أرتبط بعد بحياة زوجية.

أذكر هذه العوامل، لأن وجود ما يخالفها ويعاكسها كالحياة الأسرية التقليدية والمستقرة، وكبر السن، والارتباط بوظيفة برجوازية عوامل تثير التردد عند البعض في قبول الانخراط في سلك الثوريين المحترفين في العمل الحزبي.

وقد اكتشفت ذلك مع تجربتي مع الكثيرين ممن كنت أجري معهم نقاشات في قبول مهمة (الثوري المحترف).

فترة قصيرة في بحري ثم اعتقلت:

كان المسؤولون عن عملي في منطقة بحري هما (فؤاد عبد الحليم وحلمي عبد الجواد) وكانت بداية صلتني بهما هو ذلك العمل الجديد الذي أقوم به تحت إشرافهما.

وكانت هناك لجنة قيادية واسعة تشرف على العمل في بحري تحت إشراف (فؤاد عبد الحليم وحلمي عبد الجواد)، كنت عضوًا في هذه اللجنة، وكان معي حسبما أذكر (فهمي زغلول والعسكري "رزق" جندي المطافي بالزقازيق).

وكنتم منطقة بحري - مثل الأزهر - من المناطق التي لم تعبت بها يد الانقسامية، فقد كان ذلك العبث أساسًا في القاهرة والإسكندرية.

وكانت مهمتي الحزبية أن أشرف على العمل الحزبي في المحلة ودمنهوور، وكنتم أحس أن هذا النشاط في المدينتين لا يلبي رغباتي الثورية المليئة بالحماس، فقد كان صغر سني يعطيني طاقة هائلة للعمل الثوري.

لكن الزمن لم يمهلني لأعيش هذه التجربة في بحري بشكل كامل، وقبل أن أسرد وقائع القبض علي أسجل تجربة شخصية عشتها مع الرفاق في دمنهور.

كان عدد الرفاق في مدينة دمنهور قليلاً، وكان منهم موظف شركة الكوكولا (عبد المنعم مكي) والأديب القصاص (محمد صدقي) ويقال لا أذكر اسمه، وكان هناك آخرون وكانت تلك المدينة بعيدة عن التيارات والمنظمات الانقسامية ولكن الرفاق في تلك المدينة، كان يشوب نشاطهم نوع من الخوف والتردد، وخاصة بعد أن اتسعت الحملات البوليسية ضد الشيوعيين من اعتقال أو سجن.

وقد تجسد هذا الخوف في واقعة لا أنساها وأرردها دائماً أمام من ينتمون لتلك المدينة، والبطل الأساسي في تلك الواقعة كان (عبد المنعم مكي).

نزلت دمنهور ومعي قرش صاغ واحد في جيبى، ويجسد هذا الحياة القاسية للثوريين المحترفين آنذاك، وكنت أتوقع أن أغادر دمنهور ومعي بعض القروش القليلة في جيبى من (الاشتراكات - ثمن مجلة كفاح العمال التي كانت تصدر آنذاك).

بعد إقامة أربعة أيام في منزل (عبد المنعم مكي) وقبيل ساعات المغادرة، طلبت منه أن يعطيني بعض القروش، لأواصل سفري إلى طنطا فالمحلة الكبرى، وفوجئت باعتذاره عن إمدادي بمليم واحد من الاشتراكات وثمان المطبوعات، أو كسلفة شخصية أردّها إليه، وخاصة أنه يعرفني جيداً باعتباره من أبناء النوبة المصرية.

وبدا الأمر واضحاً، فتصرفه لم يكن بخلاً، بقدر ما كان خوفاً ورسالة منه، بأن لا أعود إلى دمنهور مرة أخرى، والرسالة كانت للمنظمة (حدثو).

كنت مطلوباً للاعتقال، ولذا لم أغامر بركوب القطار دون أن يكون في جيبى مليم واحد، غادرت دمنهور في الصباح وسرت على قدمي حتى وصلت كفر الزيات (حوالي ٦٠ كيلو)، وأشفق علي جندي مرور في الطريق الزراعي بعد مدينة كفر الزيات وتوسل إلى سائق سيارة نقل أوصلتني مدينة طنطا.

القبض علي في أغسطس ١٩٤٨:

كان السبب المباشر للقبض علي هو أن مباحث المحلة الكبرى اكتشفت أحد عناصر حدثو في مصنع المحلة الكبرى وكان شخصاً حديث العضوية، وبممارسة نوع من الضغط اعترف لهم بموعد لقائي معه ومكانه.

في المكان والزمان المحددين، تم القبض علي ورغم الضرب والتهديد والإغراء لم تتجح المباحث في انتزاع اعتراف مني رغم خبرتي الضئيلة في مواجهة أول حادث قبض بتهمة الانتماء لتنظيم شيوعي (حدثو).

بعد التحقيق بمعرفة النيابة تم ترحيلي إلى سجن طنطا العمومي، عشت هناك مع العامل الذي أعترف علي، ومع فهمي زغلول عضو منظمة بحري، وكانت أول مرة أرى فيها الحياة في السجون المصرية رأى العين.

كانت الحياة في سجن طنطا كنموذج للسجون الأخرى رديئة وكانت ظروفنا نحن الثلاثة المتهمين في القضية الشيوعية أكثر رداءة وقسوة.

كنا نقضي بضع دقائق في دورة المياه صباحًا وعصرًا، وفيما بين الفترتين كنا نحبس طول النهار وبطاطين مهلهلة بالليل، وكان يتخلل هذا الحبس الطويل طابور لمدة نصف ساعة في اليوم، وكنا نحن الثلاثة نسير حفاة الأقدام ونلبس ملابس السجن، داخل السجن وخارجه حين كنا نذهب للنيابة للتحقيق وللمحكمة حين نظر المعارضة في حبسنا.

وكنا نعيش على أكل السجن الرديء (قليل من الخبز مع بعض الملح والفلفل في الفطار - فول أو عدس في الغذاء - خضار لا قوام له بعض الأيام في الأسبوع في المساء).

رغم رداءة الأصناف المقدمة من الأكل كنا نلتهمها في ثوان لجوعنا الشديد، فطعام السجن لم يكن يكفي في ظل البرد القارس ولم تكن لنا أية قدرة مالية تساعدنا على شراء أكل إضافي من أكل السجن الذي يبيعه المسجونون العاديون.

وكان الحمام يتم مع بقية المسجونين معًا يبللون أجسادهم بالماء مع كمية قليلة من الصابون السائل، تزعم إدارة السجن أنها بدل الصابون.

وبين الحين والآخر كان حلاق السجن وهو أحد المسجونين يأتي إلى الحمام لإزالة شعر الرأس والعانة حتى لا تكون مخابئ للقمّل الذي كان ينتشر بكميات رهيبه بين المسجونين.

ودافع عنا أمام المحكمة الأستاذ/ عبد العزيز بيومي المحامي، وكان مكتبه آنذاك في شبين الكوم وبعد شهرين قررت غرفة المشورة الإفراج عنا.

في انتظار الترحيل إلى معتقل الهايكستب:

بعد الإفراج القضائي عني رحلت إلى البوليس السياسي في القاهرة؛ حيث قابلني الضابط (حجازي) وبعد عدة أسئلة قرر احتجائي في قسم بولاق تمهيدًا للترحيل إلى معتقل الهايكستب.

كنت احتجز في غرفة واسعة جدًا بمفردي، في جو شديد البرودة دون غطاء أو فرش من أي نوع كان، وكان المخصص لي من الأكل من إدارة قسم البوليس ثلاثة أرغفة دون أي نوع من الطعام، ولم أكن أملك مليمًا أشتري به طعام.

كنت أقضي معظم وقت الليل دون نوم، فقد تحالف ضدي الجوع والبرد معاً.
كنت أسير طول اليوم في الغرفة الواسعة، علني أرقد من التعب وأتمكن من النوم ليلاً.

وأحياناً كنت اضطر للنوم نهاراً لبعض الوقت، ولكن النوم لم يكن يداعب جفوني إلا نادراً في الليل.

من شدة الإرهاق كنت أتوسد يدي ليلاً وأتكور بحثاً عن الدفء، وقد أغفو لمدة ربع ساعة أقوم بعدها وأنا في حالة ارتعاش لا يوصف من البرد، اضطر بعدها إلى السير في الغرفة بحثاً عن قليل من الدفء.

كان هذا المنظر يتكرر كثيراً كل ليلة، سير تعقبه إغفائه، ثم رعدة برد، أسير بعدها مرة أخرى.

حينما أتذكر الآن وأنا أكتب هذه السطور أتساءل كيف احتملت تلك المعاناة لمدة ١٥ يوماً، أجد الإجابة في سببين أولهما صغر سني وقوة الشباب الجسمية.

ثانيهما ارتفاع روحي المعنوية وما كنت أتميز به من إرادة وعناد في مواجهة مثل هذه الظروف.

بعكس هذا العناد وبصورة أبلغ تصوير أن منزل أسرتي حيث يعيش والدي وأخوتي الصغار كان على بعد ٣ كيلو مترات من قسم بولاق، ومع هذا صممت على ألا ألجأ إليهم فإلى جانب العناد كان هناك حماس الشباب ورعونته، واتخذت موقف عدم اللجوء للأسرة وأنا في حالتي هذه، رغم إدراكي الآن أنه بمجرد اللجوء للأسرة، كانت ستبادر للحضور.

فلم يكن موقف الأسرة مني، وخاصة موقف الوالد مني نابغاً من كراهية لي. بل كان حرصاً منها على إبعادني عن النشاط السياسي مما يسببه من معاناة لي ولهم في نفس الوقت.

باختصار اتخذت موقفاً خاطئاً فيه كثير من الرعونة وحماس الشباب، والمراهقة التي ترتبط بالتمرد على الأسرة.

بعد ١٥ يوماً رحلت إلى معتقل الهايكستب الذي كان يقع على بعد ١٨ كيلو متر من القاهرة.

وكانت معسكرات الهايكستب - في الأصل - مخصصة للجيش الإنجليزي في فترة الحرب العالمية الثانية.

وكان معتقل الهايكستب عبارة عن عدة أبنية منفصلة، كل بناء يحيط به سور من الأسلاك الشائكة. كان المبنى الأول مخصصاً للإدارة والشيوعيين اليهود، وكان من ضمنهم (هنري كورييل - شحاتة هارون وآخرون).

أما المبنى الثاني فكان مخصصاً للشيوعيين المصريين، وأضيف إليهم معتقلوا الإخوان المسلمون بعد ذلك.

أما المبنى الثالث فكان مخصص للصهيونية.

وصلت معتقل الهايكستب وأنا منهك الصحة رث الثياب ولأول مرة منذ أكثر من شهرين تلمس جسمي ماء ساخنة وصابونة، وأذكر أن الزملاء قرروا خوفاً على صحتهم جميعاً التخلص بالحرق من الملابس الرثة التي كنت ألبسها طوال فترة احتجازي في قسم بولاق، وأن يهدوني ملابس أخرى جديدة بدلاً عنها.

بعد الاستقبال الحماسي من الزملاء، وبعد الحمام الساخن وارتداء الملابس الجديدة ابتدأت التعرف على معتقل الهايكستب.

التعرف عن قرب بالمنظمات الشيوعية في معتقل الهايكستب:

أجزاء هامة من قيادات تلك المنظمات وغيرها الأساسية كانت موزعة في عامي ٤٨، ١٩٤٩ بين سجن مصر، وسجون مصرية أخرى ومعتقل الهايكستب.

في سجن مصر وبعض السجون المصرية كان بها الرفاق المتهمون في قضايا شيوعية، أما معتقل الهايكستب في القاهرة، وأبو قير في الإسكندرية فكانا مخصصان للمعتقلين.

وكانت التنظيمات المتواجدة في الهايكستب هي (حدثو - العمالية الثورية - م. ش. م - الفجر الجديد - عناصر محدودة جداً من جات).

وليس في الإمكان، كما أنه ليس ضرورياً أن نذكر أسماء العناصر القاعدية التي تنتمي لتلك التنظيمات، إنما كانت هناك ظاهرة ملفتة للنظر، هي انفراد تنظيم حدثو بوجود عناصر سودانية ضمن معتقليها في الهايكستب أذكر منهم (التيجاني الطيب - عبد الرحمن عبد الرحيم الوسيلة - عبده دهب - سوداني جنوبي كان اسمه "تيدي لاركت جيمس").

كما كانت حدثو تنفرد في هذا المعتقل بوجود عناصر نوبية ضمن معتقليها كان من ضمنهم المرحوم المناضل والشاعر النوبي (محمد خليل قاسم وكاتب هذه السطور).

كان في معتقل الهايكستب من قيادات حدثو (هنري كورييل - سيد سليمان رفاعي - كمال شعبان - صبحي زغلول - جوماتالون).

ومن قيادات العمالية الثورية (عبد المعبود الجبلي - عبد الرحمن الناصر - عدلي جرجس - محمد شطا).

ومن قيادات م. ش. م (ميشيل كامل).

ومن قيادات الفجر الجديد (يوسف درويش - محمود العسكري).

وكان قائد جات هو الدكتور (عصام جلال).

والمستوى المعيشي للمعتقلين في الهايكستب كان مرتفعاً، إذا قارناه بحياة الشيوعيين في السجون المصرية آنذاك، أو بما آل إليه الأمر - من الناحية المعيشية - في معتقل الطور (١٩٤٩).

كانت المخصصات الحكومية للإعاشة كبيرة، إلى جانب ما يرد من زيارات الأهالي من هدايا.

ويمكن أن نسجل لرفاق حدثو آنذاك، أنهم كانوا يدخرون جزءاً هاماً من موارد المعتقل من أجل مساعدة الرفاق الذين يعملون في الخارج، وكذلك مساعدة بعض أسر المعتقلين من العمال محدودي الدخل.

ما هي القضايا التي كانت تشغل الرفاق في المعتقل:

قبل سرد هذه القضايا (حسبما تعي الذاكرة) يمكن القول بأن المناقشات الفكرية الخصبة داخل معتقل الهايكستب ثم معتقل الطور بعد ذلك، تلك المناقشات التي دارت بين التنظيمات المختلفة المتواجدة في هذين المعتقلين في شكل ندوات واجتماعات واسعة إلى جانب تبادل التقارير المكتوبة، قد شكلت الأساس الفكري العام الذي سار عليه العمل في حدثو وخاصة بعد الإفراجات الشاملة (يناير وفبراير ١٩٥٠).

وهذه المناقشات وإن لم تكن متطابقة تماماً مع المناقشات التي تدور بين التنظيمات المختلفة خارج المعتقلات والسجون، من خلال النشرات وغيرها من وسائل النقاش غير المباشر إلا أنها كانت جزءاً من تلك المناقشات وخاصة في قضايا تحديد طبيعة الثورة القادمة، ومدى سلامة أو خطأ اقتصار العمل الشيوعي وسط العمال كما كانت تطالب م. ش. م، أو الاقتصار على العمل النقابي والاقتصادي، كما كانت ترى (الفجر الجديد) وكانت تلك المناقشات أكثر غزارة وفائدة لأسباب ثلاثة:

أولاًها: وجود عناصر قيادية من التنظيمات المختلفة وخاصة (حدثو) والعمالية الثورية وكان يلعب من جانب (حدثو) دوراً هاماً في هذه المناقشات (سيد سليمان رفاعي وكمال شعبان).

ثانيها: الوقت الهائل المكرس للمناقشات وإعداد الدراسات والأبحاث بعد أن انعدم الجانب العملي نتيجة الاعتقال.

ثالثها: توفر جميع المراجع النظرية بعد ترجمتها للعربية.

ومن نماذج المناقشات التي دارت في تلك الفترة نسوق الأمثلة التالية:

(١) تقييم دور اللجنة الوطنية للطلبة والعمال:

كان عناصر حدتو أساساً، ومعهم عناصر (العمالية الثورية) تقيم إيجابياً دور هذه اللجنة، باعتبارها التشكيل السياسي العلني الجماهيري الذي قاد نضال الشعب في فترة هامة من تاريخ الشعب المصري، وكانت المناقشة تسجل إلى جانب ذلك أهم وأبرز سلبيات هذه اللجنة وهي أنها لم تجذب إلى صفوفها ممثلي الفلاحين ويبدو لي شخصياً أن الظروف آنذاك (١٩٤٦) لم تكن تساعد على جذب الفلاحين إلى هذه اللجنة؛ حيث لم يكن العمل الشيوعي المنظم قد اتجه إلى صفوف الفلاحين بعد، وقد أثبتت تجربة هذه اللجنة، وكافة الأشكال الجبهوية التي تواردت على مصر بعد سنة ١٩٤٦ أن اتساع أشكال الجبهات والتحالف تتسع وتضيق حسب نفوذ الشيوعيين ودورهم السياسي والتنظيمي بالتالي.

وبما أن نفوذ الشيوعيين كان بارزاً -آنذاك- في مجالات العمال والطلاب، فإن شكل اللجنة الجبهوي في تلك الفترة لم يكن من المتاح لها أن تتخذ غير شكل (لجنة الطلبة والعمال).

وكانت عناصر الفجر الجديد وكان يمثلهم في تلك المناقشات الزعيم النقابي (محمود العسكري) تقلل من الدور الإيجابي للجنة الوطنية للعمال والطلبة وترى أن هبات تلك الفترة - بشكل عام - هبات تلقائية وعفوية لم تلعب فيها الحركة الشيوعية المصرية دوراً قيادياً.

الموضوع الثاني الذي استغرق الكثير من المناقشات كان حول "الفكر الاقتصادي والثقافي" لجماعة الفجر الجديد.

وكان داعية هذا التفكير في المعتقل (محمود العسكري) يعتبر أن دخول المنظمات الشيوعية في منطقة شبرا الخيمة العمالية يمثل كارثة للطبقة العاملة المصرية، ووصف أعداء هذه الفكرة بأنها الترجمة المصرية لفكر الاقتصاديين في روسيا، وهو الفكر الانتهازية الذي تصدى له الرفيق "لينين".

وفي خضم الصراع الفكري ضد جماعة الفجر الجديد التي كانت تطالب بابتعاد الشيوعيين عن العمل بين العمال، ترجم (عبد الرحمن الناصر) وعمر رشدي كتاب "ما العمل" للرفيق "لينين"، واستفاد الشيوعيون في المعتقل من ترجمة هذا الكتاب للغة العربية، فقد كان

سلاحاً فكرياً هاماً ضد مقولات جماعة الفجر الجديد عن ضرورة ترك الحركة النقابية والعمالية في حالة استقلال كامل عن التيارات السياسية للمتقنين المصريين بما فيها التيارات الشيوعية المصرية.

كانت عناصر "حدثو" و "العمالية الثورية" تدافع عن فكرة العمل الشيوعي وسط العمال وحتى لو كانت بدايات العمل وسطهم من خلال المتقنين باعتبار أن الوعي السياسي الطبقي للطبقة العاملة لا يمكن أن ينقل إليها إلا من خارجها، وخاصة من خلال المتقنين الذين تبنوا النظرية الماركسية اللينينية.

لقد كانت عناصر (الفجر الجديد) تعتبر أن بداية الكارثة لحركة الطبقة العاملة هي بداية احتكاك المتقنين الماركسيين بها، ناهيك عن سبب النظرية الماركسية والقادة الماركسيين.. ومن هنا فالتحليل النهائي لعناصر الفجر الجديد في المعتقل أنهم كانوا مجرد (عناصر نقابية) مشبعة بالكفاح والفكر الاقتصادي والنقابي.

٣) العمل وسط الفئات الشعبية الأخرى:

هذا الموضوع نال اهتماماً كبيراً في المناقشات بسبب أن الأسس الفكرية التي قام عليها انقسام (م. ش. م) في سنة ١٩٤٨ هي:

ضرورة العمل وسط العمال بنسبة ١٠٠%، وكانت هذه الفكرة مغرية وجذابة لعناصر البرجوازية الصغيرة من الطلبة والمتقنين، وقد اعتمدوا على كتيب للرفيق "لنين" عن مهام الاشتراكيين الديمقراطيين الروس، رغم تباين ظروف مصر عن ظروف روسيا التي كان يعالجها الرفيق "لنين".

ومما ألهب النقاش في هذا الموضوع أن العمالية الثورية - خوفاً من الإرهاب الفكري الذي تشنه "م. ش. م" في هذه القضية - كانت تطالب بالعمل وسط العمال بنسبة ٧٠% أو ٨٠%؛ أي إن الفرق الرقمي بين موقف (م. ش. م) وموقفها كان يتراوح بين ٢٠، ٣٠%. كانت حدثو تدافع عن ضرورة العمل الشيوعي وسط كل فئات الشعب وخاصة الكادحة منها، مع التركيز على العمل وسط الطبقة العاملة.

ومرة أخرى، فإن كتاب "ما العمل" كان المرشد النظري في هذه القضية.

٤) وكان الموضوع الرابع هو تحديد طبيعة المرحلة الثورية، بمعنى هل هي ثورة وطنية ديمقراطية؟ أم ثورة اشتراكية؟

كانت م. ش. م ترى أن الثورة القادمة في مصر ثورة اشتراكية وبالتالي فإن الطبقة العاملة في نظرها هي الطبقة الثورية الوحيدة، وما عداها من الطبقات تتراوح بين الخيانة

والتهادن والتردد، وحتى البرجوازية الصغيرة اعتبرت في نظر م. ش. م فئة مترددة وقد كان هذا الأساس الفكري الخاطئ هو الباعث على تبني م. ش. م لشعارات ١٠٠% بين العمال، بما يرتبط بذل من إدانة الاهتمام بتشكيل جبهة وطنية ديمقراطية واسعة، ومجمل هذه الأفكار هو الذي دفع قادة م. ش. م إلى التطرف في اتهام قيادة حدثو آنذاك (بالخيانة والانتهازية). ومن هنا كان طبيعيًا أن تنال هذه القضية الفكرية والسياسية اهتمامًا أكبر في المناقشات.

فكر حدثو في المناقشات تبلور بشكل محدد في الثورة القادمة (ثورة وطنية ديمقراطية) من نوع جديد، وأن الطبقة العاملة هي قائدة الثورة الوطنية الديمقراطية، وأن عليها أن تشكل جبهة وطنية ديمقراطية واسعة تضم (البرجوازية الصغيرة في المدن والريف والمتقنين والبرجوازية الوطنية) تحت قيادة الطبقة العاملة.

وحسبما أذكر فإن فكر (ع. ث) كان قريبًا من تفكير حدثو.

وكانت كتابات ستالين عن مراحل المستعمرات وموقف الشيوعيين في كل مرحلة مرشدًا نظريًا في هذا الصدد، وهذه الكتابات كانت قد ترجمت إلى العربية في المعتقل.

أدوات المناقشة:

كانت المناقشات حول الموضوعات الأربعة التي أشرنا إليها تدور من خلال وسائل عديدة منها:

- تبادل التقارير المكتوبة بين المنظمات المتواجدة في المعتقل.
 - الاجتماعات الواسعة التي كانت كلمات مندوبين فيها تتخذ شكل المناظرة بين وجهات النظر المختلفة.
 - تبادل وجهات النظر في اجتماعات (لجنة الاتصال بين المنظمات).
- وكانت مشكلة من مندوب أو اثنين عن كل تنظيم، وكانت هذه اللجنة تقوم بدور التنسيق الكفاحي فيما يهم شئون المعتقلين.

تثقيف وتربية رفاق حدثو في المعتقل:

كانت المناقشات الواسعة تلعب دورًا في تثقيف زملاء حدثو، لكن كانت هناك أيضًا - إلى جانب المناقشات بين التنظيمات المختلفة - ومناقشات ذات طبيعة داخلية خاصة بأعضاء حدثو فقط.

وحسبما أذكر دارت مناقشات واسعة لتحسين الزملاء ضد الاتجاهات الانقسامية، بتبيان أسسها الفكرية والسياسية والتنظيمية، والرد عليها من وجهة نظر حدثوا، وفي هذه المناقشات تأصلت فكرة "التيارين" الثوري والانتهازي في الحركة الشيوعية المصرية، إلى جانب تحديد الوسائل الكفيلة بتحقيق الوحدة والتي تتلخص في التنسيق في العمل الجماهيري إلى جانب المناقشات حول المسائل المختلف عليها.

كما أقيمت عدة محاضرات عن (تاريخ مصر) قام بإلقائها وإدارة الحوار حولها الأستاذ الأزهرى/ أبو الحسن الغنيمي، كما درس رفاق حدثوا بشكل فردي وجماعي في هذا المعتقل كتابات لينين وستالين التي ترجمت إلى العربية.

لا عزلة عن الشعب المصري ولا عن الرأي العام العالمي:

كان الغرض - من وجهة نظر الحكومات الرجعية- من اعتقال الشيوعيين وسجنهم هو عزلهم عن الشعب والرأي العام العالمي، ولإفساد هذا الغرض كانت قيادة حدثوا في المعتقل وخاصة الرفيق (هنري كورييل) يشدد دائماً على أن:

١- أن يكتب الرفاق في المعتقل لأصدقائهم خارج المعتقل خطابات في المناسبات السياسية المختلفة، يوضحون فيها الرأي ويطالبون بالإفراج عن المعتقلين السياسيين وإلغاء الأحكام العرفية.

٢- وكذلك الكتابة للهيئات الديمقراطية العالمية، وأذكر شخصياً أن "كورييل" طلب مني أن أكتب تقريراً عن حالة الطلبة الأزهريين ومشاكلهم لإرساله "لاتحاد الطلبة الديمقراطي العالمي" ونظراً لأنني كنت قد انعزلت عن حياة الأزهر مدة من الزمن ترددت في الكتابة قائلاً إن المعلومات المتواجدة لدي قليلة الآن وأن هناك ظروفًا جديدة نشأت لا أعرف عنها شيئاً.

قابلني "كورييل" وأثار معي نقاشاً واسعاً جوهره أن المعلومات التي أتفه من شأنها ستكون هامة جداً لاتحاد الطلبة الديمقراطي العالمي باعتباره لا يعرف شيئاً عن هذه المعلومات.

الترحيل إلى معتقل الطور:

وفي بدايات ١٩٤٩ أو نهايات ١٩٤٨ قررت الحكومة فتح معتقل الطور، وترحيل الشيوعيين والإخوان إلى هناك، كما تقرر إبقاء (الطلبة الشيوعيين) وكذلك (اليهود الشيوعيين) في معتقل الهايكستب.

ولأول مرة يفتح معتقل الطور للسياسيين (شيوعيين وإخوان) فقد كان هذا المعتقل مخصصاً للأشقياء قبل ذلك، وعناصر الطور هذه هي العناصر التي يقيم بها الحجاج المصريون عند عودتهم من الحج.

استقل المعتقلون الشيوعيون الباخرة (عايدة) من السويس إلى معتقل الطور، وهناك خصص معسكر كامل (مكون من عدة عناصر وغرف) للشيوعيين، كما خصص أكثر من معسكر للإخوان المسلمين.

الحياة المعيشية في معتقل الطور كانت رديئة جداً، فنصيب المعتقل الواحد كان ٥٥ مليماً، وكان على المتعهد أن يقدم لنا وجبات الأكل طوال اليوم في حدود هذه المبالغ، وبالتالي هبط المستوى المعيشي للمعتقلين الشيوعيين والإخوان المسلمين هبوطاً قطعياً ومفاجئاً - وكانت الأكلات الدائمة التي تقدم لنا (الفاصوليا الناشفة والعدس وحببات من الزيتون).

وقد أنقذ الموقف إلى حد ما طرود الأطعمة التي ترسل لنا من الزملاء المعتقلين الباقين في الهايكستب أو من بعض الأهالي ذوي المقدرة المالية.

وقد اضطر المعتقلون الشيوعيون في معتقل الطور إلى الإضراب عن الطعام حوالي (١٧ يوم) بهدفين:

أولاهما: غلق معتقل الطور وإعادة المعتقلين مرة أخرى إلى القاهرة.

ثانيهما: تحسين المستوى المعيشي.

وقد استمرت المناقشات السياسية في معتقل الطور، كما كان الشأن في معتقل الهايكستب وأقيمت أيضاً "لجنة الاتصال بين التنظيمات المختلفة لإدارة الحوار وفي نفس الوقت التنسيق الكفاحي فيما يتعلق بشئون المعتقلين".

ظواهر جديدة في معتقل الطور:

برزت في معتقل الطور ظواهر جديدة ملفتة للنظر وهي على سبيل المثال:

- ١- انتقال عدوى انتخاب القيادة الحزبية في المعتقل من صفوف (ع. ث) إلى حدثو، فبمجرد استقرارنا في معتقل الطور، انعقد اجتماع واسع لزملاء حدثو طرحت فيه فكرة انتخاب قيادة حزبية للمعتقل، ورغم أن حدثو تنظيم سري، ورغم وجود قادة حدثو ذوي التجربة أمثال كمال شعبان، فقد أخذ الجميع بما فيهم القادة بفكرة الانتخاب، والقيادة التي انتخبت كان من ضمنها كمال شعبان، وعبد الفتاح الهندي، والمهندس بشرى سعد الله ومما يدل على خطأ فكرة الانتخاب في الظروف السرية أن المهندس بشرى سعد الله وكان رفيقاً حديثاً جداً فاز على محمد محمد شطا الذي كان قد نقد



نفسه عن انقسامه وعاد لحدثو، فاز بشرى سعد الله لأنه كان مثقفًا ويقدم بعض الخدمات للزملاء في مجال التعليم والتثقيف، وكانت له علاقات حسنة بالرفاق بما يتميز به من دماثة في الخلق رغم أنه لم يكن يملك ما يملكه شطا من رصيد أو خبرة نضالية. وقد ترك بشرى سعد الله الكفاح الشيوعي فور خروجه من المعتقل بينما استمر "شطا" في النضال.

٢- انتشار عدوى الاتهام البوليسية، فقد حمل (محمود العسكري) هذه الراية عاليًا، وهناك العديد ممن اتهموا بالبوليسية في معتقل الطور، وكان من أبرزهم (محمد أبو الحسن الغنيمي العالم الأزهرى) ورغم تمسك حدثو بالدفاع عنه، ووقفتها ضد حملة التشهير بالبوليسية، سرت هذه العدوى، وكانت تعقد لها اجتماعات واسعة تشمل كل المعتقلين الشيوعيين كان (محمود العسكري) يصل فيها ويجول وكأنه وكيل نيابة في قاعة محكمة.

٣- تم نقل بعض الشيوعيين من أعضاء حدثو من الجيش كانوا يعملون كفنيين في سلاح الطيران من الخدمة العسكرية وتم ترحيلهم جميعًا إلى معتقل الطور وكان هؤلاء منفيين بالوحدات منذ قيام حرب فلسطين في مايو سنة ١٩٤٨ بعد أن اتخذوا موقفًا شجاعًا في معارضة حرب فلسطين،... وكما كانت حدثو متميزة ومنفردة بميزة وجود شيوعيين سودانيين ونوبيين بها في الهايكستب، أصبحت متميزة بأنها الوحيدة التي لها عسكريون سابقون معتقلون.

٤- كانت هناك نواة خطة لقيادة حدثو في معتقل الطور، لتهريب عدد من رفاقها من المعتقل وفي اعتقادي أن من ضمن أسباب عدم تنفيذ هذه الخطة هو عودة المعتقلين مرة أخرى إلى الهايكستب بعد ذلك.

غادرت معتقل الطور بمفردي في ١٩٤٩ إلى سجن مصر لقضاء فترة عقوبة (حكم ثلاثة أشهر) على إخلالي بنظام الأزهر في فبراير ١٩٤٨ (حسبما ذكرت في الصفحات السابقة)، عندما أنهيت مدة العقوبة وعدت إلى معتقل الهايكستب، كان عدد من المعتقلين قد أفرج عنهم في ظل وزارة حسين سري التي شكلت للإشراف على الانتخابات البرلمانية، ولم يبق إلا العدد القليل في انتظار الإفراج عنه بعد تشكيل الوزارة.

هنري كورييل لعب دورًا في تربيتي كمناضل شيوعي:

... في الفترة من صيف ٤٥ على ١٥ مايو ١٩٤٨، كنت أُنقِلُ نادرًا مع هنري كورييل، وكانت لقاءاتي معه تتم من خلال اجتماعات قسم الأزهر في ح. م وحدثو، ولكن بعد

اعتقالي في الهايكستب وبالذات قبيل الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين كنت قريباً منه وأسكن معه في عنبر واحد.

وقد انتهز "كوريل" فترة التحضير لتحديد موقف حدثو في انتخابات البرلمان في ١٩٥٠، وكلفني باسم المجموعة المركزية في الهايكستب بصياغة ذلك التقرير، وكانت يستهدف من ذلك تدريبي على الكتابة السياسية، يؤكد ذلك أن هناك كثيرين كانوا أقدر مني على كتابته.

ترددت في الكتابة فشجعتني عليها، وراجع معي ما أكتبه أكثر من ثلاث مرات وحرص على ألا يبدي ملاحظاته كلها مرة، حتى لا يصيبني بالإحباط، في كل مرة من مرات المراجعة كان يثير بعض الملاحظات، إلى أن اكتمل التقرير في صورته النهائية، وأذكر أن الكتابة الأولى للتقرير كانت مليئة بالعبارات البلاغية الخالية من أي مضمون سياسي عميق، كان ذلك بسبب ضعف الخبرة في الكتابة السياسية إلى جانب تأثري الشديد بالأسلوب البلاغي الأزهري في الكتابة.

ومنذ ذلك الحين، تشجعت في ممارسة الكتابة السياسية وما مارسه كوريل معي، هو ما يجب أن يمارس في تربية الكوادر الشابة.

جوهر موقف حدثو من انتخابات البرلمان في ١٩٥٠:

دارت تلك الانتخابات البرلمانية وبعض عناصر حدثو في المعتقل، ومع ذلك حرصت قيادة حدثو أن تحدد موقفها تماماً من تلك الانتخابات، وتحدد جوهر موقفها من الأولويات التالية:

- إذا كان هناك مرشح شيوعي في إحدى الدوائر فهو الأولى بالتأييد والمساندة.
- إذا لم يتوافر مثل هذا المرشح الشيوعي فإن أي مرشح من العمال يجب أن ينال تأييد حدثو.
- ونظراً لأن حزب الوفد كان المنافس الأساسي لمرشحي أحزاب الأقلية والسراي، فقد تبلور الخط العام لحدثو في تأييد مرشحي الوفد في الدوائر التي تخلو من مرشحين شيوعيين أو عمال.

محاولات البوليس لترحيلي للسودان:

كما قلت في الصفحات السابقة كان هناك سودانيين في المعتقل من أعضاء حدثو ومع بدايات ١٩٤٩، تم البدء في ترحيلهم إلى السودان.

قبل الإفراج النهائي عن الشيوعيين في ١٩٥٠ فوجئت باستدعائي إلى البوليس (قسم شئون الأجانب) بهدف ترحيلي للسودان، بحجة أنني "سوداني الجنسية" ولست مصريًا. رفضت الترحيل مقررًا أنني "مصري" لحمًا ودمًا وبعد أن أدليت بكافة المعلومات والبيانات التي تثبت "مصريتي" ألغي قرار الترحيل المفاجئ، واحتجزت في سجن الأجانب على حين التأكد من صحة البيانات التي أدليت بها، وبذا كنت آخر معتقل شيوعي يفرج عنه، ويستأنف نشاطه الشيوعي من جديد في فبراير ١٩٥٠، بعد فترة سجن واعتقال دامت أكثر من سنة ونصف.



النضال الشيوعي في مصر

من ١٩٥٠ - ١٩٥٢

الظروف السياسية وال جماهيرية:

انتهت الانتخابات بنجاح حزب الوفد وتكليف الزعيم "النحاس باشا" برئاسة الوزارة، وكان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا.

واتسمت هذه الفترة بنهضة عامة للحركة الجماهيرية والسياسية، وبوقوع أحداث هامة كان من أخطرها وأهمها إلغاء معاهدة ٣٦ وبدء الكفاح المسلح في القتال.

وضع الحركة الشيوعية المصرية في تلك الفترة:

لم يبق من الشيوعيين معتقل واحد، إنما كان هناك عدد لا بأس به من الشيوعيين يقضون فترات العقوبة في السجن، ما بين ٧ سنوات و ٣ سنوات، وصدرت تلك الأحكام بالسجن في فترة الأسود ٤٨-١٩٥٠ من الدائرة العسكرية التي كان يرأسها المستشار حسين الطنطاوي.

وبرغم هذا فإن معظم الشيوعيين كان خارج السجن آنذاك - والتنظيمات الشيوعية التي تواجدت في الساحة في بدايات ١٩٥٠.

١- الحركة الديمقراطية للتححر الوطني (حدثو) وكان من زعمائها (كوريبيل - سيد سليمان رفاعي - كمال عبد الحليم - كمال شعبان - محمد شطا).

٢- نحو حزب شيوعي مصري (نحشم)، وكانت نتاج وحدة بين (العمالية الثورية - ونحو حزب شيوعي (نحش)، ورفاق من حدثو انضموا إليه) وكان من زعمائها الرفاق (زكي مراد - أحمد الرفاعي - عبد المنعم إبراهيم - جمال شلبي - سيف الدين محمد صادق - فكري الخولي .. إلخ).

٣- الحزب الشيوعي المصري (الراية) الذي تأسس في نهايات ١٩٤٩ في الأساس من عناصر مصرية عادت من فرنسا، ومجموعة المطبعة التي انشقت عن حدثو، وعناصر من العصابة الماركسية، وكان من زعمائها (الدكتور فؤاد مرسى والدكتور إسماعيل صبري عبد الله وداود عزيز - سعد زهران - مصطفى طيبة).



٤) الفجر الجديد أو د. ش:

وكان من زعمائها (أبو سيف يوسف - صادق سعد - ريمون دوين - يوسف درويش - حلمي يس).

٥) وكانت هناك تنظيمات أو حلقات أخرى منها مثلاً "نواة الحزب الشيوعي" بزعامة فوزي جرجس، و "النجم الأحمر" بزعامة عدلي جرجس وكان إنشقاقاً عن تنظيم نحشم، ومجموعة (جات) وأبرز أشخاصها الدكتور (عصام جلال - أحمد طه - إسماعيل جبر - صلاح سلمي).

كان هذا واقع الحال في فبراير/ مارس ١٩٥٠، ونلاحظ على هذه الخريطة الملاحظتين الأساسيتين التاليتين:

الأولى: أن تنظيم م. ش. م رغم أنه كان أضخم انقسام حدث في حدثو عام ١٩٤٨، قد تلاشى تماماً في هذه الفترة تقريباً، كان السبب الرئيسي وراء هذا التلاشي هو الموقف اليساري المتطرف الكامل في السياسة والتنظيم الذي انتهجته قيادة هذا التنظيم (منها سلامون وزوجته) هاجر للخارج، ومنها أن جزءاً لا بأس به من عضوية هذا التنظيم كان يقضي فترة عقوبة السجن ومنها انتشار حالة الريبة والتشكك بين عناصر هذا التنظيم بعد أن انتشرت عدوى الاتهام بالبوليسية والخيانة لأتفه الأسباب، وهي العدوى التي ساعدت على نشرها قيادة هذا التنظيم.

المهم أن العضوية الواسعة التي امتصتها قيادة م. ش. م من حدثو، قد ركنت (ماعداد بعض الاستثناءات) إلى حياة الدعة والهدوء بعد أن أعماها اليأس وفقدت الأمل في تحقيق أية نجاحات من وراء السياسة اليسارية التي انتهجتها قيادة م. ش. م.

الملاحظة الثانية: أن قيادة (ع. ث التاريخية، عبد المعبود الجبلي وعبد الرحمن الناصر، وعبد العظيم أنيس، التي طالما شنت الهجوم السياسي والتنظيمي على قيادة حدثو طوال فترة الاعتقال وقبله، انتهزت أول فرصة وسافرت للخارج لنيل شهادة الدكتوراه بعد أن سهل لها الأمر وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين).

استمرار الصراع بين التيارين من ١٩٥٠ - ١٩٥٢:

في الفترة من ١٩٤٠ - ١٩٥٠ دار صراع بين المنظمات الماركسية المختلفة وظهرت خلافات بينها وعبر هذا الصراع وتلك الخلافات عن وجود تيارين في الحركة الشيوعية المصرية، أحدهما التيار الثوري جسده ج. م ثم حدثو بعد ذلك، أما ثانيهما فكان التيار الانتهازي مهما كان الأسماء التي أطلقت على منظمات تلك الفترة سواء كانت منقسمة

من ح. م أو حدثو أو نشأت مستقلة، وكافة القضايا التي ارتبطت بكفاح الشعب المصري والطبقة العاملة المصرية في تلك الفترة.

حدثو تخرج من المعتقل في فبراير ١٩٥٠:

خرجت "حدثو" من المعتقل مثل بقية التنظيمات خرج أعضاؤها وكذلك قيادتها. خرج من قادة حدثو (كوريل - سيد سليمان رفاعي - محمد شطا - كمال شعبان) والتقى هؤلاء القادة بقيادة حدثو في الخارج (كمال عبد الحليم - والسوداني الجنيد علي عمر). وقد التقت القيادة معاً بعد طول فراق لما يقرب من عامين وكانت المسألة المحورية لنقاشاتها هي كيفية استئناف العمل في الظروف الجديدة من الناحيتين الجماهيرية والتنظيمية. هذا بينما بعض قيادة (ع. ث) (عبد المعبود الجبلي - عبد الرحمن الناصر - عبد العظيم أنيس) سافروا لخارج مصر بتسهيلات من فؤاد سراج الدين أو بالاتفاق معه.

وهذه البداية سواء كانت نضالية، كما حدث لقادة حدثو أو هروبية كما حدث لبعض قادة (ع. ث) ترينا كيف أن المسألة الأساسية في إنشاء عمل سياسي ما أو تطويره يتوقف على دور قيادي والعكس بالعكس، فالعضوية العامة لحدثو سواء تلك التي خرجت من المعتقل أو تلك التي لم تمسحها يد الاعتقال وظلت كامنة تنتظر يوم بدء الحركة، كل هذه العضوية لم يكن في مقدورها أن تتحرك وتجعل من حدثو بناء ضخماً سياسياً وجماهيرياً وتنظيمياً لولا جهد قيادة حدثو بعد فض المعتقلات مباشرة وطوال الفترة اللاحقة لذلك.

وبالتالي فالسؤال الجوهرى الذي يطرحه هذا الأمر هو كم من قيادة حدثو تثبت تثبتت في صفوف المناضلين وكم من قادة التنظيمات الانقسامية الأخرى هجرت المعركة؟

نقطة البداية الجماهيرية:

كانت قيادة حدثو تحس - بحكم عقليتها الجماهيرية - أن نقطة البداية في تنشيط العمل الجماهيرى هو إصدار مجلة علنية سياسية.

مجلة البشير:

كانت هذه المجلة العلنية هي مجلة "البشير" وقد أصدرتها حدثو بعد فض المعتقلات مباشرة بالتعاون مع المرحوم/ فتحي الرملي باعتباره عضواً في نقابة الصحفيين يملك بهذه الصفة حق رئاسة التحرير.

كانت حدثو هي التي تقوم بعملية التمويل والتوزيع للمجلة كاملة، وكانت هي التي تعد موضوعات المجلة وتحرر كلمة المجلة الرئيسية بالتعاون مع (فتحي الرملي)، لم يكن للمجلة

مفر، وأذكر أن المقالات كانت تحرر في القهوة بحضور فتحي الرملي وزملاء حدثو الذين يساهمون في تحرير المجلة، وكانت هناك ملاحظتان أساسيتان لا بد من تسجيلهما في هذا الصدد.

الأولى: إن كل الرفاق في حدثو رغم قلة عددهم آنذاك كانوا يساهمون قيادة وقاعدة في توزيع المجلة وذلك بالصلة المباشرة بين الرفاق والقراء، فلم تكن مجلة البشير تعرف شركات التوزيع.

الثانية: أن المجلة ساهمت في توسيع العلاقات الجماهيرية لمنظمة حدثو، ومن خلال هذه العلاقات توسعت العضوية التنظيمية وكانت حدثو بعد خروجها من المعتقلات في حاجة ماسة إلى التوسع في المجال الجماهيري وفي مجال العضوية.

وفي الفترة التي أصدرت فيها حدثو مجلة "البشير" لم تهتم التنظيمات الماركسية الأخرى وأهمها (منظمة الراية و د. ش) بإصدار مجلة علنية.

وهذا يعكس الفرق بين رؤيتي التيارين (الثوري والانتهازي) للعمل العلني والجماهيري (الإعلامي وغيره) في توسيع نفوذ التنظيمات الماركسية سياسياً وكسب العضوية الجديدة من خلال العمل الجماهيري.

مجلة البشير والكفاح من أجل السلام:

وبناء على توجيه من قيادة حدثو نشرت "البشير" نداء استكهم ضد القنابل والتجارب الذرية، وكان هذا النداء نداء عالمياً صادراً من حركة السلام العالمية. ويمكن القول إن طبع ونشر هذا النداء وجمع التوقيعات عليه من المواطنين حقق عدة نتائج إيجابية.

أولها: أن نشر النداء جماهيرياً وجمع التوقيعات عليه خلق المناخ المناسب لبناء حركة السلام المصرية تنظيمياً.

ثانيها: أدى جمع التوقيعات إلى توسيع النفوذ السياسي والجماهيري لمنظمة حدثو، وخلق عدداً من الصلات بين أعضاء حدثو وجماهير الشعب.

ثالثها: واستفادت حدثو من اتساع صلات الجماهير في توسيع العضوية الحزبية.

ماذا كان موقف التيار الانتهازي من جمع التوقيعات:

اتخذت منظمة الراية، و د. ش أساساً ومعهما منظمة "النجم الأحمر" موقفاً معارضاً من حملة جمع التوقيعات التي كانت تنظمها مجلة "البشير"، وكانت تتهم حدثو والقائمين بهذا

العمل بأنهم يخدمون "البوليس" وكانوا يرددون أن هذه التوقيعات ستسلم لأجهزة الأمن، كان هذا الاتهام يخفي وراءه كما سيتضح فيما بعد، العداء للعمل الجماهيري بشكل عام، والعمل الجماهيري في مجال الدفاع عن السلام العالمي بشكل خاص.

بناء حركة السلام المصرية تنظيمياً:

كانت المسألة الثانية التي تشغل ذهن قيادة حدتو (بعد إصدار مجلة البشير ونداء استكهم) هو القيام بمجموعة من الاتصالات مع عدد من الشخصيات المصرية لتشكيل وتكوين حركة سلام مصرية، بدءاً بتشكيل قيادة لها، وكانت هذه العملية في تواز مع جمع التوقيعات المرشدة لقيادة حدتو في بناء حركة السلام المصرية تركز على عدد من المحاور:

المحور الأول: أن حركة السلام المصرية لا بد أن تكون علنية وقانونية وشرعية، ومكدره أنه كلما اتسعت في علنيتها وقانونيتها وشرعيتها، كانت قادرة على حماية نفسها وعلى الاستمرار في نفس الوقت.

المحور الثاني: أن قيادة حركة السلام لا بد أن تضم في صفوفها الشخصيات الواسعة النفوذ في المجتمع المصري، بما يفترضه ذلك من تعدد الانتماءات السياسية، والاختلافات العقائدية وتمايز الانتماءات الطبقية، واختلاف المهن، طالما أنها ضد الحرب، ومن هنا جمعت حركة السلام المصرية في قيادتها شخصيات تنتمي لمختلف الأحزاب السياسية التي كانت موجودة آنذاك، وجمعت الشيوعيين وغير الشيوعيين، وضمت في صفوفها عناصر تنتمي للإقطاع والبرجوازية والعمال والمتقنين.

المحور الثالث: أن إيجاد الدور القيادي لحدتو في هذه الحركة لن يتأتى بحشد الزملاء في قيادتها كأغلبية عدية. إنما بممارسة عملية نشيطة يكتسب زملاء حدتو من خلالها نفوذاً يتنامى بسرعة رغم قلة عددهم في قيادة حركة السلام.

وبناء على هذه الفكرة الأساسية بمحاورها الثلاثة نجحت حدتو بفضل عدد من الرفاق الذين تخصصوا في هذا العمل في البداية (كان من ضمنهم كمال عبد الحليم، وسعد كامل، وأضيف إليهم رفاق آخرون فيما بعد) في بناء اللجنة التحضيرية لأنصار السلام في مصر (كانت هذه اللجنة هي القيادة).

تشكلت بعدها عدد من لجان السلام الفرعية في أنحاء مختلفة للبلاد، وكان لحركة السلام المصرية مقر ومجلة علنية "المكاتب" استمرت في الصدور حتى حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، وقويت صلات حركة السلام المصرية بشقيقاتها في البلاد الأخرى وبمجلس

السلام العالمي الذي كان من أعضائه عدد من أعضاء حركة السلام المصرية، ووصلت حركة السلام المصرية إلى قمة نجاحها بالتحضير لمؤتمر شعوب الشرق الأوسط الذي كان مفروضاً انعقاده بالقاهرة في فبراير ١٩٥٢.

هذا ما نجحت فيه حدثو بناء على فكرتها الأساسية ومحاورها الثلاثة التي أشرنا إليها.

ماذا كان موقف الراية و د. ش من حركة السلام؟

في السطور السابقة حددنا أن الراية و د. ش قاومت حركة التوقعيات على نداء استكهم التي كانت تتبناها "مجلة البشير" متهمة هذه الحركة الشاملة والقائمين عليها بخدمة أجهزة الأمن، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد.

فالراية تبنت فكرة أن تكون حركة السلام حركة سرية مقابل فكرة حدثو أن تكون هذه الحركة علنية بأوسع معاني العلنية، والغريب في الأمر أن الراية طرحت فكرتها هذه في ظل ظروف عامة كانت تبشر بالنهضة العارمة لحركة الجماهيرية في ظل حكومة الوفد بعد حملة اضطهاد عاشها الشعب لمدة ٨ سنوات في ظل حكومات الأقلية وصلت في قمته إلى حملة الاعتقالات من منتصف ١٩٤٨ إلى فبراير ١٩٥٠، ووضعت الراية فكرتها عن سرية الحركة في التطبيق فلم تكن في الواقع إلا خلايا الحزب (الراية) في بعض المجالات وفكرة الراية كانت ستؤدي إذا أخذ بها إلى أن تكون حركة السلام حركة انعزالية، لا حركة جماهيرية، حركة يسهل ضربها واقتلاعها في الواقع لا حركة قادرة على الاستمرار والنمو.

وقد أثبتت التجربة أن فكرة الراية في سرية لجنة السلام كانت خاطئة تماماً وغير ثورية.

أما د. ش فلم تتبنى فكرة سرية حركة السلام شأن الراية، لكنها تبنت مفاهيم شبيهة وبالتالي وقفت في نفس الخندق الانتهازي مع الراية تحارب بضراوة الاتجاه الثوري لحدثو، كان جوهر فكرة د. ش أن حركة السلام لا بد أن تكون حركة طبقية، عكس مفهوم حدثو القائل بأن تضم هذه الحركة شخصيات ذات نفوذ وتأثير أيًا كانت انتماءاتها الطبقية والعقائدية والسياسية طالما أنها تعادي الحرب، كانت د. ش تتصور أن قضية الكفاح من أجل السلام هي قضية العمال فقط وليست قضية كل الطبقات الأخرى، وتحت تأثير هذا المفهوم الخاطئ شنت د. ش حملة هجوم واسعة على قادة حركة السلام وبشكل خاص قيادتها (اللجنة التحضيرية) بدعوى أنها عناصر برجوازية وليست عمالية، وكانت تتصور أن يكون قائد حركة السلام في مصر آنذاك (محمود العسكري أو يوسف المدرك) وليس يوسف حلمي الذي كان أحد أركان الحزب الوطني آنذاك، والذي بدأ نضاله من هذا الموقع، وإن تطور ووصل إلى عضوية "حدثو" في مرحلة لاحقة.

والخندق الانتهازي الذي كان يشمل "الرأية و د. ش" في صف واحد ساقهما إلى اتخاذ موقف المعاداة والتخريب السافر ضد حركة السلام المصرية بشكل عام، ومعاداة عناصر حدثو التي كانت قليلة في قيادة هذه الحركة، وبدلاً من الانخراط العام في صفوف هذه الحركة وتنفيذ توجيهاتها في العمل قامت المنظمتان المشار إليهما بأعمال انقسامية، أحياناً إنشاء لجان فرعية غير اللجان المكونة في نفس المجال، وأحياناً القيام بحملة توقيعات خاصة غير التي كانت تتبناها حركة السلام المصرية.

وليس المقصود هنا ليس سرد تفاصيل عمليات التخريب التي قامت بها هاتان المنظمتان وبعض الحلقات الصغيرة التي كانت تدور في فلكها كالنجم الأحمر، ولكن التجسيد العملي لنية التخريب صدر في كتاب أصدره أحد قادة د. ش ضد حركة السلام (فؤاد عبد المنعم شحتو) وواصلت الحملة مجلة الناس التي كانت يشرف على تحريرها (رشدي صالح). النتيجة المستخلصة من هذا العرض هي أنه كما كان الأمر في الماضي جسدت حدثو حقيقة التيار الثوري كاستمرار للماضي، واستئناف له في الظروف السياسية الجديدة، بينما جسدت المنظمات الأخرى (مهما تعددت أسمائها موقف التيار الانتهازي المعادي لحدثو ومواقفها في العمل الجماهيري والسياسي) والتفاصيل التي عرضناها وهناك غيرها كثير تؤكد هذا، وبعد أن مضى من العمر ما يزيد عن ربع قرن أصبح واضحاً مدى الجرم السياسي والتنظيمي الذي ارتكبه منظمتا (الرأية و د. ش) ضد أول منظمة جماهيرية للسلام العالمي تشهدها مصر في الظروف الجديدة.

توحيد الحركة النقابية المصرية:

وكان العمل الجماهيري الثالث الذي اهتمت به قيادة حدثو هو مجال توحيد الحركة النقابية المصرية.

كان توحيد الطبقة العاملة المصرية أملاً طالما راود الشيوعيين المصريين في الفترات التاريخية السابقة، ولكن هذا الأمل لم يتحقق، ولم يقطع فيه شوط كبير بحكم الظروف الصعبة والقاسية التي كانت سائدة قبيل وخلال وبعد الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي استمرت حتى بدايات سنة ١٩٥٠.

في الظروف الجديدة، ظروف الديمقراطية النسبية الواسعة، والنهضة التي تقبل عليها الحركة الجماهيرية بدا في الأفق أن هذا الأمل يمكن تحقيقه.

وكانت البداية التنظيمية لهذا العمل الجماهيري الواسع هو:

أولاً: مناقشة هذه القضية في الاجتماعات القيادية المركزية وقد ناقش المكتب السياسي لحدثو هذا الموضوع أكثر من مرة.

ثانياً: تشكيل فرقة عمل كانت تسمى (المكتب النقابي المركزي لحدثو) من عدد من الرفاق، أذكر منهم كأساسيين ومعاونين (أحمد طه - محمد علي عامر - سيد ترك - محمد نوح - أنور فلنس - المرحوم محمود فرغلي - سيد مصطفى).

ولم تكن مهمته هذا المكتب التخطيط للعمل النقابي في حدود الخط العام لحدثو فقط بل كانت مهمته أيضاً التنفيذ الفعلي لما تتوصل إليه من قرارات بالاستعانة بهيئات الحزب الأخرى.

الحالة الواقعية للحركة النقابية آنذاك:

كانت الحركة النقابية المصرية حركة علنية مشروعة بحكم قوانين النقابات، ولكنها كانت مشتتة في نقابات متفرقة لمؤسسات صناعية أو مهنية معينة في إحدى المدن وبالتالي لم تكن موحدة لا في اتحاد مهني واحد للنقابات التي يعمل عمالها في مهنة واحدة، ولم يكن هناك "اتحاد عام" يضم هذه النقابات المتفرقة الضعيفة.

ونتيجة هذا التشتت كانت الحركة النقابية تتميز بالضعف الشديد من ناحية، وبسيطرة العناصر النقابية الصفراء من ناحية أخرى، كما كان للشيوخيين المصريين (حدثو أساساً و د. ش إلى حد ما) دور ما في بعض النقابات.

جوهر أفكار حدثو وممارساتها العملية في هذا المجال:

كانت هذه الأفكار تركز على منهج ورؤية واضحة لأهمية العمل الجماهيري العلني الواسع وقيمه الكبرى، وكما كان الشأن في إنشاء حركة السلام المصرية الذي يركز على الاتساع والعلنية كان الأمر في مجال الحركة النقابية مع مراعاة اختلاف الأهداف.

كانت الفكرة الجوهرية لحدثو هي السعي الجدي لتوحيد الحركة النقابية المصرية في جهاز واحد هو الاتحاد العام. من خلال التعاون في عمل تحضيري واسع مع كل قادة الحركة النقابية المصرية مهما كانت آراؤنا فيهم، وكانت حدثو تدرك أن توحيد الحركة النقابية في جهاز واحد هو الطريق الأسلم لأن تكون قوية وتتطهر في مسار نضالها من العناصر الصفراء والمتخاذلة في الحركة النقابية وبناء على هذه الفكرة سعت عناصر حدثو إلى الاتصال بعدد من العناصر النقابية، وأسست بالتعاون معهم ما يسمى "باللجنة التحضيرية" لاتحاد النقابات وفي الغالب لم تكن تضم في البداية إلا عددًا محدودًا من النقابات.

كان هناك من جانب حدثو إدراك واقعي لظروف الحركة النقابية المصرية آنذاك والتي يمكن تلخيصها في انعدام مركز واحد موجه للحركة النقابية مما ينتج عنه تشتت الحركة النقابية وضعفها، ذلك الضعف الذي أدى بدوره إلى سيطرة القادة النقابيين من العناصر الصفراء على الجزء الأغلب من الحركة النقابية، بل وارتباط جزء من هؤلاء القادة بالأحزاب البرجوازية حتى تلك التي كان يقودها بعض الأفراد (عباس حليم وحزب العمال).

وإذا كان هناك للشيوعيين دور في الحركة النقابية فقد كان هذا الدور محدوداً من ناحية ومحصور في نطاق تنظيمين شيوعيين آنذاك هي (حدثو) أساساً، و د. ش.

من هذه الظروف استنتجت "حدثو" الموقف الذي يجب اتخاذه في النضال لتوحيد الحركة النقابية، واعتمد هذا الموقف على المحاور التالية:

(١) أن يكون المسلك النضالي في هذا التوحيد نضالاً علنياً ومشروعاً، لإعطائه القدرة على النمو والاستمرار، طالما أن النقابات العمالية علنية وقانونية، اكتسبت قانونيتها من القوانين المصرية.

(٢) التعاون في مجال توحيد الحركة النقابية مع كل العناصر النقابية أيّاً كانت وجهة نظر حدثو منها، طالما كانت تحتل مراكز قيادية نقابية، وطالما كانت موافقة على قضية التوحيد، بحيث يتخذ هذا التعاون شكلاً واسعاً وعريضاً، ويبنى على أساس برنامج نقابي واضح.

(٣) رفض نظرية "المراحل" في إتمام عملية التوحيد النقابي القائمة على البدء في مرحلة معينة بعد إنجاز المرحلة التي تسبقها، على أساس أن الكفاح من أجل عملية الوحدة وإتمامها في نفس الوقت سيحمل في طياته إمكانيات تحقيق الأهداف، من تطهير للنقابات من العناصر الصفراء إلى بناء اتحادات مهنية مثل (النسيج - النقل .. إلخ).

(٤) أن نفوذ حدثو وعناصر النقابية في هذا المجال، لن يفرض في بداية العملية إنما في مسارها الطبيعي وبشكل تدريجي.

(٥) منذ الوهلة الأولى لبدء عملية التوحيد لا بد من وضع نوايا التعاون الأممي مع الطبقة العاملة في أنحاء العالم، ومع العمال العرب في نفس الوقت.. على أساس هذا الموقف المعتمد على المحاور الخمسة التي أشرنا إليها بدأت حدثو خطوات التنفيذ العملي بأن تشكلت مجموعة من مندوبي النقابات بما فيهم زملاء حدثو.

وأذكر أن النقابات في الاجتماعات الأولى كانت ٢٥ خمسة وعشرون نقابة، وتتنامى هذا العدد وتطور إلى أن وصل إلى أكثر من ١٥٠ نقابة يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ موعداً انعقاد المؤتمر التأسيسي الأول لاتحاد النقابات.

وكان رفاق حدثو في اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات قليلاً العدد ومع هذا كان يتنامى نفوذهم يوماً بعد يوم، وكان قيام أحمد طه عضو حدثو آنذاك وأصغر أعضاء اللجنة التحضيرية سناً بمهام منصب السكرتير العام للجنة التحضيرية من الدلائل على ذلك وقد سافر أحمد طه كمندوب عن اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات إلى بعض اجتماعات ومؤتمرات الاتحاد العمالي للنقابات، كما سافر وفد من اللجنة التحضيرية لحضور أحد مؤتمرات اتحاد نقابات عمال السودان (أذكر أنه كان من ضمن هذا الوفد المرحوم محمد فرغلي، ومحمد نوح، وأنور فلتس، وسيد مصطفى).

كما جاء وفد عمالي سوداني برئاسة (قاسم أمين) لحضور المؤتمر التأسيسي الأول لاتحاد نقابات عمال مصر الذي كان مفروضاً انعقاده في ٢٧ يناير ١٩٥٢.

ويمكن أن يقال إن هذا الجهد المضني في المجال النقابي من حدثو وعناصرها هو الذي وضع الأساس لاستمرار العمل التوحيدي النقابي بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وغني عن البيان أن هذا هو الجهد الذي وضع اللبنة الأولى في بناء الاتحاد العام للنقابات في عام ١٩٥٦.

ماذا كان موقف الراية، و.د. ش من قضية الوحدة النقابية المصرية؟

هناك اتفاق في الجوهر الفكري وفي النتائج العملية لموقف هذين التنظيمين من هذه القضية، وهذا الموقف متناقض في جوهره مع موقف حدثو الذي شرحنا بعض تفاصيله، ولكن هناك أيضاً اختلاف في المواقف من ناحية الشكل.. كيف هذا؟

الراية أراحت نفسها تماماً من عملية النضال المضني وقررت أن السليم والمطلوب من وجهة نظرها هو بناء "اللجان النقابية السرية" و "الاتحاد العام السري للعمال" ونظراً لأن هذا الموقف خاطئ وانتهازي وغير نضالي من أساسه فلم يحقق ذرة من النجاح.

وكان هذا الموقف تطور تطوراً منطقياً لفكرة "لجان السلام السرية" أي كانت هناك عبادة للسرية في العمل الجماهيري، العبادة التي تفرض الانعزال والسلبية على معتقدها، وكان هذا الموقف الانعزالي للراية ناتجاً عن عزلتها عن الحركة الجماهيرية العمالية، ومعروف أنه لم تكن هناك للراية عناصر عمالية تلعب درواً صغيراً أو كبيراً في الحركة النقابية المصرية.

أما د. ش فأتخذت معارضتها لموقف "حدثو" الشكل التالي: لم تطالب باللجان النقابية السرية "كما فعلت الرأية" إنما ابتدعت نظرية المراحل في عملية النضال لتوحيد الحركة النقابية المصرية، طالبت بأن تكون المرحلة الأولى تطهير النقابات من العناصر النقابية الصفراء، تعقبها المرحلة الثانية، مرحلة تشكيل اتحادات مهنية عمالية مثل (اتحاد مهني لعمال النسيج - اتحاد مهني لعمال النقل) وتأتي في النهاية المرحلة الثالثة مرحلة تشكيل "الاتحاد العام للنقابات".

هذا التفكير المرحلي والميكانيكي في نفس الوقت لم يكن مقدراً له أن ينجح، كما لم تنجح اللجان السرية التي طالبت بها الرأية، الدليل على ذلك أن العناصر الصفراء ظلت مسيطرة على الحركة النقابية قبل ١٩٥٠ وبعددها وحتى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وفكرة النقابات العامة المهنية (التي توازي الاتحادات العامة المهنية) لم تجد لها مجالاً في التطبيق إلا بعد قيام ثورة يوليو بسنوات وضمن خطة وإطار "الاتحاد العام للنقابات".

هذا التفكير المرحلي والميكانيكي، وهو خاطئ كما قلنا، كان نابعاً من السياسة الانعزالية عن الحركة الجماهيرية التي كانت سمة أساسية وتاريخية من سمات التيار الانتهازي، ويعني في التطبيق العملي عدم التعاون العملي بين عناصر الشيوعيين في المجال النقابي وغيرهم من العناصر الصفراء وغير الصفراء في نفس المجال أي إنه معاد لفكرة "الوحدة النقابية الواسعة" ويحلم بفكرة مثالية هي أن تسيطر العناصر الحمراء على الحركة النقابية المصرية دون مجهود يذكر في النضال العملي ضد العناصر الصفراء وغيرهم من زاوية النضال للوحدة النقابية.

ويمكن أن يقال بمنتهى الصدق والواقعية أن العلاقات التي خلقت وتطورت بين النقابيين الشيوعيين من أبناء حدثو وبين غيرهم من النقابيين (كفتحي كامل والعقيلي وعبد العزيز مصطفى وغيرهم) وضعت لبناتها الأولى من خلال التعاون الذي نشأ في اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات أي في سنة ١٩٥٠ بينما لم تتجح العناصر النقابية الشيوعية المنتمية إلى د. ش في خلق مثل هذه الصلات.

ومن خلال اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات تمكنت الطبقة العاملة المصرية أن تبرئ ساحتها من جريمة حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢ وذلك من خلال البيان الذي أصدرته اللجنة التحضيرية كإدانة لحريق القاهرة وهو البيان الذي وزع في نفس اليوم الذي اشتعلت فيه الحرائق.

إلغاء معاهدة ٣٦ وبدء الكفاح المسلح في القتال:

كان شعار إلغاء معاهدة ٣٦ واتفاقيتي السودان ١٨٩٨، ١٨٩٩ من أهم وأبرز الشعارات التي رفعتها حدتو "بعد فبراير ١٩٥٠" وقد كان الشعار الذي يجمع القوى الوطنية ويوحدها فعلاً.

وقد نجحت الحركة الجماهيرية العامة في إجبار حكومة الوفد على قطع المفاوضات وإلغاء معاهدة ١٩٣٦، واتفاقيتي السودان ٩٨، ١٨٩٩ وذلك في أكتوبر ١٩٥١.

وكانت التطورات الهامة التي طرأت بعد هذا النجاح والموقف منها من أهم الميادين التي أظهرت فيها الخلافات بين التيارين الثوري والانتهازي في الحركة الشيوعية المصرية، وكان هذا أمراً طبيعياً.

ويهمنا أن نستعرض موقف "حدتو" المعبر عن التيار الثوري، وكذلك موقف الراية و.د. ش باعتبارهما أهم التنظيمات الممثلة للتيار الانتهازي في تلك الفترة، وعقد المقارنة الضرورية بين الموقفين في عدد من المسائل.

(١) الموقف من حكومة الوفد:

بعد إقدام حكومة الوفد على إلغاء المعاهدة، كانت المؤامرات تحاك ضدها من جانب الاستعمار والسراي وأحزاب الأقليات بهدف إقالتها أو إجبارها على الاستقالة تمهيداً لإيقاف التطورات التي حدثت بعد إلغاء المعاهدة.

كانت "حدتو" تحس بأبعاد هذه المؤامرات وتدرك مخاطرها على الوطن والحركة الشعبية المصرية (المسلحة منها وغير المسلحة).

ومن هنا اتخذت الموقف الأساسي وهو مساندة حكومة الوفد (برلمان ووزارة) وتأييدها في الخطوات الوطنية الجريئة التي اتخذتها والحيلولة - بتعبئة الحركة الجماهيرية - دون استنقالتها أو إقالتها مدركة أن الإجراءات السلبية التي تتخذها الحكومة ككل أو وزير من وزرائها يمكن أن يعالج من خلال الضغط والتطور النامي للحركة الجماهيرية.

كان هذا موقف حدتو على العكس من ذلك كان موقف الراية و.د. ش الذي كان يتفق في جوهره مع خلال كما هو الشأن دائماً من ناحية الشكل.

كانت د. ش تبالغ في سلبات حكومة الوفد، دون أن تعطي مسألة المساندة الجماهيرية لحكومة الوفد شأنًا يذكر.

أما الراية فكانت مواقفها السيئة واضحة، ففي هذه الفترة بالذات كانت تتعاون تعاوناً مطلقاً مع الحزب الاشتراكي (مصر الفتاة) دون أن توجه كلمة نقد إلى هذا الحزب الذي كان

يشن حملة ضارية على حكومة الوفد مطالبًا باستقالتها أو إقالتها سيرًا على نفس مخطط الاستعمار والقوى الرجعية من السراي وأحزاب الأقليات مما يوحي أن هناك اتفاقاً في هذا الموقف السياسي بين الراية والحزب الاشتراكي آنذاك.

وقد أثبتت التجربة التاريخية أن الإدراك السليم كان من جانب حدثو فحريق القاهرة (الذي أشعل في ٢٦ يناير كان من ضمن أهدافه الرئيسية التطويح بحكومة الوفد، وهو ما حدث بعد ذلك بعد أن تورطت هذه الحكومة وأعلنت الأحكام العرفية في مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢).

الموقف من الكفاح المسلح في منطقة القتال:

بالغاء معاهدة ٣٦ فتح الطريق أمام عمليات الكفاح المسلح في القتال، وبدأ هذا الكفاح فعلاً، وكانت القيمة الحقيقية لإلغاء المعاهدة هو بدأ الكفاح المسلح ولولا ذلك لأصبحت قرارات إلغاء المعاهدة قليلة الفائدة.

كانت الأفكار الجوهرية التي ترشد مواقف حدثو هي، أن توسيع الكفاح المسلح في القتال هو أحد الوسائل الرئيسية لإقامة جبهة وطنية ديمقراطية راسخة في أرض مصر، ولحماية حكومة الوفد واستمرارها في الحكم أطول مدة ممكنة ضد مؤتمرات السراي والاستعمار وأحزاب الأقليات، ولتوسيع نطاق الجبهات الديمقراطية في البلاد؛ إذ ليس هناك مستوى أرفع من مستويات الممارسة الديمقراطية عن حمل الشعب للسلاح دفاعاً عن أرض وطنه في ظل حماية مشروعة - مهما كانت قدرها من حكومة ذلك البلد -.

من هذه المنطلقات الفكرية أزرت حدثو معركة الكفاح وساهمت فيها بأبنائها، كما سيتضح فيما بعد.

واتخذت مشاركة حدثو في الكفاح المسلح الصور التالية:

(١) تكليف الرفاق الأعضاء في مناطق بحري، وبالذات منطقة الشرقية في الانخراط في معسكرات الفدائيين التي كانت قائمة في محافظة الشرقية ومحافظات القتال مع العمل على الاحتفاظ بمعسكر خاص بهم أو تحت إشرافهم، وهذا ما تم تنفيذه فعلاً، وأذكر من ضمن الرفاق الذين ساهموا في عمليات الفدائيين وأشرفوا عليها آنذاك (ضياء الدين بدر - فوزي فام - سيف الدين محمد صادق - زميل اسمه محسن).

(٢) حشد قسم الجيش في حدثو الذي كان مكوناً من بعض الضباط أمثال (أحمد حمروش) وكذلك بعض الضباط الأحرار في عمليات نقل الأسلحة من مخازن الجيش المصري إلى معسكرات الفدائيين في القتال.

٣) القيام بعمليات التدريب من خلال هؤلاء الضباط للفدائيين بما يرتبط بذلك من المشاركة العملية في التدريب بالمساهمة مع الفدائيين في عمليات الاقتحام الفدائية، وأذكر أنني ذهبت مع أحمد حمروش إلى منطقة الشرقية للالتقاء بالرفاق هناك وقابلنا ضياء بدر وفوزي فام وآخرين، وذهب "حمروش" مع ضابط شيوعي في الجيش آنذاك كان اسمه الحركي (صقر) مرة ثانية لنفس المحافظة لتنظيم عمليات نقل الأسلحة والتدريب النظري والعملية.

ورغم سلامة الفكرة التي آمنت بها في قضية الكفاح المسلح، والمشاركة فيه بالصور والأشكال التي سردناها في السطور السابقة، فإن الأمانة التاريخية تقتضي الاعتراف بأن حجم المساهمة المركزية ومن خلال عناصر اللجنة المركزية في الإدارة اليومية للعمليات الفدائية والمساهمة فيها، وكذلك المعاشية مع الفدائيين في منطقة القنال لم تكن كافية، كان المفروض أن تنتدب اللجنة المركزية عددًا من عناصرها للحياة الدائمة مع المقاتلين في منطقة القنال وهذا ما لم يحدث، وقد يكون السبب في ذلك هو قصر المدة التي تمت فيها عمليات الكفاح المسلح (حوالي ٣ شهور ونصف). وقد يكون الإدراك الفطري لهذا النقص آنذاك هو السبب في مساهمة الحزب الشيوعي المصري الموحد بعدد كبير من رفاقه المركزيين في عمليات الكفاح المسلح ببورسعيد والقنال أثناء عدوان سنة ١٩٥٦.

ولكن ماذا كان موقف الراية و د. ش من الكفاح المسلح في القنال؟

من الناحية العملية لم تشترك "الراية" ولا "د. ش" في الكفاح المسلح بالقنال بأي عنصر من عناصرها، هذا الموقف السلبي والخاطئ لم يكن ناتجًا فقط من عدم تواجدهما عفويًا في محافظة الشرقية أو منطقة القنال، إنما كان ناتجًا في الأساس عن موقف وفهم خاطئين لعمليات الكفاح المسلح ضد الإنجليز في تلك الفترة.

وكانت الحجة التي تتردد من جانب هذين التنظيمين وخاصة د. ش تتلخص في:

إن الكفاح الأساسي للشيوعيين يجب أن يتركز في المدن وبشكل خاص في العاصمة (القاهرة)، وبالتالي ليس دور الشيوعيين الحياة وسط الفدائيين.

وذلك بهدف توسيع الديمقراطية والحريات السياسية باعتبار أن المسألة التي يمكن ويجب التركيز عليها هو الكفاح من أجل الديمقراطية والحريات وليس الكفاح المسلح، ناسين أو متجاهلين أن الكفاح المسلح - في حد ذاته - مظهر من مظاهر الديمقراطية إلى جانب أنه طريق لتوسيع الديمقراطية أيضًا.

ويقال إن أحد العناصر البارزة جماهيريًا من د. ش في الجامعة صرح في خطاب جماهيري قائلاً إنه لا يصح أن نساق معصوبي العينين إلى القنال، وكان هذا التصريح تجسيدًا



عملياً لفكرة الإدانة النظرية والعملية للكفاح المسلح والتركيز على أن الجانب الأساسي، هو الكفاح من أجل الديمقراطية.

وبهذا الموقف العملي للرأية و د. ش انعزل هذان التنظيمان عن الموقف العام الذي كان يهتم به الشعب المصري وهو الكفاح المسلح، واتخذ الموقف العملي لحزبي السعديين والدستوريين آنذاك.

ومما يجسد عظمة الكفاح المسلح وخطورته هو أن "حريق القاهرة" كان من أسبابه ودوافعه وقف الكفاح المسلح في منطقة الشرقية يؤكد ذلك أن القبض على الفدائيين تم يوم حريق القاهرة وخلال عمليات الحرق وقبل إعلان الأحكام العرفية في مساء ذلك اليوم. وبعد أن مضى أزيد من ربع قرن على اشتعال الكفاح المسلح في القنال لا يمكن أن يقر أحد موقف الرأية و د. ش من ذلك الكفاح أو يدين موقف حدثت منه، فقد أثبت التاريخ أن موقف حدثت كان هو الأسلم بينما موقف الرأية و د. ش قد أدانته التاريخ، كما أدان مواقف كثيرة لهم مما تعرضنا لها سابقاً.

٣) بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية:

كانت الحركة الديمقراطية للتححر الوطني مهمة ببناء الجبهة الوطنية الديمقراطية منذ أن تمت الإفراجات في فبراير ١٩٥٠، وكانت دعوتنا للجبهة موجهة للقوى السياسية المتواجدة في الساحة المصرية آنذاك من (الوفديين - الإخوان - الاشتراكيين - الحزب الوطني) وكانت القوتان السياسيتان المبعدتان عن دعوة الجبهة هما (السعديون - الدستوريون).

وقد تحققت ممارسات عديدة في هذا الاتجاه يمكن سؤال القائمين عنها آنذاك (زكي مراد - أحمد الرفاعي - عبد المنعم الغزالي .. إلخ).

ولكن ما يهمننا في هذا الصدد، هو تبيان جهود حدثت في مجال بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية بعد إلغاء المعاهدة واستئناف الكفاح المسلح ضد القوات الإنجليزية.

أولاً: اهتمت حدثت من خلال أجهزتها الإعلامية وخاصة مجلة (الملايين) بالدعوة إلى بناء الجبهة الوطنية الديمقراطية التي تضم مختلف القوى السياسية التي أشرنا إليها في السطور السابقة.

ثانياً: رغم إصرار حدثت على دعوة الجبهة فأنها لم تتشكل طبقاً للتصور المطروح آنذاك؛ إذ كانت (مصر الفتاة - الحزب الوطني - وجماعة الإخوان) كقوى سياسية منشغلة بالكفاح ضد الوفد وليس بالتعاون معه، وبالتالي كانت مخالبا قطط لقوى الاستعمار والرجعية وأحزاب الأقليات الخائنة من (سعديين ودستوريين).

كما أن قيادة الوفد، لم تكن مهمة ببناء هذه الجهة رغم أن المخاطرة كانت شديدة على الوضع العام كله وعلى حزب الوفد نفسه.

ثالثاً: الرفض لفكرة الجبهة الوطنية الديمقراطية من جانب كل القوى السياسية التي أشرنا إليها سابقاً، دفع قيادة حدتو إلى الاهتمام ببناء نوايات الجبهة الوطنية في الأحياء والمدارس والمصالح والمصانع أي وسط جماهير الشعب، وليس من خلال مندوبي الأحزاب السياسية، وفعلاً تشكلت تحت قيادة حدتو (اللجان الوطنية المصرية) في عدد كبير من المجالات، وكانت هذه اللجان تصدر بيانات سياسية باسمها في حدود البرنامج الوطني والديمقراطي العام المقرر لتلك الفترة.. وقد طرح تشكيل اللجان الوطنية المصرية آنذاك تساؤل محدد يحسن تقديم إجابة مختصرة عنه وهو هل هناك شكل محدد، فليس شرطاً أن تكون الجبهة الوطنية الديمقراطية "مشكلة من مندوبي الأحزاب، بمعنى أن يستنتج البعض أنه لو لم توجد أحزاب معينة أو رفضت - في حالة وجودها - الانتظام في شكل "الجبهة الوطنية الديمقراطية" لا توجد جبهة ولا تحالف حتى ولو كان هناك شكل سياسي "كاللجنة الوطنية المصرية" فهذا الشكل في نظر حدتو يعتبر شكلاً من أشكال الجبهة الوطنية المفروض تطويرها وتدعيمها من خلال الممارسة.

وكانت حدتو تستخلص موقفها من تجارب التاريخ المصري، فمنذ وجود الشيوعيين المصريين في المرحلة الوسطى منذ الحرب العالمية الثانية كانت الجبهات أو التحالفات الوطنية التي اتخذت شكل تحالف الأحزاب منحصرة في فترات قصيرة من تاريخ مصر، بينما التحالفات السياسية التي اتخذت شكل تجمعات غير حزبية ويقودها الشيوعيون استغرقت فترات أطول، وكانت أكثر نجاحاً في أداء المهمة الموكولة إليها وأبرز مثل على ذلك (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال).

وظلت اللجان الوطنية المصرية التي تشكلت بعد إلغاء المعاهدة تمارس دورها علناً وتنتمى وتتطور إلى أن اشتعلت القاهرة بالحريق في ٢٦ يناير ١٩٥٢، وقد تعرضت لأزمة الضمور بعد الحريق قبل أن تنجح حدتو في عمل تشكيل قيادي علني لهذه اللجان في حدود القطر، وبشكل خاص في القاهرة، ونظراً لافتقاد هذا الجهاز القيادي العلني الشامل، كانت كل لجنة وطنية تمارس دورها تحت إشراف الخلية أو الهيئة الحزبية التي تمتد اختصاصاتها إلى المساحة الجغرافية التي تشغلها اللجنة الوطنية (مثلاً اللجنة الوطنية المصرية بحي بولاق كانت تحت إشراف الجهاز الحزبي الموجود ببولاق).

بناء منظمات جماهيرية علنية للفئات الشعبية:

لم تكن حدثو مهتمة ببناء اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات في مصر فحسب، ولم يقتصر دورها على بناء المنظمات السياسية العلنية (حركة السلام - واللجان الوطنية المصرية)، بل كانت مهتمة أيضاً في حدود فهمها الاستراتيجي لقضية بناء "الجبهة الوطنية الديمقراطية" التي تضم ضمن ما تضم ممثلي الطبقات الشعبية أيضاً، كانت مهتمة في حدود هذا الفهم ببناء منظمات جماهيرية مستقلة للطلبة والشباب والنساء أيضاً.

وأذكر من الرفاق الذين كانوا يساهمون في هذا المجال (عبد المنعم الغزالي - حكمت العزالي).

تنظيم الضباط الأحرار:

ومن خلال "قسم الجيش" في حدثو، الذي كان مشكلاً في الأساس من ضباط، كانت حدثو تتعاون مع الضباط الأحرار، وتعتبره تنظيمًا جبهويًا في الجيش، وقد كان هذا التنظيم كما أثبتت الأحداث التاريخية مشكلاً من ضباط ينتمون إلى أفكار وأيديولوجيات بل وتنظيمات سياسية مختلفة، وقد اتخذ هذا التعاون شكلاً متطوراً بعد أحداث حريق القاهرة، فقد كانت منشورات وبيانات الضباط الأحرار تطبع في الجهاز الفني الخاص لحدثو، وقد كان أحمد فؤاد عضواً ل. م حدثو ومسئول قسم الجيش آنذاك (رئيس مجلس إدارة بنك مصر الآن) أحد الصلات الهامة بتنظيم الضباط الأحرار وبجمال عبد الناصر شخصياً.

وتطور هذا التعاون إلى هذا المستوى الذي أشرنا إليه كان ارتقاء بمستوى التعاون الذي تم بين "حدثو" والضباط الأحرار أثناء معركة الكفاح المسلح في القنال.

هذه الصلات هي التي ساعدت على مناقشة موضوع قيام الضباط الأحرار بانقلاب في فبراير أو مارس ١٩٥٢ فحسبما سمعت من أكثر من شخص آنذاك، أن تنظيم الضباط الأحرار كان يفكر في القيام بانقلاب عسكري في هذا التاريخ، ولكن قيادة حدثو ناقشت الموضوع من جميع جوانبه وأوصت بعدم القيام بهذا الانقلاب واقتنع الضباط الأحرار بوجهة نظر حدثو.

ومن المفهوم أن هذه الصلات القوية بالضباط الأحرار وخاصة في الفترة التي ضربت فيها القوى الوطنية السياسية ضربة قاصمة بعد حريق القاهرة، ساعدت على أن تتخذ حدثو الموقف الثوري السليم أثناء قيام ثورة ٢٣ يوليو، فقد أصدرت حدثو بياناً بتأييد الثورة وطالبت الشعب بمساندتها.

موقف الراية و د. ش من العمل في الجيش:

الراية و د. ش كانتا تفكران بشكل عام بطريقة انعزالية وغير جماهيرية، وبالتالي لم تكونا مهتمتين باتخاذ خط سياسي سليم نابع من الإحساس بنبض الحركة الجماهيرية وخدام لها في نفس الوقت، وهذا هو السر في أنهما كانتا عازفتين أو متقاعستين في بناء منظمات جماهيرية مستقلة.

وفي حدود هذا الفهم والسلوك الخاطئين لهذا التيار الانتهازي لم يكن غريباً ألا تهتم د. ش والراية بالعمل في الجيش في الفترة التي نعالجها ١٩٥٢-٥٠ أو في الفترات السابقة بالنسبة لـ د. ش.

وترتب على هذا الانعزال عن قوة هامة هي الجيش أن انعزلت الراية و د. ش عن تجربة بناء تنظيم الضباط الأحرار مما أدى إلى تبنيتها للخط السياسي الانتهازي أثناء قيام الثورة، فمن المعروف أن المنظمين هاجمتا وأدانتا ثورة ٢٣ يوليو، أدانت الراية الثورة باعتبارها انقلاباً فاشياً أمريكياً، بينما د. ش اعتبرت دكتاتورية عسكرية أمريكية، كل الفرق أنها لم تصمها بالفاشية كما فعلت الراية.

وليست هذه السطور تحليلاً تفصيلياً لموقف التيارات والمنظمات الشيوعية من ثورة ٢٣ يوليو، فلهذا الموضوع مكان آخر، إنما مجرد ربط منطقي بين العمل في الجيش بشكل تنظيمي أو جبهوي وعلاقة ذلك بتأييد الحدث الهام الذي تم في ٢٣ يوليو، وكذلك هو ربط منطقي بين عدم العمل في الجيش طوال الفترة السابقة، والهجوم على ثورة ٢٣ يوليو أثناء قيامها من جانب الراية و د. ش.

الارتباط بالأمية:

استعرضنا فيما سبق كفاح وتاريخ حدثو في المجال السياسي والجماهيري، الاهتمام بالصحافة العلنية وإقامة منظمة جماهيرية للسلام، النضال لتوحيد الحركة النقابية، المساندة الجماهيرية لحكومة الوفد بعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦، المشاركة في الكفاح المسلح ضد القوات الإنجليزية في ١٩٥١، ثم بناء نوايات للجبهة الوطنية الديمقراطية (اللجان الوطنية المصرية)، التحضير لبناء منظمات جماهيرية مستقلة لفئات الشعب من الطلبة والشباب والنساء.. إلخ.

رغم هذا الاهتمام المتعدد بالنواحي والمجالات في المجال الداخلي، كانت حدثو مهتمة إلى حد ما بتقوية صلات الحركة الجماهيرية المصرية بالنضال الأممي، وبالمنظمات العالمية.

عندما قامت حركة السلام المصرية توثقت صلاتها بمجلس السلام العالمي التي كانت تواظب من خلال مندوبيها على حضور اجتماعات مجلس السلام العالمي ومؤتمراته العالمية، بل وكان هناك أكثر من عضو مصري وبعضهم أعضاء حدثوا كانوا أعضاء في مجلس السلام العالمي أذكر منهم (يوسف حلمي - محمد علي عامر) وكانت حركة السلام المصرية توثق صلاتها بحركات السلام في المنطقة العربية والشرق الأوسط.

وكانت التحضيرات تسير لعقد مؤتمر شعوب الشرق الأوسط بالقاهرة في فبراير ١٩٥٢ كما كانت حركة السلام المصرية تتولى الدفاع عن شقيقاتها في المنطقة العربية ممن يتعرضون للاضطهاد أذكر في هذا المجال الوفد المصري من المحامين المصريين الذي تشكل للدفاع عن حركة السلام السودانية.

وفي مجال الحركة النقابية، حرصت اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات المصرية بتوجيه من تنظيم حدثوا على تنظيم صلاتها بالاتحاد العالمي للنقابات، وأذكر في هذا المجال أن أحمد طه حضر أكثر من اجتماع ومؤتمر نظمه الاتحاد العالمي للنقابات.

وفي مجال الشباب والطلبة، أذكر أن عبد المنعم الغزالي حضر أكثر من اجتماع دولي نظمه اتحاد الطلبة العالمي، كما ساهد وفد مصري في حضور مؤتمر الشباب العالمي في برلين سنة ١٩٥١ أذكر منهم (إبراهيم عبد الحليم - حسن عبد الرحمن) وكان من المفروض أن أساهم في هذا المؤتمر وبعد أن اتخذت كافة الإجراءات لم أسافر فقد كان من المطلوب دفع خمسون جنيهاً لاستخراج جواز السفر.

ولم يكن هذا هو العائق الحقيقي بل كان العائق الحقيقي فعلاً هو عدم اقتناع قيادة حدثوا آنذاك بضرورة الاهتمام بشكل كاف ومكثف بمجالات العمل الخارجية، فعند تشكيل الوفود المصرية للسفر للخارج لم تكن تهتم بإرسال عناصر قوية بحجة أنها مطلوبة للعمل في الداخل، بل كنا نرسل عناصر متوسطة أو ضعيفة، إلى جانب هذا أيضاً لم نهتم بتعيين مندوبين مصريين ثابتين في المنظمات الدولية الديمقراطية مع أن هذا كان ممكناً.

كان الاهتمام بالعمل داخل مصر، يشغل كل تفكير حدثوا وأعتقد أننا أدركنا هذا الخطأ ولكن في وقت متأخر كان يصعب معه إصلاح الخطأ وفي هذا المجال لم تحقق التيارات الانتهازية أي نجاح.

حريق القاهرة

حُرقت القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢، وكان هناك إدراك لدى حذتو بأن مؤامرة ما تدبر في الخفاء ضد الحركة الوطنية والجماهيرية التي استعرضنا في الصفحات السابقة تفاصيلها، مؤامرة تستهدف وقف الكفاح المسلح والإطاحة بحكومة الوفد.

كان هناك هذا الإدراك ولم نكن نتصور أن هذه المؤامرة ستتخذ شكل الحريق الواسع لمدينة القاهرة، المؤامرة التي اشتركت فيها قوى الاستعمار والسراي بالتعاون مع أجهزة الأمن المصرية والإنجليزية.

ومن الغريب أن مدبري المؤامرة حاولوا إلصاقها بالقوى الوطنية الأخرى من شيوعيين وغيرهم. وليس الغرض استعراض تفاصيل هذا اليوم، ففي هذا الجانب هناك مؤلفات ودراسات، لكن الغرض هو تسجيل بعض الخواطر.

الفدائيون من المواطنين العاديين وأعضاء حذتو اعتقلوا في نفس يوم ٢٦ يناير قبل إعلان الأحكام العرفية وقبل وخلال اشتعال الحريق في القاهرة، مع أن هذا الاعتقال في محافظات بعيدة عن القاهرة وهذا يؤكد أن العملية كلها كانت مدبرة لوقف حركة الكفاح المسلح ضد الإنجليز.

"حاول رفاقنا خلال المظاهرات الحيلولة دون الحرق نجحوا في بعضها وفشلوا في أغلبها لأن نطاق المؤامرة كان واسعاً جداً بالمقارنة بالإمكانات الذاتية لحذتو.

- لم تتجح حذتو كتنظيم في إصدار بيان ضد الحريق في نفس اليوم واللحظة، لبطء وتعقيد الإجراءات الخاصة بالعمل السري، لكن الرفاق من الأعضاء وخاصة في الجهاز النقابي العلني (اللجنة التحضيرية لاتحاد النقابات) أصدروا في نفس اليوم وفي نفس لحظة الحريق بياناً ضده، وهذا يبين أن الأجهزة العلنية قد تكون أسرع في تسجيل المواقف السياسية بالمقارنة بالتنظيمات السرية، لكن هذا التسجيل يتخذ دوره الإيجابي، إذا كان بالأجهزة العلنية عناصر شيوعية ملتزمة وهذا ما حدث فأحمد طه ومحمد علي عامر وسيد ترك هم الذين لعبوا الدور الرئيسي في إصدار بيان اللجنة التحضيرية ضد حريق القاهرة.

- حينما أعلنت الأحكام العرفية مساء يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ امتدت حملة الاعتقالات لتشمل الشيوعيين من حذتو، والراية و د. ش، وكانت نسبة حذتو في المعتقلين أكبر ولكن إلى جانب الشيوعيين كان هناك عناصر من الحزب الوطني والوفديين والحزب

الاشتراكي وأنصار السلام والفدائيين، وتمت حوارات ومناقشات عديدة بين هذه القوى في معتقل الهايكستب.

- بعد إعلان الأحكام العرفية، التقى الرفاق الطلقاء من حدثو، وحددوا الموقف السياسي الواجب اتخاذه بعد الحريق، وكان كاتب هذه السطور - هو المكلف بصياغة هذا التقرير وفعلاً بعد صياغته ضبط معه في مساء يوم من أيام فبراير ١٩٥٢ في الشارع صدفه، وأحيل للنيابة العسكرية.

كان جوهر هذا التقرير هو أن الاستعمار والملك فاروق والبوليس السياسي هم الذين يتحملون المسؤولية الأساسية في حرق القاهرة، وأن الهدف من وراء الحرق هو وقف الكفاح المسلح، والتطويع بحكومة الوفد، واعتقال العناصر التقدمية والوطنية.

وأن الواجب الأساسي هو إعادة البرلمان الوفدي والحكومة الوفدية للحكم وكذلك استئناف الكفاح المسلح مرة أخرى.

- كان التحليل الشيوعي العالمي يتمشى مع هذا، ففي مقال نشر في إحدى الصحف الإنجليزية الشيوعية للرفيق بالم دات حدد بدقة الأغراض الكامنة وراء حرق القاهرة بأنها وقف كل الإنجازات والنجاحات الجماهيرية والسياسية التي تحققت خلال الفترة من فبراير ١٩٥١ إلى ٢٥ يناير ١٩٥٢، في إلغاء المعاهدة وبدء الكفاح المسلح، وتنظيم وبناء لحركة السلام المصرية وجهود في توحيد الحركة النقابية والفئات الأخرى... إلخ.

لكن ماذا كان موقف الراية و د. ش من مسألة حرق القاهرة؟

طبعاً كان متوقعاً - إدانة التنظيمات المشار إليهما حريق القاهرة باعتبارها مؤامرة.

ولم تكن إدانة الحريق كعمل إجرامي محل خلاف بين "حدثو" من ناحية، والراية و د. ش من ناحية أخرى، بل كان الخلاف منحصراً في تحديد الفاعلين والمسؤولين الرئيسيين عن حريق القاهرة؛ أي جانب تحديد الواجبات المطلوبة في المرحلة القادمة.

كانت حدثو تعتبر - كما قلنا - الاستعمار والملك والبوليس السياسي هم المسؤولين والأدوات الرئيسية في حريق القاهرة، وهم أصحاب المصلحة الحقيقية في ذلك.

بينما كانت د. ش تحمل المسؤولية الرئيسية للحزب الاشتراكي وأحمد حسنين باعتباره الفاعل الأصلي في الحريق، وهي مع الراية كانتا تحملان المسؤولية لحزب الوفد وفؤاد سراج الدين على وجه الخصوص.

ومن هذا المنطلق لم تكن الـراية أو د. ش توافق على إعادة البرلمان الوفدي ولا الحكومة الوفدية لممارسة سلطاتها التنفيذية والتشريعية، بل وأذكر أن ممثلي د. ش والـراية وقفوا في مناظرة عامة بين هذين التنظيمين وحدثو في المعتقل وقالوا إنه في حالة إجراء انتخابات عامة سيؤيدون من يقف مع برنامجه حتى ولو لم يكن وفدياً - وليس بالضرورة تأييد مرشح الوفد- بينما كانت حدثو تنادي بأن المطلوب هو تأييد مرشح الوفد في الانتخابات. كان موقف حدثو منطقياً ومتمشياً مع موقفها من حزب الوفد قبل الحريق كما كان موقف الـراية و د. ش منطقياً أيضاً مع موقعيهما من الوفد قبل الحريق أيضاً.

ماذا كان في الهايكستب سنة ١٩٥٢:

كاتب هذه السطور لم يمكث المدة كلها (سنة أشهر تقريباً) في الهايكستب. بل قضى جزء من هذه الفترة في سجن مصر، مع المحكوم عليهم في قضايا الشيوعية. لكن يمكن أن أسجل هنا ما عايشته في معتقل الهايكستب سنة ١٩٥٢. القوى السياسية التي كانت متواجدة في معتقل الهايكستب سنة ١٩٥١ كانت:

- الشيوعيين من حدثو وغيرهم (كانت لحدثو الغالبية).
- الحزب الاشتراكي (كان من ضمنهم حلمي الغندور وعادل حسين وآخرين).
- الحزب الوطني (فتحي رضوان).
- أنصار السلام (يوسف حلمي وسعد كامل).
- الوفديون (بعض العناصر المرتبطة بفؤاد سراج الدين).
- الفدائيون.

وكان هناك جزء كبير من قادة حدثو في المعتقل أذكر منهم (زكي مراد - فؤاد حبشي - محمد شطا - يوسف مصطفى - الجنيد علي عمر - كمال شعبان) وكانت الجهود العامة لتنظيم حدثو داخل المعتقل مركزة في:

(١) إجراء حوار وتدعيم العلاقات السياسية مع ممثلي المجموعات السياسية الأخرى (وفديين واشتراكيين وحزب وطني) وأذكر في هذه المناسبة أن حدثو اقترحت الامتناع عن استلام وجبات الطعام يوماً واحداً تضامناً مع أحمد حسين الذي كان يحقق معه لتقديره للمحاكمة آنذاك.

(٢) القيام بعمليات تنقيف لأعضاء حدثو من المعتقلين.

(٣) مد الرفاق الذين يقيمون في الخارج بكافة المساعدات المادية وغير المادية.

الجانب الإعلامي في نشاط حدتو:

كان لحدتو مجلات علنية، ومجلات سرية في نفس الوقت، وذلك في الفترة من ١٩٥٠-١٩٥٢ كما كان الشأن بالنسبة لها في الفترات السابقة عن هذه الفترة.

فيما يتعلق بالمجلات العلنية:

في بداية خروج الرفاق من المعتقل سنة ٥٠ أصدرت حدتو مجلة البشير "بالتعاون مع فتحي الرملي" وأذكر أنها توقفت، وصدرت بعدها مجلة أخرى تحمل اسم "المستقبل"، وصدر منها عددان أو ثلاثة تقريباً. ثم أشرفت بعد ذلك حدتو سياسياً ومالياً وتحريرياً على إصدار مجلة "الملايين".

وقصة "الملايين" قبل الإشراف الشامل لحدتو عليها كانت تتلخص في:

أن الأستاذ أحمد صادق عزام المحامي كان صاحبها والمشرف عليها سياسياً بحكم قدرته المالية على متابعة إصدارها، ولكن هذه القدرة توقفت في لحظة معينة إذ كان التمويل المالي لمجلة تقدمية فوق قدرة أي شخص مهما كان، وإذا نهضت هذه القدرة فلا بد أن تتوقف في الطريق، وتوقفت فعلاً.

وهنا ظهر ممولون جدد، يستهدفون من خلال قدرتهم المالية شيئين:

الأول: الإعلان عن أسمائهم ككتاب.

الثاني: التحكم السياسي فيما يكتب في مثل هذه المجلة، كان هذا الممول هو الأستاذ أحمد شوقي الخطيب المحامي، وكان عضواً بحدتو قبل الانقسام في ١٩٤٨، ثم أصبح عضواً بالعمالية الثورية بعد الانقسام وترك الكفاح الشيوعي المنظم بعد غلق المعتقلات في سنة ١٩٥٠ وكانت لقدرة أحمد شوقي الخطيب المالية حدود، وبالتالي كان لإمكانية الإشراف السياسي حدود أيضاً.

ومما أذكره أن المجلة تحت إشراف أحمد شوقي الخطيب المالي والسياسي كانت مفتوحة لاتجاهات متضاربة.

حينما واجهت مجلة "الملايين" محنة الغلق والاحتجاب تقدمت حدتو إلى أحمد صادق عزام بعرض مؤداه، أن تتكفل حدتو بالتمويل المالي للمجلة، والإشراف السياسي، وكذلك مسئولية توزيعها.

من الناحية المالية كان العدد الواحد يكلف حدتو ما يقرب من ١٠٠ مائة جنيهه أسبوعياً، أي ٤٠٠ جنيه (أربعمائة جنيه شهرياً)، ومن ناحية التوزيع كانت حدتو تتولى توزيعها من خلال الرفاق والأجهزة الحزبية ولم تكن تتعامل مع شركات توزيع الصحف، ولم

يكن أمر التوزيع عسيرًا إذ كان مجمل ما يطبع منها أسبوعيًا حوالي ٥٠٠٠ (خمسة آلاف نسخة كانت المشكلة في التوزيع مشكلة مالية بالدرجة الأولى، فالرفاق وكذلك الأجهزة الحزبية لم تكن توافي إدارة المجلة بقيمة النسخ المباعة، بل كانت تطلب المزيد منها دائمًا، ليس هذا فحسب في مصر، بل وفي السودان للتوزيع بمعرفة (الحركة السودانية للتحرر الوطني حستو) كانت لا ترد قيمتها، ومن هنا كانت المجلة تحمل عبئًا ماليًا لميزانية حدثو شهريًا حوالي ٤٠٠ (أربعمائة جنيه).

ورغم كل الأعباء المالية والتحرير الملقاة على حدثو حاولت بعض العناصر الماركسية ومنها عناصر ذات نزعة تروتسكية آنذاك (كامل زهيري - عادل أمين) أن تتسلل بمقالات إلى المجلة، منتهزة النوايا الطيبة لأحمد صادق عزام، محاولة خلق تناقض بينه وبين عناصر حدثو، لكن حدثو وقفت بحزم ضد اتجاهات التسلل هذه.

كان القائم برئاسة تحرير المجلة هو (إبراهيم عبد الحليم) كان يتصرف في كل مواد المجلة ما عدا المقالة الرئيسية التي تعبر عن وجهة نظر (المكتب السياسي أو السكرتارية المركزية).

أقول ذلك لأنني كنت المكلف بصياغة هذه الكلمة لمدة شهرين تقريبًا في سنة ١٩٥١ وخاصة بعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦، كانت المقالات التي أكتبها تعبر فعلاً عن وجهة نظر الأجهزة المركزية وخاصة السكرتارية المركزية لأن خطوطها العامة كانت توضع بمعرفتها، ومع هذا فإن هذه فإن المقالات تتميز بعيين رئيسيين:

أولاهما: الحدة الشديدة في تناول الموضوع.

ثانيهما: افتقاد الأسلوب الصحفي في صياغة المقال.

ونتيجة ذلك أذكر أن مجلة "الملايين" صودرت أكثر من مرة، مما دفع الزملاء في قيادة حدثو أن يقرروا بأن تبلغ نقاط المقالة الرئيسية التي تعد بواسطة السكرتارية المركزية إلى (إبراهيم عبد الحليم) ليعيد صياغتها في أسلوب صحفي يبعد "المجلة" عن مخاطر المصادرة.

وكانت حدثو تتعامل في موضوع توزيع "المجلة" بأسلوب ثوري، جانبه الأول - كما قلنا - التوزيع عن طريق الرفاق والأجهزة الحزبية - أما جانبه الثاني، فكان وضع اليد على "المجلة" قبل البوليس، بحيث يترك له عدد محدود يتم مصادره أما الجزء الأكبر من العدد المصادر فكان يوزع من خلال الزملاء.

وخبرة عدم تمكين البوليس من المصادرة الفعلية للعدد أكتسبها رفاق حدثو من خلال تعاملهم التوزيعي مع مجلة "الجماهير" التي كانت تصدرها حدثو؛ إذ كان العدد يستولي عليه

قبل تمكن البوليس من مصادرتة.. وكان العمل بهذا الأسلوب الثوري يوسع من ناحية نطاق نفوذنا السياسي، ومن ناحية كان يقلل من الخسائر المالية الناجمة عن المصادرة الكاملة للعدد. وظلت مجلة "الملايين" تواصل الصدور تحت الإشراف السياسي والتحريري والمالي لحدثو حتى حريق القاهرة.

بالنسبة للصحافة السرية:

لم تكثف حدثو بإصدار مجلاتها العلنية في تلك الفترة، بل كانت تصدر مجلات سرية، كانت مجلة "الكفاح" هي مجلة حدثو السرية الموجهة للجماهير، أما مجلة "الكادر" فكانت مجلة موجهة للأعضاء فقط.. ومن الملاحظ أن مجلة "الكفاح" لم تكن منتظمة في الصدور بسبب الانتظام في صدور الصحافة العلنية (البشير - المستقبل - الملايين) التي كانت تغطي جزءاً كبيراً ما يمكن نشره في الصحافة السرية.

وكان الرفاق في قواعد حدثو يطالبون بالانتظام في صدور الصحافة السرية مع الاستفادة بإمكانيات الصحافة العلنية، وكان هذا الأمر محل انتقاد من المنظمات الأخرى.

وفي تقديري أن انتظام صدور الصحافة السرية لم يكن أمراً صعباً، إذا توافر التنسيق بين الهيئة المشرفة على تحرير الصحافة العلنية وتلك المشرفة على إصدار الصحافة السرية، ففي كل مرحلة توجد المواد والأخبار التي لا يمكن نشرها في الصحافة العلنية بحكم خضوعها لقوانين الرقابة الصحفية.

حدثو وجهود الدعاية والتثقيف الحزبي:

حسبما أذكر فالمجهودات الدعائية والتثقيفية لم تكن كبيرة.

ففي جانب المحاضرات، أذكر أن حدثو ترجمت تقريراً مطولاً عن التيتوية تهاجمها وتكتشف الجوانب التحريفية فيها، وكان هذا متمشياً مع الخط العام للحركة الشيوعية الدولية آنذاك.

كما أعدت "حدثو" مجموعة من المحاضرات الدعائية الصغيرة، كان قد لعب دوراً في إعدادها المرحوم أحمد أبو العلا زوج السيدة أنجي أفلاطون، وكان عضواً بمكتب الدعاية آنذاك.

كما طبعت حدثو بعض كتيبات "ماوتسي تونج" و "ليو شاوشي" أذكر منها "الديمقراطية الجديدة" و "كيف تكون شيوعياً طيباً" وفي هذه الفترة بالذات وبحكم الانشغال بقضايا مراحل



الثورة منذ معتقلات ١٩٤٨ كانت الأدبيات الصينية السياسية تجد رواجًا بين الشيوعيين المصريين وخاصة في صفوف حدتو.

وفي الغالب لم تعقد مدارس كادر في تلك الفترة، باستثناء بعض المدارس التي عقدت في معتقل الهايكستب يناير - يوليو ١٩٥٢.

وعموماً كان الاهتمام بالعمل التثقيفي والدعائي ضعيفاً وهذا أمر كان يستوجب النقد والتصحيح وإن كان وراء هذا الضعف أسباب عديدة أهمها:

(١) انشغال قيادة حدتو بالنشاط السياسي وال جماهيري اليومي إلى جانب النشاط التنظيمي الداخلي.

(٢) عدم وجود جهاز كفء للدعاية والتثقيف، فلم يكن هناك مكتب مكتمل للدعاية يعاون مسئول الدعاية المركزي طوال تلك الفترة من ١٩٥٠ - ١٩٥٢ وكان هذا المسئول هو السوداني (الجنيد علي عمر) الذي كان العمل الدعائي يمثل عبئاً غير محتمل بالنسبة له، وكان (الجنيد) يكره العمل الدعائي وكان يكرر دائماً أمامي القول بأن كتابة أو ترجمة عمل دعائي يمثل بالنسبة له "حالة ولادة".

(٣) احتقار - العمل الفكري من جانب قيادة وكوادر حدتو وهو احتقار عززه الدور التخريبي الانقسامي الذي قام به جزء كبير من متقفي حدتو، هذا الدور التخريبي لم يكن من المفروض أن يؤدي إلى احتقار العمل الفكري، وإن أدى إلى احتقار دور هؤلاء المتقفين في العمليات التخريبية والانقسامية.

الرأية و د. ش في ميدان الثقافة والدعاية:

كانت جهود "حدتو" في مجال الدعاية والتثقيف قليلة بالمقارنة بدور وحجم حدتو السياسي وال جماهيري، وهي جهود لا يمكن أن يرتفع إليه مجهود الرأية و د. ش، فجهود هذين التنظيمين في هذا المجال كانت في مستوى العدم تقريباً إذا قارناها بجهود حدتو القليلة والضعيفة.

لم نسمع أن الرأية و د. ش ترجمتا أو طبعتا كتباً نظرية أو محاضرات كبيرة كمحاضرة "النتيوية" التي ترجمتها وطبعتها حدتو؛ إذ كان المرتكز الدعائي والتثقيفي للرأية لا يتعدى دراسة بعض مقالات وتقارير الرفيق (خالد - فؤاد مرسى).

* * *



٩- حدثو في معركة الكفاح

ضد الانقسام ومن أجل الوحدة

في الفترة من ١٩٥٠-١٩٥٢

في فترة الأزمة السياسية والجمهورية التي امتدت بدورها إلى أزمة في صفوف التنظيم الشيوعي في ١٩٤٨، انتشرت الاتجاهات الانقسامية وتكونت عدة تنظيمات انقسامية رفعت أكثر الشعارات تطرفاً ويسارية في السياسة والتنظيم. في بدايات سنة ١٩٥٠ كانت هناك عدة تنظيمات شيوعية موجودة في الساحة السياسية أشرنا إليها فيما سبق ونستعرضها في إيجاز شديد. ما هي التنظيمات التي اندمجت في حد تو وما هي التي ظلت خارجها في نطاق الفترة التي ندرسها ١٩٥٢-٥٠.

أسماء التنظيمات الشيوعية:

- (١) الحركة الديمقراطية للتححر الوطني (حدثو) التي واصلت العمل مباشرة بعد غلق المعتقلات بعدد قليل من قادتها وعدد قليل من أعضائها بعد أن أنهكها العمليات الانقسامية طوال الفترة ٤٨-١٩٤٩.
- (٢) نحو حزب شيوعي مصري (نحشم) وهو عبارة عن تنظيم تشكل من اندماج (العمالية الثورية) و (نحش) وبعض عناصر حدثو في تنظيم واحد، وكل عناصرها الانقسامية كانت منقسمة من حدثو أثناء الأزمة.
- (٣) منظمة (النجم الأحمر) وهو انقسام من (نحش) تشكل على أساس أن (نحشم) ليست منظمة كفاحية وأنها تعادي العمال، وطوال الفترة التي ندرسها كانت هذه المنظمة تدور في فلك د. ش سياسياً وكل عناصرها كانت منقسمة عن حدثو أثناء الأزمة.
- (٤) الحزب الشيوعي المصري (الراية) وقد سبق التعرض لطريقة تشكيلها وروافد هذا التشكيل، ويمكن أن يقال إن بعض عناصرها قد انقسم عن حدثو.
- (٥) الفجر الجديد أو د. ش، وهو تنظيم نما مستقبلاً عن ح. م وحدثو منذ نشأة الحركة الشيوعية الوسطى قبيل وخلال الحرب العالمية الثانية.

٦) منظمة (جات) التي كان يتزعمها الدكتور عصام جلال وكان من أبرز عناصرها أحمد طه.

٧) أما منظمة (م. ش. م) فرغم أنها كانت أكبر تجمع انقشامي من حدثو في ١٩٤٨، فقد أحبطت تماماً وابتعدت عن الساحة السياسية في الجزء الأكبر من الفترة التي ندرسها ١٩٥٢-٥٠، أحبطت بفعل التطرف اليساري في الميدانين السياسي والتنظيمي بعد أن هاجر أهم قادتها للخارج، وطوال الفترة التي ندرسها كانت لها بعض العناصر المسجونة في قضايا شيوعية لكن لم يكن لها وجود حقيقي في الساحة السياسية؟

التقارب والتباعد بين حدثو وهذه التنظيمات:

من خلال الممارسات السياسية والجماهيرية التي تعرضنا لها بالتفصيل في الصفحات السابقة حدث تباعد سياسي وتنظيمي وجماهيري بين حدثو وبعض المنظمات التي شكلت عملياً التيار الانتهازي، كانت الراية و د. ش وكذلك النجم الأحمر بعيدة تماماً عن حدثو، وكانت تتخذ مواقف سياسية وجماهيرية متناقضة في الجوهر مع موقف حدثو في كافة القضايا التي تعرضنا لها.

وبالتالي لم تكن قضية الوحدة بين هذه التنظيمات الثلاثة وحدثو أمراً ممكناً أو سهلاً لسببين:

أولهما: الفروق الشاسعة في الميادين السياسية والجماهيرية كما سبق أن شرحنا بالتفصيل.

ثانيهما: أن هذه التنظيمات الثلاثة كانت تعادي قضية الوحدة بشكل جذري، كانت د. ش أقدم وأرسخ قدماً في معاداة الوحدة تاريخياً بحكم أنها نشأت خلال الحرب العالمية الثانية، وعادت وحدة حدثو في سنة ١٩٤٧. أما الراية فرغم أنها حديثة النشأة بالمقارنة بـ د. ش فكانت ترفع شعار أنها فقط (الحزب) وكل من خارجها ليسوا شيوعيين، واستمرت في هذا المنهج حسبما سنرى فيما بعد حتى سنة ١٩٥٧، أما منظمة البحر الأحمر فلم تكن ذات تأثير يذكر في هذا الميدان ولا غيره سلباً أو إيجاباً.

والنتيجة المستخلصة من هذا العرض السريع أن هذه التنظيمات الثلاثة كانت تشكل التيار الانتهازي في الفترة التي ندرسها، وانتهازيته لا تجسدها فقط مواقفها السياسية والجماهيرية بل تجسدها وهذا أمر منطقي تماماً موقفها العدائي من قضية توحيد الشيوعيين في مصر.

والغريب في الأمر أنه رغم الاتفاقات السياسية والتنظيمية بين د. ش والنجم الأحمر لم تحدث وحدة بينهما أو اندماج من النجم الأحمر في د. ش رغم ما يشاع من أنه كانت هناك محاولات بينهما لإتمام عملية وحدة أو اندماج، وعلى العكس من ذلك تحققت عمليات وحدة واندماج بين حدثو وبعض المنظمات الأخرى التي تقاربت معها سياسياً وجماهيرياً وبالتالي تقاربت معها تنظيمياً، سواء اتخذ هذا التقارب شكل وحدة أو اندماج. وهذا أمر سنتعرض له تفصيلاً في الصفحات القادمة.

التقارب بين حدثو وبعض المنظمات الماركسية:

في السطور السابقة أشرنا إلى التباعد السياسي والجماهيري بين حدثو من ناحية ومنظمات (الراية و د. ش والنجم الأحمر) من ناحية أخرى. وإلى جانب التباعد كانت تلك المنظمات ترفض مبدأ الوحدة مع حدثو بل وكانت تتهمها بأبشع الاتهامات.

وعلى العكس من ذلك حدث تقارب سياسي وجماهيري مع منظمات (نحشم وجات) وانعكس هذا التقارب في قبول هاتين المنظميتين الاندماج في حدثو، وقد تواكب مع هذا الاندماج أن مجموعة من (م. ش. م) انضمت إلى حدثو (محمد عباس فهمي وإخوته) وكذلك انضمت إلى حدثو مجموعة كانت منسلخة من (نحش) أذكر منهم (إبراهيم المنسترلي - أحمد فؤاد الذي كان رئيس بنك مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو - أحمد أبو العلا وزوجته الفنانة أنجي أفلاطون) كما انضم إليها (عبد المنعم الغزالي) مع النجم الأحمر.

وهنا يثار تساؤل هام هو لماذا اتحدت أو اندمجت تلك التنظيمات والمجموعات والعناصر في حدثو في تلك الفترة؟ لماذا حدث هذا بينما كانت غالبية هؤلاء معاول هدم لحدثو في الفترة من ٤٨ إلى نهايات ٤٩ وبدايات سنة ١٩٥٠ باعتبارها تنظيمات ومجموعات وعناصر ساهمت بشكل أو آخر في عمليات الانقسام عن حدثو؟

تتلخص العوامل التي ساعدت على الوحدة والاندماج في المناخ الديمقراطي والجماهيري العام والقوة السياسية والتنظيمية التي اكتسبتها حدثو والخبرة المكتسبة من مرارة وخسائر الوضع الانقسامي.

ولا شك أن هذه العوامل الثلاثة التي أشرنا إليها كانت مفقودة في سنوات ٤٨-٤٩، وافتقادها كان من العوامل التي سببت وسهلت عمليات الانقسام.

واستخلاصاً للدروس سوف نستعرض بشيء من التفصيل وجود أو افتقاد تلك العوامل الثلاثة، مقارنة بين الوضع في ٤٨-٤٩ حيث ازدهرت الانقسامية وبين الوضع في ٥٠-١٩٥١ حيث ازدهرت نسبياً الرغبة التوحيدية.

هذا الاستعراض والمقارنة هامة، فبدونهما، تصبح الرؤية لقضية الانقسام والوحدة رؤية عاطفية وغير علمية، وقد تفسر أحياناً بأنها نتائج مؤامرات أو عوامل شخصية أو نفسية. كثيراً ما نسمع عن أن هناك عوامل معينة وراء المحاولات الانقسامية كالتآمر، ومحاولات أجهزة الأمن، أو اضطهاد القيادة المركزية لكوادر المنظمة.. إلخ. من العوامل الثانوية التي قد تكون صحيحة بدرجة أو أخرى إذا لم نغفل العوامل الأساسية وراء الوضع الانقسامي سواء في نشأته واستمراره.

وكثيراً ما نسمع - وخاصة في فترة الأزمات السياسية والتنظيمية أن تلك الأزمات والأخطار تستوجب الوحدة بين الشيوعيين، وهذا القول يعكس بحق الطموح العاطفي المشروع من أجل الوحدة ولكنه طموح لا علاقة له بالعلم الثوري ولا بالتجربة الثورية. نستخلص من هذا أن للانقسام والوحدة قوانين موضوعية لا بد من الاسترشاد بها في دراسة هذه القضية.

وعلينا - الآن - أن نستعرض بشيء من التفصيل الظروف التي ساعدت على إتمام عمليات الوحدة والاندماج في الفترة من ١٩٥٢-٥٠.

أولاً: المناخ الجماهيري والديمقراطي الملائم للوحدة:

في ظل هذا المناخ الجماهيري والديمقراطي العام في فترة حكم الوفد من ١٩٥٢-٥٠ انتعشت الحركة الجماهيرية والسياسية للطبقة العاملة وفئات الشعب الكادحة في الوطن كله، وبالتالي انتعشت حركة الطلائع السياسية وبشكل خاص (حدثو).

وتبلور هذا الانتعاش في الصحافة التقدمية العلنية التي تعددت أسمائها (البشير - الملايين - الميدان... إلخ)، كما تبلور في البناء الشامخ لحركة السلام المصرية، وفي اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال مصر، وفي إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واشتعال الكفاح المسلح في القنال.

في ظل هذا الجو الديمقراطي والانتعاش الجماهيري حدثت لقاءات نضالية بين عناصر حدثو وعناصر بعض التنظيمات الأخرى وبالذات (نحشم) وتواكب مع هذه اللقاءات انتعاش الأمل في تحقيق وحدة أو اندماج بين التيار الثوري (حدثو) وبين الفصائل والمجموعات والعناصر التي ابتعدت عنها في فترة سابقة، ووجد هذا الأمل طريقه للتحقيق.

ما حدث في الفترة من ١٩٥٢-٥٠ في انتعاش لقضية الوحدة نتيجة انتعاش الحركة الجماهيرية والسياسية وتحقيقها هو ما حدث بالضبط في سنوات ٤٦-١٩٤٧، ففي تلك الفترة

أيضاً، انتعشت الحركة الجماهيرية والسياسية، بالرغم من أن البلاد كانت تحكم في تلك الفترة بحكومات الأقليات الحزبية.

وأدى ذلك الانتعاش الجماهيري والسياسي على تحقيق الوحدة بين منظمتي (حدثو وأسكرا) في يونيو ١٩٤٧ في منظمة واحدة هي (حدثو).

نستخلص من هذا الاستخلاص قانوناً هاماً نابعاً من تجربة الحركة الثورية المصرية هو أن توفر المناخ الجماهيري والديمقراطي العام يحقق الإمكانية الفعلية لوحدة الشيوعيين المصريين.

وعلى العكس من ذلك فإن سيادة الإرهاب من قبل السلطة الحاكمة وانكماش الحركة الجماهيرية، وعزلة الشيوعيين عنها، يخلق المناخ الملائم للانقسام في الحركة الشيوعية المصرية، وشيوع التشرذم فيها.

وفي ظل هذا الانقسام قد توجد الرغبة العاطفية للوحدة، ولكنها لا تتحقق في الغالب الأعم، أكبر دليل على ذلك في الفترة من ٤٨-١٩٥٠ هو أن سيادة مناخ الإرهاب في ظل حكومات الأقليات وانكماش الحركة الجماهيرية مع التحضير المحموم لحرب فلسطين (١٥ مايو ١٩٤٨) أدى إلى انتعاش الاتجاهات المعارضة - نحو منظمة بلشفية - العمالية الثورية - نحش وقد انتعشت تلك الاتجاهات الانقسامية تحت مختلف الحجج والدعاوي السياسية والنظرية التنظيمية).

نستخلص من هذا القانون النقيض لقانون الوحدة وهو أن سيادة الإرهاب وانكماش الحركة الجماهيرية والسياسية يشجع اتجاهات الانقسام والتشرذم في الحركة الشيوعية المصرية.

فقد تتولد رغبة عاطفية هنا أو هناك لتحقيق الوحدة في ظل هذا المناخ، ولكن هذه الرغبة لن تجد طريقها لتحقيق إلا إذا تغير هذا المناخ المعاكس، وأصبح مناخاً ديمقراطياً وجماهيرياً ملائماً للوحدة.

إن استعراض قانون الوحدة، وقانون الانقسام في الحركة الشيوعية المصرية، ليس الهدف منه الاستسلام لأي من القانونين استسلاماً قديراً، بل الهدف منه هو فهمه والتعامل معه والتأثير فيه لزيادة فاعليته الإيجابية والحد من آثاره السلبية.

فإذا كان الإرهاب الشامل مع ما صاحبه من انكماش في الحركة الجماهيرية والسياسية شجع كقانون عام حركة الانقسام والتشرذم، فإن التيار الثوري (حدثو) استخلص من هذا القانون للكفاح ضد آثاره السلبية ونتائجه السلبية (الانقسامية) والتوعية بآثارها الضارة، والحيلولة دون انتشار الحظر الانقسامي أو على الأقل الحد منه.

وفي الجانب المقابل إذا كان توفر المناخ الديمقراطي وانتعاش الحركة الجماهيرية والسياسية يشجع - كقانون عام - حركة السعي من أجل الوحدة، فإن التيار الثوري استخلص هذا القانون لاستخدامه بشكل ثوري يؤتي ثماره في أقرب وقت وبأقل التضحيات الممكنة. وهناك فرق شاسع بين انتظار "الانتصار" وبين الكفاح من أجله.

ثانيًا: القوة السياسية والتنظيمية التي اكتسبتها حد تو وساعات على الوحدة:

"حدثت التي تشكلت في يونيو ٤٧، اكتسبت سمعة سياسية وجماهيرية واسعة خلال فترة ستة أشهر (يونيو ٤٧ - نوفمبر ١٩٤٧) وازدادت قوتها التنظيمية خلال تلك الفترة، وتجسدت في ارتفاع أعداد عضويتها من ١٦٠٠ إلى ٤٠٠٠ عضو، كما ازداد توزيع مجلتها العلنية (الجماهير إلى ١٥,٠٠٠ نسخة).

ومن المعروف أن العمليات الانقسامية خلال ١٩٤٧، ١٩٤٨، والضربات البوليسية بعد حرب فلسطين قد أنهكت حدثو.

ورغم هذا كله فقد استعادت حدثو جزءًا هامًا من قوتها السياسية والتنظيمية والجماهيرية خلال عامي ٥٠-١٩٥١.

كل الأعمال الجماهيرية التي سردناها تفصيلًا بالصفحات السابقة كانت بقيادة حدثو، وبالتالي، كانت قوة حدثو سياسية وجماهيرية نقطة جذب للمنظمات والمجموعات والعناصر التي اندمجت في حدثو وخاصة أنها كانت في الأصل منسلخة من حدثو، أي كانت في الأساس عناصر "حدثوية"، كان الحنين يراودها للعودة إلى حدثو بعد أن ابتعدت عنها لسبب أو آخر.

ثالثًا: خبرة مرارة الانقسام:

وإذا كان المناخ الديمقراطي وما صاحبه من انتعاش للحركة الجماهيرية، وما ارتبط به من قوة سياسية وتنظيمية "لحدثو" وقد ساعد على تحقيق الوحدة بين (حدثو ونحشم وجات) فإن الخبرة المكتسبة من مرارة الانقسام كان عاملاً هاماً في هذا الصدد.

في فترة انتعاش الحركة الانقسامية في ٤٧-٤٨ كان من السهل خداع الكثيرين بحشر دعية الانقسام، بحجة الخلافات السياسية التي لا يمكن التوفيق بين أصحابها وأطرافها، وبحجة خيانة حدثو التي لا يمكن التعايش معها تنظيميًا.

عاشت تلك العناصر دوامة الانقسام، وكانت تتوهم أن تبني - من خلال انقسامها - منظمة شيوعية تفوق حدثو في قوتها وقد تحول هذا الوهم إلى سراب بعد معاناة الانقسام خلال سنتين.



لم تحصل تلك العناصر على المنظمة المنشودة بل على العكس من ذلك وصلت إلى نهاية الشوط إلى أن تكون في يدها منظمات وحلقات وشلل ضعيفة سياسيًا وجماهيريًا وتنظيميًا.

كان هناك طريقان أمام تلك العناصر التي انقسمت على "حدثو" في ٤٨، إما اليأس الشامل بما يصاحب ذلك من هروب لخارج البلاد، أو البحث عن الراحة الكاملة في الوطن، وهو ما حدث لمنظمة (م. ش. م) وبعض العناصر القيادية في العمالية الثورية، وأما استمرار في العمر الثوري وهو الطريق الذي كان يؤدي حتمًا للعودة إلى "حدثو" من جديد - أيًا كانت طريقة وأسلوب تلك العودة.

عادت تلك المجموعات والعناصر إلى "حدثو" بعد أن اكتسبت خبرة ثمينية، وبعد أن ذاقت مرارة الانقسام.

خطة حدثو لإتمام عمليات الوحدة والاندماج في تلك الفترة:

الظروف الموضوعية - التي أشرنا إليها في الصفحات السابقة - كعوامل مساعدة للوحدة لم تكن تؤتي ثمارها بدون خطة تنتهجها "حدثو" لإتمام عملية الوحدة، والقضاء التدريجي على الوضع الانقسامي.

وفي هذا الصدد أذكر أن الرفيق (كوريل) كان قد صاغ تقريرًا برأيه في قضايا الوحدة والصراع الأيديولوجي، وأرسله لقيادة حدثو، ووصل لها في ١٩٥٣ ونشر في ذلك الحين، ويقال إن "كوريل" صاغ هذا التقرير أثر مناقشة واسعة اختلفت فيها وجهات النظر بينه وبين (إبراهيم عبد الحليم) أثناء تواجد الآخر على المحاور التالية:

المحور الأول: أن بشاعة الوضع الانقسامي، قبل وحدة اسكرا و ح. م في يونيو ١٩٤٧ أو بعدها تستوجب الكفاح العنيد والمتواصل ضد الانقسام ومن أجل الوحدة، دون يأس أو إحباط.

المحور الثاني: أن تحقيق الوحدة الشاملة بين حدثو والمنظمات الماركسية الأخرى خارجها بضربة أو خطوة واحدة ليس أمرًا ممكنًا بسبب الفروق السياسية والتنظيمية والمواقف المختلفة من قضية العمل الجماهيري إلى جانب العداء التقليدي من جانب تلك المنظمات لقضية الوحدة، وكان هذا العداء ممزوجًا بالغرور من جانب (الرأية) وتجلّى هذا الغرور في الحديث عن (لا شيوعية خارج الحزب).

المحور الثالث: أن الوحدة بين حدثو والمنظمات الأخرى ستتحقق أساساً من خلال العمل الجماهيري في مختلف المجالات، ومن هنا كانت حدثو تركز على تشكيل لجان تنسيق كفاحية بينها وبين المنظمات الأخرى.

كانت حدثو ترى أن النضال من أجل الوحدة من خلال العمل الجماهيري سيؤدي إلى واحد من نتيجتين، إما تصفية المنظمات الأخرى وتبقى حدثو قوية، وإما إلى إذابة الشكوك وعدم الثقة والوصول إلى ممارسة مشتركة بين حدثو والمنظمات الأخرى.

المحور الرابع: أن تتأكد لحدثو القيادة السياسية والتنظيمية من خلال تلك الوحدات، ولذا كانت حدثو تتحمس دائماً أن يكون للمنظمات الماركسية مندوبون في اللجنة المركزية لحدثو دون أن تكون لتلك المنظمات غالبية في القيادة الجديدة.

ولم يكن هذا الأمر غريباً ولا شاذاً ولا شرطاً تعسفياً، فمن المعروف أن "حدثو" كانت أقوى من مجموع تلك المنظمات في المجالات السياسية والجماهيرية والتنظيمية.

هذه المحاور الأربعة لم تكن خاطئة، وإن كان ينقصها محور خامس هام هو (الاهتمام بالصراع الأيديولوجي)، وهذا نقد هام لتجربة حدثو في العمليات الوحدوية؛ إذ كان من الضروري أن تهتم حدثو بشن صراع فكري ضد الأفكار الخاطئة التي تروجها (الرأية و د.ش) باعتبارهما قطبي الرحى في التيار الانتهازي.

وكان وجه الخطأ في موقف حدثو هو تجاهل أهمية الصراع الفكري والاهتمام فقط بقضايا العمل الجماهيري في اقتناع منها بأن العمل المشترك وحده هو طريق الوحدة ونست حدثو أن الممارسات المختلفة في الميدان العملي خلقت مدارس فكرية وسياسية لا يمكن التوفيق بينها في عملية وحدوية، وأن الأمر يستوجب هزيمة مدرسة فكرية هي (مدرسة التيار الانتهازي) وانتصار مدرسة فكرية أخرى هي بالضرورة (مدرسة التيار الثوري).

ولم يكن من الضروري آنذاك الاهتمام بقضية الصراع الأيديولوجي من خلال "لجان وحدة" التي كانت المنظمات الأخرى ترفضها؛ إذ كان من الممكن إصدار (نشرة حوار) بمعرفة "حدثو" تتولى هذه المهمة الأيديولوجية.

لو قدر لمثل هذه النشرة أن تصدر لكان في الإمكان إلحاق هزيمة فكرية بكافة أو غالبية الأفكار التي تروجها (الرأية و د. ش آنذاك) عن سرية حركة السلام وطبقيتها، وعن الابتعاد عن النقابات العمالية بحجة أنها صفراء، وعن اقتصار كفاح الشيوعية في المدن لتدعيم الديمقراطية.. إلخ من الأفكار التي كانت تروج آنذاك.

ولو قدر لهذه النشرة الحوارية أن تصدر لما توقف دورها على هزيمة الأفكار الخاطئة للمنظمات الأخرى، بل إن هذا الدور كان يستند بالضرورة إلى تدعيم وجهات نظر حدتو السياسية والتنظيمية وتحصين عناصرها ضد كل الأفكار الواردة إليها من خارجها. كان افتقاد هذا الأسلوب في الصراع الفكري نقصاً هاماً في حدتو في تلك الفترة، وهو أمر يستوجب النقد الذاتي.

كيف تمت عمليات الوحدة بين حدتو والمنظمات الأخرى؟

أول منظمة اندمجت في حدتو، كانت (جات) والعوامل التي ساعدت على هذا الاندماج هي أن زعيمها الروحي د. عصام جلال سافر للخارج بهدف استكمال دراساته العليا في الطب، إلى جانب نمو العلاقات بين قادة حدتو وعلى الأخص (كوريل وسيل سليمان رفاعي) من ناحية وبين أحمد طه أبرز مناضل في تلك المنظمة وثاني رجل فيها بعد الدكتور عصام جلال، لقد نمت تلك العلاقات داخل معتقل الهايكستب وغذاها كون (أحمد طه) مناضل نقابي وعُمالي.

لا أذكر أن هناك مناقشات سياسية وتنظيمية جرت بين (حدتو وجات) وفور الاندماج أصبح (أحمد طه) عضواً في اللجنة المركزية لحدتو، بينما نظم رفاقه في المنظمة (إسماعيل جبر - صلاح سلمى - يحيى المازني وآخرين) في الهيئات التنظيمية الأخرى لحدتو، كل حسب قدرته وكفاءته.

تاني مجموعة اندمجت في حدتو، هي المجموعة التي انسلخت عن (نحش) قبل توحده مع العملية الثورية وتشكيل (نحشم).

كان من ضمن هذه المجموعة (أحمد فؤاد) وكان قاضياً في ذلك الوقت وأصبح فيما بعد ثورة يوليو ٥٢ رئيساً لمجلس إدارة بنك مصر، وكان من ضمنها كذلك (إبراهيم المناسترلي - أحمد أبو العلا زوجته أنجي أفلاطون وأنور أبو العلا شقيق أحمد أبو العلا).

وكان لهذه المجموعة صلات من ضباط الجيش، وقد مثل هذه المجموعة في اللجنة المركزية الأستاذ أحمد فؤاد الذي أصبح - في حدتو - مسؤولاً عن قسم الجيش الذي كان مشكلاً من الضباط الشيوعيين، وبحكم هذه الصلة كانت - لأحمد فؤاد - علاقات مع الضباط الأحرار. وعمل أحمد أبو العلا - داخل حدتو - في مكتب الدعاية المركزي، بينما كانت تعمل زوجته ضمن مجموعة العمل في حركة السلام المصرية.

وثالث مجموعة اندمجت في حدتو، كانت (نحشم) وكان ذلك في عام ١٩٥١، وهذه المنظمة تكونت نتيجة وحدة بين (نحش) وكان زعيمه (هلال شوارتز) وبين العمالية الثورية،

وبعض رفاق "حدثو" الذين كانوا في سجن مصر آنذاك (زكي مراد - سيف الدين محمد صادق).

ويقول رفاق حدثو الذين اندمجوا في (نحشم) إن ذلك الاندماج تم بناء على قرار من قيادة حدثو في الخارج التي كانت تتفاوض مع "العمالية الثورية" وهي القيادة التي كان من أعضائها السودانيان (الحنيدي علي عمر وأحمد سليمان)، وكانت هذه القيادة تتفاوض مع العمالية الثورية بعيداً عن قيادة حدثو في المعتقلات وفي ظل معارضة من (كمال عبد الحليم).

وأذكر أنني كنت أقضي فترة عقوبة (ثلاثة أشهر حبس) بسجن مصر في قضية مظاهرة الأزهر التي أشرت إليها فيما سبق، وهناك تقابلت مع (زكي مراد) وتناقشت معه - بحكم العلاقة الحميمة التي كانت تجمعنا - حول سلامة هذه الوحدة من عدمها، أصر كل واحد منا على موقفه، تمسكت باستمرارية حدثو وعضويتي فيها، واختار هو الاندماج في "نحشم"، وكان كمال عبد الحليم آنذاك في السجن باعتباره أحد قادة حدثو.

استمرت "نحشم" في نضالها منذ يناير ١٩٥٠، وكان من قادتها في الخارج (زكي مراد - أحمد الرفاعي - سيف صادق - فكري الخولي - عبد المنعم إبراهيم - عبد الحميد السحرتي - جمال شلي - أسما حليم).

وكان التنسيق الكفاحي الفعلي يتم بين رفاق حدثو ونحشم يتم في أوساط الطلبة وفي إطار حركة السلام المصرية والنضال الجبهوي، وكان الرفيقتان (زكي مراد - وأحمد الرفاعي) يمثلان "نحشم" في مجالات التنسيق مع حدثو.

خلال اللقاءات المشتركة نمت الرغبة والحاجة إلى تحقيق وحدة أو اندماج بين حدثو ونحشم، وبناء على ذلك جرت مناقشات سياسية وتنظيمية من خلال لجنة مشتركة تضم عناصر من حدثو ونحشم، كان يمثل حدثو في تلك المناقشات "سيد سليمان رفاعي وكاتب هذه السطور"، وكان يمثل نحشم فيها (زكي مراد وأحمد الرفاعي).

ونمت غالبية هذه اللقاءات في مدرسة شبرا الثانوية، وفي مكتب سكرتير المدرسة (محمود توفيق) وحضر بعض هذه اللقاءات الرفيق (عبد الخالق محبوب) أثناء تواجده بالقاهرة قادماً من السودان.

شملت المناقشات اللائحة والبرنامج، ولم تكن هناك خلافات ذات شأن حولهما، وانتهت المناقشات بوحدة بين حدثو ونحشم، وأصبح (زكي مراد وأحمد الرفاعي) عضوان في ل. م حدثو.

وكانت هناك معارضة شديدة في صفوف نحشم لإتمام هذه الوحدة، وكان من المعارضين لها (جمال شلبي - أسما حليم وآخرين) ممن هم خارج السجن، وفي داخل السجن كان من المعارضين لها (هليل شوارتز) الذي غادر البلاد للخارج عام ١٩٥٢. وقد انخرط المعارضون للوحدة في صفوف نحشم في عملية التوحيد وإن أصبحوا أقل حماساً في العمل بالمقارنة بعناصر نحشم الأخرى. أما في حدثو فلم تكن هناك أية معارضة للوحدة، باعتبارها تمت طبقاً لمعايير "حدثو" في الوحدة.

والمجموعة الرابعة التي اندمجت في "حدثو" هي العناصر التي وفدت إلى "حدثو" من م. ش. م (سعد رحمي ومحمد عباس وإخوته مصطفى وصفوت عباس)، وقد لعبت هذه العناصر وبالذات (محمد عباس فهمي وسعد رحمي) دوراً هاماً في بناء حدثو في الخمسينيات، فقد كانا ثوريين محترفين، وعملاً مدة كبيرة - هذه الصفة - في الصعيد.

الأوضاع التنظيمية الداخلية في حدثو:

استعرضنا - فما سبق - المواقف السياسية والأعمال الجماهيرية والإعلامية لحدثو، وقارنا بينها وبين مواقف وأعمال التنظيمات الماركسية الأخرى التي كانت تشكل التيار الانتهازي، كما استعرضنا عمليات الوحدة والاندماج التي تمت بين حدثو وبعض التنظيمات والمجموعات الماركسية.

وسوف نستعرض - فيما يلي من صفحات - تطورات البناء الداخلي في حدثو في الفترة من ١٩٥٠ وحتى قيام الثورة في ١٩٥٢.

الوضع القيادي المركزي لحدثو:

استأنفت حدثو عملها في فبراير ١٩٥٠ بقياد مركزية محدودة العدد، (كوريبيل - سيلد سليمان رفاعي - محمد شطا - كمال شعبان) وقد خرج الأربعة من المعتقلات في بداية عام ١٩٥٠، وانضم إليهم من الخارج (كمال عبد الحليم - الجنيد علي عمر).

مع نمو العمل الجماهيري، وإتمام عمليات الوحدة مع (جات ونحشم) توسعت القيادة المركزية لحدثو، بضم الرفاق (زكي مراد - أحمد الرفاعي - أحمد طه) للجنة المركزية. وفي منتصف عام ١٩٥٠ انضم كاتب هذه السطور وفؤاد حبشي ويوسف مصطفى للقيادة المركزية.

وتوزعت المسؤوليات في القيادة المركزية، بالشكل التالي (سيد سليمان رفاعي - كمال عبد الحليم - كمال شعبان) للقيادة العامة للمنظمة، وخاصة بعد نفي كوريبيل للخارج، وفي

مرحلة لاحقة تخصص (كمال عبد الحليم) للعمل العلني في حركة السلام المصرية كمسؤول أساسي عنه، أما (شطأ) فكان يعمل كمسؤول عن منطقة الإسكندرية، (فؤاد حبشي) مسؤول منطقة بحري، أما الباقون وهم (كاتب هذه السطور - يوسف مصطفى - أحمد طه) فكانوا يعملون بمنطقة القاهرة، ويعكس هذا اهتمام (حدثو) بعاصمة البلاد.

ومع بروز إمكانيات العمل الثقافي العلني تم تصعيد الرفاق (محمد علي عامر - سيد ترك - أنور فلتس) إلى القيادة المركزية، وشكل الرفاق الثلاث المكتب النقابي لحدثو تحت إشراف ومسئولية الرفيق "أحمد طه"، وعندما انضم "أحمد فؤاد" للجنة المركزية تولى مسؤولية قسم الجيش، وتولى الرفيق "زكي مراد" مسؤولية العمل في السلام والتحالفات مع القوى السياسية الأخرى، أما (أحمد الرفاعي) فإن تخصصه كان العمل وسط الطلبة.

وفي مرحلة لاحقة تم تصعيد (كمال الشلودي) الذي كان يعمل في البداية في منطقة القاهرة، ثم تخصص فيما بعد في الجهاز الفني للطباعة، وهو الجهاز الذي قام بطبع منشورات الضباط الأحرار في الفترة من فبراير ١٩٥٢ إلى يوليو ١٩٥٢.

يتضح من هذا العرض حقيقتان الأولى أن التوسع في القيادة المركزية كان يتم طبقاً لمقتضيات العمل واحتياجاته.

الثانية أن جزءاً كبيراً من قيادة حدثو كانت مخصصة للعمل الجماهيري للمنظمة. وكانت اللجنة المركزية لحدثو باتساع عددها وتمثيلها للمجالات المختلفة لا تجتمع معاً كهيئة مركزية واحدة، ولا يرجع هذا لاعتبارات الأمن؛ إذ كان من الممكن التغلب عليها في ظروف المناخ الديمقراطي العام في البلاد.

كان السبب وراء هذا الخلل التنظيمي فقدان الإحساس بأهمية القيادة الجماعية للمنظمة، إلى جانب أن تركيز النشاط في يد السكرتارية المركزية والمكتب السياسي حال - وهذا خطأ جسيم - دون عقد اللجنة المركزية بانتظام.

ومع هذا فإن كل مجموعة من مجموعات العمل المركزية كانت منتظمة في اجتماعاتها، وتناقش مشاكل العمل الموكول إليها علاوة على المشاكل العامة للمنظمة.

السكرتارية المركزية للمنظمة كانت مشكلة في البداية، بعد طرد كورييل لخارج البلاد من الرفاق (سيد سليمان رفاعي - يوسف مصطفى - الجنيد علي عمر - وكاتب هذه السطور)، وفي المرحلتين - المشار إليهما - كانت السكرتارية المركزية هي القيادة الفعلية الحقيقية لحدثو، وكانت تجتمع وخاصة في المرحلة الثانية يومياً، وكان هذا أمراً سهلاً بحكم أنها مشكلة من ثوريين محترفين.



ويلاحظ أن السكرتارية المركزية في المرحلة الثانية خلت تمامًا من الرفيقين (كمال عبد الحليم - كمال شعبان) لهذا الأمر أسباب مختلفة، (كمال عبد الحليم) طلب إعفائه من عضوية السكرتارية المركزية لصعوبة الجمع بين نشاطه العلني في حركة السلام وعضوية السكرتارية المركزية، وكان هذا أمرًا منطقيًا بطبيعة الحال، أما كمال شعبان فقد تولى عن عضويتها وعن الاحتراف الثوري بحجة واضحة وصريحة هي احتياجه للاستقرار العائلي (الزواج)، وقد اختار البحث عن عمل في الحكومة، وفعلاً التحق كمهندس مباني بوزارة الأشغال، ثم تولى عن العمل الشيوعي بشكل كامل، وأشهر أنه كان أميناً وشريفاً وصريحاً في عرض ظروفه الشخصية ولم يلجأ إلى المراوغة وانتحال الخلاف السياسي، أو تحميل المنظمة مسؤولية تخليه عن العمل الشيوعي، وكنت أقدر فيه هذه الصفات خاصة أنه علمني الكثير طوال مسؤوليته عني في حدثو، وكانت (كمال شعبان) مكانة كبيرة في نفوس الكثيرين في حدثو بما فيهم أعضاء القيادة المركزية.

الدليل على هذه المكانة، أن الرفاق المركزيين في حدثو حين كانوا في معتقل الهايكستب في يناير ١٩٥٢ استدعوه لممارسة دوره في القيادة المركزية بل ووصل الأمر على اختياره كمسئول عن مجموعة "حدثو" في الهايكستب.

كنت الوحيد - رغم صداقتي الشديدة له واعترافي بأستاذيته لي - المعارض لممارسة العمل المركزي في المعتقل واختياره مسؤولاً عن حدثو.

وكان تقديري الشخصي - نتيجة احتكاكي الشديد به - أنه سترك العمل الشيوعي تمامًا - كما كان الأمر قبل اعتقاله - فور الإفراج عنه، وهذا ما حدث فعلاً، وتباعد فعلاً "كمال شعبان" عن العمل الشيوعي وعن زملائه وأصدقائه في حدثو بعد ذلك، وكأن لسان حاله يقول هذا هو نهاية طاقتي وأدعو لكم بالتوفيق.

وقد روج بعض الرفاق - بعد ذلك - أن السبب في ترك كمال شعبان للعمل الشيوعي نشوب بعض المشاكل بينه وبين سيد سليمان رفاعي خاصة بعد طرد (كوريل) من مصر لكنني ما زلت أعتقد أن السبب وراء تركه للمنظمة كان سبباً شخصياً يتعلق برغبته في الاستقرار العائلي، ومن الضروري أن ندرك أن بعض الرفاق الشيوعيين قد يفقدون طاقتهم خلال مسار الطريق.

كان "كمال شعبان" يمارس في معظم حياته في "حدثو" المسؤولية التنظيمية وكان يمتلك قدرات كبيرة في هذا المجال، وبعد أن ترك العمل أصبحت المسؤولية التنظيمية مشاعة وموزعة بين كاتب هذه السطور و "يوسف مصطفى" ومع أن "سيد سليمان رفاعي" كان يتولى المسؤولية السياسية لحدثو، كان يضطر أحياناً إلى ممارسة أجزاء من المسؤولية التنظيمية.

لم تكن السكرتارية المركزية هي الوحيدة التي تمارس مهمات العمل المركزي في حدتو في ظل الغياب الكامل للجنة المركزية بل كان هناك المكتب السياسي الذي يجتمع على فترات لمناقشة القضايا ذات الصلة العامة.

ولم تكن قيادة حدتو المركزية خالية من الخلافات والمشاكل إلا أنها لم تتخذ طابع الخلافات السياسية، بل انحصرت في الخلاف حول بعض الممارسات مثلاً: الخلافات حول العلاقة بين العمل الجماهيري والعمل الحزبي والجهد المبذول في كل منهما.

كانت هناك مشاكل أساساً بين (سيد سليمان رفاعي وكمال عبد الحليم) حول حجم الدور الذي يمارس في العمل الجماهيري.

كان الأول يرى أن هناك تركيزاً من اللازم في الدور المبذول في حركة السلام المصرية التي تستوعب جزءاً هاماً من رفاق حدتو المركزيين وكوادرها الوسطى، بينما كان الثاني يرى أن هذا أمر طبيعي وليس فيه مبالغة.

واعتقد أن مصدر ذلك الخلاف هو ذلك التناقض الطبيعي الذي ينشأ بين من يعملون في العمل الجماهيري العلني وأولئك الذين يعملون في البناء الداخلي للتنظيم الحزبي، وككل التناقضات في أي حزب شيوعي يمكن أن يتحول هذا التناقض إلى شيء خطير إذا لم يعالج في الوقت المناسب.

وإلى جانب ذلك كان هناك نوع من التنافس على القيادة السياسية لحدتو بين (سيد سليمان رفاعي وكمال عبد الحليم) كان الأول بحكم النشاط العام والمتعدد النواحي الذي يبذله في المنظمة، وبحكم أنه منحدر من أصل عمالي يرى أنه الأجدر بالقيادة السياسية، وكان الكثيرون معه يرون فيه ذلك.

وقد كان هذا التفكير من جانب (سيد سليمان رفاعي) مع تمثل ممارسات المتقنين الأسكراويين في حدتو يثير بعض المشاكل، وكان يعتقد أن "كمال عبد الحليم" ينافسه في المسؤولية السياسية أو لا يعطيه قدره من الاحترام كمسئول سياسي للمنظمة.

وكانت بعض التصرفات من جانب (كمال عبد الحليم) تزكي هذا الاتجاه العدائي للمتقنين من جانب (سيد رفاعي)، فقد طرح في اجتماع المكتب السياسي لحدتو اقتراح بتصعيد (علي الشلقاني) إلى اللجنة المركزية باعتبار أنه يقوم بدور نشيط في حركة السلام بعد عودته من باريس إثر فترة غياب عن مصر.

وكان وراء هذا الاقتراح (كمال عبد الحليم) وكان (سيد رفاعي) يعارضه بإصرار، وكنت معه في موقف المعارضة، ورغم الحجج الكثيرة التي قدمت من المعارضين لإثبات عدم كفايته وعدم جدارته لعضوية اللجنة المركزية فقد صدر قرار الأغلبية بتصعيده، وقد

خبب (الشلفاني) كمتقف ومن أسرة ثرية ظن الأغلبية، فقد ترك العمل الشيوعي بعد حريق القاهرة.

ومن المسائل التي أثارث خلافاً حاداً في قيادة حدثو، ذلك الاتهام بالبوليسية الموجه إلى (محمد سليمان رفاعي شقيق سيد سليمان رفاعي).

خلاصة هذا الأمر، أن (كمال عبد الحليم) أخطر السكرتارية المركزية بأن محمد سليمان رفاعي وكان اسمه الحركي (ممدوح) هو المسئول عن القبض على كاتب هذه السطور في قضية شيوعية، والمسئولية هنا مسئولية (إبلاغ الأمن) وليس مجرد خطأ.

وزيادة في تأكيد الاتهام، أصر (كمال عبد الحليم) على القول بأن شخصاً في جهاز الأمن أبلغه بهذه الواقعة.

وبما أن الواقعة المنسوبة إلى (محمد سليمان رفاعي) كانت خاصة بي فقد أكدت - من جانبي - صحة الاتهام - ودلت على ذلك بأن المقابلة كانت بيني وبين (ممدوح) أمام سينما ديانا، وأن الهدف من المقابلة كان استلام أوراق استتسل لوثيقة حزبية منه من المفروض طباعتها، وفعلاً استلمت الوثيقة وبعد دقائق من مغادرتي لمكان المقابلة تم القبض علي من خلال كمين ضخم كان يرأسه "عبد الرحمن عشوب" الضابط بالبوليس السياسي آنذاك.

لو كان الأمر مجرد مصادفة أو خطأ لثم القبض على (ممدوح) معي والحوار الذي أجراه معي (عشوب) كان مضمونه أنه لا يهتم بمن أعطاني أوراق الاستتسل، إنما ينصب اهتمامه إلى أين سأوجه بالأوراق وإلى من ستسلم؟

في بداية الأمر لم ينصرف شكى إلى (ممدوح)، ولكن بعد توارد المعلومات واسترجاع شريط عملية القبض علي، تيقنت أن (ممدوح) عميل للبوليس السياسي، وأعلنت ذلك في كافة الاجتماعات الحزبية في مواجهة شقيقه (سيد سليمان) رغم الصداقة الشديدة اليت كانت تربط بيني وبينه.

كان سيد رفاعي ينظر للأمر من زاوية أن الطعن في (ممدوح) طعن فيه، بينما لم يكن الأمر كذلك على الإطلاق.

ويمكن أن يقال إنه رغم عدم وجود خلافات سياسية أو نظرية في حدثو، فإن غياب (كوريل) عن ساحة حدثو باعتباره كان الأب الروحي والمسئول السياسي عن حدثو قد حرك بعض التناقضات بين القادة الثلاثة (سيد سليمان - كمال عبد الحليم - شطا) وخاصة بعد انسحاب (كمال شعبان) تماماً من العمل، والملاحظ أن (شطا) لم يكن يقدم نفسه صراحة كمنافس "لسيد سليمان" ولم تكن الظروف تؤهله لذلك، فقد انقسم مع "العمالية الثورية" في

حدثو، وعاد إلى حدثو في المعتقل ناقدًا نفسه نقدًا ذاتيًا، ولكنه كان يتضامن مع "كمال عبد الحليم" في بعض المواقف مثل الموافقة على تصعيد (الشلقاني) للجنة المركزية.

ومع كل هذا فقد كان هناك اعتراف عام من كوادر "حدثو" وبالذات الكوادر الوسطى بجدارة (سيد سليمان) للقيادة السياسية للمنظمة نتيجة نشاطه العام، وامتد هذا التقرير حتى للرفاق في الحزب الشيوعي السوداني، وكنت واحدًا من الذين يعترفون بدوره ويقدرونه ورغم هذا الاعتراف بدوره وتقديره، فإن (سيد سليمان) كان يمارس معالجة الخلافات بطريقة سيئة وغير توحيدية مما كان يعيق حلها، فمن ناحية أطلق نظرية بين كوادر "حدثو" وبالذات في اللجنة المركزية مضمونها أن هناك تياران في حدثو أحدهما ثوري يتزعمه هو ويضم (سيد ترك - وآخرين من العمال، وكذلك زملاؤه في الطيران (فؤاد حبشي ويوسف مصطفى - والسوداني الجنيد علي عمر) وثانيهما تيار انتهازي يتزعمه (كمال عبد الحليم) ويضم بعض المثقفين في حدثو.

لم يكتف "سيد سليمان" بهذا التنظير بل كان يقوم أحيانًا بتحريض (فؤاد حبشي - ويوسف مصطفى وسيد ترك) ضد كمال عبد الحليم وضد بعض الرفاق الذين لعبوا دورًا في العمل الجماهيري العلني لحركة السلام.

ورغم أن كاتب هذه السطور كان عضوًا في السكرتارية المركزية فإنه لم ينخرط في هذا الصراع ذو الطابع الشخصي وكان يحاول دائمًا قدر استطاعته التوفيق فيما بين هؤلاء الرفاق، وكان يتخذ الموقف الموضوعي في المشاكل المثارة حسب اقتناعه.

أدلل على موقعي الموضوعي بالمثليين التاليين:

الأول: أنني حاربت مع (سيد سليمان) ضد تصعيد (علي الشلقاني) للجنة المركزية، ليس من منطلق أنه مثقف، أو لأنه متعاون مع "كمال" في حركة السلام، بل من زاوية محددة هي أنه كان هاربًا من العمل النضالي في أراضي مصر طوال ثلاث سنوات تقريبًا ٤٨-٥٠، إذا كان يعيش في هذه الفترة في باريس، إلى جانب انتمائه الطبقي، وقد كان تقديري في محله فقد ترك العمل النضالي بعد حريق القاهرة، وترك حتى النضال في صفوف حركة السلام المصرية. وفي المقابل حاربت مع كمال عبد الحليم معركة اتهام (ممدوح لقناعتي بحكم صلتني بالموضوع بصحة هذا الاتهام، رغم علاقتي القوية بشقيقه (سيد سليمان رفاعي).

مجالات النشاط التنظيمي لحدثو:

من الناحية الجغرافية لم يكن نشاط "حدثو" منحصراً في القاهرة والإسكندرية، كما هو الشأن غالباً بالنسبة للمنظمات الأخرى، بل امتد هذا النشاط إلى بعض محافظات الوجهين البحري والقبلي وإن كان نشاطهما في القاهرة والإسكندرية يحتل الأهمية الأولى.

كان حجم العضوية في القاهرة أكبر، والكوادر القيادية المخصصة لها أكثر.

في القاهرة، كان يعمل من الكوادر المركزية (كاتب هذه السطور - يوسف مصطفى - كمال الشلودي) إلى جانب ما يفرزه نشاط الكوادر المركزية في العمل العلني (السلام - الحركة النقابية - التحالفات السياسية)، وكان ينخرط في نشاط العاصمة مجموعة كبيرة من الكوادر الوسطى التي كانت تعمل في لجان الأقسام التابعة للقاهرة.

في الإسكندرية، كان العضو المركزي المسئول عنها هو (شط) وكان يعاونه في هذا العمل (شحاته عبد الحليم - سعد الساعي - سيد حسن عبده - فتحي داود - فؤاد منير وآخرين) في بحري كان العضو المركزي المسئول عنه (فؤاد حبشي) وكان يعاونه (طاهر البدرى - سيف صادق - عبد السلام الخشان - حامد الموجي - أحمد سليم - بدير النحاس - رفعت السعيد وآخرين).

العمل وسط فئات الشعب المختلفة:

لم تكن حدثو تحصر نشاطها التنظيمي والسياسي وال جماهيري في طبقة اجتماعية واحدة كالعمال أو فئة اجتماعية من فئات البرجوازية الصغيرة كالطلبة، بل على العكس من ذلك فإن هذا النشاط يمتد لكافة الطبقات والفئات الاجتماعية التي تشكل الأساس الاجتماعي والطبقي للجبهة الوطنية الديمقراطية، كالفلاحين والحرفيين والموظفين والتجار والقوات المسلحة.

ونظرًا لأن نشاط "حدثو" كان ينشأ وينمو في المدن أساسًا، فإن العمل بين العمال والطلبة كان يجد الاهتمام الأكبر، ولكن هذا الاهتمام لم يمنع "حدثو" من الكفاح ضد المقولة الخاطئة لـ (م. ش. م) بحصر النشاط كلية وسط العمال ١٠٠% أو مقولة "ع. ث" بالعمل ٧٥% وسط العمال، وهذه المقولات انتعشت كثيرًا في ١٩٤٨ وإن كانت قد انهزمت تمامًا في الفترة من ٥٠-٥٢.

في القاهرة، كان العمل وسط المناطق العمالية في شبرا الخيمة والمطرية والزيتون، وخاصة بين عمال النسيج، وذلك إلى جانب العمل وسط الطلبة وفي الأحياء السكنية، وفي مدينة الإسكندرية كان نفس الشيء الذي يحدث في القاهرة.

أما في بحري فقد كان هناك نشاط في صفوف الفلاحين في القرى بمحافظات الدقهلية ودمياط والغربية، وبين أبناء البرجوازية في المدن الصغيرة بتلك المحافظات الثلاثة وغيرها.

"حدثو" والتنظيم الفئوي للنشاط:



كان شكل التنظيم الفئوي هو السائد في حدتو حتى منتصف عام ١٩٤٨، وقد كان هذا الشكل من أسباب المشاكل والخلافات داخل "حدتو"، وارتكن الانقساميون في محاولاتهم لخداع العضوية وجرحها للانقسامات إلى وجود هذا الشكل.

وتثبت التجربة التاريخية للحركة الشيوعية المصرية والعالمية أن أشكال التنظيم ليست مبادئ أو أطر مقدسة لا يمكن الخروج عليها، بل هي على العكس وسائل وأشكال يمكن تجربتها والحكم عليها من خلال الفوائد والأضرار التي تحققها، فإذا أعطت نتائج إيجابية في العمل الجماهيري والتنظيمي يمكن الأخذ بها، والعكس بالعكس إذا أعطت نتائج إيجابية.

مثلاً، ثبت من تجربة ٤٦-١٩٤٨ أن تشكيل قسم خاص "للنوبيين الشيوعيين" في ج. م ثم حدتو أعطى نتائج أفضل في العمل الجماهيري (تشكيل روابط وجمعيات نوبية في القاهرة)، كما أعطى نفس النتائج في العمل التنظيمي (زيادة العضوية النوبية في حدتو)، وفي اعتقادي أن هذه النتائج لم تكن لتحقيق أو لأصبحت محدودة، ولو تم تنظيم الرفيق النوبي في مجال عمله، وكان هذا هو الوضع الملائم آنذاك لأن المواطنين النوبيين كانوا مركزين في أحياء شعبية معينة بالقاهرة، وكانت لهم أماكن خاصة تجمعهم، وكانت علاقاتهم المشتركة أقوى من علاقتهم بالمواطنين المصريين.

ويمكن الاستشهاد بأمثلة أخرى كتشكيلات الطلبة والسودانيين في ح. م وحدتو للتدليل على عدم قدسية الأشكال التنظيمية.

إذن، فإن تجربة الأشكال المختلفة للتنظيم والمقارنة بين نتائجها مسألة ضرورية ومطلوبة خاصة في بدايات العمل التنظيمي في مجال معين.

لقد عدلت قيادة "حدتو" جزئياً منذ ١٩٥٠ عن الأشكال الفئوية للتنظيم بالمعنى الذي كان متعارفاً عليه في حدتو آنذاك لا من باب إدانة تلك الأشكال كما فعل الانقساميون في ١٩٤٨، إنما من زاوية أن الأشكال الجغرافية تعطي نتائج أحسن في المرحلة الجديدة.

كانت الأشكال التنظيمية بعد ١٩٥٠ تجمع بين الشكلىن الجغرافي والفئوي في نفس الوقت، فالشكل الفئوي تبلور في (رابطة طلاب حدتو أو رابطة الطلاب الشيوعيين) وكان على رأس هذه الرابطة (عبد المنعم الغزالي)، أما الأشكال الجغرافية بالقاهرة فكانت (شبرا الخيمة - الزيتون) وكانت في الأساس أقساماً عمالية، وكانت هناك أقسام خاصة بالأحياء الشعبية في مدينة القاهرة (بولاق - السيدة.. إلخ).

وإذا كان الشكل الفئوي للطلاب أصبح قائماً حتى بعد ١٩٥٠، فإن هناك أشكال فئوية انتهت تماماً، مثلاً (قسم الأزهر) لانعدام العضوية به بعد ١٩٥٠، أو "القسم النوبي" لانشغال كوادره القديمة (زكي مراد - كاتب هذه السطور - محمد نور الدين سليمان جاسر) بالمهام

القومية لحدثوا أما "قسم الأجانف" فقد انتهى تماماً بعد أن فقد أهميته السياسية، بطرد الأجانف من مصر أو هجرتهم للخارج بعد حرب فلسطين (مايو ٤٨).

قضية البرنامج واللائحة في حدثوا:

كان لحدثوا في ١٩٥٠ برنامج ولائحة وكانت النقطة الجوهرية في ذلك البرنامج هي تحديد مرحلة الثورة بأنها ثورة وطنية ديمقراطية موجهة أساساً ضد الاستعمار وأعوانه من الإقطاعيين والبرجوازيين الخونة، باعتبارها خطوة أولى وضرورية نحو الثورة الاشتراكية، كما تضمن البرنامج بنوداً خاصة بتوزيع الأرض على الفلاحين، وتأميم المنشآت الكبيرة وخاصة ذات الطبيعة الاستعمارية، إلى جانب المطالب الخاصة بالفئات والطبقات الشعبية المختلفة، وكانت هناك - في البرنامج - مطالب خاصة بالقوات المسلحة، وبالأقلية النوبية.

أما جوهر اللائحة فكان أن النظرية التي تتبناها "حدثوا" هي الماركسية اللينينية التي تستهدف القضاء الكامل على استغلال الإنسان لأخيه الإنسان بإقامة الاشتراكية سعياً للهدف النهائي في بناء الشيوعية على أرض مصر.

وفيما يتعلق بالقواعد التنظيمية التي تحكم عمل "حدثوا" كانت اللائحة تنص على خضوع الأقلية للأغلبية، وخضوع الهيئات الدنيا للهيئات العليا، وخضوع المنظمة كلها لمركز واحد (المؤتمر العام واللجنة المركزية) وإدانة التكتلية والانقسامية في المنظمة.

وكانت اللائحة لا تقر مبدأ الانتخاب للهيئات العليا من الهيئات الدنيا، ولا انتخاب الهيئات لمسئوليتها السياسيين (باستثناء اللجنة المركزية) وكانت تأخذ بمبدأ التعيين للهيئات الدنيا والمسؤولين.

وقد طبع البرنامج واللائحة في مرحلة مبكرة من حياة حدثوا في ١٩٥٠؛ إذ شاركت شخصياً مع (يوسف مصطفى) في طبعهما في منزل أحد الرفاق الذين انضموا في حدثوا من مجموعة (جات).

اذكر هذه الواقعة لطرافتها، فقد فاجأنا - ونحن نقوم بالطباعة - أحد أقرباء هذا الرفيق الشاب (١٨ سنة)، وكان سن قريبه كبيراً ويبدو أنه كان ولي أمر هذا الرفيق.

فاجأنا بالسؤال ماذا تطبعون؟ وكانت إجابة (يوسف مصطفى) عليه فكاوية وهزلية وغير مقنعة، طلب الرجل كبير السن منا أن نحزم أمتعتنا (جهاز الطباعة والأوراق) ونرحل فوراً، ولم نكن نملك غير التنفيذ الفوري، ولا نعرف ماذا تم لرفيقنا صغير السن، فقد انقطع عن المنظمة بعد ذلك.

شبكة الثوريين المحترفين في حدثو:

كانت حدثو في هذه الفترة - سيرًا على تقاليدنا - حريصة على بناء شبكة واسعة من الثوريين المحترفين، تقوم بمهام بناء المنظمة.

لم تكن قيادة حدثو المركزية ضيقة الأفق في هذه القضية، فلم تبني شبكة الثوريين المحترفين لأداء العمل التنظيمي ذو الطبيعة الداخلية، بل سعت في نفس الوقت إلى بناء شبكة الثوريين المحترفين المخصصين للعمل الجماهيري بنوعياته المختلفة، سواء في مجال حركة السلام، أو الحركة النقابية.

وقد تخصص لهذا الجانب من العمل العلني من الثوريين المحترفين (كمال عبد الحليم - محمد علي عامر - سيد ترك)، كما تخصص للعمل التنظيمي العام والبناء الداخلي من الثوريين المحترفين (سيد سليمان رفاعي - يوسف مصطفى - فؤاد حبشي - محمد شطا - سيف الدين محمد صادق - ضياء بدر - عبد المنعم الغزالي - فوزي فام - كمال الشلودي - وكاتب هذه السطور).

أعضاء حدثو في السجون المصرية:

بعد تصفية المعتقلات في ١٩٥٠ ظل بعض السجناء الشيوعيين المحكوم عليهم بسنوات في السجن كان بعضهم أعضاء في م. ش. م، والبعض الآخر من أعضاء حدثو، أما الجزء القليل فقد كانوا أعضاء في (نحشم) التي اندمجت في "حدثو" بعد ذلك.

كان ضمن هؤلاء المسجونين الشهيدين (شهدي عطية الشافعي - محمد خليل قاسم - وفؤاد عبد الحليم - حمدي عبد الجواد - هلال شوارتز - مارسيل إسرائيل - عبد القادر العائدي - فؤاد الدهان - محمد حسن جاد "برق" - محمد يوسف الجندي - شرف حتاتة وآخرين).

ولم تنس حدثو - في غمار نضالها الجماهيري - هؤلاء الرفاق.

فأولاً: انتهزت فرصة إلغاء معاهدة ٣٦، ورفعت عاليًا شعار الإفراج عن المسجونين الشيوعيين، وفي المظاهرة الصامتة الضخمة التي تحركت في نوفمبر ١٩٥١ من ميدان التحرير واجتازت أهم شوارع القاهرة (سليمان باشا وفؤاد) كانت لافتات الإفراج عن الشيوعيين تحتل جزءًا هامًا من المظاهرة. وكان من المتوقع والممكن الإفراج عن هؤلاء لولا حريق القاهرة في يناير ٥٢.

وسيرًا على التقاليد الثورية لعبت "حدثو" دورًا هامًا في تهريب بعض رفاقها من المسجونين (محمد يوسف الجندي - الدكتور شريف حتاتة) من يد العدو الطبقي.

اختفيا في القاهرة في بداية الأمر، ثم سافرا خفية للخارج بعد ذلك، ولم يقيما بالخارج للأبد كما يحلو لبعض الثوريين ذوي الصيحات والصرخات العالية، فقد عاد الدكتور شريف إلى مصر في سنة ٥٣ وظل يكافح إلى أن قبض عليه وحكم عليه بالسجن في ١٩٥٤، أما الجندي فقد عاد لمصر في سنة ١٩٥٦ وظل يكافح إلى أن قبض عليه وحوكم في ١٩٦٠. ورغم وجود كفاءات فكرية وثقافية من الرفاق في السجون، فإن "حدثو" لم تستفد من هؤلاء الرفاق استفادة حقيقية في هذا المجال، وكان هذا نقصاً شديداً يستحق النقد.

وكان السبب وراء ذلك، هو أن "حدثو" في تلك الفترة لم تول قضية الدعاية والثقافة الاهتمام الكافي التي تستحقها بسبب الانغماس في النشاط العملي الجماهيري والتنظيمي، كما أن هناك عاملاً ثانوياً في انعدام الاستفادة بهؤلاء هو تشتتهم في أكثر من شجن بالوجهين القبلي والبحري تنفيذاً للخطة التي لجأت إليها السلطات البوليسية آنذاك.

وإذا كانت هناك جهود فكرية رأت النور - بعد ذلك - مثل الكتاب الذي أصدره الشهيد شهدي عطية الشافعي في ١٩٥٦ بعنوان (تطور الحركة الوطنية في مصر) فلم يكن هذا بتوجيه من القيادة الحزبية، بقدر ما كان جهداً فكرياً خالصاً من الرفيق (شهدي).

الأجهزة الفنية في حدثو:

كانت "حدثو" تركز معظم اهتمامها على إصدار الصحافة العلنية للمنظمة، وفعلاً كانت "لحدثو" في تلك الفترة صحافة علنية تعددت أسماءها من بدايات ١٩٥٠ وحتى حريق القاهرة. وفي الفترة من ٢٦ يناير (حريق القاهرة) وحتى قيام الثورة في ٢٣ يوليو، كان من المستحيل إصدار صحافة علنية "لحدثو" لانعدام الديمقراطية وغياب الشيوخ ووراء أسوار المعتقلات، ورغم هذا الاهتمام بالصحافة العلنية، فإن "حدثو" لم تنس - في لحظة ما - بناء أجهزة فنية سرية للمنظمة، تصدر صحافتها السرية.

وكانت تلك الأجهزة تتطور - حسب تطور قوة حدثو - في البداية كانت أجهزة بدائية جداً (رولوهات خشبية، ثم رولوهات، ثم مطبعة حروف بدائية).

والرفاق الذين ساهموا في العمل على الأجهزة الفنية، أو ساهموا في حمايتها والاتصال بها كانوا (سيد ترك) الذي كان يخفي الجهاز الفني بمنزله المملوك له بالدور الأرضي في المعادي، كما ساهم في هذا المجال (محمد محمود) الذي كان يقيم بالزيتون، وفي مرحلة لاحقة كان (توفيق ندا) ومحمد سليمان رفاعي "ممدوح" الذي سبق الحديث عنه كعميل للبوليس السياسي، وفي مرحلة متقدمة كان "كمال الشلودي" وملكون ملكونيان من أصل

أرميني)، وقد قاما بطباعة بيانات الضباط الأحرار في جهازها الفني، وتم ضبطهما ومحاكمتهما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢.

وقد وقعت تلك الأجهزة الفنية في يد البوليس السياسي في فترات مختلفة، أما نتيجة اختراق بوليسي (محمد سليمان رفاعي) أو لحدوث أخطاء شديدة في عمل الجهاز الفني أو في آليات الاتصال به.

وكان (سيد سليمان رفاعي) رغم مسئوليته السياسية عن حدثو يهتم شخصياً بمسألة متابعة الإشراف السياسي والفني على الأجهزة، وقد تم القبض عليه في إحدى القضايا الشيوعية الخاصة بجهاز فني، ومكث في السجن عشرين يوماً تقريباً.

أذكر هذا الواقعة بسبب أن (كمال شعبان) أقام ضجة كبيرة حول القبض على (سيد رفاعي) في قضية أجهزة فنية، كان (كمال شعبان) عضواً في السكرتارية المركزية للمنظمة، وكان في بداية تفكيره في الانسحاب من العمل الشيوعي.

ثارت مناقشة حامية بيني وبينه في تلك الفترة حول تلك الواقعة، كان يركز على دراسة أسباب ضبط الجهاز الفني والقبض على (سيد رفاعي) وإيقاف أي عمل قبل إتمام هذه الدراسة.

كانت وجهة نظري لا ترفض الدراسة المطلوبة، إنما كنت أطالب بتحريك دولا ب العمل، ثم انتظار الإفراج عن المقبوض عليهم، وقد اتخذت هذا الموقف حتى لا يتوقف دولا ب العمل، في إطار الإحباط الذي كاد أن يصيب الرفاق في الهيئات الحزبية بعد إعلان نبأ القبض على المسئول السياسي للمنظمة، كان (كمال شعبان) في حالة الاستعداد النفسي للتوقف عن العمل، ولذا لم يكن يهمه توقف العمل في المنظمة.

انتصرت وجهة نظري في النهاية، وتحرك دولا ب العمل الحزبي وكان الصوت المرجح، هو صوت الشيوعي السوداني (عوض عبد الرزاق) الذي كان يعمل ضمن السكرتارية المركزية "لحدثو" في ذلك الوقت.

لم تكن "حدثو" تكتفي بقدراتها الفنية المحدودة، بل كانت تحتل الاستفادة بإمكانيات أخرى ليست مملوكة لها، كطباعة بعض الكتب في مطابع علنية تجرؤ على القيام بهذا العمل مقابل أجر معين، يكون بالطبع أجراً سخياً لأن المطبعة كانت تقوم سرّاً بهذا العمل الذي يحمل طابع المخاطرة والمغامرة.

كما أن "حدثو" كانت تستعين برفاقها في الخارج (مجموعة روما) في طبع بعض الكتب وإرسالها إلى مصر على دفعات.

وكان هناك فرق شاسع بين تكنيك الطبع المتقدم في الخارج، والتكنيك المتخلف البطيء في مصر.

دور الشيوعيين السودانيين في عملية البناء الداخلي لحدتو:

سوف يقتصر حديثي - في الصفحات القادمة- عن دور الشيوعيين السودانيين في عملية البناء في الفترة من ٥٠-٥٢، ومن المعروف أن الجيل الأول من الشيوعيين السودانيين، جيل (عبد الخالق محبوب - التيجاني الطيب - عوض عبد الرازق) ساهم خلال تواجده في مصر في بناء (ح. م ثم حدتو) واستمرت هذه المساهمة حتى ١٩٤٩ تقريبًا؛ حيث عاد البعض من أبناء هذا الجيل إلى السودان، أما باختياره (عبد الخالق محبوب - عوض عبد الرازق) لاحتياج العمل الشيوعي في السودان إليهم، وعاد البعض منهم للسودان بأوامر من الحكومة المصرية (التيجاني الطيب - عبد القيوم سعد - شاكِر مرسال - تيدي لاركن جيمس - عبده ذهب وآخرين) حيث كانوا في المعتقلات والسجون في تلك الفترة جنبًا إلى جنب مع رفاقهم المصريين.

عادوا للسودان وبحكم الخبرة التي اكتسبوها في مصر ساهموا في بناء الحركة الشيوعية في السودان (حستو ثم الحزب الشيوعي السوداني).

ومن المعروف أن ح. م ثم حدتو ساهمتا بنشاط في نشأة وتطور الحركة الشيوعية السودانية، وكان هذا النشاط هو التطبيق الحي لشعار الكفاح المشترك وحق تقرير المصير للشعب السوداني، الذي رفعته ح. م.

وقد تميز هذا النشاط والشعار ح. م ثم حدتو عن نوعين من القوى السياسية في مصر هي حركة البرجوازية المصرية بتجمعاتها السياسية المختلفة التي كانت تطالب بوحدة وادي النيل تحت التاج المصري، وفي الجانب الآخر تميزتا بذلك النشاط عن المنظمات الماركسية المصرية الأخرى التي لم تعط أي اهتمام يذكر لدعم الحركة الشيوعية السودانية حتى بعد نشأتها.

وفي الفترة التي نعالجها غابت مجموعة كبيرة من كوادِر حدتو في السجون والمعتقلات، وفد إلى مصر الجيل الثاني من الشيوعيين السودانيين للدراسة في الجامعات والمدارس الثانوية المصرية، وكان من أبرزهم (الجنيد علي عمر - عمر محمد إبراهيم وشقيقه علي محمد إبراهيم - وبابكر محمد علي - والدكتور مصطفى السيد)، وقد ساهم هؤلاء جميعًا - بدرجات متفاوتة - في بناء حدتو وبالأذات بعد ١٩٥٠، فقد كانوا يكافحون جنبًا إلى جنب مع الرفاق المصريين، وكما قلت سابقًا فإن (الجنيد علي عمر) كان عضوًا في ل. م

حدثو وسكرتاريتهما المركزية أما (عمر محمد إبراهيم - وبابكر محمد علي) فقد ساهما بنشاط ضخم في بناء الأقسام ذات الطبيعة العمالية في القاهرة (شبرا الخيمة - منطقة الزيتون) أما (أحمد سليمان - علي محمد إبراهيم - والدكتور مصطفى السيد) فإن نشاطهم كان مركزاً في أوساط الطلبة (جامعة القاهرة).

فنتيجة هذا النشاط الواسع فقد أمرت السلطات المصرية باعتقال (بابكر محمد علي - عمر محمد إبراهيم) في الهايكستب مع الرفاق المصريين بعد حريق القاهرة.

وبحكم الدور النشط للرفاق السودانيين في حدثو، وبحكم نشاط حدثو وسط الطلاب السودانيين في مصر، فإن مجهودات كثيرة بذلت في تلك الفترة لتدعيم الحزب الشيوعي السوداني، وقد تجسدت وسائل الدعم في جمع تبرعات وبناء أجهزة فنية، واستقبال الرفاق السودانيين للتدريب لمدد محددة في فرع حدثو.

كانت هناك علاقات متينة بين حستو في السودان وحدثو في مصر، وكانت زيارات السودانيين للقاهرة كثيرة، ولم يشعر أي رفيق سوداني، وهو يزور القاهرة أنه بعيد عن أهله وحزبه. كان التقليد المتفق عليه منذ فترة طويلة، وطبق في الفترة التي ندرسها هو أن أي رفيق سوداني يصل بالقاهرة ينظم أوتوماتيكياً في حدثو، وأي رفيق سوداني يجند في القاهرة في حدثو يكتسب العضوية أوتوماتيكياً في الحزب الشيوعي السوداني بمجرد عودته للسودان.

وكانت الخطة المتبعة مع الرفاق السودانيين - داخل حدثو - هي كما كان الأمر في ح. م وحدثو حتى ١٩٤٨ - تدريبهم على الأعمال المختلفة وبالذات المستويات القيادية المركزية والوسطى.

ولا يعني هذا أنه لم يحدث سوء تفاهم بين حدثو والحزب الشيوعي السوداني، وتم هذا في واقعيتين محددين.

الأولى: احتجاز (عوض عبد الرازق) في القاهرة، وتفاصيل هذه الواقعة هي أن (عوض) كان مختلفاً مع قيادة الحزب الشيوعي السوداني في بعض المسائل السياسية، وكانت خلافاته والمجموعة الصغيرة التي تسانده - في الأساس - مع عبد الخالق محجوب باعتباره السكرتير العام للحزب، ويبدو أن (عوض) كان يرى أنه الأجدر بقيادة الحزب بدلاً من عبد الخالق، وتطور الخلاف السياسي - من جانب عوض - إلى القيام باتصالات جانبية لإجراء تكتل ثم انقسام في صفوف الحزب.

جاء (عوض) للقاهرة في سنة ١٩٥١ وحاول استمالة قيادة "حدثو" لمواقفه السياسية ومحاولاته التكتلية والانقسامية، لم تكن الاستمالة سهلة ولا متيسرة، فمن ناحية كانت العلاقات

بين قيادتي الحزب الشيوعي السوداني وحدتو قوية جداً، وفي نفس الوقت كانت حدثو - بحكم خبرتها الذاتية تعادي أية عمليات تكتلية أو انقسامية وخاصة بعد تجربة ١٩٤٨.

وناقشت السكرتارية المركزية الأمر، فيما بينها، وطرح عليها خياران لا ثالث لهما، احتجاج (عوض) في القاهرة أطول مدة ممكنة، أو السماح له بالعودة للسودان بما يرتبط بالعودة من مباشرة نشاطه الانقسامي.

وازنت السكرتارية المركزية بين الاختيارين، وفضلت احتجازه للتقليل من فاعلية نشاطه الانقسامي ولإعطاء فرصة لقيادة الحزب السوداني للقضاء أو التقليل من الآثار السلبية لنشاطه الانقسامي. وتم حصر نشاط (عوض) في القاهرة في حدود القيادة المركزية لحدثو وكان يقدم بعض المساعدات الهامة في مجال الدعاية.

بعد فترة من الزمن، اكتشفنا أن احتجاج (عوض) في القاهرة، لم ينل رضا الحزب الشيوعي السوداني، كما لم ينل رضا (عوض).

كانت قيادة الحزب السوداني ترى أن احتجازه قلل من إمكانية القضاء النهائي عليه سياسياً وتنظيمياً، كما أن (عوض) قد اكتشف بعد عودته للسودان أن ذلك الاحتجاز قلل من فاعلية نشاطه التكتيكي والانقسامي ضد الحزب السوداني.

وقد حاولت قيادة حدثو أن تشرح للحزب السوداني نبل مقاصدها في الاحتجاز، وقد كان هذا خطأ بالحتم من قيادة حدثو، وسبب الخطأ الأساسي أن حدثو لم تكن لديها خبرة أممية في العلاقات بين الأحزاب والمنظمات الشيوعية فمهما كان الاختيار من جانب حدثو وفوائده، فإن الأمر النهائي في تقدير سلامة أي من الاختيارين كان لا بد أن يكون موكولاً له، وكان الأمر المنطقي أن تنفذ "حدثو" اختيار الحزب السوداني ولو خالفته.

الثانية: كانت مسألة إعادة أحمد سليمان لعضوية "حدثو" كان أحمد سليمان قد فصل من الحزب الشيوعي السوداني بسبب إدمانه شرب الخمر، وطبقاً للتقاليد المتبعة آنذاك كان من المفروض ألا يكون عضواً في حدثو عندما حضر للقاهرة لاستكمال الدراسة الجامعية. ولكن "حدثو" اتخذت موقفاً مغايراً لهذا التقليد، منحته عضوية "حدثو" مراعاة لدوره النشط في الجامعة سواء بين الطلاب السودانيين أو المصريين، ومراعاة لما التزم به من أنه سيقبل من شرب الخمر.

هذا الأمر لم يحدث سوء تفاهم كبير بين الحزب السوداني وحدثو بالمقارنة بذلك الذي حدث في موضوع (عوض عبد الرزاق).

والدليل على ذلك أن (أحمد سليمان) عاد للسودان، وأصبح من الشخصيات الجماهيرية وعضواً في ل. م الحزب السوداني ومكتبه السياسي، إلى أن انقسم عن الحزب بعد انقلاب النميري.

محضر نقاش - ١ -

أجريت المناقشة في ٧ - ١٢ - ١٩٧٢ في برلين الشرقية

- س : هل يمكن أن تروي لي كيف تأسس تنظيم القلعة؟
- جـ : في البداية وبالذقة حوالي عام ١٩٣٩ تجمعت معي مجموعة من شباب حي القلعة، كان سني حوالي ١٧ عاماً، وكان التجمع وطني بحت، كنا نناقش قضية معاهدة ١٩٣٦ ومشاكل البطالة بين المثقفين، والنضال ضد الفاشية، وربما ساعد كثيراً على تكويني السياسي المبكر أنني كنت أقطن في درب اللبانة رقم ٦ أي في المنزل الملاصق تماماً لبيت الفن والذي كان يضم مجموعة من الفنانين التقدميين، وكان أخي الأكبر رساماً ولديه مرسوم في بيت الفن مع الرسام فؤاد عبد العزيز، ومن ترددي على بيت الفن تعرفت على كامل التلمساني ورمسيس يونان وغيرهم. ومن خلال الفنانين تعرفت بعصام حفني ناصف وعرفني عصام بالدكتور عبد الفتاح القاضي ومن مناقشاتي مع هؤلاء جميعاً عن الفاشية والحرب ومشاكل الثقافة والأدب ومن قراءاتي في مكتبة أبي عضو هيئة كبار العلماء وأحد رجال الدين النشطين في تأييد الشيخ علي عبد الرازق ومن قراءاتي في كتب سلامة موسى والمنفلوطي وشبلي شميل، وكنت أناقش ذلك كله مع مجموعة أصدقائي التي كانت تلتقي في زاوية الطريق بين مسجدي الرفاعي والسلطان حسن.
- وبدأت المجموعة تشعر بالرغبة في المزيد من المعرفة وبدأنا نبحث عن سبيل لهذه المعرفة، والتقينا - عن طريق بيت الفن - بأنور كامل وكان في جماعة "الفن والحرية"، لكن علاقتنا به كانت متقطعة وكان أنور كامل يردد أمامي اسم د. عبد العزيز هيكل وهو ابن عمي فأسرعت بالاتصال به، ومن خلال المناقشات معه اتضحت أمامي أمور كثيرة، وحوالي عام ٤٠ - ١٩٤١ بدأت علاقات مجموعتنا تتسع واتصلنا بعدد من الإخوان المسلمين وكسبنا بعضهم إلى صفنا، وفي ٤١-١٩٤٢ بدأ يتبلور في مجموعتنا فكر اشتراكي محدد المعالم، وإن كان غير مدروس دراسة كافية.. وفي ذلك الحين وقع حادث ٤

فبراير وهزنا الحادث هزاً عنيفاً وأطاح بما كان لدينا من ميول وفدية وحثنا على أن نسعى نحو تنظيم مستقل. ولكي نتصور حالة هذه المجموعة الصغيرة من الشبان في هذا الحي بالذات يجب أن تعلم أن هذا الحي كان يضم المركز الرئيسي للإخوان المسلمين وكان يضم بالمقابل - وبالضرورة - لجنة وفدية شديدة النشاط، وفي القلعة ذاتها كانت تتمركز قوات احتلال إنجليزي يستفز وجودها السكان في كل لحظة، وفي الحي أيضاً المدرسة الخديوية الثانوية وكانت أحد معاقل الحركات الطلابية - وكنت رئيس جماعة الخطابة بها ومن ذلك المزيج كله وتأثراً به بدأت مجموعتنا تتبلور.

وبعد ٤ فبراير - كما قلت - بدأنا في البحث جدياً في إقامة تنظيم وبدأ كل منا يجمع أكبر قدر من الكتب والمجلات التي كانت تصل من سوريا ولبنان، وبعض الكتب والمجلات المترجمة التي كانت تصل من عصبة التحرر الوطني الفلسطينية، وفي هذه المرحلة أمكننا أن نحصل على بعض الكتب الماركسية وأن ندرسها بلهفة مثل "الأجر والثمن والربح" - البيان الشيوعي - العمل المأجور - رأس المال. وهكذا يمكنني أن أقول أننا قد أصبحنا في عام ١٩٤٢ حلقة ماركسية وبدأنا في العمل كمنظمة، كان معظمنا في البداية طلاباً، وبدأنا كل شخص منا يجند بعض معارفه، وفي هذا الوقت لم نكن نعلم على الإطلاق بوجود منظمات أخرى.

وفي العام الدراسي ١٩٤٣-٤٢ دخلت كلية التجارة - جامعة فؤاد الأول (القاهرة) وواصلت عملية التجنيد النشط للعديد من العناصر وفي هذه الفترة أيضاً اتسعت مناقشاتنا مع كوادرات الإخوان المسلمين، كنا نجري معهم نقاشاً ودوداً ودون انفعال، ونجحنا في إقامة علاقات جيدة معهم، وعن طريق صلاح عبد الحافظ تعرفت بالمرشد العام للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا ومع استمرار نشاطنا في صفوف الإخوان أصدر مكتب الإرشاد قراراً بعدم السماح لي بالدخول إلى مقر المركز العام بالحلمية.

وفي عام ١٩٤٤ اتسع نشاط منظمنا وبدأت عملية التجنيد تخرج عن إطار حي القلعة فقد أتاح لي تواجدي بالجامعة ضم عناصر نشيطة وفعالة مثل أحمد الرفاعي - عادل سيف النصر - مصطفى أغا، كذلك فقد نشط أخي عبد الفتاح هيكل في مدرسة بنبا قادن الثانوية، وامتد نشاطنا إلى الأزهر حيث جندنا محمد البخاري وعبد الفتاح يونس (وهو ابن شيخ التكية التركستانية وكانت

بؤرة معادية للاتحاد السوفيتي، وقد ساعدنا على إقامة صلات بالجالية التركستانية ومجابهة سياسة العداء للاتحاد السوفيتي في صفوفها.

س : هل كان نشاطكم محصوراً في طار الطلبة فحسب؟

جـ : لا. فحي القلعة أيضاً مليء بالحرفيين وضممنا بعض صانعي الأحذية وعن طريقهم بدأنا الاتصال بنقابة صانعي الأحذية ومن خلالها بنقابات أخرى وتعرفنا في هذه الفترة بمحمود العسكري وفضالي عبد الجيد كذلك فقد نشطنا في الأجازات الصيفية في قرانا ونجح أحمد الرفاعي في ضم عدد من فلاحي قرية طنّاح ونجحت أنا وأخي عبد الفتاح في إقامة نشاط في قريتنا كفر غنام. وبدأنا نشعر بالحاجة الملحة إلى ترجمة عدد من الكتابات الماركسية معتمدين على معرفتنا باللغة الإنجليزية وبدأنا في ترجمة بعض الكتب منها مثلاً أسس اللينينية لكننا دهشنا بعد ذلك عندما وجدناه مترجماً مطبوعاً باللغة العربية.

س : ماذا عن علاقتكم بالمنظمات الأخرى؟

جـ : في البداية كنا نتصور أننا التنظيم الوحيد، وبعد اتساع نشاطنا بدأنا نشعر بالمنظمات الأخرى وبدأت هي تشعر بنا. وفي منتصف عام ١٩٤٤ كان أول لقاء لي مع هنري كورييل، وخرجت من النقاش مقتنعاً بضرورة الانفتاح على الجماهير والتخلي عن الحذر الشديد. وهكذا بدأنا علاقات واسعة بعمال شبرا الخيمة وعمال السجاير بالجيزة.

وفي أحد زياراتي لمجلس الشيوخ لمقابلة د. محمد حسين هيكل تعرفت على محمد خطاب وقامت بيننا علاقة وطيدة ومناقشات مستمرة. وعن طريق خطاب تعرفت بالضابط أحمد حمروش وضممته إلى التنظيم. ومن خلال النشاط تعرفنا على وجود منظمة ايسكرا وتقابلت مع شهدي عطية. واستمرت علاقاتي بكل من كورييل وشهدي عطية. وخلال مناقشاتي مع كورييل كان يركز على موضوعين أولهما العمل الجماهيري (رفضاً لفكرة منظمة الكدر) والثاني هو التعميل وأهميته وضرورته.

س : بعد أن اتصلتم بالمنظمات الأخرى، ماذا كان موقفكم من مشكلة الوحدة؟

جـ: في ١٩٤٦ اتصل بنا د. عبد الفتاح القاضي عن طريق صلاتنا لبعض زملاء مجموعة "العصبة الماركسية" وفي نفس الوقت تعرفنا بسعيد خيال ولجنة نشر الثقافة الحديثة، وخلال فترة وجيزة أصبحت مجموعتنا بأكملها تعلم وجود منظمات أخرى، ولكن تحذيرات د. عبد الفتاح القاضي من المنظمات التي تضم عناصر أجنبية قد تركت

صدي لدى بعض أعضائنا، غير أنني ومع استمرار مناقشاتي مع هنري كورييل تولدت لدي القناعة بعدم الأخذ بوجهة النظر التي ترفض التعاون مع الأجانب؛ وهكذا أصبح لدينا الكيان والوجود الذي أطلق عليه من قبل الآخرين اسم منظمة "القلعة".

س: كم كان عدد تنظيمكم في عام ١٩٤٥؟

ج: حوالي ١٢٠ عضواً.

س: كيف تناولتم قضية الوحدة؟

ج: كنا مع وحدة كل المنظمات وكان شعارنا وشعاري أنا شخصياً "ليس ثورياً من لا يوحد إرادة الثوريين"، وبدأنا مفاوضات للوحدة مع كل من ح. م. وايسكرا وتسهيلاً للأمور اتحدنا مع ايسكرا التي كانت في الوقت نفسه تتفاوض مع ح. م. من أجل الوحدة.

س: شيء ملفت للنظر، أنك كنت قريباً من ح. م. ومعجباً بهنري كورييل ثم تسارع بالوحدة مع ايسكرا لماذا لم تتحد مع ح. م.؟

ج: ربما كان السبب هو طبيعة التكوين الاجتماعي لايسكرا ولمنظمتنا وقد كان غالبية المنظمين من المثقفين والطلبة، وهكذا تقاربت المجموعتان.

س: عندما تم انضمامكم مع ايسكرا كم كان عددكم؟

ج: حوالي ١٥٠ عضواً. إلا أنني أود الإشارة إلى أن الوحدة مع ايسكرا لم تكن سهلة بالنسبة لنا، فبعض عناصرنا رفضت الوحدة بحجة أن ايسكرا كان بها عناصر أجنبية وصاحب هذا الرأي كان مصطفى أغا. أما الأغلبية فلم تر في ذلك أي مشكلة.

س: كيف تمت عملية التوحيد مع منظمة ايسكرا، وهل كانت هناك ثمة شروط سياسية أو تنظيمية، ومن تولى مسؤولية التفاوض من الجانبين؟

ج: كنت أنا ممثل القلعة، وكان شهدي ممثل ايسكرا، أما عن الشروط فلم يكن لنا سوى الشروط العامة التي تبلورت نتيجة للمناقشات التي كانت تسود الحركة الشيوعية عامة في ذلك الوقت وهي استكمال عملية التمصير بحيث تشمل كل القيادة - فقد كان متفقاً عليها ولم تكن القضايا جميعاً محل خلاف أو اعتراض لا من جانب هنري كورييل ولا من جانب شهدي عطية، وأود أن أشير أننا اتحدنا سعياً وراء هدف الوحدة وليس بتأثير من أحد فمثلاً عندما انقسم شهدي من حدثو كنا ضد الانقسام وأدناه.

س: هل كانت هناك من جانبيكم شروط تنظيمية، كالمشاركة في القيادة مثلاً؟

ج: لم يكن هذا أساس للنقاش، إن وحدتنا تمت في إطار الوحدة العامة، كذلك فإن عملية الاندماج لم تتم مباشرة في كل أجزائها؛ فبعض عناصرنا لم تكن قد وافقت بعد على

الوحدة ولهذا يمكنني القول بأن الاندماج قد تم حقيقة وبشكل متكامل من خلال عملية الوحدة الشاملة في عام ١٩٤٧.

س: متى تمت الوحدة بين القلعة وايسكرا.

ج: عام ١٩٤٦.

س: هل كانت هناك خلافات أيديولوجية؟

ج: لا.

س: كنتظن تكون وعاش من المصريين، ألم تشعروا بالغربة في صفوف ايسكرا المليئة بالأجانب؟

ج: لم نشعر بها لسبب بسيط هو أن معظم من كنا نعمل معهم كانوا من المصريين.

س: تحدثت في البداية عن علاقاتكم بقوى سياسية كثيرة - الإخوان المسلمين - الفن والحرية - محمد خطاب - ولم يرد في حديثك أي ذكر لعلاقة مع حزب الوفد، فهل كان لكم موقف ضده؟

ج: في أواخر ١٩٤٥ وأوائل عام ١٩٤٦ بدأنا الاتصال بالوفد وكانت علاقات جيدة تعمقت بعد الوحدة.

س: بمن بالتحديد في الوفد...؟

ج: مصطفى موسى ومجموعة الطليعة الوفدية أساساً.

* * *

محضر نقاش - ٢ -

أجريت المناقشة في - ٣ - ١٩٧٥ في برلين الشرقية

س: لعلك تذكر مناقشتنا منذ عامين ونصف، لقد طالعت ما سجلته من نقاش معك في ذلك الحين (في ٧-١٢-١٩٧٢) وأحسست أنه لم تزل هناك بضعة أسئلة يجب أن أحصل على إجابتها.. منها مثلاً تركيب أول قيادة لمنظمة القلعة؟

ج: قبل أن ندخل إلى الأسئلة أود أنا أيضاً أن أعود بك إلى قضية عامة، أعتقد أنها ضرورية، ولا زلت أشعر أنها كانت حاسمة في توجهنا نحو تأسيس تنظيم شيوعي.. والحقيقة أنه كانت هناك ظروف موضوعية وظروف ذاتية دفعتني دفعاً إلى هذا الاتجاه، لكنني أود أن أعود فأركز على حادث ٤ فبراير، لقد اتجهت الدبابات البريطانية إلى قصر عابدين وحي عابدين كما تعلم مجاور لحي القلعة والحلمية، وانتشر الخبر وانطلقنا لنرى منظرًا أورث فينا إحساساً شديداً بالمهانة، وكان الشعور السائد في نفوسنا هو أنه كان يتعين على الوفد ألا يقبل الحكم تحت ضغط الإنجليز.

والحقيقة أنه لكي تفهم قصة منظمة القلعة فهماً حقيقياً فإنه يجب تفهمها كشيء متطور ونام نمت وتطورت فكراً وعدداً بشكل تدريجي، كنا عدد قليل من الأعضاء يتزايد على المهل جداً، ولقد كنا في البداية مجموعة من ثمانية أصدقاء ستة طلاب منهم أنا وعبد العزيز بيومي وطالب أزهرى واثنان من العمال عامل بالمطبعة الأميرية اسمه - رمضان ولا أذكر بقية اسمه وعامل في الترسانة اسمه عبد العزيز لا أذكر أيضاً بقية اسمه.

وقد حدثت في النقاش السابق عن هذه المجموعة وكيف انجذبت نحو الفكر الاشتراكي. المهم أننا قررنا في آخر فبراير ١٩٤٢ أن نكون تنظيمًا شيوعيًا وكونا خلية واحدة كنت أنا مسئولها، وكنا متصورين أننا التنظيم الشيوعي الوحيد وبدأنا ننمو، ولكن في دائرة حي القلعة والمناطق المحيطة فقط، عبد العزيز بيومي كان يتحرك في منطقة درب الحصر وأنا في الحلمية وكنت طالباً في التوجيهية في المدرسة الخديوية ورمضان (عامل المطبعة الأميرية) كان يتحرك في منطقة المحجر، وحاولنا الاتصال ببعض الشخصيات المعروفة بميولها الاشتراكية فاتصلنا بعصام الدين حفني ناصف ووجه لنا نصائح عديدة ولكنه رفض الانضمام لنا على أساس أنه سيكون عبء علينا لأنه

مكشوف.. وعثرنا على بعض كتابات لنقولا حداد وقابلناه لكنه كان رافضاً بشكل كامل لموضوع الحزب وكان ينصحنا بأن نقرأ ونقرأ.. ومنه أخذنا بعض الكتاب..

ومن الشخصيات التي حاولنا الاتصال بها أيضاً سلامة موسى، وكان شخصية جذابة وأعطانا انطباع طيب وأهدانا مجموعة من كتبه فلما قرأناها لم نجد فيها ما نريده، ووصلنا أيضاً إلى محمد عبد الله عنان وناقشناه طويلاً في موضوع التنظيم وأسلوبه وتجاربه، لكنه حاول أن ينصحنا بتنظيم ذو طقوس، لكن النقاش معه أفادنا ومنه عرفنا فكرة الخلايا ذات الثلاثة أو الخمسة أعضاء.. وبدأنا نطبقها، وأخذنا ننمو على مهل. لكن التوسع كان في الأساس جغرافياً محصوراً في حي القلعة، ومن هنا جاءت تسمية التنظيم. ومن القلعة امتد نشاطنا إلى سوق السلاح ومن هناك إلى الأزهر.

وكان أهم عنصر أزهرى كسبناه هو محمد البخاري، وكان نشيطاً وعن طريقه كونا خلية بالأزهر وكانت مجموعة نشيطة من عناصر شعبية بحتة...

ومع اتساع نشاطنا بدأنا وجودنا كمنظمة وتبلور لنا برنامج - غير مطبوع - يركز أساساً على الاستقلال الوطني والاستقلال الاقتصادي والمطالبة بالتأهيل، (وقد استخدمنا هذا اللفظ بدلاً من التأميم لأن المجموعة الأزهرية فضلت لغوياً لفظ التأهيل نسبة للأهالي على التأميم نسبة للأمة) وبدأنا نعد لأنفسنا كورس تثقيفي.

س: كيف أطلق عليكم اسم القلعة؟

ج: أطلقته المنظمات الأخرى عندما اكتشفت وجودنا، واكتشفت حقيقة وضعنا الجغرافي وانحصارنا في حدود حي القلعة.. ومن ذلك تمسكنا نحن بالاسم لما له من دلالات.

س: اسمك الحركي هل كان الباشا أم أنه فرض عليك هو الآخر؟

ج: اسمي الحركي كان منصور، ولكن المنظمات الأخرى أطلقت علي اسم الباشا، كما أطلقت على منظمنا اسم القلعة، ربما لأن عمي باشا وهو د. محمد حسين هيكل باشا وربما رمزاً لباشا القلعة. وعلى أية حال فقد قبلت الاسم وصار اسمي الذي اشتهرت به في صفوف الحركة الشيوعية.

س: هل كانت لديكم أجهزة طباعة؟

ج: في ١٩٤٤ بدأنا في طباع كورسات ثقافية بالبالوطة. ورمضان (عامل المطبعة) بدأ في تأسيس مطبعة حروف لنا لكنها سرقت.

س: من كتب هذه الكورسات التثقيفية؟

ج: أنا. والحقيقة أنني كنت أعتمد في عملية التتقيف في الأساس على إصدار سلسلة من الكتيبات، لعب بعضها دوراً تتقيفياً وبعضها كان بمثابة برنامج..

س: كيف اتسع نشاطكم التنظيمي بعد ذلك؟

ج: انطلقنا في العمل واتصلنا بمجالات عديدة. أنا مثلاً دخلت كلية التجارة في عام ١٩٤٢ وهناك جندت عادل سيف النصر وعادل صدقي، ثم امتد نشاطي إلى بقية كليات الجامعة وإلى حي بين السرايات القريب من الجامعة، وهكذا ضمنا حمدي عبد الجواد وفؤاد عبد الحليم وأحمد رفاعي.

س: هل كنتم تصدرون نشرة خارجية أو داخلية؟

ج: لا.

س: هل كان لديكم برنامج ولائحة؟

ج: بينما كنا نستعد لذلك جاءت الوحدة وانشغلنا في عملية التوحيد.

س: كيف تم اتحادكم من العصابة؟

ج: انضم ثلاثة منهم للقيادة أذكر منهم د. عبد الفتاح القاضي واثنين آخرين لا أذكر اسميهما لكن اذكر أن أحدهما كان طبيب أسنان والآخرين انضموا للأقسام. لكن ذلك لم يستمر سوى فترة قصيرة جداً، فقد طرحت مسألة الوحدة الشاملة، وكان أعضاء العصابة الماركسية "ضد الوحدة مع ح. م، وكانوا يقاومونها سواء في القيادة أو في القاعدة وفي هذه الأثناء اتصل بي شهدي عطية وكانت لنا علاقة سابقة بايسكرا في الجامعة، وعرض علينا شهدي الانضمام لايسكرا تمهيداً للوحدة الشاملة. وعندما تمت الوحدة انطلق العمل بصورة واسعة جداً.

س: أريد أن انتقل الآن إلى الموضوع آخر هو قصة "صوت المعارضة" ومشاركتك فيها؟ وأهدافها؟ ومبرراتها؟

ج: بدأت قصة "صوت المعارضة" عندما اتصل بي شهدي وأبلغني أنه بصدد تكوين التكتل الثوري، وطلب مني الانضمام إليه ومحاولة استعادة مجموعة القلعة القديمة ورفضت لأنني ضد أي تكتل من حيث المبدأ، لكنني كنت في نفس الوقت أحمل العديد من الاعتراضات على أسلوب هنري كورييل، فمثلاً كنا نرفض أن يكون هو سكرتير عام التنظيم، وكنا نسعى بنشاط لإعادة شهدي على أساس أن يصبح هو السكرتير العام. وكنا نرى ضرورة عزل الأجانب في قسم منفصل تنفيذاً لقرار ل. م حدثو، والحقيقة أن كورييل كان يعرقل تنفيذ هذا القرار، وكنا نشعر أن كورييل يعبئ مجموعة ح. م

القديمة ليضغط بها على المجاميع الأخرى. كذلك كنا نلاحظ انتشار الاتصالات الجانبية وكنا نرفضها على أساس أنها خروج على مبادئ التنظيم، وقد كتبت أكثر من مقالة حول هذا الموضوع في صوت المعارضة. كذلك كنا نصر على ضرورة إعلان الحزب، وكان كورييل يرى أن الظروف لم تتضح بعد لإعلان الحرب. وهكذا وخلال هذه الفترة تكون داخل حدثو تيار من عدد من الكوادر يتخذ موقف متعدد الجوانب:

- يرفض تكتل شهدي ويدينه ويطلبه بالعودة.
 - ينقد سياسة القيادة وخاصة حول النقاط السابقة.
 - يرفض الانقسام.
- هذا التيار بدأ يتبلور حول أربعة من الكوادر الأساسية هم أنا وأحمد الهندي (عمارة) وكان مسئول الأجهزة الفنية بحدثو، واثنين آخرين. وقام هؤلاء الأربعة بإصدار نشرة تدعو لهذه الأفكار وأسميناها "صوت المعارضة" وكانت تطبع على الأجهزة الفنية للتنظيم التي كانت في يد "عمارة" وتوزع على كل التنظيم.

س: هل يمكن إعطاء فكرة عن محتويات أعداد "صوت المعارضة"؟

- ج: - معنى وحدة التنظيم.
- معنى وحدة الإدارة.
- ما معنى الانقسام.
- وكنا في كل عدد نصر ونلح على الالتزام بالقواعد الحزبية الأساسية.. والحقيقة أن صوت المعارضة قد لقيت استجابة واسعة في صفوف القواعد، خصوصاً أننا كنا نريد تصحيح الأخطاء ولا نريد الانقسام.

س: ماذا كان رد فعل القيادة عند إصداركم لصوت المعارضة؟

ج: يمكن القول بأنها لم يكن لديها مادة للاقتناع بعكس ما نقوله، ولم تتخذ ضدنا إجراءات تنظيمية.

س: خلال مرحلة إصدار "صوت المعارضة" ماذا كانت علاقاتكم بمستوياتكم الأصلية؟

ج: استمررنا في العمل وحضور الاجتماعات وممارسة النشاط كالمعتاد، وكانت هناك عناصر أساسية تلعب دورها في استمرار ربطنا بالتنظيم وحل الخلافات بيننا وبين القيادة ومنها بالتحديد راشد (عبد الخالق محبوب).

س: إلى متى استمر صدور "صوت المعارضة"؟

ج: حتى جاءت الضربة البوليسية في ١٥ مايو ١٩٤٨ وبدأت حملة الاعتقالات الواسعة وكانت الضربة واسعة جدًا، وأوقفنا "صوت المعارضة" على أساس أن الأولوية هي حشد التنظيم وتعبئته وحمايته من الضربة. واختفت "صوت المعارضة" واستمر مصدرها في عملهم الحزبي.

س: هل كان اسم "صوت المعارضة" هو اسم المجموعة التي تصدرها النشرة، أم اسم النشرة ذاتها؟

ج: كان اسم المجموعة أو التيار، أما النشرة فكان اسمها "الرابعة" وهو يحمل معنى التوحيد.

س: كم عددًا أصدرتم من نشرة الرابعة؟

ج: أربعة أعداد أو خمسة.

س: أشرت في معرض حديثك إلى عدد من الكتيبات التي أصدرتها كعمل تنقيفي فما هي؟ ومتى صدرت؟

ج: - في البداية أعددت ملخصًا لكتاب رأس المال في عام ١٩٤٥ كجزء من البرنامج لمنظمة القلعة وقد أصدرته في كتيب بعنوان "خلاصة رأس المال" في عام ١٩٤٧.

- وفي سنة ١٩٤٥ أيضًا أصدرت كتيبًا بعنوان "مؤامرات في ميدان السياسة المصرية" ويتضمن نوع من البرنامج وتحليل لجماعة الإخوان المسلمين، وقد أسهم في طبعه جماعة من الوفديين.

- وفي ١٩٤٦ أصدرت كتيبًا بعنوان "قضيتنا الوطنية بين الحكومة والشعب".

- وفي ١٩٤٦ أصدرت كتيبًا آخر بعنوان "مطالبنا الشعبية أو ماذا يريد الشعب" وكان عبارة عن برنامج لمنظمة القلعة.

- وفي ١٩٤٧ أصدرت أنا وعبد الواحد بصيلة كتيبًا بعنوان "لماذا أيّدنا الاتحاد السوفيتي".

- وفي ١٩٤٧ أصدرت مع عبد الرحمن بصيلة كتيبًا هو "تطور المجتمع" وقد صدر باسم سري هو مصطفى عبد الرحمن (أي تجميع للاسم الأول من كل منا).

- وفي يونيو ١٩٤٩ أي بعد خروجي من المعتقل أصدرت "مذكرات معتقل".

- وفي يوليو ١٩٥٠ ومع انطلاق حركة السلام واستجابة لنداء استكهولم للسلام أصدرت "السلام وحرية الشعوب".

س: قلت أنه بعد الحملة البوليسية في ١٥ مايو ١٩٤٨ انتهت "صوت المعارضة" وأنكم واصلتم العمل في صفوف حدثو.. كيف؟ وإلى متى؟

ج: بعد حملة الاعتقالات عملت بنشاط وكنت عضوًا في اللجنة المركزية لحدثو وتوليت شؤون الدعاية واستمر ذلك حتى اعتقلت في ١٩٤٩.

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٧ - ٧ - ١٩٧٥

س: أريد أن أناقش معك موضوعين أساسيين أبدأ بأولهما وهو معلوماتك عن منظمة القلعة، كيف نشأت؟ وكيف اتحدت في إطار منظمة حدثو؟

ج: فيما أعلم تأسست منظمة القلعة عام ١٩٤٣، وكانت الشخصية الأولى في المنظمة هي مصطفى هيكل الذي نجح في تجنيد عدد من الشبان، وكنت أنا وفؤاد عبد الحليم ومحمد البخاري وأحمد حمروش من أوائل الذين انضموا إلى هذه المجموعة. وقد تركنا محمد البخاري بعد ذلك وانضم لمنظمة ايسكرا ويمكن القول بأن النشاط الأساسي لتنظيم القلعة كان لا يخرج عن التجنيد والمشاركة في حركة الطلاب في ذلك الحين. واستمر هذا التنظيم قائماً حتى أوائل عام ١٩٤٧ حين بدأت تطرح في صفوفه قضية الوحدة مع المنظمات الشيوعية الأخرى وكان هناك اتصال مع ح. م واتصال آخر مع ايسكرا لمناقشة قضية الوحدة.

واختلفت قيادة منظمة القلعة حول أي المنظمين تتحد معهما، وكان هناك اتجاه يرحب الوحدة مع ح. م باعتبارها أكثر شعبية ونضالية بينما البعض يفضل الوحدة مع ايسكرا على أساس القول بأنها المنظمة الأكبر عدداً.

ولم يتفق الاتجاهان وانتهى الأمر بانقسام المنظمة جزء اتحد مع ح. م وجزء آخر اتحد مع ايسكرا وكان ذلك قبيل وحدة ايسكرا مع ح. م بفترة قصيرة جداً.

س: ممن كانت تتكون قيادة منظمة القلعة؟

ج: مصطفى هيكل - أنا - فؤاد عبد الحليم - أحمد حمروش - عبد الواحد بصيلة.

س: من منكم اتجه للوحدة مع ح. م ومن اتجه نحو ايسكرا؟

ج: أنا وفؤاد عبد الحليم وما معنا من نشاط اتحدنا مع ح. م والآخرين مع ايسكرا.

س: كم كان عدد القلعة عندئذ؟

ج: حوالي ١٥ عضواً.

س: نأتي الآن إلى الموضوع الثاني وهو موضوع منظمة حدثو ش أو حدثو الشيوعية، كيف تغير اسم حدثو إلى حدثو ش، وما هي علاقة ذلك بالخلافات بين القيادة الأساسية لحدثو

والتي كانت موجودة بالمعتقلات آنذاك وبين القيادة المؤقتة التي كنت بها والتي غيرت الاسم؟

ج: في عام ١٩٤٨ انفجرت الأزمة داخل حدثو، وحتمت هذه الأزمة ضرورة مناقشة الأسس الفكرية للتنظيم، لقد فرضت الأزمة علينا ضرورة مناقشة هذه الأسس.

والحقيقة أنه قبل هذه الأزمة كانت ثقة الكوادر مطلقة في القيادة ممثلة في يونس، لكن تفجر الأزمة واستمرار الانقسامات، وطرح العديد من القضايا الفكرية والسياسية والتنظيمية بدون أن تجيب عليها القيادة إجابة شافية، هذا أدى إلى اهتزاز الثقة في هذه القيادة حتى من جانب الكادر الذي رفض بإصرار أي تكتل أو انقسام.

وبعد القبض على يونس والمجموعة الأساسية من القيادة لم يبق من أعضاء اللجنة المركزية للمنظمة خارج المعتقلات إلا ثلاثاً أنا وفؤاد عبد الحليم وعبد الخالق محجوب.

س: متى صعدتم للقيادة؟

ج: أنا صعدت في يناير ١٩٤٨ عقب تكتل شهدي، وفؤاد صعد قبلي بقليل أما محجوب فكان بالقيادة منذ مدة..

المهم أن الخطوة الأولى التي جابقتها بعد القبض على الكتلة الأساسية من القيادة كانت توسيع القيادة الجديدة وبالفعل صعدنا عدد من العناصر أذكر منهم مصطفى طيبة ومحمد الجندي.

وفي القيادة الجديدة بدأنا نناقش أهمية وضع أسس فكرية للتنظيم لائحة، برنامج، خط سياسي، وعند فتح باب الصراع الأيديولوجي للتحضير لعقد مؤتمر يقر هذه الأسس بدأت خلافات جذرية بين قسمي القيادة، القسم الذي بالمعتقل ويتزعمه يونس والقسم الذي بالخارج.

وكان يونس وبقية أعضاء القيادة بالمعتقلات يعارضون فكرة انعقاد المؤتمر ويعتبرون انعقاده في هذه الظروف مجرد خضوع للاتجاهات الانتهازية البرجوازية الصغيرة والتي فرضت نفسها في ظل الإرهاب ومناخ الأزمة حتى على حدثو ذاتها، وكان يعارض أيضاً التغيير في الأسس الفكرية والسياسية التي يقوم على أساسها التنظيم. وبعد أن تقدمت المناقشة بغير اتفاق ظاهر قررت القيادة بالخارج تغيير اسم التنظيم إلى حدثو ش (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.. الشيوعية) تمييزاً لهذه المرحلة الجديدة عن مرحلة سابقة هي مرحلة يونس..

س: ما هي نوعية التمييز الذي كنتم تسعون إليه. ولماذا؟

ج: قررنا التمايز عن خط يونس، خط القوات الوطنية والديمقراطية، ذلك الخط الذي كان ينعكس في السياسة في موقف يقول بالتركيز أساساً على الفلاحين وأن الحزب ليس حزب للطبقة العاملة فحسب، وإنما هو وفي ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية حزب للطبقة العاملة وكل القوى الوطنية والديمقراطية. وكان هذا الخط ينعكس في التنظيم في شكل معاداة الديمقراطية والاستناد إلى مبدأ المركزية فحسب وبالتالي معاداة أي صراع أيديولوجي أو أية دعوة لعقد مؤتمر ووصف ذلك كله بأنه دعاوي برجوازية صغيرة وثرثرة..

س: قلت قررت القيادة بالخارج تغيير اسم المنظمة والتمايز عن خط يونس.. أريد أن أعرف المواقف بالتحديد..؟

ج: مصطفى طيبة انحاز خلال النقاش بين مجموعتي القيادة إلى آراء مجموعة المعتقلات بزعامة يونس.

س: وماذا كان موقف عبد الخالق محجوب؟

ج: يمكنني القول أنه كان يرفض مواقف القيادة بالخارج بشكل عام ولو أنه استمر في التعاون معنا لكن تعاونه استمر لفترة قصيرة إذ أصيب بعدها بمرض السل وحد ذلك من نشاطه بعض الشيء، ثم سافر إلى السودان..

س: من إذن الذين اتخذوا هذه القرارات؟

ج: أنا وفؤاد عبد الحليم ومحمد الجندي..

س: خلال مناقشتي مع الأطراف المختلفة حول ظاهرة الانقسامية في عام ١٩٤٨ في صفوف منظمة حدثت قال الذين انقسموا إن السبب في تفشي هذه الظاهرة هو تشدد القيادة ورفضه لرغبات وآراء الكوادر وأنه كان يمكن تلافي الانقسامات لو أن القيادة انتهجت منهجاً مرناً، بينما أكد "يونس" أن المنقسمين ليسوا سوى جماعات من البرجوازيين الصغار الذين هربوا من ميدان الكفاح تحت ضغط إرهاب السلطة الذي تصاعد في هذا الوقت بالذات.. فما هو رأيك أنت؟

ج: أتفق مع يونس في أن الانقسامية كانت انعكاساً لظواهر سياسية، لكنني أيضاً أرى أن القيادة عالجت هذه الأزمة بأسلوب غير ديمقراطي وباعتماد على الشلل الأمر الذي ساعد على تفجير الأزمة وليس على حلها بطريق سليم.

والحقيقة أنه كانت هناك خلافات سياسية وأيديولوجية جادة ولو أن القيادة بزعامة يونس اتخذت حيالها منهجاً سليماً لكان بالإمكان محاصرة هذه الخلافات وتصفيتها والحفاظ قدر الإمكان على وحدة المنظمة.

س: يرى البعض أنه كان هناك اتجاه للانكفاء إلى الداخل، أي حصر الجهود في محاورات داخلية وصراعات أيديولوجية، ويضربون مثلاً على ذلك بموقف شندي عندما أسس ن. ح. ش التي لم تقم بنشاط جاد واكتفت بالصراع الأيديولوجي؟

ج: هذه الحجة فيها شيء من الصحة، وكان يونس يرددها كثيراً، والحقيقة أن مجموعة شوارتز كانت "شلة" من المتقنين أغلقت نفسها على صراعات داخلية، لكن الخطأ الذي وقع فيه يونس أنه انطلق من هذه الحجة وهي صحيحة إلى موقف خاطئ وهو رفض الديمقراطية في صفوف التنظيم وتجاهل الآراء المختلفة ورفض أي صراع أيديولوجي الأمر الذي عقد الأزمة وتصاعد بها وفجرها.

س: ما هي قصة الوحدة مع ن. ح. ش؟

ج: بعد إعلان تغيير اسم حدثو إلى حدثو ش، قررنا أن قضية توحيد كل الشيوعيين هي أحد القضايا الأساسية، وقررنا السعي لتوحيد الشيوعيين في حزب شيوعي واحد. ودعونا إلى تشكيل لجنة للوحدة، وقد تكونت لجنة للوحدة تضم ممثلين عن ن. ح. ش (نحو حزب شيوعي) ع. ث (العمالية الثورية)، العصبة الماركسية، وحدثو ش.

وقد استمر التنسيق والنقاش في لجنة الوحدة حتى تمت الخطوة الأولى للتوحيد بين ع. ث. وحدثو ش و ن. ح. ش في أواخر ١٩٤٩. وسميت المنظمة الجديدة "حدثو".

س: هل سميت حدثو أم نحشم؟

ج: لقد تمسكنا نحن باسم حدثو كمسألة مبدأ، أما "نحشم" هذه فلها قصة أخرى؛ إذ إن جزءاً من أعضاء نحش التي اتحدت معاً ما لبث أن سارع بالانقسام مكوناً منظمة جديدة اسمها نحشم.

س: ماذا كان موقف القيادة داخل المعتقلات من مسألة الوحدة؟

ج: كان يونس يرى أن الانقساميين مجرد برجوازيين صغار، ثرثاريين، هاربين من الكفاح، وكان يرى أن حل المشكلة الانقسامية لا يكون بغير المزيد من النضال في صفوف العمال والفلاحين والمزيد من العمل الكفاحي لتعزيز المنظمة وهو ما يمكن تلخيصه تحت اسم "النمو الذاتي" لكن الشيء الهام أنه برغم كل الخلافات فإن يونس ظل يعتبرنا جزءاً من حدثو، وكان يساعدنا قدر الإمكان ووقف بجانبنا ضد تكتل المطبعة.

س: ماذا عن تكتل المطبعة؟

ج: تكتل ثلاثة من الكوادر منهم مصطفى طلبة والهندي (مسئول الجهاز الفني) وانسحبوا من التنظيم بعد أن استولوا على الأجهزة الفنية..

س: ماذا بعد أن اتحدت المنظمات الثلاث وكونت حدثاً من جديد؟

ج: الحقيقة أن حدثاً ش كانت تعرضت لضربات شديدة ومتلاحقة من البوليس وخاصة في مايو ١٩٤٩ حيث استطاع البوليس أن يصفي القسم الأكبر من المنظمة ولم يبق من قيادة حدثاً ش في الخارج إلا كمال عبد الحليم وإبراهيم عبد الحليم وكان إبراهيم عبد الحليم هو الذي تابع العمل في لجنة الوحدة.

ويمكن القول بأن التنظيم كان ضعيفاً للغاية، وكان وجوده رمزياً.. ثم ما لبث المعتقلون أن خرجوا في أوائل ١٩٥٠ وعادوا من جديد إلى قيادة التنظيم.

* * *

محضر نقاش

جلسة المناقشة الثالثة ٢٧ يوليو ١٩٧٥

س: أريد أن تبدأ هذه الجلسة بملاحظات عن منظمة ايسكرا، وكيف بدأت علاقاتك بها؟
ج: بدأ ارتباطي بايسكرا في نهاية عام ١٩٤٥، ولكن علاقتي بالفكر الشيوعي بدأت قبل ذلك بقليل أي في بداية عام ١٩٤٥؛ حيث حيث كان عمري ١٥ سنة؛ حيث اتصل بي هانز بنكسفلت وكان شيوعياً غير منضم لأي تنظيم وجندني أنا وعدد من طلبة المدارس الأجنبية وخاصة اللبسيه، وعملنا تحت قيادته، وقمنا ببعض الأعمال التخريبية ضد المنظمات الصهيونية العالمية في مصر، ولما لم يكن بنكسفلت ينوي عمل تنظيم ولما عجز عن مواصلة العمل مستقلاً فقد سلمنا جميعاً لمنظمة ايسكرا، ولم يدخل هو إلى المنظمة، وإن كان قد ارتبط فيما بعد بمارسيل إسرائيل (منظمة تحرير الشعب).

وهكذا وفي بداية ١٩٤٦ وجدت نفسي مرتبطاً دون إبلاغي بشيء. وبدأت العلاقة بشكل غريب، زميلة اتصلت بي أنا واثنين ممن كانوا معي وقالت إننا سنجلس معاً لندرس النظرية الماركسية، وكنا نتساءل عن هذه الفتاة وعن الجهة التي تعمل معها ولم نتلق أي إجابة، وبعد ذلك فهمنا أننا كنا مرشحين في ايسكرا، دون أن يخطرنا أحد بذلك، ولعل هذا يعطينا فكرة عن أسلوب ايسكرا في التجنيد، ويمكن القول بأنه أسلوب حلقي عائلي، وليس حزبياً بالمعنى المفهوم.

وكان معنا أعضاء في مدرسة اللبسيه وفي رابطة خريجي اللبسية، وبدأنا نشاط جاد في الرابطة وضممنا طلاب وطالبات من مدارس أخرى، وكنا نعمل محاضرة كل يوم سبت وكان يحضرها ما بين ٥٠، ١٠٠ طالب، وكانت المحاضرات تتناول موضوعات اجتماعية وتربوية وفلسفية ومشكلات تهم الشباب والأسرة وتحاول أن تقدم مفاهيم وحلول ماركسية، ولكن أود أن أؤكد أن اهتمامنا كان بعيداً تماماً عن الواقع المصري.

وكنا لا نقرأ إلا الكتب الفرنسية ومطبوعات الحزب الفرنسي، وأذكر أننا عملنا في فبراير ١٩٤٦ احتفال في اللبسيه وحضر فيه عبد المنعم الغزالي ممثلاً للجنة التنفيذية للطلبة وأعلننا في هذا الاحتفال تضامننا مع الحركة الوطنية المصرية، وكان هذا بداية كسر حاجز العزلة عن المشكلات المصرية وبدأنا نهتم بمشاكل مصر وبدأت أقرأ الصحف المصرية وعشنا في الجو المصري وذهبت لأول مرة إلى جامعة فؤاد



(القاهرة) وحضرت مؤتمراً ضخماً في قاعة الاحتفالات تحدثت فيه لطيفة الزيات وجمال شلبي.

وإلى جانب نشاطنا الجماهيري بدأنا نشاط تنظيمي فقد طلب إلينا أن نقرأ كميات كبيرة من كتب لينين بالإنجليزية وكل ما أذكره عنها هو الملل الشديد من قراءتها فقد كانت فوق مستوى سني وفوق مستوى اهتمامي وخصوصاً أن هذه الدراسة كانت تتم بشكل مجرد ودون ارتباط بالواقع المصري..

وإلى جانب هذا كنا ننشط وسط الطلاب سواء في القسم الأجنبي أو العربي (كنا ندرس معاً في المرحلة الابتدائية ثم نفصل إلى قسمين عربي وأجنبي في المرحلة الثانوية) ومن القسم العربي جندنا عدد من الطلبة منهم محمد سيد أحمد - إلهام سيف النصر - محمد الشواربي - توفيق حداد - فؤاد حداد - حليم طوسون.

وفي صيف ١٩٤٦ سافرت إلى باريس وهناك سمعت بحملة صدقي واتصلت بإنجي أفلاطون وكانت هناك هي وأختها كي تحضر اجتماع مجلس اتحاد الشبيبة العالمي وانضمت إليهم وكونا معاً وفد مصر في المؤتمر حيث واجهنا مندوب الماباي في المؤتمر وأدنا النشاط الصهيوني بشدة وعدت إلى مصر بعد ثلاثة أشهر وبعد عودتي اتصلت بي المسئولة وأبلغتني أنه أثناء سفري تم قبولي عضواً.. وكانت أول مرة أسمع فيها بوجود المنظمة، وأرسلوا نسخة من اللائحة لنطلع عليها ووجدت اسم المنظمة مشطوباً وقالوا إن ذلك للحفاظ على الأمن وعلمت أن المنظمة اسمها شرارة (ايسكرا) وكانت أول مرة أسمع فيها بهذا الاسم. وكانت اللائحة باللغة الفرنسية وكذلك النشرات.

والحقيقة أن ايسكرا كانت تضم عدداً ضخماً من أبناء الجاليات الأجنبية وكان لنا نشاط واسع جداً وسط هذه الجاليات.. وسط اليهود المناضلين ضد الصهيونية، وسط الأرمن ضد الطاشناق، وسط اليونانيين ضد الملكيين، وسط الإيطاليين ضد الفاشست. وكانت ايسكرا تقوم تنظيمياً على أساس فتوي.. قسم للأجانب يتبعه أقسام أو دوائر للجاليات دائرة للإيطاليين - اليونانيين الأرمن وهكذا.

وكنا ننشط وسط العديد من النوادي في القاهرة نوادي المكابي والليسيه ونادي أوبرج الشباب، وفي الإسكندرية كانت هناك أندية عديدة مثل أصدقاء الثقافة ونادي القلم.

وكنا ننشط أساساً وسط الأجانب ولا أعرف كيفية العمل في القسم المصري.

س: وماذا عن علاقاتكم بالمنظمات الأخرى؟

ج: في البداية لم أسمع بوجودها أصلاً، ثم بدأت تصلنا النشرات الداخلية للمنظمة وكانت ضخمة الحجم بشكل ملفت للنظر وكانت باللغة الفرنسية ومطبوعة بالرونو وهي نشرة

أسبوعية مليئة بتحليلات مطولة عن الوضع العالمي والوضع الدولي وكنا نحاسب على قراءتها. وبدأنا نجد إشارات في هذه النشرة عن منظمات أخرى وانتقادات لها. وكنا ندهش من حجم النشرات الداخلية وضخامتها بينما لم نقرأ نشرة واحدة خارجية وفيما بعد لاحظت نفس الأسلوب في منظمة نحو حزب شيوعي مصري (ن. ح. ش. م) وأدركت أن هذا أسلوب متعلق بشخص هليل شوارتز (شندي) الذي كان مسؤولاً في كلا الحالتين. وفجأة بدأت النشرة الداخلية تتحدث عن وحدة مع منظمات أخرى وعن المنظمة ب والمنظمة ج.. وكانت ايسكرا ترى أن ذكر اسم المنظمة يخل بقواعد الأمان وكانت تختلف في ذلك مع ح. م. والحقيقة أن ايسكرا كانت تدعي أنها تهتم بالأمان وكانت تنعى على ح. م تفريطها فيه، وكنا نتلقى محاضرات عن الأمان كانت تحرص على تشكيكنا حتى في أسرنا ولكن أكد أن مستوى الأمن كان مضحكاً كذلك كان مستوى البوليس.

وفي أواخر ١٩٤٦ أبلغنا أن الوحدة تمت مع تحرير الشعب وتكونت الطليعة المتحدة. س: قبل أن نواصل حديثنا عن الوحدة، أريد أن أسألك عن موضوع الحفلات وما أثير حوله؟ ج: كانت الحفلات أسلوب من أساليب العمل وكانت مجاًلاً جيداً للتجنيد، ويجب أن ننظر للأمر في واقعه الفعلي من حيث المناخ الذي كنا نعيش فيه والمرحلة السنية، فالشبان من وسطنا وسننا كانوا عادة يذهبون لحفلات ولكن من طراز آخر، أما نحن فكاننا نقيم حفلات فعلاً ولكنها كانت مختلفة وكنا نمضي فيها بعض الوقت في مناقشات سياسية جادة.

س: هل يؤكد ذلك القول من جانب الآخرين بأنكم كنتم أبناء طبقة ارسقراطية؟ ج: لا.. فالحقيقة أن معظمنا كان من أبناء أسر برجوازية صغيرة أو متوسطة.. ولكن الطابع الأجنبي للقسم كان يميزنا قليلاً.. فثمة فارق اجتماعي وحضاري بين البرجوازية الصغيرة والمتوسطة الأجنبية ومثيلتها المصرية.. وكان هناك عدد محدود من أبناء الأسر الغنية لكنهم كانوا من المصريين مثل محمد سيد أحمد، إلهام سيف النصر وكانوا محدودي العدد جداً.

س: نعود الآن لموضوع الوحدة، وكيف مارست تجربتك معها؟ ج: في نهاية ١٩٤٦ كنت أنشط في نادي علني وخلال هذا النشاط اصطدمت مع واحدة من النشاطات في النادي أنا وزميل لي.. ولم نكن نعلم أنها مسئولة عن النشاط الحزبي في هذا النادي.

وفجأة وصلنا قرار فصل من الطليعة المتحدة وتقرر الفصل دون سابق إنذار أو تحقيق.. (فيما بعد أبلغتني مارسيل إسرائيل وعبد المعبود أو شوارتز أبلغ السكرتارية المركزية لتنظيم الطليعة المتحدة أن هناك اثنين من المخربين يعطلان العمل فتقرر فصلنا).. وقدما التماس فتقرر قبولنا كمرشحين بشرط ألا نفتح الموضوع بأي شكل في خلية المرشحين. وهكذا تمت الوحدة مع ح. م. دون أن أعرف فكنت لم أزل مرشحاً، لكنني خضت معارك المنظمة ضد الصهيونية، وشاركت في الرابطة المعادية للصهيونية، ومعارك نادي المكابي، ثم سافرت إلى فرنسا وأنا لم أزل مرشحاً. وعدت في عام ١٩٤٧ فقابلت مصادفة هانز بنكسفلت الذي ضمنى مباشرة إلى قسم الدعاية في حدثو، وفجأة وجدت نفسي عضواً في حدثو، ونظمت في مستوى لجنة دعاية تابعة لدائرة من دوائر قسم الأجانب.

وكان قسم الأجانب في حدثو ينقسم إلى دوائر خاصة بالنوادي وأخرى خاصة بالجاليات ثم أقيمت دوائر للعاملين في المنشآت الاقتصادية كالبنوك والمصانع.. إلخ. والحقيقة أن فكرة قسم الأجانب من أفكار ايسكرا لأن عدد الأجانب فيها كان ضخماً بينما ح. م. كانت تتخلص من الأجانب.

وفي أواخر ١٩٤٧ صعدت إلى أحد أقسام مكتب الدعاية المركزي، وكان مسئول المكتب مارسيل إسرائيل الذي اتهم فيما بعد بأنه حول المكتب إلى قلعة للعادليين (نسبة إلى عادل أي عبد المعبود الجبلي) وبدأت علاقتي تتوطد بمارسيل، وبدأت مشاكل التكتل الثوري ووقفنا ضده ولعب مارسيل دوراً كبيراً وحضر عديداً من الاجتماعات ليدين التكتل.

والحقيقة أن غالبية كادر حدثو وقف ضد التكتل الثوري، ولكننا ما لبثنا أن انقسمنا نحن عن المنظمة وقد خرجت مع مجموعة العادليين وانضمت إلى العمالية الثورية (ع. ث) ثم إلى ن. ح. ش. م.

س: لماذا انقسمت؟

ج: كنت مقتنعا بآراء العادليين.

س: أقصد ما هو السبب في الانقسامات، ولماذا انقسم الكادر عن المنظمة، وما هي الخلافات النظرية التي انقسم على أساسها.

س: الحقيقة أننا تجمعنا وفق علاقات شخصية، وقد تجمع الأجانب حول مارسيل إسرائيل (مرسي) وانقادوا له، ولم يبق من الأجانب مع هنري كورييل (يونس) إلا عدد محدود.

س: أريد انطباعاتك عن أسلوب عمل ايسكرا؟

ج: ايسكرا حددت لها هدف يمكن تحديده كما يلي أجنب يندون أجنب ثم هؤلاء يندون متقنين مصريين وهؤلاء يندون عمال مصريين.

لكن هذه الخطة البسيطة لم تتحقق فلم تستطع ايسكرا أن تصل إلى العمال بشكل كاف.. والسبب هو أن أسلوب التجنيد كان عائلي، أي من خلال الأقارب، ومن خلال العلاقات الشخصية ومن ثم كان من الصعب الوصول إلى العمال.. كذلك كانت الدعاية مكثفة لكنها مجردة - وخالية من حياة أو أي علاقة بالواقع ويمكن أن تصلح للتدريس في أي حزب أوروبي، لكنها لا تصلح لحزب في مصر، كذلك لم يكن هناك جماهيرية للمنظمة ذاتها، فالمنظمة كانت لا توقع نشراتها، بل كانت تعتبر أن اسمها سرًا، وكان هناك خوف وحذر إلى درجة تثير الضحك، وكانت النشرات تصدر بالفرنسية في معظمها.

ويكفي أن أقرر لك أن ٩٩% من الأجانب الذين احتشدوا بكثرة في ايسكرا قد هاجروا من مصر فور تعرض الشيوعيين لأول حملة بوليسية حقيقية في ٤٨-١٩٤٩ ولم يبق سوى عدد محدود جدًا منهم أنا وعدد قليل آخر.

والآن وبعد هذه السنين أقرر وبصراحة أن أسلوب ح. م. كان بالقطع هو الأفضل رغم أنه بدون ايسكرا. فربما لم أكن لا أنا ولا غيري يمكننا من التعرف على الماركسية، فكوريل لم يهتم بالعمل وسط الجاليات الأجنبية وكرس جهده للعمل وسط المصريين.

ولكن ايسكرا امتلكت عنصرًا إيجابيًا فقد حشدت جهود عدد من المخلصين الأجانب وأذكر مثلاً أنهم قدموا لها مساعدات مالية كبيرة، وعندما تقرر فتح باب الاكتتاب تبرعت زميلتان كل منهما بالدوطة وكانت ألف جنيه لكل منها وألف جنيه كانت في هذه الأيام مبلغ كبير جدًا.

كذلك فإن عددًا من الأجانب قد بذل جهدًا مخلصًا ومتفانيًا وقدم إمكانيات ضخمة للعمل. والمشكلة الحقيقية لم تكن فقط في تجنيد عدد كبير من الأجانب وإنما كانت في أنهم لم يطلبوا منا تعلم العربية ولا التعرف على مشاكل الشعب المصري، أو العمل وسط المصريين، والسبب في اعتقادي أن زعيم المنظمة هليل شروانز لم يكن يصلح إلا للعمل الحلقى المغلق.

وإذا أردت تقييمي لمجمل المرحلة فإنني أقرر أنني بعد هذه السنين أشعر بالندم لأنني لم أنضم إلى ح. م. منذ البداية فقد كانت تمتلك الخط الأمثل، هذا رغم أنني عشت المرحلة الأولى امتلاك انتقادات كثيرة ضد كوريل ولم أقبله مطلقًا خلال فترة إقامته في مصر.

كذلك أعتقد أن الانقسامية والتكتلية هي ميراث من أسلوب ايسكرا ومن تكوينها الطبقي والأجنبي والأسلوب الحلقى والعائلى فى التجنيد وتربية الأعضاء بروح الكراهية للمنظمات الأخرى.

لكن ايسكرا امتلكت بعض الإيجابيات فقد أسست مثلاً دار الأبحاث العلمية، ونجحت فى تكوين عدد من الكوادر الهامة وسط المتقنين المصريين ولعبت دوراً هاماً فى الجامعة. أما تصور أن ايسكرا كانت مجرد منظمة تدير حفلات وتضم عدد من الارستقراطيين وتدعو للحرية الجنسية فهذا غير صحيح مطلقاً وإنما يجب أن ننظر للأمر كله فى إطار مناخ أجنبى برجوازي صغير ومتوسط.

.. وإذا أردت مقارنة بين كوادر ح.م. وايسكرا فأنتنى اكتفى بالقول بأن ٩٩% من كوادر ايسكرا ما لبثت أن تكتلت وانقسمت إلى كوادر ح.م. فإن غالبيتها صدمت ضد الانقسامية..

وإذا أردت مقارنة بين كورييل (يونس) وشوارتز (شندي) فلا شك أن كورييل كان أكثر نضجاً وأكثر قدرة على تلمس الواقع وعلى الاهتمام به.

محضر نقاش

س: أريد تقييمك لعملية الوحدة بين ايسكرا و ح. م
ج: التقييم إيجابي، فقد كانت خطوة صحيحة وضرورية، وكان الكادر كله في المنظمتين ينادي بها، وكان الموقف السليم للتيار الثوري والذي ظل ثوريًا باستمرار ينادي بالوحدة، والوحدة لا تعني بأي شكل ولكنها تعني تجسيد للاتجاهات الثورية والمفاهيم الثورية ونبذ للاتجاهات الخاطئة.

وقبل الوحدة كان هناك صراع طويل الأمد بين ح. م. وايسكرا حول بعض المفاهيم التنظيمية لأنه في السياسة لم يكن هناك خلاف كبير، وتركزت الخلافات حول قضايا مثل المركزية الديمقراطية - أساليب العمل الحزبي - أساليب إدارة وحسم الصراع داخل الحزب.. ويمكن القول إن هذا الصراع قد انتهى بحسم الموقف لصالح مفاهيم ح. م فتم التأكيد على مبدأ المركزية الديمقراطية مع وضع الظروف السرية في الاعتبار، بينما كانت ايسكرا ترى إجراء انتخابات من القاعدة إلى القمة، وكانت فعلاً تمارس انتخابات لكنها انتخابات شكلية؛ أي إن ترشح القيادة شخص وتطلب من المستوى انتخابه.

والمفهوم الثاني الذي دار حوله صراع كان شعار التمصير والتعميل وكانت ايسكرا ترى أن التمصير شعار شوفيني ولم تعط هذه المسألة أي اهتمام إلا قبيل الوحدة حيث تم تصعيد شهدي عطية وعبد المعبود الجبيلي للقيادة وهكذا خضعت ايسكرا لمفهوم التمصير أيضاً.

س: كان البعض في ح. م. يرى أن الوحدة لا مبرر لها، وأنه يمكن تصفية ايسكرا في مجال النضال العملي.

ج: هذا غير صحيح فايسكرا لم تكن مجرد سلبيات، فقد كان لها ركائز هامة وسط الطلبة ويمكن أن يقال إن دورها في تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال لم يقل عن دور ح. م إن لم يكن أكثر.

وكان ثمة تنسيق بين المنظمتين في مجال اللجنة الوطنية للطلبة والعمال وقد مثل ايسكرا شهدي عطية، ومثل ح. م كمال شعبان.

ويمكن القول إن ايسكرا قد مثلت بشكل جدي في انتخابات اللجان التنفيذية للطلبة وانتخب من كوادرها في هذه اللجان لطيفة الزيات - جمال غالي - عبد المنعم الغزالي - محمد جمال الدين شلبي - ثريا أدهم - سعد زهران وأنا وآخرين.. وقد بدأت ايسكرا نشاطاً عماليًا، وكونت الجامعة الشعبية.

س: ولكن لماذا لم يتم تقارب بين أعضاء المنظمتين؟

ج: السبب في الغالب هو التركيب الطبقي، فايسكرا كانت تضم عددًا كبيرًا من الأجانب والتمصريين وعددًا من المصريين من طلاب اللبسيه أي من أبناء الطبقات الغنية، وكانت غالبية أعضائها المصريين طلبة وكان تكوين ح. م مختلفًا.

س: بماذا تفسر تفشي ظاهرة الانقسام؟

ج: أولاً التكوين الطبقي حيث سادت عناصر البرجوازية الصغيرة، ومع أول ضربة فر البرجوازيون الصغار من الميدان رافعين أكثر الشعارات ثورية. ولا بد أن نلاحظ أن التكتلات والانقسامات أنتت أساسًا في أقسام المتقنين والطلاب، وقد ساعد على ذلك التنظيم الفئوي.

س: ما هي روايتك لنشأة التكتل الثوري؟

ج: كان أعضاء التكتل يطالبون بمطالب معقولة منها مثلاً إلغاء التنظيم الفئوي وطالبوا بالتركيز على العمال في مواجهة تقرير يونس (هنري كورييل) الذي يقول إن حزبنا هو حزب القوات الوطنية والديمقراطية.

وتطورت المسألة إلى أرقام ونسب جافة فالعملية الثورية قالت ٩٠% عمال و م. ش. م قالت ١٠٠%.

س: وكيف ترى نشأة منظمة العملية الثورية (ع. ث.)؟

ج: بعد التكتل الثوري كان هناك داخل قيادة حدثت خلاف حاد، وقال عبد المعبود الجبلي (عادل) مجموعة تطالب بالتركيز على العمال (٩٠%) وتنادي بعقد مؤتمر، وإدانة خط القوات الوطنية الديمقراطية وقد انضم إلى عادل عدد من أعضاء القيادة منهم أحد شكري سالم، محمد شطا، عبد الرحمن الناصر، جمال غالي.. كما تعاطف معهم كثير من متقفي ايسكرا وبعض عمال ح. م. وكانوا يشنون حملة هجوم على كورييل.

س: وماذا كان موقف هليل شوارتز؟

ج: لم يكن له أي تأثير في هذه المرحلة، فقبل الوحدة لم يكن أحد يتعامل معه أو يراه أحد أو حتى يستطيع أن يناقشه أحد، أما بعد الوحدة اكتشف الكادر أنه شخص عادي تمامًا،

وحتى كوادري ايسكرا لم تعد تكن له ذات التقدير السابق، بل وتمردوا عليه إذ ظهرت قيادات جديدة تجمع حولها الكادر مثل شهدي وعبد المعبود والجبلي. بينما ظل هنري كورييل (يونس) محتفظاً بتأثيره على عدد واسع من الكادر. بل نلاحظ أنه قد حدث تمايز جديد فبعض كوادري ايسكوا انحازت لتيار ح. م. مثل شريف حتاتة ومحمد الجندي^(*).

س: ما هي قصة حدثو ش؟

ج: تحت ضغط الكوادري اضطر ما تبقى من حدثو خارج المعتقلات وأنا منهم لعمل نقد، وأعلننا رفضنا لخط القوات الوطنية الديمقراطية، وأننا حزب الطبقة العاملة ومن ثم أضفنا تأكيداً لهذا الموقف لفظ الشيوعية إلى الاسم.

كما أننا غيرنا شكل التنظيم وألغينا التنظيم الفئوي وطبعاً أدى هذا إلى خلافات بيننا وبين رفاقنا بالمعتقلات.

وبدأت داخلنا مشاكل فعبد الفتاح الهندي انسحب وكان مسؤولاً عن المطبعة الحزبية وسلمها لمصطفى طيبة الذي ما لبث أن تكتل مع المجموعة العاملة على الجهاز الفني وبدأ في الضغط على القيادة وأسمى تكتل المطبعة، والحقيقة أنه كان يخطط سراً للانضمام لمنظمة الراية، وقد أخذنا على رفاقنا في المعتقل أنهم أخذوا موقف الحياد بيننا وبين تكتل المطبعة.

(*) أعد محمد الجندي ورقة ببعض ذكرياته عن هروبه من السجن، وسوف نوردها ضمن هذا الكتاب في موضعها.. كذلك سيرد له محضر نقاش آخر في موضعه من تسلسل الأحداث.

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٥ - ١١ - ١٩٧٤

س: اختلفت التقييمات حول وحدة الحركة المصرية مع ايسكرا، هل لنا أن نسمع تقييمك لهذه الوحدة كواحد من معاصريها؟

ج: يهمني أولاً أن أسجل أن الوحدة لم تقتصر على تنظيمي ح. م وايسكرا إلا بسبب الموقف المتعنت والرفض العنيف من جانب مجموعة الفجر الجديد، لا بد من تسجيل ذلك، لأنه يكفي أن نتصور كم كان سيختلف مسار الحركة الشيوعية اختلافاً كلياً لو كانت الفجر الجديد قد قبلت التوحيد في الوحدة.

ومن هذه الزاوية فإن الفجر الجديد تتحمل جزءاً كبيراً من مسؤولية استمرار الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية فيما بعد، ولقد صرح ليّ رئيس حزب شقيق مؤخراً أنه كان بالقاهرة في نهاية عام ١٩٤٦ وغادرها وقد ترك الجميع على مائدة الوحدة، ولقد ألحت ح. م. إلحاحاً شديداً على الفجر الجديد ألا تترك صفوف الوحدة.

أقول هذا لا لمجرد أن الوحدة قد تمت بدونهم وإنما لأن تواجد الفجر الجديد في التنظيم الموحد كان سيشكل إلى حد كبير مانعاً أمام تطور الحركة في اتجاه انقسامى، ولكن مسار وتطور الصراع الداخلي قد تم بصورة أفضل.

أما الشيء الثاني الذي أود أن أسجله أن جماعة الفجر الجديد لم تكثف بالانسحاب من الوحدة وإنما قامت بحركة غاية في الخطورة وهي أنها جمعت عدد من المنظمات الصغيرة التي انشقت على ح. م. في ظروف ضربة يوليو (العصبة الماركسية - وجبهة تحرير الشعب - ومنظمات أخرى غير معروفة) وما أن تمت الوحدة في يونيو ١٩٤٧ حتى فوجئ التنظيم الذي يجري توحيده ببيان اسمه "بيان جبهة المعارضة".. يهاجم الوحدة ويصفها بالانتهازية ويهاجم المنظمة الجديدة هجوماً عنيفاً، والغريب في الأمر أن الفجر الجديد لم تكن تعترف بمثل هذه المنظمات ولكنها استخدمتها فقط في تكريس الانقسامية، وقد كان هذا البيان المسمى "بيان جبهة المعارضة".. "البداية".. الحقيقية لحملة الشتائم والمهاترات والالتهامات في صفوف الحركة الشيوعية فقبلها كانت العلاقات ودية بين الجميع.



ولقد كانت الفجر الجديد، تتهم الوحدة بالتعجل، والتعجل هو أن تقوم القيادة بحركة تسبق بها الظروف الموضوعية وإرادة القواعد، لكن الذي حدث هو أن تطورات النضال الوطني في الفترة من نهاية ١٩٤٥ وحتى نهاية ١٩٤٦ قد أدخلت مجموع القواعد في كل من ح. م. وايسكرا في عدد كبير من المعارك المتتالية، وهكذا فرض العمل الجماهيري - مسألة الوحدة العملية بين القواعد، وتعرضت القيادة لضغوط شديدة من القواعد وكانت قيادة ح. م. تنادي من البداية بالوحدة، ولهذا فقد كان ثقل الضغط الأساسي موجهاً ضد قيادة ايسكرا.

وقبل أن تتم الوحدة كان هناك تنسيق في مجالين أساسيين الطلبة (أنا من ح. م. وجمال غالي من ايسكرا) والعمال (محمد شطا من ح. م. ومصطفى بقشيش من ايسكرا). وكنا مثلاً نناقش طويلاً مع جمال غالي فلا نجد معاً أي مبرر لاستمرار هذا الوضع. ومن أمثلة الأعمال المشتركة أن أعضاء ح. م. وايسكرا أصدروا معاً منشور ٢١ فبراير والمعنون "الجلء بالدماء".. وكان موقعاً باسم اللجنة الوطنية للعمال والطلبة.. وكان التنسيق تاماً بين القواعد لدرجة أن العضو الذي كان يتسلم المنشورات لم يكن يعرف من الذي يوصلها له وهل هو من ح. م. أو ايسكرا.

وبينما كانت الوحدة قد تمت كواقع عملي بين القواعد. كانت القيادات تناقش ثلاث مسائل أساسية من الناحية النظرية:

(١) المركزية الديمقراطية وضوابطها.

(٢) التمييز. هل هو واجب فوري (كما تطالب ح. م.).

(٣) التعميل.

وخلال المناقشات بين القيادات حدث تطور هام فقد انسلخ قسم كبير من ايسكرا بقيادة عدد من العناصر الشابة أذكر منهم "عبد المنعم الغزالي" وقد ساءها ماطلة قيادة ايسكرا واتصلت مباشرة بقيادة ح. م. لمناقشتها في الوحدة.. ويمكنني التأكيد بأن - الوحدة قد فرضت فرضاً على شوارتز وأنه قبلها على مضض، وهكذا وتحت ضغط قبلت قيادة ايسكرا الوحدة ووقعت على البيان الذي أعدته ح. م. والذي تناول النقاط الثلاث السالفة الذكر.

وهنا أود أن أتوقف لأسجل عدة ملاحظات.

كانت ايسكرا، ح. م. تلتقيان في أشياء وتختلفان في أشياء. كانتا تلتقيان في نقطة تميزهما معاً عن الفجر الجديد وهي فكرة المنبر المستقل ورفع شعارات مستقلة، بينما

كانت الفجر الجديد ترى التسلل في العمل السياسي وإلى الإطار الوطني من خلال التسرب إلى داخل حزب الوفد وترديد شعارات وطنية عامة وهذا الالتقاء قرب بين ح.م. وايسكرا في العمل المشترك في اللجنة الوطنية للعمال والطلبة.

- كذلك التقت ايسكرا و ح.م. حول شعارات سياسية مستقلة ومتميزة وبرامج مستقلة للعمل الجماهيري كانت تقدم كشعارات وكبرامج ماركسية.. وكانت هناك أيضًا نقاط خلاف.

- اختلاف في أسلوب التناول نتيجة لاختلاف التركيب الطبقي لكل من المنظمين.
- اختلاف في نوعية ومجال التوجه.. فمثلاً ح.م. كانت قوية في الأحياء السكنية بينما ايسكرا لم يكن لها نشاط تقريباً في الأحياء السكنية.

- ايسكرا كانت أقوى في مجال الطلاب و ح.م. كانت موجودة ومؤثرة ولكن بنسبة أقل وكذلك في مجال المثقفين والمتقنين الأجانب. وفي مجال العمال كان تواجد ح.م. فعلياً ومؤثراً وذو جذور، أما ايسكرا فيمكن القول بأنها كان لها تمثيل في مجال العمال وليس تواجد بالمعنى المفهوم. وهذه الاختلافات في التوجه نبعت من اختلاف التركيب الطبقي العام للمنظمة واهتماماتها والقادمين الجدد فيها.

- نقطة خلاف أخرى، هي الموقف من الدين كانت ح.م. تضم عناصر متدينة ولم يكن لدى كوادرها أي استعداد لاستعداد الجماهير من هذه الزاوية. أما ايسكرا فقد كانت تعتبر مسألة الموقف من الدين والتدين مسألة هامة وملحة.

- كانت ح.م. تعمل وسط النساء ولكن باحتراس ورهبة تفصل بين الأعضاء من الجنسين وباختصار كانت تعالج الأمر معالجة يمكن القول بأنها "شرقية" أما ايسكرا فقد انعكس الطابع "الأجنبي" على أسلوبها في هذا المجال، وكان هناك "تحرر" و "حفلات".. وخاصة في أوساط المثقفين.

- كانت ح.م. تراعي السرية المطلقة، والحقيقة أن كوادر ح.م. لم تعرف بعضها البعض إلا بعد الوحدة، أما ايسكرا فقد كانت غالبية كوادرها تتواجد في دار الأبحاث العلمية.

- نقطة الخلاف الأخيرة والحاسمة كانت في أسلوب تناول المسائل، فكوادر ايسكرا اعتادت على النقاش المستمر والذي لا يوصل إلى نتيجة، كنا في ح.م. نناقش القضايا ثم نصل إلى قرار سريعاً، أما كوادر ايسكرا فإن متعة النقاش لديهم كانت تدفعهم إلى مناقشة الموضوع الواحد طوال جلسة ثم جلستين ثم ثلاثة وهكذا دون أن نصل إلى أي اتفاق.

وهكذا وبعد الوحدة استغرق الجميع في النقاش، ومارس أعضاء ايسكرا "هوايتهم" في المناقشة إلى أقصى مداها.. ورويداً رويداً بدأنا نشعر أن كمية النقاش زادت وأن كمية العمل قد قلت.

س: اسمح لي أن أعترضك. لدي سؤال عن الأرقام. عند الوحدة كم عضواً تقدمت بها ايسكرا وكم عضواً تقدمت بها ح. م.؟

ج: أولاً: ايسكرا سارعت قبل الوحدة مع ح. م. بتوحيد نفسها مع عدد من المنظمات الصغيرة التي كان من المفترض أن تدخل في إطار الوحدة العامة، لكن ايسكرا فعلت ذلك لتقوي نفسها في مواجهة ح. م. ومع ذلك وفيما أذكر فقد تقدمت ايسكرا بثلاثمائة عضو و ح. م. بسبعمائة عضو..

المهم أنه برغم الخلافات فإن الوحدة قد حققت دفعة كبيرة في العمل وحثت الجميع على بذل مزيد من الجهد.. وإذا استخدمنا الأرقام فإنه بعد سبعة أشهر فقط من الوحدة قفز عدد الأعضاء في حدتو إلى ١٥٠٠ عضو وحوالي ضعف هذا العدد من المرشحين وكان لدينا مجلة أسبوعية ممتازة هي "الجماهير" كانت توزع ١١,٥٠٠ نسخة وهذا رقم ضخم بالنسبة لتوزيع المجلات الأسبوعية في ذلك الحين ويمكنك أن تعرف قيمة هذا الرقم إذا علمت أن روزاليوسف كانت توزع في ذلك الحين ١٢,٠٠٠ نسخة. وكانت لدينا مجلة نصف علنية اسمها "كفاح العمال" كانت توزع حوالي خمسة آلاف نسخة.

وصدرت نشرة داخلية "الكادر" ونشرة نظرية "الوعي" وبلغ من تفاؤل "شندي" بهذه النتائج أن دعا إلى اكتتاب لبناء وإعلان الحزب.

كانت هذه فترة الازدهار ثم ما لبثت الأمور أن تعقدت كثيراً لدى أول مناقشة جادة لوضع أول مشروع لخط سياسي عام لهذا التنظيم الكبير وكان ذلك في أوائل ١٩٤٨ وبدأت التكتلية والانقسامية وسادت المنظمة حالة من الفوضى والتسيب وسادت الكوادر الوسطى حالات من الزعامية، لكن ذلك كله تركز أساساً في قسم الطلبة وقسم الأجانب ولم تتأثر أقسام العمال إلا بعد فترة وبعد أن أصبحت الانقسامية حقيقة واقعة.

س: أريد أن تصل بي إلى نقطة مهمة، أعتقد أنك خير من يستطيع توضيحها وهي قصة منظمة نحشم (نحو حزب شيوعي مصري)، كيف تكونت، وكيف اتحدتم مع حدتو فيما بعد؟

ج: كنا في السجن وكنت في حدتو ووصلتنا معلومات خادعة عن أن هناك وحدة بين حدتو و ع. ث (العمالية الثورية) و ن. ح. ش (نحو حزب شيوعي وهي انقسام قام به هليل

شروا (ت) ونفذنا هذه التعليمات الخادعة، وهكذا خرجت من السجن في يناير ١٩٥٠ لأجد نفسي في نحشمة ولأجد أنه ليس صحيحاً أن حدثت قد دخلت هذه المنظمة، وكان من السهل أن أترك نحشم وأعود إلى منظمتي لكنني وجدت أن هذا غير مفيد وعندما خرجت من السجن وجدت أن نحشم عبارة عن مجموعة صغيرة من الأعضاء هي عبد الحميد السحرتي - سيف صادق - عبد المنعم إبراهيم ومجموعة صغيرة من الأجانب ويتزعم الجميع طالب طب فاشل هو جمال شلبي.. ويكرس كل وقتهم ونشاطهم في مناقشات لا تنتهي دون عمل جدي أو حقيقي..

وعند خروجي استدعيت إلى اجتماع ل. م. المنظمة. وفي أول جلسة احتدم - الخلاف بيني وبين جمال شلبي وانتهى الأمر - وفي نفس الاجتماع اتخذ الحاضرون قراراً بإبعاد جمال شلبي والدعوة لاجتماع آخر يحضر كل عضو فيه ومعه قائمة بالقوات المستعدة للعمل معنا في بناء المنظمة واتفق على "تجنب" قسم الأجانب وأن تكون مهمته هي تسديد الاشتراكات والترجمة وأعطينا لكل منا مهلة شهر لتقديم قوات جديدة.. وبعد شهر عقدنا اجتماعنا واتفقنا على أسلوب العمل - أعتقد أنه كان جديداً وللحقيقة أود أن أقول الرفاق العمال عبد المنعم إبراهيم - سيف صادق - فكري الخولي كانوا مصدر الفكرة الأساسية وكانت كل مهمتي هي صياغتها وتطورها.. وتقوم الفكرة على أساس بناء تنظيم من نوع جديد أو شعبتين، شعبة مخصصة للعمل الجماهيري، تتحرك بشكل علني وتعمل وسط الجماهير وتدافع عن خط المنظمة بينها وخصصنا لهذه الشعبة فكري الخولي - عامل وكان في ذلك الوقت وكيل نقابة نسيج القاهرة، وأحمد الرفاعي أحد قادة الحركة الطلابية وأنا كمسئول لهذه الشعبة.

وكان المطلوب من التنظيم هو أن يحيطهم بالضمانات القانونية بمعنى عدم تكليفهم بأية تكاليف تضر بأمنهم أو تعرضهم للخطر من حمل المطبوعات أو إلى ذلك ويكفي أن ينظم التنظيم مع كل منا علاقة لقاء كل شهر مثلاً نطلع فيه على المطبوعات ويدلي برأيه فيها.

أما الشعبة الأخرى فهي مخصصة لبناء التنظيم الداخلي (جهاز فني - جهاز اتصال - أماكن... إلخ).

وبعد أن اتفقنا على هذا الأسلوب قررنا أن نعود للاجتماع بعد شهرين لمراجعة النتائج وفي هذا الوقت كان عدد الأعضاء المصريين في نحشم ١٣ عضو فقط بما فيهم المركز.

واجتمعنا بعد شهرين فكان عدد المرشحين المطروح على التنظيم قبولهم من القاهرة والإسكندرية وبعض المدن الأخرى يزيد على ٦٥ شخصاً، والأهم من ذلك أن الشخصيات المخصصة للعمل الجماهيري قد برزت بشكل كبير في مجال العمل الجماهيري العام، وبعد ستة أشهر أي في أبريل ١٩٥١ وفي اجتماع للجنة المركزية استمعنا إلى تقرير من المسئول التنظيمي يقول إن لدينا ١٣٠ عضو وحوالي ١٥٠ - ٢٠٠ مرشح.. وفي المجال الجماهيري كانت هناك "لجنة الميثاق الوطني" التي ضمت شخصيات وطنية هامة وعدد هام من الصحفيين والسياسيين والقيادات الطلابية والعمالية وقد بدأت باجتماع جماهيري في نادي كلية الحقوق بجامعة القاهرة حضرته عدة شخصيات أذكر منها صبري السوربوني - أبو الخير نجيب - فتحي الرملي، واعتذر عن حضور الاجتماع د. عزيز فهمي - إحسان عبد القدوس وأرسلا للمجتمعين برقيات تأييد ويمكن وصف هذا الاجتماع بأنه كان نواة لتوحيد تيار من الطلاب والصحفيين والمتقنين الأحرار تتوجه بالدعوة إلى كل الشخصيات السياسية والنقابية والحزبية لتبني "ميثاق وطني" يطالب بإلغاء معاهدة ١٩٣٦، وبدأ الكفاح المسلح فوراً لتحرير الأرض - حرية حمل السلاح.. إلخ.

كذلك فقد كونا بالتعاون مع حزب مصر الفتاة هيئة أسميت هيئة تأميم قناة السويس.. وكذلك كنا قد تواجدنا في حركة أنصار السلام.. وفي هذا الاجتماع (أبريل ١٩٥١) قدمت أنا تقريراً عن العمل الجماهيري، ثم أثرت قضية الوحدة مع حدثو كضرورة كفاحية.

وكان أعضاء اللجنة المركزية قد أثاروا قضية ترشيحي مسئولاً سياسياً للمنظمة لكنني رفضت وصممت على تأجيل بحث هذا الموضوع وكانت ل. م المنظمة مكونة في ذلك الحين من زكي مراد - عبد المنعم مراد - سيف صادق - عبد الحميد السحرتي - وصعد إليها كل من أحمد الرفاعي - أسماء حليم - فكري الخولي.

وفي هذه الأثناء وبعد أن كانت حدثو تتجاهل نحشم باعتبارها منظمة صغيرة محدودة التأثير، أخذت تهتم بنا. وكان الشهيد عبد الخالق محجوب في زيارة للقاهرة أثار هو قضية وحدة حدثو ونحشم وصمم على أن تتم الوحدة خلال زيارته للقاهرة وترأس هو لجنة الوحدة بين المنظمتين.

س: ممن كانت تتكون لجنة الوحدة؟

ج: الشهيد عبد الخالق محجوب رئيساً، من وجانب حدثو سيد سليمان رفاعي ومبارك عبده فضل ومحمود توفيق (سكرتيراً للجنة).. ومن جانب نحشم أنا وأسماء حليم - وأحمد رفاعي.

وتمت الوحدة.. لكن حدثت أبلغت أعضائها أنها ليست وحدة وإنما اندماج. وعندما أقرت أسس الوحدة أصرت ل. م. نحشم على استكمال الهيكل التنظيمي وعلى انتخابي مسئولاً سياسياً، وكان المبرر الذي قدم هو إعطائي تفويض لإنجاز الوحدة، وتنفيذ الإجراءات العملية للوحدة.

س: متى تمت الوحدة؟

ج: في أول نوفمبر ١٩٥١، وكان ذلك في أوج التهاب الحركة الوطنية وتصاعدها وكان أعضاء المنظمين قد اندمجوا فعلياً في ميادين الكفاح. والأهم من ذلك هو أن هذه الوحدة قد أعادت إلى الوجود من جديد منظمة حدثت بقواتها الأصلية عام ١٩٤٧. وبعد ذلك بدأت فترة من النشاط الهائل في مختلف ميادين العمل وبرزت حدثت كقطب هام في الحركة الوطنية، وتشعب النشاط في مجالات عدة:

- الكفاح المسلح.
- توحيد الحركة العمالية.
- توحيد القوى الوطنية والديمقراطية.
- العمل في صفوف القوات المسلحة.
- تعزيز حركة السلام.
- توحيد نضال شعوب الشرق الأوسط ضد الأحلاف والاستعمار (مؤتمر شعوب الشرق الأوسط).. والحقيقة أن الفترة من نوفمبر ١٩٥١ إلى يناير ١٩٥٢ كانت مزدهرة وحافلة بنشاط جارف، ويمكن القول بأنها قد أرست تقاليد هامة في العمل الشيوعي وسط الجماهير.



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٧ يناير ١٩٧٦

س: كيف بدأت علاقتك بالحركة الشيوعية؟

ج: في البداية كنت شخص عادي يهتم بالثقافة، وكنت أرتاد النوادي لأستمع إلى المحاضرات، وفي مرة استمعت إلى محاضرة في علم النفس ألقاها الدكتور الأهواني في النادي الديمقراطي.. وناقشت المحاضر مناقشة مطولة، فبدأت ألفت أنظار القائمين على أمر النادي، وخاصة مارسيل إسرائيل الذي بدأ يهتم بي، وشجعتني على الانضمام للنادي وما أن أصبحت عضواً حتى أحسست بوجود صراعات في النادي.. وكانت الصراعات تجري بين ثلاثة مجموعات: مجموعة كورييل، ومجموعة مارسيل، ومجموعة مصرية يتزعمها مدرس بكلية البوليس هو محمد نصر الدين وكان نصر الدين يطالب بإبعاد الأجانب عن النادي ليصبح نادياً مصرياً.

وما لبث الاتحاد الديمقراطي أن انهار، وما لبثت جماعة ثقافة وفراغ (مارسيل إسرائيل) أن أقامت نادياً للمحاضرات وبدأت أشارك في هذا النادي وألقيت عدة محاضرات فيه عن المرأة وعن تاريخ الفترة من ١٩١٩ إلى ١٩٣٩.. وكنت أحس أن ثمة مجموعة تتحرك ويقودها مارسيل ولكني لم أنضم إليها.

ومن خلال علاقتي بجماعة ثقافة وفراغ بدأت تتكون لدي ثقافة ماركسية كافية وجمعت حولي مجموعة من الشبان وصل عددهم إلى حوالي ١٥ شخص.. وما أن تجمعوا حولي حتى بدأت أشعر بالمسؤولية تجاههم وكنت قد بدأت أعرف بأحد رجال الحركة الشيوعية القديمة هو الدكتور عبد الفتاح القاضي.. ووضعت نفسي أنا ومجموعتي تحت تصرفه.. وكان الدكتور القاضي منضماً للحركة المصرية للتحرير الوطني. فقد كنا نعرف قدرًا من الماركسية لكن تنقصنا الإمكانيات، كما تنقصنا - وهذا هو الأهم - الخبرة في العمل التنظيمي.

وهكذا انضمنا إلى ح. م.

وبعد انضمامنا مباشرة بدأت أشعر ببوارد معركة داخل المنظمة كان القاضي أحد أطرافها، فقد كان يعارض بشدة في وجود الأجانب ويطالب بالتمصير الكامل.. كما كانت له ملاحظات منها:

- اختفاء المناخ الديمقراطي في المنظمة.

- سيادة العلاقات الشخصية.

وبعد فترة بدأت أنا نفسي أمتلك عدة ملاحظات فقد أعطى كورييل لنفسه الحق في الاتصال بأي عضو في المنظمة وكنت أرى أن هذا خطأ، كما لاحظت أن عدد الأجانب كبير نسبياً، وكنت منذ البداية منظمًا في قسم المثقفين وبدأت ألاحظ خطأ فكرة التنظيم الفئوي.

وكتبت عدة تقارير قلت في أحدها إنني لا أشك في إخلاص قادة المنظمة من الأجانب لكن وجودهم على رأس التنظيم ضار وأن عليهم أن يثبتوا ثورتهم بالانسحاب من القيادة.. ولم أتلق أي رد..

وفي قسم المثقفين قلنا لأنفسنا أن المهم هو تكوين كادر مصري مثقف بالماركسية وعلى هذا الأساس بدأنا في ترجمة سلسلة الكتب الخضراء، وكانت الترجمة دقيقة جدًا وتمت مراجعتها بدقة، وكنا نترجم من الإنجليزية وتتم المراجعة بواسطة متخصصين في اللغتين منهم بعض أعضاء المجمع اللغوي.

كما قمنا بالإسهام في طباعة هذه الكتب.

واستمرت هذه المرحلة حوالي سنتين وتركز خلافنا فيها مع المنظمة حول مسألتين:

١- الأجانب.

٢- العلاقات الشخصية.

ولما جاءت حملة القبض في سنة ١٩٤٦ تفكك التنظيم وكان هذا طبيعيًا ولم يبق متماسكًا إلا قسم المثقفين، وقسمنا كان القسم الوحيد القائم على أساس تنظيمي صحيح ومتماسك ولم تمسه حملة القبض، وكونا منظمة جديدة اسمها العصبة الماركسية.. ويمكن القول أننا وصلنا إلى هذا الوضع دون إعداد مسبق.

س: ما هي قصة أنكم رفعتم شعار إحناء الرأس للعاصفة؟

ج: هذا غير صحيح، وهو شعار مخترع ولقد سمعت بهذا الشعار لأول مرة عام ١٩٥٢ عندما دخلت المعتقل وتحققت من أن الذين أطلقوا هذه الشائعة هم مجموعة محمود العسكري أي طليعة العمال.

س: كيف وقع الانقسام إذن؟

ج: لم يكن انقسام، بعد الحملة البوليسية سنة ١٩٤٦ تفككت المنظمة وبقينا نحن وحدنا كقسم متقنين نمتلك ملاحظات على الأساليب السابقة فكونا منظمة جديدة.

س: إذن كنتم جميعاً من قسم المتقنين؟

ج: في البداية نعم، ثم أقمنا علاقات بالعمال.

س: كم وصل عدد أعضاء العصبة الماركسية وممن تكونت قيادتها؟

ج: بلغ عددها حوالي ٦٠ عضواً متقنين وعمال القيادة كانت من خمسة وكان الدكتور عبد الفتاح القاضي المسئول السياسي وأنا المسئول التنظيمي.

وقد وضعنا خط سياسي وخط تنظيمي. لكن غلبة المتقنين في المنظمة أضعفت من اندفاعها الثوري وكان نمونا غير مرضي، وأثبتت الأيام أن البعض غير قادر على الاستمرار ومنهم كان د. القاضي ونقطة الضعف الأساسية أننا لم يكن لدينا محترفين ثوريين، ومن ثم خضع العمل في التنظيم للهواية ولأوقات الفراغ وهذا لا يمكنه أن يحقق أي تقدم لكن لم يحدث عندنا أي انقسام في البداية.

ثم تكون ما يسمى بالحزب الشيوعي المصري وصاحب عملية تكوينه حملة ديماجوجية وعلمييات خداع ضللت الكثيرين وقيل إن شخصاً ما قدر فوض من الأممية لتأسيس الحزب وأن من لا ينضم إليه سيعتبر خارجاً على الشيوعية، واستطاعت هذه المجموعة أن تكسب إلى صفها طوسون كيرلس وكان مسئول جهاز الطباعة عندنا، وقد كسبوه بشكل غير شريف فقد انضم إليهم وسرق جهاز الطباعة، ومع ذلك ظل عندنا يراوغنا. وبدأنا نشعر بأن أسرارنا تسربت، وأخذ الكثيرين يشعرون بالخوف وبدأت المنظمة في التفكك.

س: ما هي النشرات التي كنت تصدرونها؟

ج: نشرة خارجية اسمها الأجير وكنا نطبع منها حوالي ٤٠٠ نسخة. ونشرة داخلية لا أذكر اسمها.

س: لماذا رفضتم المشاركة في وحدة ح. م. وايسكرا؟

ج: كنا نتمسك بمبدأ يقول: قبل أي وحدة يجب أن نناقش نقط الخلاف مناقشة أيديولوجية كاملة وتحدد نطاق الاتفاق والاختلاف تحديداً كاملاً.. ومن ثم اعتقدنا أن هذه الوحدة تتم بشكل غير مبدئي.

ومن ثم رفضنا هذه الوحدة وطالبنا بصراع أيديولوجي ولجنة مشتركة لإدارة الصراع
ثم مؤتمر يقرر فيه الكادر كل شيء.

س: هل كنتم على علاقة بمنظمة اتحاد شعوب وادي النيل؟

ج: نعم وهي مجموعة صغيرة تزعمها عبد الفتاح الشرقاوي، وكانت تجمعاً من المثقفين قالوا
بضرورة المزاجية بين الدين والماركسية في حركتنا على أساس أننا نعيش في بلد
يلعب فيه الدين دوراً حاسماً.

لكنهم كانوا قليلي العدد وشديدي الخوف.

س: كيف تحولتم من العصبة الماركسية إلى منظمة نواة الحزب الشيوعي المصري؟

ج: بعد تكوين ما أسمى بالحزب الشيوعي المصري وخروج طوسون كيرلس ومجموعة
المطبعة وإحساسنا بأننا قد كشفنا للآخرين، من خلال تصرف تأمري بحت، فهو لم
يناقشنا في شيء، بل ظل معنا يجارينا بينما هو مع الآخرين، ونتيجة لهذا الأسلوب
التأمري بدأ البعض يشكك ويتخوف من احتمال تسليمنا للبوليس، وبدأ الأعضاء في
الانسحاب في هدوء، فأعلننا أن التنظيم يحتاج إلى إعادة تكوين.. وكان ذلك في أواخر
١٩٤٩.

س: كم كان عددكم قبل خروج طوسون كيرلس؟

ج: حوالي ٢٠٠ عضو.

س: كيف قامت منظمة النواة؟

ج: بعد إعلان إعادة التكوين، أعلننا تأسيس منظمة نواة الحزب الشيوعي المصري، وهي
امتداد للعصبة بأيديولوجيتها وإنما على أساس الاهتمام بمزيد من العمل الجماهيري
والاتصال أكثر بالنقابات والحركة العمالية.

وأصدرنا من جديد مجلة الأجير، ومجلة داخلية اسمها الطليعة.

وبدأنا صراعاً فكرياً حاداً مع منظمة الحزب الشيوعي (الراية) وهاجمنا قيادتهم بشدة
وقلنا أنها قيادة فاشية، وأن خطهم السياسي هو نفس خط حدتو، وناقشنا قضية
الديمقراطية الشعبية وقلنا أنها شكل من أشكال دكتاتورية البروليتاريا بينما هم كانوا
يرون أنها شكل جيد للبرجوازية الديمقراطية.. وكان هذا هو أول صراع أيديولوجي
يجري على أسس واضحة وكنا نحاول أن نجعل كوادر هذه المنظمة يفقهون من الوهم
الذي سيطر عليهم، وأن نخرجهم من جو الرهبة الذي أحاط الرفيق خالد سكرتيرهم
العام نفسه به إلى درجة أن أحد اللجان أرسلت إلى مجلة "راية الشعب" رسالة تحية

بمناسبة مرور عامين على تأسيس "الحزب" قالت فيها إن مقالات الرفيق خالد قد أفادت في تثقيف ملايين الملايين من العمال في كل بلاد العالم واختتمت الرسالة بالشعار الذي أصبح شهيراً فيما بعد وهو "عاش الرفيق خالد ألف عام".

وقد شنوا هم ضدنا حملة إرهاب فكري وتشنيع واتهمونا أننا عملاء الاستعمار الأمريكي.

* * *

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٦ - ٤ - ١٩٧٥

س: أعتقد أنه لكي نبدأ من البداية الحقيقية فإنه يتعين علينا أن نتعرف على بداية علاقتك باتحاد أنصار السلام. فهل يمكن أن تروي لنا بأكبر قدر ممكن من التفصيل كيف بدأت هذه العلاقة؟

ج: كنت طالباً في المرحلة الثانوية في الليسييه الإسرائيلي بالإسكندرية بمحرم بك وكانت مدرسة صغيرة وبالمصادفة مرضت مدرسة التاريخ وحلت محلها مدرسة أخرى مؤقتة هي السيدة/ أنا طوبي وكان مقرراً علينا في هذه السنة دراسة تاريخ الثورة الفرنسية، وفي أول حصة حدثتنا أنا طوبي قائلة أنكم تدرسون التاريخ بشكل خاطئ، وأنه لكي تفهموا التاريخ فهماً صحيحاً يجب أن تدرسوه على ضوء الصراع الطبقي، وشرحت لنا باختصار المادية التاريخية، واهتم بعضنا بالأمر ووجدنا فيه باباً جديداً للمعرفة وبدأت هذه المدرسة في تزويدنا ببعض الكتب الماركسية، ثم دعتنا لحضور جلسة في اتحاد أنصار السلام بالإسكندرية، وكان هذا أول اتصال لي بهذه المنظمة.

س: متى تم ذلك؟

ج: حوالي عام ١٩٣٤ أو ١٩٣٥.

س: أين كان مقر هذا الاتحاد؟

ج: في شارع متفرع من شارع سعد زغلول بالإسكندرية.. وأود أن أضيف أنني بعد هذه العلاقة التي لم تدم طويلاً انقطعت عنهم واتصلت بمجموعة أخرى كانت تضم عدداً من الأشخاص منهم زكي ليفي وكان اسمها جماعة "الحزمة" La Gerbe وكانت جماعة ثقافية وأذكر أنني ألقيت فيها محاضرة عن أندريه جيد، وأذكر أنه كان هناك خلاف بين جماعة "الحزمة" واتحاد أنصار السلام، ويبدو أنه كانت توجد لدى زكي ليفي أو حوله اتجاهات تروتسكية.

وأذكر أنني حضرت في عام ٣٥ أو ١٩٣٦ (على ما أذكر) مؤتمراً نظمته اتحاد أنصار السلام بالإسكندرية للتضامن مع الحبشة ضد الغزو الإيطالي وشاهدت لأول مرة بول

جاكو وهو يلقي كلمة بالفرنسية ولا زالت ترن إلى الآن في أذني صيحتة وهو يقول "لا.. لا نريد الحرب".

وفي عام ١٩٣٧ انتقلت إلى القاهرة لأدخل كلية الهندسة، وفي القاهرة بدأت أتردد على اتحاد أنصار السلام في مقره بشارع شريف وهناك تعرفت على ريمون دويك ومارسيل إسرائيلي وإيلي ميزان وراؤول كورييل وجورج حنين وغيرهم، وأذكر أنني سمعت محاضرة لجورج حنين على الفرويدية أو السريالية.

وفي هذه الفترة بدأ اتصالي ببول جاكو. وكان هناك أيضًا بيريديس(*) وزوجته ألكسندرا وكثيرين آخرين.

س: ما هي مدى علاقة اتحاد أنصار السلام بالمصريين؟

ج: يمكن القول بأنها كانت علاقات خفيفة وقليلة، وقد نجح الاتحاد في جذب بعض المصريين وخاصة في المؤتمرات العامة والتي تتعلق بالنضال ضد الاستعمار مثل مشكلة الحبشة، ذلك أن مسألة السلام لم تكن مفهومة لدى الرأي العام الوطني المصري باعتباره كان يريد الحرب ضد الاستعمار.. ومن المسائل الهامة التي قام بها اتحاد أنصار السلام في هذا الصدد أنه نظم - علاقة ما - بين الزعيم الهندي نهرو والنحاس باشا.

س: حسنًا لنواصل قصتك؟

ج: بعد أن دخلت الجامعة، أذكر أنه كانت هناك محاولة من بعض أعضاء مصر الفتاة لإقامة مؤتمر لنصرة فلسطين، وأذكر أنه في يوم من الأيام دخلت مجموعة منهم إلى المدرج وهتفوا ضد اليهود.. وأنا وقفت وأعلنت احتجاجي وتكلمت - بلغة عربية ذات لكنة أجنبية - متحدثة عن الفارق بين اليهودية والصهيونية، وقلت اليهودية دين والصهيونية حركة سياسية معادية واستعمارية وطلبت إلى الطلبة أن يهتفوا معي تسقط الصهيونية، وكان أعضاء مصر الفتاة قد كونوا لجنة لمعاداة الصهيونية ولتأييد شعب فلسطين وانضمت إليها ونشر بالأهرام نبأ تكوين اللجنة ونشر اسمي ضمن أعضائها، ومع اتجاه النية لعقد مؤتمر طلابي لمساندة فلسطين اتصل بي طالب يهودي مصري وعرض عليّ أن نعمل معًا لإقناع القائمين على المؤتمر بعدم مهاجمة اليهود كيهود.. وخلال المناقشة قال لي: "أنا عرضت الأمر على الباشا" فقلت: أي باشا؟ قال: قطاوي

(*) بيريديس كان شاعرًا يونانيًا مرموقًا هو وإخوته في مصر، وعملوا أساسًا في صفوف التنظيم الشيوعي اليوناني والذي كان تابعًا مباشرة للحزب الشيوعي اليوناني. وبعد أن غادر بيريديس مصر أقام في قبرص حيث توفي هناك.



باشا وبعد عدة أيام قال لي نفس الطالب أن القائمين على الإعداد للمؤتمر قابلوا الباشا وأفهمهم بعدم مهاجمة اليهود وأشار بأصابعه إشارة تفيد إلى أنه قد أعطاهم نقودًا.

وبعد ذلك اتصلت بإيلي ميزان في جماعة L.I.S.C.A "الجمعية الطلابية الدولية مناهضة معاداة السامية وحكيت لي القصة، وبعدها بعدة أيام أخبرني أن هناك شخص يريد مقابلتي وأن يسألني بضعة أسئلة عن الاتجاهات المعادية لليهود في الجامعة، وتوجهت إلى هذا الشخص واسمه سقال وهو تاجر أو قومسيونجي وأخذ هذا الشخص في توجيه عدة أسئلة لي حول هذا الأمر ثم طلب مني أن أكتب تقريرًا، ولكنني رجعت إلى أصدقائي في اتحاد أنصار السلام لاستشيرهم فقالوا إن راحة هذا الأمر ليست طيبة ونصحوني بعدم كتابة أية تقارير لهذا الشخص.

وأود أن أشير إلى أن كبار اليهود المصريين والأجانب كانوا في هذا الوقت يشجعون - بشكل أو بآخر - الحركة التقدمية في صفوف الأجانب باعتبارها درع معادي للتمييز العنصري ضد اليهود.

وأذكر بعد ذلك أنه حدث انقسام في صفوف اتحاد أنصار السلام وقد نظم هذا الانقسام (راؤول كورييل - جورج حنين - مارسيل إسرائيل) وعلى ما أذكر فإن هذه المجموعة كانت تريد إضفاء التأثير التروتسكي على اتحاد أنصار السلام، وبطبيعة الحال فإن التروتسكية كانت بالنسبة لنا كشيوعيين شيئًا كريهًا جدًا.

س: هل يمكن أن تحدثني بشيء من التفصيل عن طبيعة اتحاد أنصار السلام وعلاقته كهيئة بالجماعة الماركسية التي كان يرأسها بول جاكو دي كومب؟

ج: الحقيقة أن اتحاد أنصار السلام كنت جمعية علنية ولها لوائح قانونية وطبقًا لمعلوماتي أنا - وأنا لم أكن كثيرًا في اجتماعاتها - فإنه لم يكن هناك أي نوع من التكتل الخاص للمجموعة الماركسية، وكان كل النشاط علنيًا بالفعل ولم يكن هناك قوى خفية تتستر خلف الاتحاد، وإنما كانت هناك حلقات من أشخاص تتلاقى خلال اجتماعات الاتحاد ثم تجلس مع بعضها البعض وبدأت هذه الجماعات تنظم لنفسها دراسات في النظرية الماركسية وأنا شخصيًا انضمت لأحد هذه الحلقات الدراسية.

س: ماذا كنتم تفعلون في هذه الحلقة؟

ج: كنا مجموعة من أربعة أو خمسة أشخاص نجتمع مرة أو مرتين في أسبوع في منزل واحد منا ونقرأ صفحة أو صفحتين من كتاب في الاقتصاد السياسي ثم نجري مناقشة حولها وكان النشاط ثقافي ودراسي بحت.

س: أي كتاب كنتم تدرسون مثلاً؟



ج: كنا ندرس كتاب مبادئ الاقتصاد السياسي لسيجال وهو كتاب ممتاز.

س: هل كان هناك أحد ينظم مثل هذه الحلقات الدراسية؟

ج: الحقيقة لم نشعر بذلك وكان إحساسنا أننا نتجه إليها تلقائياً.

س: هل كان هناك شخص ما يتولى إدارة الحلقة وقيادتها وتوجيه العملية الدراسية فيها؟

ج: عموماً كان هناك في كل حلقة شخص أكثر فهماً.

س: كيف سارت الأمور بعد ذلك؟

ج: في سنة ١٩٣٩ قامت الحرب العالمية الثانية ولم يعد هناك معنى لاتحاد أنصار السلام واجتمعنا وكنا عشرة أو خمسة عشر شخصاً واتفقنا على ضرورة حل اتحاد أنصار السلام طبقاً للائحة وناقشنا تأسيس جماعة أخرى أسمينها Etudes group (جماعة البحوث)^(*) وفي ذلك الحين قرأنا رسائل أبريل للنين وكانت تتناول قضية الحرب الاستعمارية وطبيعتها - وانتهينا في ذلك الحين إلى أن الحرب القائمة ذات طبيعة استعمارية، وأود أن أشير إلى أن الاتحاد الديمقراطي أصدر في ذاك الحين (سبتمبر ١٩٣٩) بياناً يؤيد فيه "الحلفاء" وقد نشر البيان في "الجورنال دي ايجيب" وفي ذلك الوقت كان الكومنترن يرى أن الحرب القائمة حرب استعمارية.. وفي ذلك الحين على ما أذكر أصدر جورج حنين مجلة "دون كيشون" وكانت تهاجم الاتحاد السوفيتي.

وقد أصدرت "جماعة البحوث" كتيباً عن تاريخ مصر كسبيل لتقديم دراسات عن مصر وتاريخها ونضالها إلى مجموعات الأجانب والمتمصرين وجنود الاحتلال، وكانت "جماعة البحوث" عبارة عن نادي ثقافي وكان مقرها في شارع عدلي (أظن في المبنى الذي يوجد فيه حالياً مكتب التلغراف).

وكان أعضاء "جماعة البحوث" يهتمون بمقابلة العديد من جنود الاحتلال ومناقشتهم حول ضرورة تحقيق الأمن القومي للشعب المصري في هذه الفترة كان نشاطي محدوداً فقد كنت مشغولاً في دراستي.

وفي عام ١٩٤٠ أو ١٩٤١ أحد الأصدقاء ريمون دويك أو يوسف درويش (لا أذكر) أوجد صلة بعدد من الشبان المصريين كانوا ينشطون في جمعية لمحو الأمية، ثم وجدنا أنهم غير نشطين بما فيه الكفاية فقررنا نحن أن نؤسس جمعية لمحو الأمية.

(*) سبق أن استخدمنا اسم "مجموعة الدراسات" كترجمة لاسم Groupe Etudes ولكن صادق سعد أكد أن مؤسسي الجماعة قد ترجموا الاسم واستخدموه على هذا النحو ومن ثم فإننا سوف نستخدم اسم "جماعة البحوث" باعتباره الاسم الحقيقي وبرغم الخطأ الواضح في الترجمة (المؤلف).



وكان هدفنا الأساسي هو إيجاد صلة ما مع الشعب المصري. وكان مقر الجمعية خاص بالعمال في شارع ورشة القطن في بولاق ومقر آخر للفلاحين في ميت عقبة أسهم في تأسيسه شخص يسمى بعد الوهاب مشرفي وقد أصبح جاسوساً فيما بعد.

وهكذا ومن هذين الفرعين تأسست "جماعة للثقافة الشعبية".

وفي عام ١٩٤٢ اقتربت جحافل جيش النازي، ودارت معارك العلمين الشهيرة وبدأت موجة واسعة من هجرة الأجانب عامة واليهود خاصة خوفاً من اضطهاد النازي ولا زلت أذكر في ذلك اليوم أنه صعدت إلى سطح منزل فوجدت العديد من أعمدة الدخان يتصاعد في القاهرة فقد كانت السفارة البريطانية وغيرها من المراكز البريطانية الهامة تحرق أوراقها.

وفي ذلك الحين اجتمعنا أنا وريمون ويوسف لنناقش هل نهاجر أم لا؟ النازيون قادمون ونحن يهود وشيوعيون فهل نهاجر أم نبقى؟ وقررنا أن نبقى على أساس أنه لا يصح أن يغادر الشيوعيون جميعاً البلد. في حين هاجر الكثيرون. وفي هذه الأثناء كنا نحن الثلاثة منتظمون في الحلقة الماركسية التي تعمل خلف "جماعة البحوث" والتي هاجر الكثير من أعضائها.

س: هذه الحلقة الماركسية هل كانت واسعة؟

ج: حوالي ٢٥ أو ٣٠ شخص كلهم أجانب أو متأجبنين باستثنائنا نحن الثلاثة. وقد بقينا نحن الثلاثة رغم المخاطرة الكبيرة. وعلى أواخر ١٩٤٢ كان يوسف قد أوجد صلات بالحركة النقابية المصرية عن طريق محمود العسكري أولاً ثم يوسف المدرك، وكان مكتبه كمحام عمالي وفي الاستشارات النقابية قد بدأ في النشاط. وفي ذلك الحين أيضاً لفتت نظري "المجلة الجديدة" التي كان يصدرها مصطفى كامل منيب وأسعد حلیم ورمسيس يونان وعصام الدين حفني ناصف، ثم قررنا أنا وريمون العمل وسط المثقفين وأسسنا لجنة نشر الثقافة الجديدة مع سعيد خيال.

وهكذا اهتم يوسف بالنشاط العمالي وبدأنا نحن في العمل وسط المثقفين في لجنة نشر الثقافة الحديثة ومن ثم لم يعد هناك مبرر لاستمرار جماعة الشباب للثقافة الشعبية وقررنا حلها.

وفي هذه الفترة كنا قد بدأنا مرحلة نشاط فعلي وسط المصريين واجتمعنا مع بول جاكودي كومب وقلنا له أننا استمررنا لفترة في العمل مستقلين بدون توجيهات من الحلقة الماركسية التي هاجر معظمها إلى فلسطين خلال معارك العلمين، واقترحنا أن نستقل عن هذه الحلقة وأن ننظم أنفسنا بالطريقة التي تناسبنا.

وقد تم ذلك بدون أية حساسيات أو خلافات فقد رحب بول جاكو والمجموعة الأجنبية بذلك، واستمروا في تقديم مساعدات لنا قدر طاقاتهم. وبدأوا في إعداد دراسات عن مصر، والحقيقة أن بعض هذه الدراسات كان قيماً للغاية ومنها دراسة لتاريخ مصر من عصر محمد علي ودراسات اقتصادية وقد نشر بعضها في مجلة الفجر الجديد. وعندما أسسنا التنظيم الشيوعي عام ١٩٤٦، أصبحت البقية الباقية من "جماعة البحوث" حلقة ملحقة وخادمة للتنظيم، أي إن علاقة السيادة قد انقلبت.

س: عندما قررتم أنتم الثلاثة الانفصال عن الحلقة الماركسية الأجنبية، لماذا لم تعلنوا تأسيس تنظيم شيوعي، كما فعل الآخرين؟

ج: لقد كان أماننا هدف مزدوج.

(١) فهم مصر، على أساس رسم ما أسميناه السياسة الشيوعية المصرية بمعنى أننا كنا مقتنعين بأنه لا توجد شيوعية بشكل مجرد، وإنما هناك سياسة شيوعية لكل بلد من البلدان، وأن الخطأ الرئيسي الذي وقعت فيه الحركة الشيوعية الأولى في مصر والنشاط الشيوعي الآخر الذي كان موجوداً وقتئذ كان يكمن في عدم تفهم الطابع القومي الخاص والشخصية المتميزة والخاصة لمصر وكنا نؤكد أنه لا توجد سياسة شيوعية قابلة للتطبيق في جميع البلدان، وإنما توجد شيوعية خاصة بكل بلد من البلدان. ومن ثم فإن المهمة الرئيسية للشيوعيين هي اكتشاف ما هو الخط الخاص بمصر، وهذا الخط يجب أن يكون مبنياً على أساس ودراسة وفهم متعمق للخصائص المصرية للمجتمع والاقتصاد والتاريخ.. إلخ، وبدون الاعتماد على مثل هذه الدراسة يمكن إعداد سياسة شيوعية مصرية.

(٢) إيجاد علاقات جماهيرية بالحركة الشعبية الوطنية والديمقراطية المصرية، وذلك - من جهة- كعنصر ضروري لتحقيق الهدف الأول، لأنه ليس من الممكن فهم مصر من الكتب - ومن جهة أخرى- لاختيار مدى صحة هذه السياسة في التطبيق العملي، وأيضاً كعملية تحضيرية لتجميع وإعداد العناصر اللازمة لبناء التنظيم في المستقبل.

وعلى هذا الأساس فقد منعنا أنفسنا عن وعي من إعلان تأسيس تنظيم شيوعي، وكنا نعتقد أن تأسيس حزب شيوعي في هذا الوقت كان سيشغلنا في مهام تنظيمية تمنعنا بدورها من أن نحقق الهدفين السابقين.

والحقيقة أنني الآن وبعد مراجعة متأنية لما حدث أعتقد أن موقفنا في هذا الصدد كان -جزئياً- خاطئاً. ذلك أنه كان من الممكن بطبيعة الحال إيجاد تنظيم دون أن يمنح ذلك تحقيق الهدفين المشار إليهما سابقاً.. بل وربما يساعد على تحقيقهما بصورة أفضل. وإن كنت أعتقد أن الدراسات والمعلومات والاستنتاجات التي توصلنا إليها خلال الفترة من ١٩٤٢ حتى

١٩٤٦ كانت الأساس لسياسة الحركة الشيوعية المصرية عمومًا ولفترة طويلة. وأنا أعتقد أننا أبرزنا أهمية الدور الوطني الشيوعي المصري ليس كتكتيك أو كمنافرة وإنما على أساس أنه لا يمكن أن يوجد شيوعي مصري إلا إذا كان وطني وأن الوطنية جزء من شيوعيته والشيوعية جزء من وطنيته؛ أي إن الوطني النقي هو الشيوعي، وأن الشيوعي النقي هو الوطني، وهذا الأمر لم يكن ملموسًا في ذلك الحين بشكل كافٍ وإنما كانت تسود إلى حد ما أيديولوجية الشيوعية الأممية بمعنى اللاقومية (كوز موبوليتان).

وإنني أعتقد أن توقف الحركة الشيوعية - بعد هذه الفترة - عن استمرار الدراسة الجادة والمتعمقة لواقع مصر، كان أحد الأسباب الرئيسية لنتية الحركة الشيوعية وتخبطها أمام الحقائق الجديدة التي طرحتها أحداث ثورة ١٩٥٢ وما تلاها من أحداث ولم يزل هذا النقص قائمًا حتى الآن.

وفي هذه الفترة أيضًا قمنا بعمل جماهيري واسع، وبالذات في مجال النقابات العمالية والنضال من أجل استقلاليتها (مجلة الضمير - لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة) وبطبيعة الحال فقد تلازم ذلك مع النهضة النقابية والسياسية التي كانت قائمة في ذلك الحين في صفوف الطبقة العاملة، غير أن جهودنا قد أسهمت في تصاعد هذه النهضة وأوضحت بشكل واضح وواقعي وملموس دور الطبقة العاملة المصرية وخاصة دورها كإمكانية كامنة، لأنه في ذلك الحين كان هناك تيار يتساءل هل حقيقة الطبقة العاملة لها الدور الطبيعي في المعركة؟ أليس الطلبة - في ظل ظروف مصر - هم طليعة الحركة؟ ولعل هذه التساؤلات قد ترددت مؤخرًا أيضًا.

س: اسمح لي أن أقاطعك، لكنني أريد أن أنتهي من مسألة عدم إعلان التنظيم ذلك أن البعض يعزو عدم اتجاههم لتأسيس تنظيم شيوعي فور استقلالكم عن "جماعة البحوث" لم يكن للاستعداد، وإنما كانت نتيجة أو هام تواجدت لديكم حول إمكانية العمل في صفوف حزب الوفد واستحداث جناح يساري في داخله.. ما هو مدى صحة هذا التصور؟

ج: هذا غير صحيح، وإليك عدد من الدلائل تؤكد عدم صحته.

(١) سلسلة المقالات في الفجر الجديد التي تحدد موقفنا بشكل مبدئي من حزب الوفد.

(٢) نشاطنا في صفوف الحركة العمالية، والتركيز على تأييد الحركة النقابية المستقلة.

(٣) تأسيسنا للجنة العمال للتحرير القومي (الهيئة السياسية للطبقة العاملة).

أليس هذه دلائل على أننا لم نكن نركز جهودنا على استحداث تيار يساري في حزب الوفد. لكنني أؤكد بأنه كان لنا اهتمام خاص وواضح بالعمل في صفوف حزب الوفد، وهذا طبيعي وصحيح.

س: لكن ثمة دليلاً في صالح الافتراض الذي أشرت إليه في سؤالي السابق وهو أنه عندما أعلنتم قيام تنظيمكم كان في صفوفه عدد كبير نسيباً من الكوادر الوفدية.

ج: ليس هذا دليلاً على رفضنا لفكرة تأسيس التنظيم المستقل وإنما هو دليل على تواجدها في صفوف الشعب ونجاحنا في أن نجذب إلى الماركسية العناصر الطليعية والديمقراطية والوطنية والتي كانت متواجدة بطبيعة الحال في صفوف الوفد أكثر من أي مكان آخر باعتباره الحركة الديمقراطية والوطنية الواسعة الوحيدة وأعتقد إن موقفنا هذا كان ولم يزل صحيحاً حتى الآن، وأن الموقف الذي اتخذته بعض المنظمات من المعادة للوفد بدعوى أنه يمثل قيادة إقطاعية - برجوازية أو برجوازية كبيرة.. إلخ كان موقفاً خاطئاً، خصوصاً وأنهم كانوا يعادون الوفد ككل قيادة وجماهيرياً ويتحالفون مع أعدائه وخاصة مصر الفتاة والإخوان.

وأنا أعتقد أن الوضع في مصر الآن يحتمل إمكانية قيام حركة واسعة - لن تكون وفدية بطبيعة الحال - وإنما أن تكون حركة واسعة وتحت قيادة برجوازية ما... وخاصة البرجوازية الصغيرة بكل تناقضاتها واختلاطها وفي هذه الحالة يجب البحث عن شكل وأسلوب التحالف والتناقض معها وليس البحث عن التناقض فقط.

أخيراً أود أن أقرر أن النقد الحقيقي الذي يمكن أن يوجه لنشاطنا في هذه المرحلة أو الذي يمكن أن أوجهه لنفسي هو أن أهدافنا الاشتراكية لم تكن واضحة، كنا باسم الشيوعية أو باسم الماركسية ديمقراطيين إلى النهاية ووطنيين إلى النهاية وإنما لم نوضح بما فيه الكفاية أهدافنا الاشتراكية ولم نبرز كموقع طبقي متميز، ولذلك امتزجنا إلى حد ما بالحركة الواسعة للبرجوازية الصغيرة.

س: نأتي الآن إلى المرحلة التالية وهي مرحلة.. "الفجر الجديد" و "الضمير" نقول إنهما كانا جنينين لتنظيم، كيف كنتم تستخدمونها للإعداد للتنظيم، وإلى أي حد كنتم تضعون مسألة تأسيس التنظيم والإعداد له في جدول أعمالكم؟

ج: كانت المجلتيين تمهيد للأرض، لا أوافق على تعبير "جنين" مجرد تمهيد وكنا مثلاً نحرص على جمع تبرعات من أصدقاء المجلة، ونظمنا زيارات لقراء الفجر الجديد في الوجهين البحري والقبلي وحاولنا - ولم ننجح كثيراً - في تكوين لجان "أصدقاء الفجر الجديد".. ومن خلال هذه اللجان كان من المفترض العمل على تكوين نقاط ارتكاز للعمل التنظيمي المقبل وفعلاً عندما قررنا تأسيس التنظيم اخترنا أفضل هذه العناصر وربطناهم برباط تنظيمي، لكننا لم نختر كل الناس.. والمجلة كانت منبراً يجذب الناس ذوي الاتجاه التقدمي، وكذلك كانت مجلة "الضمير" والهيئة السياسية للطبقة العاملة.

وأود أن أشير إلى بعض ملاحظات هامة حول هذه الفترة.

(١) أن العمل الثقافي التقدمي، والعمل العمالي السياسي قد أعطى ثمرة جيدة جداً وانعكس أكثر ما انعكس في نجاح اللجنة الوطنية للطلبة والعمال..

س: اسمح لي أن أقاطعك.. لكن ممثلي المنظمات الأخرى يقولون إن اللجنة الوطنية للطلبة والعمال كانت إحدى ثمار نشاطهم هم.

ج: هم أساساً كانوا في اللجنة الوطنية للطلبة، لكننا نحن الذين دفعنا العمال إلى الالتقاء مع الطلاب وشجعنا على تكوين اللجنة الموحدة للعمال والطلاب، والحقيقة أنه بانضمام العمال إلى هذه اللجنة تغير مضمونها وتقلها ونشاطها تغيراً كبيراً..

س: آسف للمقاطعة.. والآن استمر في سرد ملاحظتك..

ج: (٢) في هذه الفترة انتشرت فكرة خاطئة هي أن اللجنة الوطنية للطلبة والعمال هي الشكل المصري للسوفيئات ونحن عارضنا هذه الفكرة لأسباب واضحة أهمها عزلة اللجنة عن الفلاحين، وأن موقف الطلاب بطبيعته وقتي.. والحقيقة أنه قد حدثت خلافات حادة ومناقشات حامية حول هذا الدور القيادي للعمال.. أو للطلاب في اللجنة.. وأذكر أنه بعد نجاح أول إضراب عام دعت له اللجنة نجاحاً ساحقاً، حاولت الأطراف الأخرى الدعوة إلى إضراب عام آخر دون أن تكون الظروف له ناضجة ونحن تنبأنا بفشل الإضراب وقد فشل فعلاً. وعلى أية حال - فإننا كنا نعتبر اللجنة الوطنية للطلبة والعمال "لجنة تحريك" أو "لجنة عمل" وليس بأية حال تنظيم مستقر وأنه لا يمكن أن يحل محل الجبهة.

س: يقال إنه كان لكم نشاط عمالي ولكنه كان منحصراً فنوياً في عمال النسيج، وجغرافياً في شبرا الخيمة.

ج: ليس هذا صحيحاً، وقد سافر يوسف المدرك إلى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي ومعه ٧٠ ألف توقيع من مختلف النقابات في مختلف المدن.. القاهرة - الإسكندرية - المحلة - كفر الدوار - بورسعيد.. إلخ.

وأود أن أواصل فأقول إنه بعد هذا العمل الواسع، ومن خلال محاولة مراجعته وتقييمه الآن يتضح أن فكرتنا حول عدم البدء بإقامة تنظيم شيوعي قد منعنا من أن نستفيد الفائدة الحقيقية من هذا النشاط ومن أن نجني كل ثمراته أن السبعين ألف عامل الذين أيدوا سفر المدرك إلى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي والخمسة عشرة ألف عامل الذين وقعوا على عرائض تأييد لجنة العمال للتحريض القومي كانوا حشداً هائلاً لكننا لم نخرج منه في الواقع إلا بعدد قليل جداً من الرفاق أسسنا التنظيم عام ١٩٤٦. وهذا عيب خطير، لأننا من وجهة

استبعدنا - في هذه الفترة- إمكانية إقامة تنظيم، ومن جهة أخرى لأننا لم نفكر في إقامة تنظيم جماهيري واسع وديمقراطي إلى جوار التنظيم السري يستطيع تجميع كل هذه القوى، والحقيقة أن هذا العيب كان شائعاً لدى الشيوعيين المصريين عموماً فقد نشطوا نشاطاً جماهيرياً واسعاً في أحيان كثيرة وكان حصاده التنظيمي ضئيلاً.

س: بعد حملة صدقي باشا في يوليو ١٩٤٦ أغلقت الفجر الجديد والضمير وحلت لجنة نشر الثقافة الحديثة، وباختصار أغلقت كل أو معظم أبواب العمل العلني، وبدأتم في تكوين تنظيمكم.. فكيف تمت الخطوات الأولى لتأسيس هذا التنظيم؟

ج: بعد خروجنا من السجن اتفقنا نحن الأربعة أنا وريمون دويك ويوسف درويش وأحمد رشدي صالح على ضرورة تأسيس تنظيم.

س: اسمح لي أن أقاطعك.. من كان صاحب الفكرة؟

ج: أنا.. واتفقنا أولاً على إعداد الوثائق الأساسية للتنظيم وعملنا لائحة وخط سياسي وخط تنظيمي، وخط جماهيري، وخط نقابي، واتفقنا على الاتصال بعدد من الأصدقاء الذين كانوا على علاقة وثيقة بالفجر الجديد والضمير، وعرضت عليهم الوثائق، وجمعناهم مع عدد من الرفاق الآخرين إما على أساس جغرافي أو على أساس محل العمل، وتمت الموافقة على الوثائق بعد إدخال بعض التعديلات عليها، وقامت كل مجموعة بانتخاب مسئولها بعد أن قمنا نحن بتركيبة عدد من المرشحين، وهؤلاء المرشحين اجتمعوا في سبتمبر ١٩٤٦ في أحد مقاهي شارع الهرم، وتمت في هذا الاجتماع عملية إقرار الوثائق واعتبر الاجتماع مؤتمر تأسيس.

س: كم كان عدد أعضاء هذا المؤتمر؟ وما هي أسماؤهم؟

ج: سبعة أو ثمانية أذكر منهم أنا - ريمون - يوسف - محمود العسكري، وربما المدرك ولا أذكر الباقي.

س: من الذي كتب الوثائق؟

ج: نحن الأربعة اشتركنا في كتابتها.

س: ما هو الاسم الذي اخترتموه للتنظيم؟

ج: الطليعة الشعبية للتححر (ط. ش. ت).

س: هل انتخب هذا المؤتمر قيادة؟ كم عددها؟ وما هي الأسماء؟

ج: انتخب الاجتماع لجنة مركزية من ثلاثة أنا - يوسف - ومحمود العسكري، واعتقد أن رشدي صالح ضم للجنة المركزية بعد ذلك.

س: هل وزعتم مسئوليات فيما بينكم؟ وكيف؟

ج: أنا مسئول سياسي.

يوسف درويش مسئول تنظيمي.

محمود العسكري مسئول عمل جماهيري.

س: لم تعلنوا اسمكم وبقي هذا الاسم سرًا، لماذا؟

ج: في هذا الوقت أو قبله بفترة كنا قد درسنا تجارب بعض الأحزاب وخاصة تجربة الزملاء اليونانيين فيما يسمى بقواعد السرية والأمان، وكانت هذه القواعد مستخلصة من تجارب العمل الشيوعي في ظل الفاشية، وأنا في الحقيقة أتحسر لأن مثل هذه القواعد لم تكن مطبقة ومنتشرة ومعمول بها في صفوف الحركة الشيوعية المصرية.. وكان هناك مبدأً أساسيًا في هذه القواعد هو: ما لا يفيد الحركة يضر..

ومن ثم سألنا أنفسنا ما فائدة إعلان الاسم.. ولما لم نجد فائدة امتنعنا عن إعلانه، وربما كنا مخطئين في ذلك، ولكنه ليس خطأ مطلق وخاصة في ظروف مصر فأنا أعتقد أن بعض أشكال التنظيم الهلامية يمكن أن تكون مفيدة..

س: يقال أنكم كنتم متشددين إلى درجة الجمود في مسائل السرية والأمان، فهل هذا صحيح؟

ج: نعم كنا متشددين في السرية والأمان ولكن لا شك في أن هذا التشدد حمانا حماية كبيرة جدًّا، وكنا أقل المنظمات تعرضًا للضربات البوليسية، ولم يتساقط منا الكثيرون، ولم يكن هناك حملات شاملة ضد تنظيمنا، وكنا نتبع من بين ما نتبع من قواعد السرية والأمان أسلوب العزل الأفقي والعزل الرأسي أي العزل بين خلية وأخرى والعزل بين مستوى وآخر، ولهذا لم يكن من الممكن للبوليس أن يشن حملة واسعة ضدنا.

ورغم أننا كنا نقوم بنشاط جماهيري كبير وواسع إلا أننا استطعنا أن نحمي التنظيم مدة طويلة.

وكنا حريصين بمعنى أننا حمينا أنفسنا من التفكك والثرثرة التي تميز منظمات وعقلية البرجوازية الصغيرة..

س: البعض يقول إن هذا الحذر المبالغ فيه هو امتداد لمدرسة بول جاكو فهل هذا صحيح أم أنكم صناع هذا الخط..؟

ج: ليس صدفة أننا تجمعنا منذ البداية مع بول جاكو، ولا بد من أساس فكري وسياسي عام لمثل هذا الالتقاء. ولكن هذا لا يعني أن هناك مدرسة اسمها "مدرسة بول جاكو".

س: عندما تأسس التنظيم في سبتمبر ١٩٤٦ كم كان عدد الأعضاء على وجه التقريب؟

ج: ٢٥ أو ٣٠ تقريبًا.

س: ألا تعتقد أن هذا الرقم قليل جدًا بالنسبة لما تحدثت عنه من نشاط وعلاقات؟

ج: نعم قليل، ولكن مترابط جدًا.

س: عندما تواجدكم كتنظيم ما هو موقفكم من التنظيمات الأخرى، خاصة وأنكم تواجدتم في فترة انتشار الدعوة للوحدة؟

ج: تجاه قضية الوحدة كان لدينا موقف مزدوج، بمعنى ذو شقين هو:

(١) كنا معترفين بوجود تنظيمات مختلفة أخرى ترفع راية الماركسية اللينينية بأشكال مختلفة وهناك ضرورة ما لتوحيد صفوفها.

(٢) وفي نفس الوقت كنا نرى أن وجود عدد من التنظيمات هو في ذاته دليل على وجود خلافات سياسية وفكرية متباينة العمل وعلى هذا الأساس كنا نرى أن الخلافات يجب أن تصفى من خلال عمل مزدوج:

أ - تصفية الخلافات في العمل الجماهيري ومن خلال الالتقاء في العمل المباشر والعلني كلما أمكن.

ب - تصفية الخلافات الأيديولوجية بناء على هذا الالتقاء.

وكنا - في هذا الصدد - نرفض أي نوع من التوحيد الوفاقي والذي قد يقوم على أساس توزيع المناصب في القيادة أو على أساس تنازلات غير مبدئية. وأنا لم أزل حتى الآن أعتقد بصحة هذا الموقف، وأعتقد أنه لا يزال صحيحًا حتى الآن فيما يتعلق بتوحيد حركة اليسار عمومًا.

س: يقول رواة التاريخ من جانب منظمة حدتو، أن تنظيمكم كان ضد الوحدة وأنه في محاولة منه لمرقلة توحيد كل المنظمات في عام ١٩٤٧ حاول أن يغري مجموعة "العصبة الماركسية" بالابتعاد عن خط الوحدة بإدعاء السعي للاتحاد معها.

ج: لا أذكر. ولا أعتقد. وكل ما أذكره في هذا الصدد أنه في يوم ما كانت هناك محاولة من جانبنا للاتحاد مع تنظيم لا أذكر اسمه وإنما أذكر أن سعيد خيال كان في قيادته.. وقد عقد هذا التنظيم مؤتمرًا لبحث مسألة الوحدة مع ح. م وانقسموا في المؤتمر جزء اتحد مع ح. م. وجزء لم يتحد وبعد ذلك تم الاتصال بهم ولكنه لم يثمر.

س: ألم تحدث انقسامات في صفوفكم.

ج: لا. ولكن حدث حوالي عام ١٩٥١ أن قسم الطلبة عندنا أثار بعض المشاكل واعتقد أنها كانت متعلقة بمسألة الوحدة، واتخذنا ضدهم إجراءات بالغة العنف فقررنا حل قسم الطلبة ووزعنا أعضائه على وحدات مختلفة. ولكن لم يحدث انقسام في صفوفنا.

س: هل صحيح أن مدة الترشيح للعضوية كانت طويلة جدًا بصورة مبالغ فيها؟

ج: ممكن، ولكن هذا كان انعكاسًا لخط عام.

س: هل ظل موقفكم تجاه قضية الوحدة كما هو؟

ج: نعم، كخط عام وإن كان هذا لا ينفي أننا مثلاً أرسلنا مندوبنا إلى لجنة الوحدة وكان مندوبنا هو إسماعيل محمد وقد أرسلناه كسد خانة وليعلم ماذا يجري.

س: ما هي قصة رد رشدي صالح على مقال شهدي عطية "الشعب يريد حزبًا من نوع جديد"، وهل كنتم مع هذا الرأي الذي رده رشدي صالح؟

ج: هاجم رشدي مقال شهدي وبالغ في رفضه للمقال، وقد أيدن نحن مقال رشدي وكان هذا خطأ من جانبنا، فقد فهم من مقال رشدي أننا معارضين لتأسيس حزب شيوعي وأننا معارضين للوحدة مع هذا الحزب.. وبرغم أن مقال رشدي كان فعلاً يعطي هذا الانطباع، إلا أنه في واقع الأمر يتنافى مع خطنا العام، ويمكن تفسير مقال رشدي صالح بأننا كنا نرى أن هذه الدعوة الصادرة من هؤلاء الناس بالتحديد وفي هذا الوقت بالتحديد، وبهذه السياسة بالتحديد دعوة غير مقبولة وعلى أية حال فأنا نتحمل مسؤولية الموافقة على هذا المقال.. ويمكن القول إن هذا الموقف كان نشازًا في الخط العام.

ولكن لكي أكون واضحًا فإننا كنا نعارض بشدة أن تتولى حدتو الدعوة والإدعاء بتأسيس حزب شيوعي. أو أن يكون هذا الحزب استمرارًا لسياسة حدتو ولخلفيتها الأيديولوجية.

س: ماذا كان موقفكم من قضية فلسطين؟

ج: كان عندنا باستمرار موقف ضد الصهيونية ومع الحركة الوطنية الفلسطينية وكنا نرى أن الحل سيكون بالكفاح المشترك لليهود والعرب ضد العدو المشترك وهو الصهيونية والاستعمار الإنجليزي، وموقفنا هذا واضح تمامًا في مجلة الفجر الجديد وفي الضمير وفي كتابي الذي أصدرته عام ١٩٤٧ بعنوان "فلسطين بين مخالب الاستعمار".

وهذه الخطوط الأساسية لا زالت صحيحة.

وعندما صدر قرار التقسيم اتخذ تنظيمنا موقفًا رسميًا ضده واذكر أنني نشرت افتتاحية في مجلتنا السرية (الهدف) ضد قرار التقسيم وذلك على اعتبار أننا قلنا إن جانب من موقف

الاتحاد السوفيتي يرجع إلى مصالحه كدولة في الصراع الدائر ولكننا حاذرنا من أي هجوم على الاتحاد السوفيتي. وأذكر أن مقالي هذا أثار اعتراض بعد الزملاء على أساس أنه لا يجوز أن يختلف موقفنا عن موقف الاتحاد السوفيتي.

س: هناك رواية تقول إنك شخصياً نقدت هذا الموقف فيما بعد في المعتقل في عام ١٩٤٩ فهل هذا صحيح؟

ج: محتمل، وعلى أية حال فقد ظللنا على موقفنا من معارضة قرار التقسيم حتى انتهاء الحرب واتضح حقيقة دور ومواقف الرجعية العربية. وعموماً فقد غيرنا موقفنا فيما بعد.

س: غيرتم موقفكم إلى ماذا..؟

ج: الموافقة على قرار التقسيم، والمطالبة بتنفيذه، أي إيجاد الدولة الفلسطينية وهاجمنا بطبيعة الحال الاعتداءات الإسرائيلية.

س: لنعد الآن إلى التنظيم الذي أسستوه عام ١٩٤٦ ما هي ميكانيكية العمل فيه والخبرات التنظيمية المتميزة التي قام على أساسها؟

ج: كان تنظيمنا يقوم على أساس العمل الجماهيري، وكان لدينا نوعين من الخلايا خلية العمل وخلية الحي، وكنا نعارض تماماً أي تنظيم مخالف. وكنا نرفض أن نقبل في صفوفنا أي أجانب. فلم يكن مسموحاً بانضمام أي شخص غير مصري. وأي أشخاص من أي جنسيات أخرى لا يجوز ضمهم للتنظيم وإنما يجري تجميعهم في حلقات مساعدة، ولكن لا حقوق لهم، بمعنى أنهم ليسوا أعضاء وليس لهم صوت في الانتخابات.

س: هل كنتم تتبعون أسلوب الانتخابات؟

ج: كان لدينا ديمقراطية مركزية. لكنها - في الحقيقة - أوقفت لفترة طويلة، غير أننا في عام ١٩٥٧ أجرينا انتخابات من القاعدة للقمة وتم انتخاب مندوبي المؤتمر التأسيسي لحزب العمال والفلاحين.

س: غيرتم اسمكم أكثر من مرة.. لماذا؟

ج: بدأنا باسم الطليعة الشعبية للتحرر (ط. ش. س) ثم وجدنا أنه غير ملائم وأنه لا يعبر عن مضمون طبقي، فقضية التحرر الوطني ليست قضية طبقية فقد أصدرنا منشوراً وقعنا عليه "طليعة العمال" وقد احتفظنا باسم طليعة العمال حتى عام ١٩٥٧.

س: وماذا عن اسم د. ش؟



ج: لم يكن هذا اسمنا، ولم نطلقه على أنفسنا، والذي حدث أننا يوماً أصدرنا خط سياسي أو استراتيجيية تأثرنا فيها إلى درجة كبيرة بكتاب ماوتس تونج "الديمقراطية الجديدة" وقلنا إن هدفنا هو إقامة حكم الديمقراطية الشعبية والناس قالوا إننا أصحاب نظرية الديمقراطية أي د. ش، مثلما أطلقوا علينا جماعة الفجر الجديد والحقيقة لم يكن هناك أي تنظيم اسمه الفجر الجديد كذلك فإن محمود العسكري اخترع يوماً ما ومن تلقاء نفسه اسم "نحن" واستخدمه البعض ضدنا.

س: ما هي أسماء نشراتكم؟

ج: كان لدينا مجلتيين، مجلة داخلية اسمها "الهدف" ولم تكن توزع إلا على الأعضاء ويعاد جمع نسخها مرة أخرى ثم تعدم. وكنا نطبع منها نسخ بعدد الخلايا (حوالي خمسين نسخة). ومجلة جماهيرية وكانت توزع خارج التنظيم واسمها "كفاح الشعب".

س: هل كانت نشراتكم تصدر باستمرار مطبوعة بالرونو؟

ج: في الغالب "ولفترة قصيرة طبعنا مجلتيين بمطبعة. وإلى جانب المجلات كنا نصدر عددًا من الدراسات النظرية والتنظيمية مطبوعة بالرونو.

س: في ١٥ مايو ١٩٤٨ عندما بدأت حملة الاعتقالات كم كان العدد التقريبي لتنظيمكم؟

ج: أظن أن عددنا قد وصل إلى حوالي المائة؟

س: ما هو أكبر رقم وصلتم إليه في تاريخكم؟

ج: في عام ١٩٥٧ كان عددنا حوالي ألف أو ألف ومائتان.

س: كل المنظمات تعرضت لضربات شديدة عام ١٩٤٨، فماذا كان عمق الضربة ضدكم؟

ج: قليل. كان مجموعنا في المعتقلات حوالي ١٠ أو ١٢ ولم يكن الجميع أعضاء.. أنا وريمون ويوسف اعتقلنا ولكن رشدي وأبو سيف هربا.

* * *



محضر نقاش (*)

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٢ فبراير ١٩٧٨

س: سؤالنا التقليدي هو من أنت وكيف أصبحت شيوعياً؟

ج: ولدت عام ١٩١٩ من مواليد بني سويف، وقد ولدت في أسرة ثرية ويمكن القول أنها إقطاعية كانت تلعب دوراً هاماً في مديرية بني سويف كلها، وكان أبي وأخوته يمتلكون مائتي فدان، وكان أبي برغم تعليمه المحدود يقرأ كثيراً ولهذا تبني مواقف إيجابية من قضايا وطنية وتقديمية عديدة مثل قضية تحرير المرأة.

وكانت عائلتنا ككل وفدية، وكان أبي رئيس لجنة الوفد، وعائلتنا عائلة سياسية بمعنى الكلمة فحتى أمي دخلت السجن لأنها شاركت في مظاهرة ضد صدقي باشا عام ١٩٣١.

ورغم هذه الاستثارة الفكرية إلا أنني كنت ألاحظ دوماً عسفاً واضطهاداً من جانبها ضد الفلاحين العالمين في أرض عائلتنا. وقد أثر ذلك تأثيراً هاماً في اتجاهي السياسي فيما بعد.

وكان طبيعياً فيما بعد أن أصبح عضواً في الشباب الوفدي، ولكنني وعندما وقع النحاس معاهدة ١٩٣٦ شعرت ببعض الرفض لهذه السياسة ولهذا اتجهت إلى مصر الفتاة التي كانت تعارض معاهدة ١٩٣٦ بشدة، ثم ما لبثت أن اكتشفت علاقاتهم بالقصر وسياساتهم الديماغوجية. ولست أذكر بالضبط متى بدأت أول علاقة لي بالشيوعية، لعلها بدأت في الأشهر الأخيرة من عام ١٩٣٩ أو في بدايات عام ١٩٤٠، تحديداً في بدايات نشوب الحرب العالمية الثانية.

وفي هذه الأثناء تعرض والدي لأزمة مالية حادة ويمكن القول إنه فقد ثروته بسبب إيمانه المخدرات، وبدأت أعمل مضطراً لأعول نفسي وأعول أخي الصغير، فور حصولي على الشهادة الثانوية.

(*) ثمة محضر نقاش آخر مع حلمي يس أجري في ١٠-١١-١٩٨١، وسوف يرد ضمن هذا الكتاب وفق التسلسل الزمني لما يحتويه من معلومات. كذلك سنورد له في موضعه برنامجاً انتخابياً رشح نفسه على أساسه في انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٦.



وبدأت في البحث عن رؤية سياسية واضحة، وترددت على عدد من الأندية الثقافية وأذكر أن أول محاضرة استمعت إليها كانت حول خزان أسوان وكهربته وتعليته مرة ثالثة.. وكانت المحاضرة تلقى في "جماعة الدراسات" وقد لفتت انتباهي إلى حقائق هامة وأثرت في كثيرًا، وكان مقرها ٥ شارع عدلي.

وهناك التقينا بمجموعة أخرى من ذات الاتجاه كونت جمعية اسمها "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" وكانت تنشط في بولاق (عمال) وفي ميت عقبة (فلاحين) حيث تقوم بنشاط لمحو الأمية وإلى جوار دروس اللغة العربية والحساب كانت هناك حصص للتاريخ وحديث عن حقوق الشعب وحرية.

س: كما كان عدد تلاميذ الفصل؟

ج: أحياناً عشرة فقط، لكنه وصل في أحيان أخرى إلى خمسين طالباً من سكان الحي المحرومين من أية فرصة للتعليم.

وقد كانوا سعداء بهؤلاء القادمين إليهم ليعلموهم دون أجر. وبطبيعة الحال لم نكن نناقش معهم أية مواقف سياسية بشكل مفصل وإنما كنا نكتفي بالعموميات، ولم يكن أحد منهم يعلم أننا شيوعيون وإنما فقط أننا مجموعة وطنية..

س: ثم ماذا؟ وتحديداً كيف أصبحت فعلياً عضواً في منظمة شيوعية؟

ج: سألني أحد زملائي في "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" هل قرأت تاريخ مصر فلما أجبت أنني درسته فقط في المدرسة أبدى دهشته وأعطاني مجموعة كتب عبد الرحمن الرافعي، وكانت المرة الأولى التي أتعرف فيها على تاريخ مصر تعريفاً حقيقياً وكان هذا الزميل قد طلب إلي أن أقرأ هذه الأجزاء بعناية وأن أخصها بعناية وأن أركز على دور الحركات والقوى الشعبية وليس الحكام والملوك.

س: من كان هذا الزميل تحديداً؟

ج: ريمون دويك وكان من مجموعة الدراسات، وبعد أن انتهيت من قراءة كتب الرافعي أعطاني ثلاثة كتب أخرى هي دمار مصر لتيودور روزنشتاين، التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر تأليف ويلفرد بلنت وكتاب عرابي المفترى عليه وقمت بدارستها وتلخيصها.. وهكذا وطوال ثلاث سنوات وبإشراف وتوجيه من أعضاء جماعة الدراسات واصلت دراستي لتاريخ مصر، وعبر هذه السنوات كنت أسمع منهم معلومات متناثرة عن الاتحاد السوفيتي وانتصاراته في الحرب.

س: هل تعني أن أعضاء مجموعة الدراسات كانوا يقومون بنوع ما من تربية الكادر المصري؟

ج: كانوا أجنب، وكان أغلبهم لا يعرف العربية جيداً، ومن ثم لم يكن بإمكانهم العمل وسط الشعب المصري، ومن ثم فقد أقاموا علاقات بالمصريين عن طريق "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" ومن ثم كانوا بشكل أو بآخر يوجهونها ثقافياً.

ولكن وحتى عام ١٩٤٥، أي بعد حوالي ستة سنوات من العلاقة مع هذه المجموعة لم اسمع بشكل صريح وواضح كلمة "ماركسية" أو "شيوعية".

ثم صدرت "الفجر الجديد" وطلب إلي أن أكتب فيها فكتبت باسم مستعار، وجمعت تبرعات لها، بل وقمت بتوزيعها.

س: إذن نحن أمام أكثر من نقطة ارتكاز فهل لنا أن نتوقف أمامها وأن نعرف كيف كان يتم التنسيق بينها؟

ج: كان هناك "جماعة الدراسات" (للأجنب) وهناك "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" (العمل وسط الأحياء الشعبية) (بولاق) وللاقتراب من الفلاحين (ميت عقبة)، وهناك العمل وسط المثقفين عن طريق دار القرن العشرين التي أصدرت مجلة الفجر الجديد وعدة كتب هامة كما كان هناك نشاط عمالي أثر (لجنة العمال للتحرير القومي) والتي أصدرت مجلة الضمير.

ويمكنني القول إن ريمون دويك كان عنصر التنسيق بين هذه الجماعات واستمر الوضع على هذا الحال حتى كانت حملة صدق ضد كل المنابر التقدمية العلنية والتي صحبته حملة قبض واسعة شملت حوالي ٢٠٠ شخص، ومعها حملة إعلامية ضخمة عن قضية الشيوعية الكبرى.

ولم أكن بين المقبوض عليهم، وبعد حوالي شهر دعيت لمقابلة زميل في هليوبوليس فقال لي "الآن وبعد ست سنوات من العمل معنا يمكنني أن أقول لك أنك أصبحت واحداً من مجموعتنا ودهشت دهشة بالغة، ولكنني شعرت بسعادة عامرة، وكان الأمر سريراً للغاية لدرجة أنه لم يبلغني باسم هذه المجموعة. وفهمت فيما بعد أنني كنت مرشحاً طوال السنوات الست الماضية وعندما انضمت إلى أول خلية عملت فيها شعرت بحيوية بالغة، فقد كان هناك عمل جاد ومهام محددة، ومسئوليات جسيمة ونشاط واسع في مختلف الاتجاهات وكان هناك نشاط جاد وسط العمال..

س: من هو هذا الصديق الذي أبلغك بمنح العضوية لك؟

ج: صادق سعد.

س: ومتى علمت باسم المنظمة؟

ج: فيما بعد وكان اسم المنظمة "الطليلة الشعبية للتححرر" وتختصر "ط. ش. ت" وقد حدث في عام ١٩٤٨، أن قبض على أحد زملائنا وقال له الضابط: تعال يا طشت فتصور أنه يشتمه وغضب وثار ولكنه عرف للمرة الأولى اسم المنظمة، لقد كنا نتبع أسلوب السرية المطلقة، وكان هناك شعار "ما لا ينفع يضر" ولهذا لم يكن هناك مبرر لإبلاغ الأعضاء باسم المنظمة، أما أنا فقد علمت بالاسم عندما قرأت البرنامج واللائحة.

س: كيف تطور وضعك الطبيعي؟

ج: أذكر أننا في بداية عام ١٩٤٨ عقدنا كونفرنس لرفاق القاهرة وانتخبت لجنة قيادة ثلاثية ضمت يوسف المدرك وطه سعد عثمان وأحمد رشدي صالح.. وبعد فترة ترك طه سعد عثمان القاهرة واستدعيت لأحل محله..

س: هل لك أن تقدم لنا بعض معلومات عن نشاطكم في القاهرة؟

ج: أعتقد كانت عضويتنا في القاهرة ما بين ٥٠، ٦٠ عضواً، وكنا نعمل بنشاط عارم إلى درجة أن البوليس كان يتصور أننا ٥٠٠ عضو، وقد أصدرنا مجلة طلابية للجامعة، وكنا نكتب في جريدة الكتلة.

وبرغم هذا النشاط العارم كانت السرية صارمة للغاية، فحتى أنا وأنا عضو في لجنة القاهرة لم أكن أعرف إلا عدد محدود جداً من الأعضاء.

س: ماذا عن التركيب الطبقي لهذه العضوية؟

ج: يمكنني القول إن الغالبية كانت من العمال، وكنا نتواجد في نقاط ارتكاز مهمة في شبرا الخيمة والزيتون والإسكندرية والمنيا.

س: وماذا عن علاقتكم بحزب الوفد؟

ج: كانت لنا علاقات وثيقة بالوفد، الوفد كان حزب غير منظم بالمعنى المفهوم، فهو مجرد تيار سياسي وطني يمتلك تأثيراً واسعاً وسط الجماهير، وكنا نسعى كي نخلق كيانات منظمة في الوفد حتى يمكن التعامل معها.

وقد أقمنا علاقات وثيقة للغاية مع "الطليلة الوفدية" الجناح اليساري في الوفد وأصدرنا معهم مجلة "رابطة الشباب" وكان صادق سعد يكتب عموداً ثابتاً يدعو فيه الوفديين إلى تنظيم أنفسهم وكان يطالب كل مجموعة من الوفديين أن تجتمع وتنتخب لها سكرتيراً، وأن تعقد اجتماعات منتظمة وأن تعد محاضر لهذه الاجتماعات، وعندما قرأ فؤاد باشا سراج الدين هذا

العمود.. استدعى مصطفى موسى مسئول الطليعة الوفدية وقال له مبروك لقد أصبحت تنظيمًا شيوعيًا.

س: لنتابع الآن التعرف على نشاط "ط. ش. ت".

ج: عندما بدأت حملة اعتقالات ١٩٤٨، وتلتها المواجهة العنيفة بين الإخوان وجهازهم السري والحكومة، كان العمل بالغ الصعوبة بصورة لا يمكن تخيلها، كان البوليس يفتش أية لفافة يحملها أي شخص بالطريق العام، وكانت هناك حملات تمشيط واسعة للأحياء والشوارع وكان البوليس يفتش البيوت بيتًا بيتًا بحثًا عن الإرهابيين من الإخوان، وكان العمل بالغ الصعوبة، ولهذا توقف النشاط العلني إلى حد كبير، وكنا نضطر إلى نقل أجهزتنا الفنية من مكان لآخر، وكانت هناك صعوبات بالغة في ضمان أمن العمل التنظيمي، ومع ذلك فقد قمنا بنشاط واسع وجماهيري أيضًا ولا زلت أذكر عديدًا من المناسبات التي قمنا فيها بتوزيع منشورات على نطاق واسع، من بين هذه المناسبات كان احتفال الوفديين بذكرى وفاة سعد وكان النحاس يخطب في حشد كبير، كان ذلك يوم ٢٧ أغسطس ١٩٤٨ أي بعد بدأ حملة الاعتقالات وموجة الإرهاب وفي هذا الاحتفال وزعنا منشور بكميات كبيرة حوالي ٤٠٠٠ نسخة وكان مطبوعًا بالمطبوعة وكان المنشور يطالب بإلغاء الحكم العرفي والإفراج عن المعتقلين، وكنا بمناسبة الأعياد نوزع منشورات عديدة في الطرق المؤدية إلى المساجد حيث يتوجه الناس في الصباح المبكر لأداء صلاة العيد وكنا نهنتهم في هذه المنشورات بالعيد ونشرح لهم حقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية، كما كنا نرسل العديد من المنشورات بالبريد، وعندما لاحظ البوليس تشابه المظاريف والخط الذي كتبت به العناوين قام بمصادرة المنشورات وفي المرة التالية طبعنا مظاريف عليها اسم مؤسسة أخبار اليوم وشعارها وعنوانها وأرقام تليفوناتها ووزعنا كميات من المنشورات داخل هذه الأظرف.

وهكذا قمنا بنشاط واسع دون أن نتعرض لحملات قبض واسعة.

س: متى أصبحت عضوًا في اللجنة المركزية لمنظمة ط. ش. ت؟

ج: بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ قبض على عضوين من اللجنة المركزية للمنظمة وصعدت أنا إلى اللجنة المركزية في أكتوبر ١٩٤٨ وكنا في هذه الفترة نعمل بنشاط ونحافظ على حيوية المنظمة بينما حدثت ضربت ضربات قاصمة ودخل معظم أعضائها إلى السجون والمعتقلات وتعرضت المنظمة لانقسامات عديدة.

وفي ذلك الحين اتخذنا مع منظمة حركة تحرير الشعب "ح. ت. ش." وكنا على علاقة بهم منذ لجنة نشر الثقافة، واتحدنا معًا كنا حوالي ٩٠ عضوًا وكانوا حوالي ٦٠ أي إن

المجموعة كلها كانت ١٥٠، وقد لاحظنا فيما بعد أنهم لا يهتمون بالعمل الجماهيري.. ويركزوا على كتابة مقالات وتقارير عالية المستوى، وقد استفدنا من ذلك بشكل مرض، كما أنهم كانوا يقدمون لنا موارد مالية هامة وأماكن للاجتماعات إلخ.

وهكذا وبرغم أن وحدتنا مع حتش أضافت لنا عناصر لا تهتم بالعمل الجماهيري إلا أنها أضافت لنا قوة وقدرات جديدة ومكنتنا من بناء بنواة تنظيمية جيدة في الوقت الذي كانت فيه المنظمات تتفكك تماماً تحت وطأة ضربات البوليس وبسبب الانقسامية. وقد أسميت المنظمة الجديدة الديمقراطية الشعبية - "د. ش".

وفي عام ١٩٥٠ وعندما بدأت انتخابات البرلمان شارك العديد من كوادرنّا في الحملة الانتخابية للعناصر الوفدية التي قررنا أنها أفضل من غيرها مثل د. محمد مندور، مصطفى موسى، د. عزيز فهمي، كذلك فقد رشحنا محمد يوسف المدرك عن شبرا الخيمة وكان معتقلاً، لكنه ما أن أفرج عنه حتى وجد زملاؤه قد أعدوا العدة لترشيحه..

س: هل من مزيد عن العمل الجماهيري لمنظمتكم؟

ج: عند إلغاء معاهدة ١٩٣٦، رفعنا شعار الكفاح المسلح، ووضعناه موضع التطبيق حيث أقمنا معسكر للتدريب في الشرقية وكونا مجموعات للكفاح المسلح.

الطليعة الشعبية للتحرر

تميزت نشأة الطليعة الشعبية للتحرر كتنظيم ماركسي بالخصائص التالية:

١- قامت كمنظمة ماركسية مصرية يتحمل فيها الماركسيون والمصريون أولاً وأخيراً مهام النضال من أجل المجتمع الاشتراكي المصري وكان هذا يعني أنه يتعين على الماركسيين المنتمين إلى جنسيات أجنبية أن يحددوا موقفهم: إما أن يقرروا البقاء في مصر كمصريين وإما أن يلتحقوا بالأحزاب الشيوعية في بلادهم. وتم تدشين هذا الفصل نهائياً بين الكوادر المصرية والأجنبية في المؤتمر التأسيسي الأول للمنظمة في أواخر عام ١٩٤٥.

وكان الاتجاه إلى تمصير التنظيم اتجاهًا أصيلاً ومتكاملاً انعكس فيما يلي:

أ - تدريس تاريخ مصر الحديث من منظور تقدمي لعمال وفلاحين من خلال مراكز لمحو الأمية (كما حدث في بولاق أو ورشة القطن وفي ميت عقبة).

ب - الاعتراف بأن للإسلام كثافة مضمون معارض للاستعمار.

ج - الاهتمام بإبراز العناصر التقدمية في التراث القومي المصري.

د - مطالبة ممثلي المنظمة في مؤتمر اتحاد النقابات العالمي عام ١٩٤٥ (باريس) بأن تكون اللغة العربية إحدى اللغات المعترف بها في الهيئات الدولية.

هـ - تمثل خط التحالف بين المنظمة وبين القوى السياسية في أشكال مختلفة من التعاون المشترك والتنسيق مع القوى الثورية.

و - التعامل مع الجماهير الشعبية الملتفة حول حزب الوفد باعتباره القيادة التقليدية للحركة الوطنية المصرية.

ز - عدم تأسيس مشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٨.

ثانيًا: قامت الطليعة الشعبية للتحرر في تركيبها كمنظمة للطبقة العاملة، فكان للعمال الوزن الأكبر في عضويتها كما كانت في مقدمة المنظمات في الأنشطة النقابية السياسية وبوجه خاص في الفترة من ١٩٤٤-١٩٤٨ وانعكس هذا فيما يلي:

(*) حرص المؤلف على ألا يورد ضمن هذه الشهادات إلا ما حصل عليه بنفسه، واستثناء من هذه القاعدة ننشر هذه الشهادة التي حررها أبو سيف يوسف.

بناءً على طلب المؤرخ العراقي الأستاذ الدكتور طارق إسماعيل. ونظرًا لما تحتويه هذه الشهادة وشهادة أخرى تالية لأحمد صادق فقد استأذنت الدكتور طارق إسماعيل في نشرها وقد تفضل فأذن بذلك.



أ- نجاحها في إرسال ممثلي العمال إلى اتحاد النقابات العالمي في باريس عام ١٩٤٥ بتأييد من عشرة آلاف عامل.

ب - إصدار مجلة عمالية هي "الضمير".

ج - تكوين تنظيم عمالي ديمقراطي تحت اسم "لجنة العمال للتحرر القومي".

د - العدد الكبير من الإضرابات العمالية التي قامت على أسس مطلبية (خاصة في منطقة شبرا الخيمة).

هـ - إقامة هيئات ديمقراطية لخدمة الحركة النقابية مكتب الأعمال النقابية (محمد يوسف المدرك) ومكتب للاستشارات القانونية للنقابات (يوسف درويش).

و - كان للمنظمة وجود محسوس في عدد من المناطق الصناعية الهامة في القاهرة والإسكندرية وكفر الدوار والمحلة الكبرى وبورسعيد وغيرها.

ز - دفع الطبقة العاملة إلى أن تأخذ دورًا متزايدًا في حركة النضال المعادي للإمبريالية والصهيونية (الحركة الوطنية).

ثالثًا: تفادت القيادة التي كونت الطليعة الشعبية للتحرر تدريس الماركسية كمجرد نصوص غير مرتبطة بالواقع. اعتمدت القيادة على فهمها للاشتراكية العملية في صياغة عدد من الوثائق التي كان يتم تنقيف الأعضاء والمرشحين بها: الرسالة السياسية، الرسالة الفلاحية.. إلخ. وسارت مطبوعاتها الديمقراطية مجلة الفجر الجديد والضمير ومعظم الكتب التي نشرتها دار القرن العشرين على تقليد محدد وهو محاولة تفهم الواقع المصري على ضوء الماركسية (وذلك بغض النظر) عما تحقق في هذا المجال من إيجابيات وسلبيات.

رابعًا: قامت نظرية بناء التنظيم على الأسس الماركسية التي كانت تحكم في الأربعينيات عملية إنشاء حزب ماركسي. لكن القيادة التي أنشأت التنظيم أولت أهمية خاصة لوضع معايير متشددة في تجنيد الأعضاء خاصة المرشحين منهم لتكوين الهيكل القيادي من هنا:

أ - كان عضو المنظمة يتم ترشيحه من خلال الإنجازات الملموسة التي يقوم بها في وسط جماهيري معين، وعلى ضوء ثقة الناس به في هذا الوسط، وعلى أساس مسلكه الأخلاقي العام.

ب - ضاعف من تمسك المنظمة بهذا المنهج في اختيار الأعضاء نظام السرية الذي فرضته القوانين المعمول بها في البلاد والتي كانت تجرم قيادة تنظيمات تتبنى النظرية اللينينية وذلك مع ما ارتبط بهذا كله من محاولات أجهزة الأمن اختراق التنظيمات الماركسية والتعرف على خريطتها التنظيمية.

خامساً: خط التحالف مع الأحزاب السياسية التي وجدت على الساحة انطلاقاً من قناعة ببناء المنظمة بأن الماركسيين المصريين هم أو يجب أن يكونوا - ورثه أو الاستمرار الطبيعي للحركات الوطنية والشعبية - حددت المنظمة أن حزب الوفد على الرغم من تذبذب قيادته بين قوى الاستعمار السراي من ناحية والشعب من ناحية أخرى - يمثل القيادة التقليدية للحركة الوطنية وأنه يتمتع بتأييد أوسع قطاعات الرأسمالية الوطنية- صغار الفلاحين والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية وقطاع من الطبقة العاملة تمثلهم عمال الحكومة (مثل عمال الترسانة والسكك الحديدية وعمال المطابع الأميرية). وأنه بناء على ذلك يتعين إقامة أشكال من التحالف والتعاون والتنسيق مع ممثلي قواعده الشعبية (الطلاب المنظمين تحت قيادة لجنة الطلبة التنفيذية العليا (الوفدية) والقوى الديمقراطية والتقدمية الذين شرعوا يكونون تيار الطليعة الوفدية ثم فئات المهنيين وخاصة المحامين. من هذا المنطلق كانت منظمة الطليعة الشعبية أكثر المنظمات الماركسية معارضة للأحزاب التي ضمت القوى غير الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة مثل "حزب مصر الفتاة" أو الأقسام المختلفة من البرجوازية الصغيرة (الإخوان المسلمون).

إن هذه النقاط الخمس مجتمعة معاً هي التي شكلت السمات الخاصة التي ميزت الطليعة الشعبية للتحرك عن غيرها من المنظمات التي عاصرتها في فترة الأربعينيات. وهي السمات التي تفسر في اعتقادنا طائفة من الظواهر.

- ١- عدم ارتباط المنظمة بمركز حلقة أجنبية خارج مصر يمكن أن تملّي سياساتها عليها.
- ٢- عدم تعرض المنظمة لانقسامات داخلية، فالانفصال عنها كان يتم فردياً.
- ٣- دخول كوادر هامة من منظمات أخرى في صفوف الطليعة الشعبية واتحاد قسم من منظمة حتش (القسم الذي رفض الانضمام لحدثو، مع ط. ش. ت ١٩٤٩).
- ٤- حماية المنظمة من اختراق الأمن لصفوفها القيادية وهو الأمر الذي كان عاملاً من عوامل الحفاظ على تماسكها.
- ٥- نمو المنظمة بعد توجهها إلى التوسع في ضم أعضاء جدد (منذ الخمسينيات) لتكوين أكبر تنظيم شيوعي من حيث العضوية المنظمة والمنضبطة.

* * *



تقييم عام لتجربة طشت (١٩٤٦-١٩٥٨):

١- أسهمت (ط. ش. ت) كواحد من المنظمات الماركسية الرئيسية في تسليح حركة التحرر الوطني في مصر بالشعارات الرئيسية التي ساعدت على تطور هذه الحركة بمحتوى اجتماعي مناهض للنظام الذي أقامه كبار ملاك الأرض والرأسمالية التابعة للإمبريالية كما أن العديد من الكتابات التي طرحها أعضاء المنظمة كانت ذات مضمون تقدمي تنويري نبه الأذهان إلى ضرورة طرح الجديد للعديد من القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية.

٢- لعبت (ط. ش. ت) دورًا هامًا في معركة استقلال حركة الطبقة العاملة المصرية عن الأحزاب البرجوازية وأكدت على دورها القيادي في حركة التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي.

٣- ساهمت (ط. ش. ت) مع غيرها من المنظمات الرئيسية في صياغة العديد من القضايا التي شكلت فيما بعد خاصة في الخمسينيات والستينيات - الأساس للبرنامج الوطني والاجتماعي الذي تبنته وطورته ثورة يوليو.

٤- ساهمت ط. ش. ت مع غيرها من المنظمات الرئيسية في بعث تيار اشتراكي أصبح أحد التيارات الرئيسية في الحياة السياسية والاجتماعية جنبًا إلى جنب مع التيارات السياسية الأخرى (التيار القومي وتيار الإسلام السياسي).
في الوقت ذاته يمكن أن نلاحظ ما يلي:

لم تتجح ط. ش. ت في أن تتطور لتصبح على النطاق القومي المصري الحزب الاشتراكي الذي يوحد صفوف الطليعة العاملة والطبقات الثورية الأخرى تحت قيادته. ولم تتجح ط. ش. ت بالتالي في تجاوز ظاهرة الانقسام التي استشرت داخل التنظيمات الماركسية العديدة. وظلت فترة طويلة أسيرة فكرة التمييز بين مرحلة "المنظمة" ومرحلة "الحزب" ويرجع هذا الإخفاق إلى أكثر من سبب نكتفي بالإشارة إلى أهمها:

أ- القيود والموانع التي حالت بين المنظمة وبين أن تسهم إسهامًا خلاقًا في تطبيق نظرية الاشتراكية العلمية على واقع مصري عربي له خصوصية. على سبيل المثال بينما أعطت المنظمة معظم الجهد لمواجهة متطلبات المعارك اليومية إلا أنها لم تبذل الجهد المطلوب على المستوى النظري لحل أشد القضايا الاجتماعية إلحاحًا وأخطرها في ذلك الوقت وهي المشكلة الزراعية. فبينما ركزت تركيزًا يكاد أن يكون تامًا على النشاط في المناطق العمالية ضعف نشاطها أو كاد أن يختفي مع فقراء الفلاحين. وأدى هذا الأمر

إلى خلل في نمو حركة التحرير الوطني التي ظلت البرجوازية الصغيرة الحضرية (في المدينة) هي القوة الأكثر نشاطاً والأعلى صوتاً في الحركة الوطنية ولم يتم تنظيم الفلاحين في معارك مباشرة أو مع قوى الاحتلال أو ضد كبار ملاك الأرض.

ب - وقعت ط. ش. ت كغيرها من المنظمات الرئيسية وإن كان ذلك بدرجة أقل - تحت هيمنة الفكر الستاليني على الحركة الاشتراكية العمالية، وذلك في وقت كانت الستالينية فيه قد تحولت إلى فكر متجمد في حين طرحت الحياة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قضية الإبداع والخلق في النظرية الاشتراكية العلمية.

وعندما انفتحت (ط. ش. ت) على تجربة الثورة الضيقة لم تقم بعمل نقدي يستهدف وضع نظرية الطريق المصري الخاص إلى الاشتراكية. وهو موقف كان معارضاً في الجوهر لتعاليم الماركسية اللينينية. ذلك أن لينين نفسه في لقاءه عقب انتصار ثورة أكتوبر مباشرة مع ممثلي الأحزاب والحركات الثورية في بلاد الشرق حدد أن الثوريين الروس ساروا في الطريق الخاص بهم لإنجاز ثورتهم وأن الثوريين في المشرق يواجهون في بلادهم واقع أكثر تعقيداً وأن عليهم أن يبتكروا الحلول التي تستجيب لمتطلبات هذا الواقع.

ج - ترتب على ما تقدم أن (ط. ش. ت) ظلت في كثير من الأحيان في موقف دفاعي لا هجومي إن صح هذا التعبير وذلك في مواجهة التغيرات والانعطافات التي ظلت تتوالى على المجتمع وترتب على ذلك أن حصيلة عملها (وعمل الحركة الماركسية في مجموعها) لم يكن تعود عليها لما ينمي صفوفها ويوسع من نفوذها بقدر ما كانت ثمار هذا العمل تتبدد أو تذهب بكيفية غير مباشرة إلى قوى أخرى.

على سبيل المراجعة

مذكرات

أشك في إمكان أن يقول المرء - عندما يتحدث عن حركة سياسية اشترك فيها- "كان هذا صوابًا أو خطأ"، وأن يكون هذا القول علميًا من الناحية التاريخية. فالنقد الذاتي على هذا الشكل - الشبيه "بهذه خطيئتي" في المسيحية- يمكن أن يكون، وأن يكون مفيدًا في الحالة الفردية وفي هذه الحالة، فدوري كشخص، في الحركة الشيوعية الماضية ليس بالأمر الهام، مهما كانت المظاهر تقول العكس أحيانًا. أما النقد العلمي لماض تاريخي فيكون - في رأيي - بمحاولة بحث الأسباب العامة والظروف المحيطة التي تضافرت تأثيراتها فأدت إلى الخطوط العامة التي اتسمت بها حركة سياسية ما.

وفي هذا النوع من النقد قد توجد فائدة، من حيث إنه يشكل درسًا وخبرة ماضية. ولذا أعتقد أن الطريقة الأولى للنقد التاريخي فيها الكثير من الذاتية. وبالتالي الكثير من الضرر. وهي - للأسف من الطرق الأساسية التي يلجأ إليها كاتب مثل رفعت السعيد في مؤلفاته المتتالية عن الحركة الماركسية في مصر (ولكنه ليس الوحيد في هذا في الحقيقة).

ومن جهة أخرى، فإن دراسة علمية لتاريخ ماض تنطلق من الموقف الذي يقفه المؤرخ من ظروفه ومشاكله الراهنة إذ يستحيل أن يتلخص من المشاكل الآنية التي يصطدم بها. ولذا فكتابة التاريخ الماضي عبارة عن إعادة كتابة التاريخ الحاضر بصورة من الصور. وأعتقد في هذه الحالة أن الأفضل أن يعترف المؤرخ بهذا في وضوح ونزاهة وألا يحاول إظهار نفسه منفصلاً أو محايدًا تمامًا عن المادة التي يتناولها بالعلاج.

وإذ يحاول كاتب هذه السطور أن يلقي نظرة سريعة إلى ماضي المنظمة التي اشترك فيها، ففي هذه تلح الأزمة الحالية للحركة الشيوعية المصرية، وهي أزمة تدوم منذ فترة طويلة، وقد تكون بدايتها منذ ١٩٦٧ في رأي البعض، ومنذ ١٩٥٤ في رأي البعض الآخر.

وأعتقد أنه لن يجانبني الصواب لو قلت إن محور هذه الأزمة الصعوبة البالغة التي تجدها هذه الحركة في أن تتخطى الآلاف القليلة من المثقفين المصريين أساسًا وأن تتحول إلى حركة تقود بالفعل الجماهير الكادحة بفضل ارتباطاتها العضوية بها وخاصة بالطبقة العمالية. وقد يقال أن القمع الذي تتعرض له الحركة من جانب الدولة هو الحائل دون هذا التطور المطلوب. ولذا كنت لا أنفي أهميته ففي رأيي أن التغلب عليه يتوقف إلى درجة كبيرة على

الحركة الشيوعية ذاتها، على خطه السياسي ومنهجها التنظيمي إلخ. وليس في مقدورنا أن نصد قمع الدولة إلا بعلاج نواقص الحركة ذاتها.

في الفترة الماضية - قل من ١٩٤٢ حتى ١٩٥٣- لعبت الحركة الشيوعية دوراً هاماً على المسرح السياسي والاجتماعي العام، وكان أحياناً دوراً قيادياً (لجنة العمال والطلبة، الحركة النقابية) ولعبت "طلبة العمال" دوراً بارزاً في إضفاء مضمون اجتماعي طبقي للحركة الوطنية من خلال تعاونها مع الشباب الوفدي وفي تشكيل الجبهة الوطنية في الجامعة وبعض الأحياء لمقاومة نزعة عبد الناصر الديكتاتورية حتى مارس ١٩٥٤ وفي تأكيد معالم الحركة النقابية الاستقلالية وقيادة الفئات العمالية الإنتاجية (شبرا الخيمة، حلوان..) لها. غير أن هذه المنظمة بدأت تفقد نتيجة قمع الحركة الشيوعية بعامة - هذا الدور منذ ١٩٥٤ واستسلمت أيضاً للناصرية في ١٩٦٥ مهما كانت الظلال في هذا الاستسلام من تيار إلى آخر. وهذا يدل على أن ثمة سمات أساسية في طليعة العمال كانت تتفق مع الظروف السياسية والاجتماعية العامة في الفترة الليبرالية، ولكنها لم تتوافق مع متطلبات الفترة الناصرية.

وسبق أن أوضحت باقتضاب رأيي في هذه الظاهرة في المقدمة التي كتبتها لمؤلفي "صفحات من اليسار المصري ١٩٤٥-١٩٤٦" فلن أطيل فيه.

ويكفي هنا القول مرة أخرى أن الإستراتيجية التي كانت طليعة أعمال تسيير على هديها كانت مرسومة على أساس أن البرجوازية القومية المصرية هي القائمة للحركة التحريرية في هذه المرحلة، ولكن هذه القيادة في خطها الهابط وأن القيادة التي سوف تأتي بعدها كانت - حتماً- قيادة الطبقة العمالية ولم يكن مفهوماً لنا في ذلك الحين أن هذه الاستراتيجية غير صائبة لأن القيادة الصاعدة في ذلك الوقت كانت قيادة نوع من البرجوازية الصغيرة (أقول اليوم "نوع من الشعبوية")، الأمر الذي يقتضي إجراء تغيير كامل في الخط السياسي والتنظيمي والأهداف إلخ.

ثم يأتي هذا القصور؟ كيف يتفق الأمر من أن تحرز المنظمة نجاحات كبيرة في وقت ما ثم تخفق في سرعة عجيبة بعد ذلك بقليل؟ كيف يتفق الأمر من أن تلعب المنظمة دوراً رئيسياً (عن طريق الفجر الجديد والضمير ولجنة العمال للتحرير القومي إلخ) في توضيح معالم جديدة للحركة الوطنية في بعثها الجديد في الأربعينيات ثم تفقد البصر والبصيرة وتصبح فجأة عاقماً في فترة وجيزة؟ لقد تضافرت ظروف وعوامل كثيرة لإعطاء هذه النتيجة (منها التأثير المباشر الذي جاء به رفيق يوناني مندوباً عن الكومنفرم، ومنها عودة التبسيطية والجمود العقائدي للمتغلب بالإضافة إلى الصعاب الناجمة من تحولات هامة في سياسة الحكومة الوفدية ثم الأحكام العرفية مدة طويلة).

ولكنني أعتقد أن السبب الأساسي في أننا كففنا عن متابعة السير في عملية جوهرية كنا قد قطعنا فيها شوطاً ولكن توقفنا فيها، وهي عملية دراسة الخصوصية المصرية في إطار المفاهيم الماركسية العامة للاقتصاد والاجتماع والسياسة.. إلخ.

وأتذكر أن الوثائق الأساسية التي تأسست المنظمة عليها كانت كلها مشتقة من ذلك الجهد الفكري الأول في الأساس.. أما بعد ذلك، فكان معيننا قليلاً (تقرير في المجلة الداخلية "الهدف" بضرورة رفع شعار المطالبة بالجمهورية..) وإن كان في بعض الأحيان هاماً (تقرير أبو سيف يوسف عن عدم الحياد وعدم الانحياز..) ومن الأدلة الهامة على ذلك أننا عدنا في "الرسالة السياسية" نتحدث عن دور الوفد الكبير بعد حريق القاهرة (١٩٥٣).

وللموضوع وجه آخر، شديد الارتباط بالأول، وهو الوجه الجماهيري العمالي. ففي وقت من أوقات الأربعينيات استطاعت طليعة العمال - على صغر أعضائها- أن تقود الحركة النقابية الاستقلالية المصرية في معارك ضارية من أجل تحسين مستوى المعيشة وتأكيد الشخصية العمالية واستشراف دورها المستقبلي في بناء الاشتراكية في مصر - واعتبرت المنظمة النضال من أجل المطالب الاقتصادية المحرك الأول للجماهير، بحيث وضعت في اللائحة التنظيمية من بين واجبات الأعضاء أن ينضموا إلى نقابة مهنتهم أو يعملوا على تأسيس مثل هذه النقابة إن لم توجد بعد. وكانت هذه السياسة سائرة في مجالات أخرى غير العمالية (مثال ذلك تأسيس جمعية "ربات البيوت" التي رأستها السيدة أنجي رشدي والتي استطاعت أن تمنع الوزارة الوفدية عام ١٩٥١ من رفع سعر الخبز).. غير أن هذا الاهتمام الرئيسي بالمطالب الاقتصادية أخذ يضمحل بعد ذلك وترك مكانه بشكل متزايد للزاوية القومية البحتة للفكرة الوطنية الجبهوية. أي إن التوازن السابق بين الكفاح الوطني (الذي يرتبط بالعمل الجبهوي الغير طبقي) وبين الكفاح الطبقي (العمالي خاصة) اختل. وقد زاد هذا الاختلال في الفترة الأولى للناصرية؛ حيث برز وجه آخر من العمل الجبهوي وهو من أجل الدفاع عن الديمقراطية الليبرالية البرجوازية. ثم زادت مرات ومرات بعد ١٩٥٤ مع سياسة عدم الانحياز والعدوان الثلاثي ثم حرب الأيام الستة. هذا في حين أننا كنا نقول - قبل ١٩٥٢ وبعد ١٩٥٦- أن مرحلة ما بعد الاستقلال السياسي سوف تكون بالضرورة مرحلة تشتد فيها التناقضات الطبقية، الأمر الذي كان المفروض أن يجعلنا نستعد لصعود الصراعات الطبقية وأن نضع أنفسنا على رأس الحركة العمالية الجديدة أو المتجددة.

لقد غمرتنا موجة الوطنية البرجوازية المطلقة، أي المجردة من المضمون الطبقي. صدقنا أن الأعداء السابقين للحركة التحررية ما زالوا هم هم الأعداء الحاليين للحركة التحررية في مرحلتها الجديدة.

رغم أنهم هزموا - فرضاً - بثورة ٢٣ يوليو والإصلاحات المختلفة التي قامت بها وأزبحوا عن السلطة، ونسينا توفقنا السابق بأن أعداء جدداً يظهرون بعد الاستقلال. وأعمانا الحديث المتكرر عن الإجراءات "الاشتراكية" وتذويب الفوارق بين الطبقات وأن دور النقابة الآن (في ظل عبد الناصر) أصبح للتعاون مع الإدارة في زيادة الإنتاج إلخ، وهذا رغم أننا كنا بين الحين والحين نفيق ونقول كلمة هنا وكلمة هناك.. ولم نعر إلا التفاتاً قليلاً للتمايز الطبقي الجديد الذي كان قد نشأ، وللأشكال الجديدة التي تتخذها الصراعات الطبقيّة (في الجمعيات التعاونية الزراعية، ولجان الإنتاج بالمصانع، ومجالس إدارة الشركات المؤممة والمستويات الدنيا للتنظيم النقابي الموحد..) فكان من الطبيعي أن تتبخر صلاتنا العضوية السابقة بال جماهير العمالية خاصة، و ببعض المراكز الشعبية عامة.

وبطبيعة الحال، فهنا أيضاً تضافرت ظروف كثيرة ساعدت على هذا التحول الضعيف الطبقي الذي طرأ على منظمة شيوعية اشتهرت بطبقيتها. من هذه الظروف الدكتاتورية الناصرية والرقابة على الصحف والمطبوعات، وتحريم قيام الإضراب إلخ.. وهي عوامل سترت عيوننا عن الصراع الطبقي الجاري وأشكاله الجديدة. ومن هذه العوامل أيضاً حدة الصدامات مع الإمبريالية، والحروب المتتالية التي كان من الطبيعي أن تدعونا إلى تركيز التفكير فيما يوحد الأمة وإهمال ما يقسمها جانباً. وينطبق من هذا الحديث على الظروف السائدة قبيل ١٩٥٢، منها إلغاء المعاهدة واستقالة عمال المعسكرات البريطانية والقتال الفدائي.. إلخ.

ولكنني أظن - رغم هذا - أن هذه الظروف بذاتها كانت تستعدي الحرس الأشد على الوجه الطبقي للخط السياسي وإن هذا كان من الممكن أن يكون طوق النجاة للمنظمة الذي ينقذها من التدهور اللاحق وربما يؤدي إلى بعض التغييرات في التاريخ المصري بشكل عام.

وأخيراً فهناك وجه ثالث للموضوع وهو المتعلق بالوحدة بين الشيوعيين أو بين المنظمات الشيوعية وكان لطبيعة العمال خط واضح في هذا في الأربعينيات وهو خط مزدوج: تصفية الخلافات الفكرية النظرية والسياسية القائمة بين المنظمات وبشكل محدد بين طليعة العمال وباقي الحركة المنتمى إلى الجذر الحدتوي - والتعاون المشترك القاعدي من جهة أخرى في الممارسة النضالية الجارية لاختبار الخطوط - المختلفة أو المتفق عليها في الميدان العملي. وكانت بين هاتين الناحيتين علاقة وثيقة دون شك - وفجأة في ١٩٥٧ انقلب هذا الخط ١٨٠ درجة. ورغم أن هذا الكلام في المفاوضات من أجل الوحدة، الوثائق المتبادلة كانت لا تزال تحمل نفس المضامين السابقة وكان يبدو فيها التمسك الشديد بنفس المبادئ إلا أن ما كان يجري في الحقيقة كان غير ذلك - وانتهى الأمر في ٨ يناير ١٩٥٨ إلى وحدة تناقض تلك المبادئ تماماً. ودامت هذه شهور قليلة ثم انهارت مع الانقسام الكبير. ولا يستطيع



المرء إلا أن يربط بين هذه التطورات وبين النجاح الساحق للحملة البوليسية الشرسة التي شنها النظام الناصري والتي استطاعت أن تلقي القبض على ما يقرب من جميع الشيوعيين وأنصارهم الأقربين (١٩٥٩-١٩٦٤). وكذلك بين تلك التطورات وبين حل الحزبين الشيوعيين الذاتي في ١٩٦٥.

وهنا أيضًا يمكن القول إن ظروفًا كثيرة تضافرت لإعطاء تلك النتيجة النهائية. لم تكن أقلها قسوة الاعتقال بدرجة لم يسبق لها مثيل في الماضي ولا حتى في أسوأ وأسود أيام الملكية والسيطرة البريطانية وهي قسوة هربت الكثيرين من النضال السياسي الذي حصد أرواح شهدي عطية الشافعي وفريد حداد ورشدي خليل ولويس إسحاق وغيرهم العديدين.. ومن تلك الظروف أيضًا المواقف المتضاربة للقيادة السوفيتية من نظام عبد الناصر وضغط مندوب الكومنفرم - الإيطالي "إسبانو" من أجل تلك الوحدة اللامبدئية. وكذلك الاضطراب الفكري الشديد الهائل والكلي الذي أصابنا جميعًا عند قرارات التأميم في ١٩٦١ وبعده إذ بها بدا وكأن برنامج لحزب الشيوعي يتم تنفيذه وتحقيقه على يد الحكومة فما الداعي لوجود هذا الحزب؟

ولكن يبدو لي - بالإضافة إلى هذه الظروف المباشرة - أن وحدة ١٩٥٨ واعتقالات ١٩٥٠-١٩٦٤ وحل الحزبين في ١٩٦٥ كانت أمرًا واحدًا أو ثمرة واحدة للنقطتين اللتين ذكرتهما في السطور السابقة. فتوقف التجديد الفكري وفك الارتباط بين النظرية والواقع من جهة والانزعال المتزايد عن الجماهير الشعبية والعمالية خاصة جعل المنظمة (والحزب من تمه) جسدًا بلا روح، ولم يتبقى فيها - مثلاً عن الخروج من المعتقل في أبريل ١٩٦٤ إلا مجموعة صغيرة من الأفراد يؤكدون شديد تمسكهم بأفكار مجردة، أقرب إلى الإيمان بالغيب من الاقتناع العلمي السياسي، ويرتبطون فيما بينهم بعلاقات الصداقة الشخصية الناتجة من الملازمة الطويلة في درب مشترك ماض أكثر من الروابط الرفاهية النضالية المنظمة. كان الحزب قد مات، وقرار الحل لم يكن إلا شهادة رسمية بالوفاة.

كانت "طلیعة العمال" نتاجًا خاصًا لظرف تاريخي معين وانتهت بانتهاء هذا الظرف. الظرف التاريخي كان نهاية مرحلة في الحركة التحررية المصرية تتميز بقيادة البرجوازية الليبرالية. وبدء مرحلة جديدة لهذه الحركة، مرحلة تقودها منظمات معبرة عن الكتلة الشعبية النكرة، تلك الكتلة القريبة الشبه بالبرجوازية الصغيرة وإن اختلفت عنها في نواح عديدة. ولذلك أفضل أن أسميها منظمات "شعبوية" لأسباب لا تدخل في نطاق هذا المقال. وعلى كل، ففي رأيي أن نشوء "طلیعة العمال" وتطورها توافق مع بزوغ هذه القيادة الشعبوية الجديدة، وأن طلیعة العمال لعبت دورًا هامًا في توليد هذه القيادة وإضفاء سمات معينة عليها من الناحية السياسية والفكرية. انتهى ذلك الدور مع استكمال شخصية تلك القيادة واستقلالها - بدرجة

كبيرة- عن المجموع والمضطرب الاجتماعي والسياسي الذي بزغت منه والذي كانت طليعة العمال عنصراً من عناصر تكوينه الرئيسية.

ولكن "طليعة العمال" لم تكن هي نفسها شعبية، لأنها كانت ماركسية. ولسنا في حاجة إلى أدلة على ماركسيته أكثر من عملها في قيادة الحركة النقابية الحمراء. فلماذا اختفت هذه الناحية الماركسية أو قضي عليها وانصهرت كحركة في الشعبية؟

في رأيي أن هذا يعود إلى سببين. جدة التجربة مع عدم استعداد نظري من جهة. وذلك لأن الناصرية كانت شيئاً جديداً على مصر، ولم يكن المسرح السياسي العربي قد عرف بعد ظواهر أصبحت مألوفة اليوم في البعثية العراقية والسورية والفتحية الفلسطينية والخومينية الإيرانية. وغيرها وأكثر من هذا فلم نكن قد شاهدنا إخفاقات هذه التجارب وهزائمها المتتالية. وأما عدم الاستعداد النظري فالدليل على ذلك الاضطراب والتضارب الفكري الذي كان - وما زال الكثير منه قائماً - في ميدان تحليل هذه الاتجاهات، لا في الإنتاج الفكري العربي فقط بل وعلى مستوى دولي أيضاً.

والسبب الثاني يعود في تقديري إلى تراث الحركة السياسية التحررية في مصر منذ أوائل القرن الحالي على الأقل، وهو أن قيادة هذه الحركة وأقساماً هامة منها مكونة من المثقفين وأن علاقاتها بال جماهيرية الشعبية والكادحة غير عضوية إلا في القليل. فرغم الأهمية الكبيرة لدور هؤلاء المثقفين إلا أنه يصعب عليهم أن يعكسوا مطالب تلك الجماهير ورغباتها وأحلامها دون تشويه. ولم تكن هذه الصعوبة فيصلاً حاكماً وحاسماً حتى جاءت الناصرية في الحكم، لأن المرحلة السابقة كانت تعبر في جوهرها وفي التحليل الأخير - عن المصالح البرجوازية وعن الطابع القومي الأساسي لهذه المصالح مع كل ما فيها من علاقة ومساومة وتهاون إزاء السيطرة القائمة لسلطة الطبقة السائدة. ففي تلك المرحلة السابقة كان النظر إلى الجماهير على أنها أداة لتحقيق المصالح البرجوازية. أما في المرحلة الجديدة التي افتتحتها الناصرية وشقيقاتها من التيارات الشعبية الأخرى - فالأمر يختلف؛ إذ إن مصير القيادة الشعبية أن تنهض فتخفق وتخفق المرة بعد الأخرى. المخرج الوحيد لهذه الدائرة المغلقة الجهنمية لا يمكن أن يكون إلا بواسطة الجماهير الكادحة بقيادة الطبقة العمالية. وبطبيعة الحال يشترط هذا أن تحدث تغييرات أساسية في قيادة الحركة التحررية. وتتخلص من مميزات الجهورية الحالية "المثقفين". المخرج في التغلب على ما في ذلك التراث من أوجه القصور (دون التخلص من الثقافة والإدراك العملي بطبيعة الحال).

أحمد صادق سعد

فبراير ١٩٨٧



مذكرة

نفيد بأن القائمين على إدارة الأبحاث العلمية هم حضرات: الدكتور محمد الشحات مدرس الكيمياء بكلية الطب، وشهدي عطية الشافعي أفندي مدرس بالمعهد العالي التجاري، ومحمد عبد المعبود الجبيلي أفندي معيد بكلية العلوم، وأبو بكر نور الدين أفندي خبير بوزارة العدل.

حكمدرارية بوليس مصر

وقد أرفقنا هذه المذكرة بالأوراق، كما أرفقنا الأوراق التي سلمها إلينا حضرة صاحب العزة رئيس النيابة ونهنا بطلب سيارة أجرة للانتقال بها لإجراء تفتيش دار الأبحاث العلمية. وقفل المحضر على ذلك، بعد إثبات ما تقدم حيث كانت الساعة السادسة والخامسة والعشرين دقيقة مساء وقررنا الانتقال لتنفيذ المطلوب.

وكيل النيابة

إمضاء. مصطفى محرم

أعيد فتح المحضر في تاريخه الساعة السادسة والخامسة والخمسين مساءً بدار الأبحاث العلمية بالهيئة السابقة.

انتقلنا بسيارة الأجرة ومعنا حضرات الضباط وقوة من رجال البوليس حيث دخلنا إلى دار الجماعة وهي بشارع نوبار رقم ٧ ساعة افتتاح هذا المحضر، وبدخولنا لاحظنا أنها عبارة عن شقة بالدور الأرضي من المنزل المذكور، ويمين الداخل من بابها العمومي صالة مساحتها ٧×٥ أمتار، وبها سبعة غرف نهنا بتوزيع رجال القوة فيها جميعها وبحراسة مداخلها ومنع أحد من الدخول أو الخروج وملحق بهذه الشقة حوش وجدنا به وبالدار عدة أشخاص كلفنا أحد حضرات الضباط بأخذ أسمائهم وعناوينهم وبدأنا تفتيش الغرفة الأولى التي تقع على يسار الداخل. وهي غرفة مساحتها

(*) كانت الأبحاث العلمية المنبر العلني لمنطقة شرارة (ايسكرا)، وقد لعبت دوراً هاماً في تاريخ حركة اليسار المصري في الأربعينيات وتردد اسمها كثيراً في كل دراسة عن النشاط اليساري في هذه الفترة. ولما كان الضروري محاولة استقصاء أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذه الدار، مكانها، طبيعتها، أسلوب عملها، نشاطها، قيادتها فقد وجدنا أنه من الملائم تقديم هذه البيانات الواردة في ملف قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ والتي تتضمن معلومات أجهزة الأمن عن هذه الدار ومسئوليتها. ووصف للمكان الذي كانت تحتله الدار. ومحضري تحقيق مع اثنين من المشرفين عليها، وقد وردت هذه المعلومات الهامة في الصفحات ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، من ملف القضية السالفة الذكر (المؤلف).



حوالي ٥×٣ متر وبها دولاب به عدة كتب وبجواره مكتبة مكشوفة كثيرة على الأرض، كما أن بها مكتب وبجواره مكتب، وللغرفة نافذة تطل على الشارع وأخرى تطل على الحوش، وقد وجدنا بالغرف غالي كامل فهمي أفندي سنه ٢٥ سنة طالب بكلية الطب البيطري الذي أبلغنا أنه يستأجر المنزل بأجمعه من ناظري الوقف ويقيم بالدور العلوي وأنه أجر الدور الأرضي من باطنه، الغرف الثلاثة التي تقع على يسار الداخل بعد غرفة المكتب التي تحرر بها محضرنا الآن لدار الأبحاث العلمية والغرفة التي تقع على يمين الداخل لاتحاد البكالوريا والتي تليها لدار التوريدات الصناعية والتي تليها لاتحاد البكالوريا، وأضاف إلى ذلك أن غرفة المكتب خاصة به وأنه يستنكر دروسه بها، وأن جميع ما فيها له عدا الكتب الموجودة بدولاب الكتب إذ إنه لدار الأبحاث وكذا الكتب الموجودة بجوار هذا الدولاب إذ إنها خاصة بجماعة الأبحاث وأنه سمح لهم باستعمال هذا الدولاب وحفظ الكتب والغرفة نظراً لضيق غرفتهم ولعدم وجود دواليب لديهم. وقد ففتشنا الغرفة وفحصنا ما بها من كتب لوجدنا بالدولاب نسختين متشابهتين عبارة عن العدد الثاني من نشرة دار الأبحاث العلمية سنة ١٩٤٥. ووجدنا بالمكتبة الصغيرة المكشوفة نشرتين أخريين عبارة عن العديدين التالي والخامس من نشرة الدار المذكورة ولم نجد بالغرفة عدا ذلك سوى كتب علمية في مختلف العلوم منها ما هو خاص بالدار ومنها ما هو خاص بغالي أفندي حسب قوله.

وقد سألنا غالي كامل أفندي عن استأجر الغرف المخصصة للدار منه فأجاب بأنه الأستاذ شهدي عطية الشافعي، وقد سألنا أيضاً عن المسئول عن إدارة الدار فأجاب بأنهم ثلاثة هم منير ملطي أفندي وظريف عبد الله أفندي، وعبد الرحمن نصر أفندي^(*) وقد سألناه عن هؤلاء الأربعة فحضر الأستاذ شهدي عطية وظريف عبد الله أفندي الذي قرر لنا أنه محام لدى المحاكم الوطنية وسألناه عما يخص دار الأبحاث في هذه الغرفة فأجاب بأنها الكتب الموجودة داخل الدولاب وبجواره وسألنا غالي كامل فهمي أفندي عن النشرتين التي وجدناهما بمكتبته المكشوفة فأجاب بأنه اشتراها من الدار وثمان النسخة ثلاثة قروش، وسألناه عما إذا كان لديه غيرها فأجاب بأنه لا يذكر، وذلك لأنه يقرأها ويضعها بالمكتبة، وسألناه عن باعها له فقال إن أعضاء الدار جميعهم يبيعونها. وقد سألنا الأستاذين شهدي عطية وظريف عبد الله عن النشرتين الأخيرتين المضبوطتين في الدولاب فأجاب بأنهما من نشرات الدار تقوم الدار بطبعهما لدى مطبعة لا يذكران اسمها، وأن هذه النشرات تطبع عادة بعدد يكفي الأعضاء وزوار الجمعية المعتادين التردد على الدار وأن بالدار مجموعة من هذه النشرات لم يتم توزيعها بعد ومن المحتمل أن يكون العدد الأول قد نفذ وقد سألناهما عن يقوم بتحرير هذه

(*) وردت هكذا في المحضر وصحتها عبد الرحمن الناصر (المؤلف).

النشرات فأجابهما بأنها تحرر عادة متضمنة ما يلقيه أعضاء الدار من أبحاث بالدار وملخص لأبحاث بعض الأعضاء الخاصة.

وقد استدعينا الأستاذ شهدي عطية وسألناه بالآتي:

اسمي شهدي عطية شافعي

سني ٣٣ سنة

مولود بالإسكندرية

مقيم ٣ شارع القصر العيني

مهنتي أستاذ بمدرسة التجارة

س: ما صلتك بجماعة دار الأبحاث العلمية؟

ج: أنا عضو في دار الأبحاث

س: وما غرض الأعضاء؟

ج: القيام بالأبحاث العلمية وتطبيقها على المجتمع؟

س: وما هي شروط الالتحاق بالدار؟

ج: أن يكون العضو على درجة كبيرة من الثقافة - وأن يتردد على الدار مدى شهر أو اثنين وأن يزكيه عضو في الدار وأن يدفع الاشتراك وأن يقوم بتلخيص أي كتاب من تلقاء نفسه وعرض مجهوده على باقي الأعضاء والمناقشة فيه ونقده، ولكل عضو الحق في أن ينشر ما يشاء من أبحاث في النشرة التي تصدرها الدار على أنه في هذه الحالة يكون ذلك على مسؤوليته الخاصة وهذه النشرات يشتريها باقي الأعضاء أو الأشخاص الذين يترددون على الدار بمعنى أنها لا تباع في الطرقات.

س: وهل لهذه النشرة لجنة تحرير ورئيس التحرير؟

ج: لا. لأن نظام الدار من مقتضاه أن يتغير باستمرار جميع المسؤولين فيه عن الإدارة حتى يتاح لكل فرد التعود على مختلف أنواع النشاط.

س: وهل من المعتاد أن يوقع كل شخص باسمه على ما ينشره من مقالات في النشرة؟

ج: هذا يتوقف على رغبة الناشر الخاصة، فإذا شاء كتب اسمه وإذا لم يشأ لم يكتبه.

س: وإذا فرض ولم يكتب الناشر اسمه في مقالته فهل يمكن معرفته؟

ج: لا يوجد نظام بالدار لمعرفة ذلك، والأمر يتوقف على وجود أصل المقالة.

س: وجدنا بالنشرة رقم ٣ مقالة معنونة بعبارة كلمة التحرير فمن الذي يحرر مثل هذه المقالات عادة.

ج: هيئة التحرير.

س: هل من الممكن معرفة أسماء أعضاء هيئة التحرير في الفترة الخاصة لكل نشرة؟

ج: أنا شخصيًا ما أعرفش، ويمكن بالاستعلام من الأعضاء الاهتداء.

س: وعلى أي فترات تصدر هذه النشرات؟

ج: هل ليست منظمة، وتصدر بناء على تجمع المقالات وكفايتها لطبع نشرة.

س: لاحظنا من الاطلاع على النشرة الخاصة أن شخصًا نشر مقاله بتوقيع "شين"

عنوانها "مسرحية هزلية" فهل من هو كاتب المقالة؟

ج: ما أعرفش.

(وقد لاحظنا من الاطلاع على صدر هذه المقالة على عبارة يفهم منها أنها مرسلة من أحد أصدقاء الدار وأن الدار نشرتها عملاً بحرية النشر، على أن ما جاء بها لا يفيد المسؤولين بالدار).

س: وهل من المصرح به لغير الأعضاء نشر مقالات؟

ج: بالدار بها صندوق للمقالات كل شخص يريد نشر مقالة يضع فيها مقالته، ونظرًا لأن

الدار تعود الأعضاء وأصدقائهم حرية الكلام وحرية النشر حتى توفر بذلك تطبيق الأسلوب العلمي الحق لمناقشة العضو فيما كتب، فإذا كان كلامه غير معقول فإننا اعتدنا قبول أي مقالة توضع في الصندوق ونشرها ونكتب باسم كاتبها أو لا نكتبه حسب رغبته في المقال.

س: هل تعرف شخصًا يدعي شكري سالم؟

ج: أيوه وهو من أعضاء الدار.

س: وهل تعرف عنوانه؟

ج: لا أذكره لأنني لست مسئولاً عن الإدارة الآن وإن كنت أنا في الأصل استأجرت

الدار من غالي أفندي،، ولأنني لا أعلم بالضبط إن كان في الدار دوسيهات بعنوانين الأعضاء من عدمه.

س: ألدك أقوال أخرى؟

ج: لا.

تمت أقواله وأمضى

إمضاء وكيل النيابة

إمضاء



وقد استدعينا الأستاذ ظريف عبد الله وبسؤاله أجاب بمثل ما أجاب به الأستاذ شهدي عطية وأضاف إليه أنه من شروط الالتحاق بالدار عدم اشتغال الأعضاء بالسياسة واستمرارهم في عدم الاشتغال بها طوال مدة عضويتهم، وعدم الانضمام لأي حزب سياسي فإذا انضم يفصل أو يستقيل وقد سألناه عن عنوان شكري سالم فأجاب بأنه يعلم أن شكري هذا من أعضاء الدار وأن لا يمكن له معرفة عنوانه، وأنه يمكن معرفة ذلك من الأعضاء، واكتفينا بذلك من مناقشته وقد سألنا الأستاذين شهدي عطية وظريف عبد الله عما إذا كان يوجد بالدار دفاتر وكشوفات خاصة ببيان الأعضاء السابقين والحاليين بالدقة فأجابا بأنهما لا يعرفان ذلك على وجه الدقة وإن كان رجحاً وجود مثل هذه الكشوفات.

وقد أفهمناهما أننا فتننا الدار ولم نعثر على شيء من هذه الكشوفات فأجابا بأنه من المحتمل أن يكون منير ملطي أفندي وعبد الرحمن الناصر أفندي على علم بمقر هذه الأوراق وأنه كان قد تقرر أن يذهب الأخير منهما إلى وزارة الشؤون الاجتماعية خلال هذا الأسبوع ومعه نسخة من قانون الدار والأوراق اللازمة لتسجيل الدار كجماعة تعمل لغرض مشروع ولا يعلم ما الذي تم في هذا الشأن للآن.

وأقبل المحضر على ذلك حيث كانت الساعة الثامنة والخامسة وخمسون دقيقة مساءً وصرفنا الأعضاء الذين في الدار بعد أن سألناهم عما إذا كان أحدهم يعرف عنوان شكري سالم فأجابوا بالنفي. وقد أرفقنا بالأوراق كشفاً بأسماء الأشخاص الذين قرروا أنهم من بين الأعضاء وهم أربعة وعشرون شخصاً من بين الموجودين.

وكيل النيابة

مصطفى محرم

إمضاء

محضر نقاش

س: ما رأيك في أن نواصل حديثنا الذي قطعناه منذ عام، وأريد الآن أن أتعرف على رأيك في مرحلة التكتل الثوري والظروف التي أدت إلى تفجر الأوضاع في حدثو.

ج: عندما وقع التكتل كنت في مجموعة تابعة لمكتب الدعاية المركزي. وتلقى أعضاء التنظيم نشرة داخلية تقول إن ثمة تكتلاً يقوده شخص يسمى سليمان (شهدي عطية) وأنه قد أصدر خطأ سياسياً يهاجم القيادة وبدأت الاتصالات الجانبية، وبدأت الأسرار تتبعثر في كل مكان.

وألحظ أن الهجوم على سليمان لم يكن سياسياً بمعنى أنه اكتفى بإدانة التكتلية وسرقة موارد الحزب وإدانة الاتصالات الجانبية لكنه لم يناقش أفكاره السياسية ولم يدحضها.

ويمكن القول إن التكتل خرج أساساً من قسم الطلبة حيث عقد الأعضاء اجتماعاً عزلوا فيه قيادتهم (جمال غالي - روبر ستون) وجزء من قسم الأجانب.

وقد ساعد ذلك القيادة على الاكتفاء باتهامهم بأنهم برجوازيون صغار وبدأت تشيد بأخلاقيات الطبقة العاملة، المهم أن التكتل وقع في اعتقادي في ظل وكنتيجة لانتكاس النشاط في الجامعة والركود العام في النشاط الطلابي ويمكن القول إن غالبية من خرجوا مع التكتل أو كلهم كانوا من ايسكرا.

وقد قرأت فيما بعد خط سليمان وألحظ أنه ركز أساساً على انتقاد الأشخاص فلم يترك شخص من أعضاء القيادة دون أن يوجه له انتقادات شخصية.

ويمكن القول إن الأخطاء الأساسية للتكتل بعد جريمة التكتل ذاتها كانت بعثرة أسرار التنظيم، وإباحة التكتلية تحت حجة أن لينين تكتل، وإباحة الاتصالات الجانبية وتبرير سرقة موارد ومعدات التنظيم.

والحقيقة أن التكتل الثوري لم تكن له خطوط سياسية واضحة ومحددة، فأنا مثلاً لم أجد أي مبرر للاتصال بهم أو الاستماع إليهم والكثيرين لم يستجيبوا لهم. وربما أدى ذلك إلى استسهال القيادة للأمر، فتركت ذات الظروف التي ولدت المزيد من التكتلات.

واكتفت القيادة بعمل اجتماعات تنظيمية لفضح التكتل وأصدرت قرارات بفصل سليمان (شهدي)، سيف (أنور عبد الملك) وزوزو (حسين كاظم).



ومن الذين نشطوا بحماس في صفوف التكتل سعد زهران - حسين الغمري - ميشيل عبد السيد - داود عزيز - محمد سيد أحمد - إلهام سيف النصر - توفيق حداد - نقولا ورد.. وعدد من الأجانب وكان معهم عامل وحيد هو محمد عبد الغني جلال.

ونشط التكتل كما قلت في سرقة الأجهزة الفنية والمكتبات وقد سرق التكتل جهازاً فيناً أساسياً وأخفوه في شقة بالإيموبيليا فذهب يونس ومعه عدد من ميكانيكي الطيران بملابسهم الرسمية حيث انتزعوا الجهاز بالقوة.

والمهم أن التكتل لم يصمد طويلاً فقد تفكك بعد فترة وجيزة، لقد انتشر سريعاً بضجيج عال جداً ثم مات فوراً ولكن بعد دق أول مسمار انقسامي في جسد التنظيم.

وقد انفرط التكتل بعد أول ضربة وجهها لهم البوليس، ولم يبق منه سوى مجموعة صغيرة التفت حول داود عزيز وسعد زهران ظهرت بعد فترة من الركود الطويل في الوحدة مع نحشم والحقيقة أن المئات الذين خرجوا في التكتل قد خرجوا إلى التكتل ليخرجوا سريعاً بعيداً عن ساحة النضال.

وبرغم أن التكتل هو في الأساس تعبير عن هروب العناصر البرجوازية الصغيرة في وقت الجذر، ولكن هذا تبسيط للأمور فقد كانت القيادة تمتلك عدداً من العيوب فلم يكن هناك وضوح كاف للخط السياسي، كذلك كان هناك أخطاء في عملية التوحيد ذاتها.

وبعد فشل التكتل نشبت الخلافات في صفوف القيادة بين اتجاهين أساسيين اليونسيين نسبة إلى يونس (هنري كورييل) والعادليين نسبة إلى (عادل عبد المعبود الجبلي) وكان قد أعلن الإعداد للمؤتمر ونزل خط اسمي فيما بعد خط القوات الوطنية والديمقراطية، وأذكر أنه كان خطأً عاماً جداً وكان يتكون أساساً من اقتباسات من ستالين وكانت فيه قفزة تشير إلى مناقشات جرت في القيادة حول مسألة هل الحزب هو حزب الطبقة العاملة أم حزب القوات الوطنية والديمقراطية وانتهى التقرير - وهذا هو المثير في الأمور - إلى التأكيد بأن الحزب هو حزب الطبقة العاملة، ولكنه أورد نصوصاً تقول بأهمية العمل وسط القوات الوطنية والديمقراطية وكانت هذه الفترة محور صراع لا مبدئي قال إن الاعتراف بأن الحزب حزب الطبقة العاملة هو اعتراف شكلي وتمسكوا بلفظة عابرة تقول بأن الحزب هو حزب الطبقة العاملة والقوات الوطنية الديمقراطية.

وأنا أقرر بعد هذه السنين أن هذا الصراع كان تعبيراً عن ضعف نظري وخلل في التفكير العام للحركة الشيوعية المصرية عموماً.

فيونس أمسك بقضية مهمة هي قضية المرحلة الثورية، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية وربما امتلك أساس الفهم السليم لهذه المرحلة، لكنه لم يستطع أن يشرح فكرته

بشكل مقنع ولم يقدم لها أية حجج أو أسانيد سياسية ونظرية فالحقيقة أنه لا تتناقش بين كون الحزب حزباً للطبقة العاملة وبين قيامه بمهام الثورة الوطنية الديمقراطية.

أما العادليين فقد كانوا هم أيضاً يتشبثون بعموميات سليمة في أساسها ولكن دون فهم نظري عميق أو حتى كاف وكانوا يرددون نصوصاً بشكل حرفي دون أن يمتلكوا القدرة على تطبيقها على الواقع المصري. ويمكنني القول بأن القيادة ككل لم تكن تمتلك المعرفة النظرية والسياسية الكافية للقيام بمهام المرحلة وفهمها فهماً صحيحاً.

كذلك هناك الأخطاء التي صاحبت عملية الوحدة.

وهناك أيضاً البرجوازيين الصغار الذين توافدوا بكثرة إلى المنظمة خلال فترة مد ثوري عارم ثم ما لبثوا أن تفرقوا سريعاً بعد أول ضربة بوليسية، وحتى العمال كانت غالبيتهم عمال نسيج وهم وافدون جدد من الريف ووعيمهم الطبقي غير كاف.

وهكذا انقسمت القيادة واقعياً إلى مجموعتين اليونسيين وهم الأغلبية ومنهم في القيادة (هنري كورييل (يونس) - كمال شعبان - عبد الخالق محجوب - إيمي ستون (وكانت من ايسكرا) - سيد سليمان رفاعي - كمال عبد الحليم - فؤاد عبد الحليم - أحمد حمروش - عبد الفتاح الهندي والعادليين وهم الأقلية ومنهم في القيادة (عبد المعبود الجبلي (عادل) - محمد شطا (وكان من ح. م) - عبد الرحمن الناصر - عبد المنعم إبراهيم - عدلي جرجس - أحمد حمزة (منتصر) وعامل يسمى حركياً علام.

أما شندي فكان يؤيد العادليين أحياناً ويتخذ موقفاً مستقلاً أحياناً أخرى المهم يمكن القول إن التمايز بين اليونسيين والعادليين كان عودة إلى ح. م. وايسكرا باستثناءات قليلة أهمها انضمام إيمي ستون، وبعض كوادر لجنة الرقابة وعدد من مثقفي ايسكرا مثل محمد الجندي وشريف حتاتة إلى اليونسيين.

وانضمام بعض العمال من أعضاء ح. م مثل محمد شطا (حميدو) وعلام ومنتصر إلى العادليين.

وقد صب العادليون هجومهم على خط القوات الوطنية الديمقراطية أساساً ثم على التنظيم الفئوي وقالوا إنه تجسيد تنظيمي لهذا الخط السياسي بمعنى أن كل قسم في المنظمة هو طليعة للفئة أو الطبقة التي يعمل فيها، ومن ثم فإن الحزب ليس ممثلاً لطبقة وإنما هو تحالف طبقات.

وفي هذه الفترة العصيبة التي سادها ارتباك شامل خرجت مجموعة من قسم المثقفين كقوة ثالثة وأسمنت نفسها صوت المعارضة تدين اليونسيين والعادليين والتكتل الثوري معاً وتطالب بمؤتمر فوري ومناقشات مفتوحة، ولم تكن صوت المعارضة تعتبر نفسها تنظيمياً

مستقلاً بل مجموعة ضغط على القيادة. وقد شاركوا التكتل الثوري في فكرة تبرير العمل التكتلي والاتصالات الجانبية، والنقل الحرفي عن تاريخ البلشفي، وبهذا يبدأ تاريخ الجرائم في حق الماركسية وابتذالها فبدلاً من تطبيقها تطبيقاً خلاقاً على الواقع المصري، تحول الكادر إلى عبادة النصوص دون فهم حقيقي لها إلى درجة أن أول كتاب ماركسي طبعته صوت المعارضة كان "واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس" وقد أكدوا أن ظروف الحركة الشيوعية المصرية تماثل ظروف الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروس ناسين الفارق الضخم واختلاف العهد واختلاف السمات فمصر بلد شبه مستعمر في ذلك الحين وعندها قضية وطنية ملحة، وناسين أن خبرات الحركة الشيوعية عموماً قد تطورت منذ وضع لينين هذا الكتاب.

وكانت قيادة صوت المعارضة من أدويت حزان وزوجها سيدني سلامون وعبد الواحد بصيلة وبعض عضوات قسم النساء وأعضاء قسم الطلبة وانضمت إليهم مجموعات من التكتل الثوري مثل محمد سيد أحمد - توفيق حداد - سعد بطرس الطويل - منير بطرس الطويل - كريم الخرادلي - وعدد كبير من الأجانب.

وفي ظل هذه الظروف اتفق اليونسيون والعادليون على عقد مؤتمر وكان العمل قد توقف تماماً وتفرغ الأعضاء للاتصالات الجانبية وترديد نصوص محفوظة، وكان كل فريق يفكر أنه تكتل. لكن ذلك لا ينفي أنه كانت هناك أقسام بعيدة عن هذا المرض فأقسام الأقاليم والجيش كانت بعيدة عن التكتلات ولم تصل إليها يد الانقساميين فظلت تعمل بنشاط.. والمناخ العام كان يحكمه المناخ العام لمصر كلها التي ساد فيها ركود سياسي، وهدأت حدة الحركة الوطنية التي اشتعلت عام ١٩٤٦، وسادتها الأحكام العرفية والبلبل التي صاحبت حرب فلسطين، والخوف الذي ساد الأعضاء من حملة الهجوم الرجعي المقبلة وتشككهم في قدرة التنظيم على احتمالها. وهكذا تقبل الحركة الشيوعية على فترة الإرهاب الحكومي وهي منقسمة ومفككة وأسرارها مبعثرة.. وأود أن أؤكد أن حدثت كانت بناء كبيراً، وكان انهياره بهذا الشكل تعبير عن وجود مرض عضال وخطأ عام وشامل وعدم قدرة على إصلاح الأخطاء أدت إلى هذه الكارثة.

وفي ظل هذا المناخ أعلنت الأحكام العرفية وفتحت المعتقلات وبدأت حملة اعتقال واسعة ضد الشيوعية شملت المئات منهم وقبض على عدد كبير من قادة المنظمة ومنهم يونس نفسه.

محضر نقاش

س: نريد أن نتحدث ببعض التفصيل عن التكتل الثوري، كيف بدأ وتحت أية حجة؟

ج: الحجة كانت ما أسمى بخط القوات الوطنية الديمقراطية، ولم أسمع عن هذا الخط إلا من أنور عبد الملك فقد كانت المناقشة محصورة في القيادة، ولست أعتقد أن شهدي عطية قد استنفذ وسائل المناقشة داخل القيادة، فبمجرد طرح هذا التقرير اتخذته تكأة للتكتل.

وقد بدأت علاقتي بالأمر في نوفمبر ١٩٤٧ عندما اتصل بي أنور عبد الملك ليدعوني للانضمام للتكتل. وكانت قيادة التكتل تتكون من: شهدي عطية - أنور عبد الملك - سعد زهران - حسين الغمري. وقد سمحوا لأنفسهم بعملية اتصالات واسعة بمختلف الأقسام، ويمكنني أن أقرر أن التكتل قد انتشر بسرعة غريبة.

س: وما هو تفسيرك لهذا؟

ج: لست أعتقد أن السبب كان خط القوات الوطنية الديمقراطية، وإنما أعتقد أن السبب الرئيسي كان تمرد الكوادر المصرية ضد وجود القيادات الأجنبية عمومًا واليهودية خاصة، وأعتقد أن هذا كان العنصر الحاسم، وأعتقد أن الأزمة التي تعرضت لها الحركة الشيوعية في عام ١٩٤٨ كانت نابعة بشكل أو بآخر من هذه المسألة، رغم أن أحد لم يعلنها صراحة.

والحقيقة أن بعض القيادات الأجنبية قد لعبت دورًا في إغلاق المنظمة في وجه المصريين والعمال خاصة، وأذكر مناقشة تمت في الأوبرج (وهو اسم أطلق على بيت على كورنيش سيدي بشر كان يتخذ الأجانب في ايسكرا كموقع للمقابلات والحفلات) وكان عضو أجنبي يسأل شوارتز وكنا لم نزل في ايسكرا هل آن الأوان لتجنيد العمال فهاجمه شوارتز بعنف مستندًا إلى نظرية المراحل المرحلة الأولى تجمع عدد من الأجانب المثقفين بثقافة ماركسية والمرحلة الثانية هي تجنيد عدد من المثقفين المصريين ونقل الوعي الماركسي إليهم، ثم المرحلة الثالثة وهي أن نجند العمال..

وأعتقد أن أزمة الحركة عام ١٩٤٨ كانت تعبيرًا عن مخاض الانتقال من المرحلة الأولى إلى الثانية وكان المفجر هو القضية الفلسطينية، والحملة المعادية حاولت الربط بين الشيوعية والصهيونية وإحساس البعض بضرورة التخلص من هذا الاتهام بالتخلص من اليهود، واعتبر البعض أن وجود اليهود في الحركة قد أصبح عبئًا وقيّدًا على الحركة.. ومن

هذا المنطلق بدأ شهدي، لكنني لا أقول إن هذا هو السبب الوحيد ولكن كان هناك أيضاً إحساس عارم لدى الكوادر بأن القيادة عاجزة وأنها فوتت فرصة الاستفادة من حركة المد الوطني العارم عام ١٩٤٦.

والحقيقة أنه كانت هناك نعمة شوفينية لدى بعض قادة التكتل الثوري مثل سعد زهران وحسين الغمري واستمرت هذه العقدة طويلاً لدى سعد زهران واستمرت معه حتى في مرحلة الحزب الشيوعي المصري. ولعل هذا ما دفع أعضاء التكتل إلى اتباع أسلوب مغامر في سرقة المطابع والأجهزة الفنية والمكتبات من المنظمة، وكل من كان يعارض ذلك كان يتهم بأنه برجوازي وليس لديه حس طبقي. والحقيقة أن أحد لم يشعر بأي قدر من الخوف على وحدة المنظمة، ولا بمخاطر تمزيقها.. لقد جرد قادة التكتل الثوري الأعضاء من إحساسهم بقديسية التنظيم، بل لعلمهم كانوا يشعرون بالسعادة مع نجاحهم في تمزيق المنظمة.. وقد تكون التكتل أساساً من الطلبة والمتقنين بل وانضم إليهم عدد من الأجانب (ربما بسبب العداء التقليدي لأجانب إيسكرا ضد كورييل) والمهم أن التكتل انتشر سريعاً بصورة مخيفة ثم انهار وتفكك بعد أن فكك المنظمة ذاتها.

س: بماذا تفسر ذلك؟

ج: لقد دمروا حدثو وانتهت مهمتهم بذلك، ثم تولدت اتجاهات أخرى ضد كورييل ولكن من منطلقات غير منطلق التكتل الثوري وبعد أن تكرست فكرة الانقسامية بواسطة التكتل ما لبث هو نفسه أن تعرض للانقسامات وتكونت منظمات عدة:

- صوت المعارضة: وقد تكونت أساساً في قسم المثقفين بواسطة أوديت حزان وسدني سلامون ثم انضم إليها سعد بطرس الطويل وفاطمة زكي.
- ن. م. ب: وهم مجموعة طلابية ضمت مصطفى أمين - عبد الغفار خلاف - إلهامي سيف النصر - وميشيل كامل.

وكان تكتيك صوت المعارضة يختلف قليلاً قالوا نحن تكتل ولكن لن نخرج من المنظمة وسنبقى فيها، وكانوا يقولون إن القيادة تكتيكية وكانوا يقولون إن المنظمة تتكون من أربع تكتلات:

اليونسيين - العادليين - ن. م. ب. - صوت المعارضة

ثم انضمت ن. م. ب. مع صوت المعارضة وأخذوا النقيض الفكري لخط القوات الوطنية والديمقراطية وقالوا إنه خط برجوازي وليس شيوعي، ورفعوا شعار تجنيد العمال، ومن لا يصلح لتجنيد العمال لا يصلح لشيء. وعقد مؤتمر في ١٩٤٩ في منزل المستكاوي



وأعلنت المنظمة الشيوعية المصرية م. ش. م. وقد أعلنت منظمة وليس حزب على أساس أنه لا توجد قواعد عمالية كافية. واتهمت م. ش. م. العادليين بأنهم خط توفيق.

س: ما هو مفهومك لخط القوات الوطنية والديمقراطية ولماذا عارضتموه؟

ج: لقد هاجمنا هذا الخط من أرضية جامدة ومتشددة، والهجوم المتشدد سهل طبعًا، ولكن أي نظرة تضع في اعتبارها ظروف هذه المرحلة ترى أنه يمتلك منطقًا له وجاهته (وحركة جماهيرية وطنية وديمقراطية بنواة ماركسية) لكننا رفضنا أي نقاش ورفضنا الأمر رفضًا كهوتيًا.

س: ما هي خبرة م. ش. م.؟

ج: في البداية انتصرت م. ش. م. انتصارًا تنظيميًا ساحقًا، وبعد المؤتمر كسبت قوات عديدة، ولكنها بتمسكها بفكرة انغماس الجميع في تجنيد العمال وقعت في قبضة البوليس وتساقط الأعضاء بالجملة ثم بدأت عمليات مستمرة من القبض، وكنتيجة لهذه السياسة المغامرة كانت عضوية المنظمة في يناير ١٩٤٩ حوالي ٥٠٠ عضو، وبلغت في يناير ١٩٥٠ حوالي ٣٠ عضوًا.

س: ممن كانت تتكون قيادة م. ش. م.

ج: أوديت حزان - سيدني سلامون - فاطمة زكي - ميشيل كامل - توفيق حداد. وعندما قبض على ميشيل كامل دخلت أنا إلى القيادة. ويمكن القول إن القيادة أصبحت ثلاثية أوديت وسيدني وأنا لكنها في واقع الأمر كانت ثنائية فأنا لم أكن ألعب أي دور قيادي.

وقد انهمكت قيادة م. ش. م. في تدمير الكوادر وتحطيمهم.

وقبل القبض علينا أنزلت أنا من القيادة وأصبحت القيادة أوديت وسيدني.. وأود أن أقدر أن أوديت إنسانة مخلصه ولكن أوضاعًا ما يمكنها أن تؤدي إلى حالة كهذه ولكنني أعرف أنها في فترة ما كانت على علاقة شخصية بشخص له علاقة بالمباحث.

س: ثم ماذا ؟

ج: عندما قامت ثورة يوليو قالت إنها حركة فاشية وأن الحل هو التوقف عن العمل ونقيم اتصالات فردية ونعود إلى كلياتنا ودراستنا ونوسع من إطار علاقاتنا.

وبعد زواجها من المستكاوي قررت السفر للخارج لتلعب دور النواة الحزبية من الخارج ولما قامت عقبات في سبيل سفرها تنازلت عن الجنسية المصرية وسافرت ولم تعد..

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٥ سبتمبر ١٩٨٣

س: كيف بدأت خطواتك السياسية الأولى، وكيف أصبحت شيوعياً؟

ج: نشأت في أسرة من المنيا لم تكن بعيدة عن السياسة، ولعله ليس مصادفة أن أسموني سعداً وقد ولدت بعد وفاة سعد بأقل من عام ولي أخت توأم أسميت صفية. أبي ضابط سابق بالجيش، وهو سليل أسرة إقطاعية ولكنه بدد أمواله، وكان يمتلك إعجاباً زائداً بغاندي. وكانت الأسرة تضم وزيراً وفدياً هو الفريق علي باشا فهمي الذي دخل الوزارة عام ١٩٣٦.

وهكذا نشأت في أسرة إقطاعية فقدت أموالها، بكل ما يعنيه ذلك من تمسك بالكرامة، والترفع ومحاولات الاستمرار في الظهور بالمظهر القديم، وكان أبي صديقاً لهيلاس لاسي إمبراطور الحبشة وعندما قامت إيطاليا بغزو الحبشة قام بصفته ضابط سابق بتكوين مجموعة مسلحة لمساعدة الأحباش وسافروا فعلاً إلى السودان في طريقهم إلى الحبشة لكن الإنجليز أعادوهم من هناك..

أسلوب الأسرة وطريقة تفكيرها ومحاولاتها للترفع دفعنتني إلى أن انتهج خطأ معاكساً. أثناء الحرب بدأ أبي كجندي سابق يبدي إعجاباً متزايداً بالعسكرية السوفيتية ويتابع صمودها ثم انتصارها على النازي باهتمام زائد.

دخلت المدرسة السعيدية الثانوية وفي السنة النهائية منها بدأت أتابع مع بعض زملائي قراءة كتب طه حسين وتوقفنا باهتمام أمام روايته المعذبون في الأرض.. وبدأنا ندخل في مناقشات سياسية ونعرب عن كراهيتنا للملك.. وكان معنا في المدرسة حمدي عبد الجواد - فؤاد عبد الحليم - أحمد شوقي الخطيب.. وأخبرنا حمدي عبد الجواد أن بدأ يتردد على دار الأبحاث، وبدأ يحضر لنا مجلة أم درمان وقرأت قصيدة كمال عبد الحليم الشهيرة التي نشرت في مجلة الكاتب المصري، وجندني حمدي عبد الجواد إلى منطقة القلعة وفي مظاهرات ١٩٤٦ شاركت بجدية. وفي أحد المظاهرات لمحني حمدي عبد الجواد فأبلغني أن فترة ترشيحي قد اختصرت وأصبحت عضواً. وإن كنت لم يتم ضمي إلى مجموعة.



وانشغلت بالذاكرة وتباعدت قليلاً حتى حصلت على الثانوية ودخلت كلية الطب.
وعرفني حمدي عبد الجواد على فتحي خليل فقد كانت القلعة قد اتحدت مع ايسكرا.. وحضرت
أول اجتماع في منزل جمال غالي مع مجموعة من كلية العلوم أذكر منهم فخري لبيب.
ثم التحقت بخلية إعدادي طب وكان تضم مصطفى أمين، ميشيل سعد، مكرم صليب،
وأنا وكان مسئولنا فتحي خليل.

ويمكن القول إنها كانت فترة مجيدة من فترات النضال، فقد كنا نعمل في الشارع
بحماس، كنا نوزع مجلة الجماهير ونناقش الناس بحماس في محتوياتها أثناء التوزيع،
واشتركنا في لجان مكافحة الكوليرا، وكان منزلنا في الجزيرة خالياً فترة الصيف فحولته إلى
مقر لرابطة الطلبة المصريين، وانغمست لجان مكافحة الكوليرا في عمل جماهيري واسع في
الأحياء الشعبية، وتعاوننا في ذلك مع لجنة الوفد في مصر القديمة وكان من أعضائها البارزين
أنور زعلوك، ومصطفى أغا وبتوجيه من المنظمة دخلنا لجنة الوفد، وانتخبت سكرتيراً للجنة
مصر القديمة.

وبعد ذلك أصبحت عضو لجنة فرع مصر القديمة والروضة، وكان مسئولنا عبد
العزیز أحمد فؤاد (مهندس) ثم آمال المرصفي (أصبح فيما بعد ضابطاً بالجيش وعضواً
بالضباط الأحرار).. كان هذا في فترة الصيف، وعندما بدأ العام الدراسي تركت فروع الأحياء
وعدت إلى منظمة كلية الطب وكان مسئولها عبد الواحد بصيلة وكان عددنا في الكلية حوالي
عشرين عضواً منظمين في عدة خلايا وكانت خليتي تضم منير بطرس الطويل - يوسف
إدريس - صلاح حافظ - محمد يسري أحمد - إبراهيم فتحي - فتح الله ناجح وأنا.

وذاث يوم شاهدني، زكي مراد وأنا أقود مؤتمراً ناجحاً في كلية الطب في بداية عام
١٩٤٨ فأوصى بتصعيدي إلى لجنة قسم كلية الطب، وكانت تضم عبد الواحد بصيلة - عبد
الغفار خلاف - منير بطرس الطويل - عمر محمد إبراهيم (سوداني) وأنا. وكان زكي مراد
مسئول لجنة القسم.

ثم ما لبثت الأزمة التنظيمية أن انفجرت في حدثو، وبدأت أثارها تمتد إلينا، وكان
زكي قيادي صلب ومتشدد وكان يمثل القيادة اليونسية.. وأفلت الموقف منه وبدأت الاتصالات
الجانبية على أشدها.

وكنيت في هذه الفترة في سنة أولى طب ولم يكن عندي امتحان فتفرغت تماماً للعمل.
ونتيجة للاتصالات الجانبية تكونت مجموعة متقاربة ترفض القيادة اليونسية وترفض التكتل
الثوري وكانت تضم عبد الغفار خلاف (طب) مصطفى أمين (تجارة)، حسين أمين (حقوق)،
ميشيل كامل (طب أسنان) وكان معنا عامل اسمه عبد السلام زكي، وضعنا آلة طبع خشبية

(رولو) ومارست أول عملية طبع في منزل منير الطويل، وكانت تساعدني سعاد الطويل، وأصدرنا نشرة داخلية خاصة بكلية الطب وكان اسمها "شيوعيو كلية الطب" (ش. ط. ب.).

وأصدرنا نشرة بعنوان نحو منظمة بلشفية (ن. م. ب.) وكنت أنا أكتب بمفردي كل المطبوعات وأطبعها وصدرت عدة نشرات من ن. م. ب. وكانت تتميز باليسارية والصبيانية والمراقة، ولعل هذا كان طابعنا جميعاً وإن كنا لا نفتقد الإخلاص.. لكننا برغم إخلاصنا لم نكن نعرف حجم الجريمة الذي نرتكبها ولا كم العبث الذي نردده.

وكنا نعيش حالة من الضياع كجنود لا قادة لهم والتقينا بمجموعة "صوت المعارضة" وكانت مجموعة تقوم بمعارضة من داخل المنظمة وترفض الخروج منها، لكنها كانت تمارس كل أشكال الاتصالات الجانبية والتخريب التنظيمي وكانت تضم: أوديت حزان - سيدني سلامون - توفيق حداد - فاطمة زكي - عبد الواحد بصيلة - عبد المنعم الغزالي - عزت عبد الغفور وزوجته سعدية عثمان.

وعقدنا اجتماعاً مشتركاً حضر فيه ميشيل كامل - مصطفى أمين - وأنا من ن. م. ب. وأوديت حزان، سيدني سلامو، عبد الواحد بصيلة واتفقنا على الانضمام إليهم دون شروط.

وأسمت القيادة الجديدة نفسها باللجنة التحضيرية ودعت الخلايا لانتخاب ممثلين للمؤتمر، لكن الانتخاب كان شكلياً فقد كانت القيادة ترشح المندوب وعلى الخلية انتخابه وقد رشحتني القيادة وانتخبت للمؤتمر الذي انعقد إما ٢٨ أو ٢٩ ديسمبر ١٩٤٨ بعد مقتل النقراشي وسليم زكي وكانت أجهزة الأمن منهمكة تماماً في تعقب الإخوان وكان المؤتمر مكوناً من ٣٠ عضواً جزء منهم لم يحضر ليكون احتياطي للقيادة في حالة القبض على المؤتمر، وعقد المؤتمر في شارع نخلة المطيعي بمصر الجديدة.

وعرضت على المؤتمر وثائق "برنامج - لائحة - تقرير سياسي" وكانت الوثائق صبيانية بصورة تثير السخرية، وأكد البرنامج أن البرجوازية كلها خائنة بكل أجنحتها أما اللائحة فكانت صبيانية أيضاً. وسيطر على المؤتمر شخصان أوديت وسيدني والمناقشات كانت شكلية تماماً، والجميع خضعوا لهم ولآرائهم الصبيانية خضوعاً مبنياً على الانبهار والتسليم بتفوقهم النظري.

استمر المؤتمر ثلاثة أيام وانتخب قيادة من سيدني سلامون (مسئول سياسي)، أوديت حزان (مسئول تنظيمي) فاطمة زكي - ميشيل كامل، توفيق حداد (ولم يحضر المؤتمر لأنه كان ضمن الاحتياطي الذي تقرر عدم حضوره)، ولكي يتضح مدى حقيقة الشعارات فالمنظمة التي أعلنت من المؤتمر وأسمت نفسها المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م) والتي رفعت



شعار ١٠٠% عمال كانت قيادتها كلها لا تضم عاملاً واحداً وكانت المسؤولية السياسية والمسؤولية التنظيمية في يد اثنين من الأجانب.

وما أن انفض المؤتمر حتى بدأت عقدة الزعامة تسيطر على أوديت، وبدأت مرحلة من الدكتاتورية المفرطة بل والمدمرة وانفردت هي بكل قرار والآخرين جميعاً أقزام. وما لبث أن طردت أعضاء القيادة..

واعتقلت مايو ١٩٤٩ وأفرج عني في فبراير ١٩٤٩ حيث عدت للتنظيم لكن الممارسات كانت غاية في الفجاجة والصبيانية وتركت م. ش. م، تركتها لأنني اقتنعت أن هذه المنظمة ليست بأية حال منظمة ثورية ولم أرغب في أخذ أي موقف مسرحي ولم أجد معي في مجموعة الإسكندرية من يستحق أن أناقشه فتركته في هدوء وعدت إلى القاهرة وقد عقدت العزم على ألا أعود للدراسة وألا أعود للأسرة وإنما أتفرغ للنضال.

وكان ميشيل كامل هو أول من قابلت وكان منهاراً انهياراً كاملاً وفاقد لأي قدرة على عمل شيء، لدرجة أنني قلت له سأعطيك موعداً فإن لم تحضر سأعتبر أنك تركت النضال.. ولم يحضر في الموعد، وقد توقف فعلاً عن النضال.

واتصلت بأعضاء من طليعة العمال وآخرين من النجم الأحمر ولم أفتتح بوجهة نظرهم، وقابلت مبارك عبده ثم مع سيد سليمان رفاعي وتقدمت لهما بطلب قبولي كمرشح وأن يعملوا على إعادة تكويني.. وبدأت عملي التنظيمي في يناير ١٩٥١.

وتولى مسئوليتي عمر محمد إبراهيم (سوداني) وكان مسئولاً للأقسام العمالية فقابلني بمحمد علي عامر حيث عملنا سوياً في قسم الزيتون والمطرية.

وفي يونيو ١٩٥١ أبلغني سيد سليمان رفاعي أنني أصبحت مسئول قبلي، ولم يكن لحدث اتصال كبير فقط اتصال محدود بالفيوم وآخر بأسبوط وعنوان بقنا وسرعان ما اتسع النشاط وأصبحت لنا قواعد جادة ومنتسعة في الفيوم وأسبوط والمنيا وصدر قرار بتصعيدي إلى اللجنة المركزية ممثلاً للنشاط في قبلي وفؤاد حبشي ممثلاً للنشاط في بحري وأصبحت ل. م ١٣ عضواً.

ثم كلفت أنا وعبد المنعم الغزالي ببحث إمكانيات استئناف الكفاح المسلح في القنال وسافرنا إلى بورسعيد وبدأنا نشاطاً ملحوظاً وأخذنا في تأسيس منطقة حزبية بالقنال.. حتى قبض علي في مارس ١٩٥٢ وبقيت في السجن حتى عام ١٩٥٦.

* * *



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٣-٦-١٩٧٥

س: كنت عضوة في منظمة ايسكرا، ومن هنا فإنني أريد أن أبدأ مناقشاتي معك عن تلك الملاحظات التي أبدتها لي أعضاء منظمة ح. م. والتي كرروا فيها قولهم أن "ايسكرا" كانت منظمة تضم الكثيرين من الأجانب وأيضاً الأغنياء وأنها كانت تهتم أساساً بالتنقيف وليس بالنضال العملي وأنها كانت تقيم حفلات ترفيهية... إلخ ما هو رأيك في هذه الملاحظات؟

ج: حقيقة كان هناك كثير من الأجانب وهذا انعكاس طبيعي لمرحلة تاريخية معينة والأجانب أغنياء وهم مثقفون ومعزولون عن جماهير الشعب المصري، أقصد أن هذه الملاحظات كانت ظواهر طبيعية لمرحلة البداية، ومن الطبيعي عندما يبدأ هؤلاء الأجانب في تجنيد مصريين فإنهم يتصلون أولاً بالمتقنين وربما بأبناء الأغنياء من المصريين وهكذا كان الصف الأول من الشباب المصري الذي دخل ايسكرا من أمثال جمال غالي - عبد الرحمن الناصر - وعبد المعبود الجبلي - وأحمد شكري سالم - وشهدي عطية، ومن خلال هؤلاء بدأ النشاط يتلامس مع عناصر من المتقنين من أبناء البرجوازية الصغيرة.

أما الحفلات فهي مسألة مبالغ فيها، كانت هناك حفلات ورحلات ولكنها كانت محدودة ومنظمة ومفيدة في بعض الأحيان، وأذكر الآن حفلة أقيمت في ٧ نوفمبر ١٩٤٦ بمناسبة ثورة أكتوبر وقد حضرت الحفلة وقد أقيمت في منزل زميل أجنبي هو أرمان بليسي وكان المنزل شديد الفخامة وفي حي راق هو جاردن سيتي ولست أنكر دهشتي لدى دخولي المكان لكن الشيء الهام أن هذه الحفلات كانت قليلة وبمناسبات محددة..

وبرغم كل شيء فإن هذه العناصر سواء من الأجانب والمتقنين أو أبناء الأغلبية قد أثبتت في كثير من الأحيان نضاليتها، والذي أريد أن أوضحه أن ذلك كان طبيعياً في المرحلة الأولى.

أما عن الاهتمام بالتنقيف فهذا صحيح ولقد قضيت عاماً كاملاً أدرس الكتب الماركسية وألخصها أمام مجموعتي ولم أمنح العضوية إلا بعد هذه الدراسة الطويلة والمركزة، ولست أعتقد أن ذلك كان أمراً ضاراً، وخاصة في البداية، فإذا كانت المرحلة تتطلب تربية كوادر مصرية فقد كان من الضروري الاهتمام بتنقيف هذه الكوادر، كذلك فإنني أؤكد أن ذلك لم يقلل من نضالية الأعضاء فقد انطلقنا للعمل في الجامعة وغرسنا فيها أساليب جديدة للعمل وحتى



تلك الألفاظ التي لم يكن يسمع بها أحد مثل الإمبريالية والبروليتاريا - البرجوازية.. إلخ والتي كانت مثار سخرية الكثيرين في البداية أصبحت متفاوتة بشكل طبيعي في أوساط الطلاب.

س: أريد الآن أن أنتقل إلى مرحلة التكتلات والانقسامات في حدثو فما هي معلوماتك عن هذه المرحلة؟

ج: كان شهدي هو أول من استخدم التكتل، وبعد إعلان خط القوات الوطنية الديمقراطية بدأنا نحن نتمرد وتمردنا على شكل التنظيم الفئوي، ولكننا كنا ندين الانقسام ونسعى للضغط على القيادة وإجبارها على عقد مؤتمر لنقد الخط السياسي ومحاسبة القيادة، وهكذا تكون تكتل صوت المعارضة و "صوت المعارضة" كانت نشرة وليست اسم منظمة ولها لجنة لتحرير النشرة كانت تتغير من عدد لآخر لكنني أذكر العناصر الأساسية في لجنة النشر كانت أوديت حزان - سيدني سلامون (اسمه الحركي عدلي) محمود المستكاوي - سعد بطرس الطويل - محمد عباس سيد أحمد - رضا اسكندر وأنا.

وبعد ذلك اتحدت ن. م. ب (نحو منظمة بلشفية) مع صوت المعارضة. وعقدنا المؤتمر في نهايات ديسمبر ١٩٤٨ وأذكر أنه أنهى أعماله في ليلة مقتل النقراشي باشا، وقد عقد المؤتمر في شقة قمت أنا باستئجارها في شارع نخلة المطيعي بمصر الجديدة، وتم تجميع أعضاء المؤتمر وإرسالهم إلى مقر الاجتماع بصورة ناجحة تماماً.

وأذكر أن الذي تزعم المعارضة لاتجاهات أوديت في المؤتمر كان مصطفى أمين. وفي نهاية المؤتمر انتخبت لجنة مركزية من أربعة أوديت - سلامون - ميشيل كامل - أنا وعندما قبض على ميشيل كامل حل محله محمد سيد أحمد.

س: من كان المسئول في اعتقادك عن ذلك الموقف المتشدد والعنيف تجاه المنظمات الأخرى الذي اتخذته منظمة م. ش. م؟

ج: أوديت ألوا ثم سيدني سلامون.

س: هل يمكن أن تتحدثي عن بعض مواصفات أوديت التي منحتها مثل هذه السطوة على الكوادر؟

ج: قوة الشخصية، التفاني في العمل، القدوة في التقشف الشديد في الحياة.

س: هل لك من ملاحظات على أسلوب أوديت في العمل؟

ج: كانت عنيفة جداً وصارمة للغاية واتبعت تجاه الكوادر أسلوب الإرهاب والضغط الشديد وانتقل هذا الأسلوب منها إلينا فكننا نعامل الكوادر والقواعد بنفس العنف والضغط.

س: أين عملت في م. ش. م؟

ج: في الفترة الأخيرة كنت مسئولة منطقة الإسكندرية وكان معي في المنطقة أريك رولو وسعد الطويل ثم جاء "نينو" ليعمل معنا، وقد قمنا بنشاط هام واشتركنا في معارك جماهيرية خاضها عمال الميناء ولعبنا دورًا هامًا في إضراب عمال سباهي الشهير..

س: سمعت أنه قد صدر قرار بتنزيلك من عضوية ل. م. إلى مرشحه، كيف تم ذلك؟

ج: أتى "نينو" ليعمل معنا بالإسكندرية ويبدو أنه أرسل بعض ملاحظات ضدي إلى القيادة بالقاهرة وكانت أوديت ترى أنني أخطأت لأنني لم أتوجه فور القبض على كريم الخرادلي إلى منزله لتفتيشه وإخلائه من الأوراق التي قد يهتم بها البوليس وفجأة وصل من القيادة خطاب مغلق مكتوب عليه لا يفتح إلا في اجتماع لجنة المنطقة وفتح الخطاب في الاجتماع فإذا به قرار بتنزيلي إلى مرشحه..

وعلى هذا المنوال كانت أوديت تقود المنظمة بإصدار قرارات عنيفة وصارمة أدت إلى تدمير الكثيرين.

س: ما هي الأسباب التي أدت إلى تصفية م. ش. م في اعتقادك؟

ج: التطرف اليساري في السياسة والتنظيم، وشعار ١٠٠% عمال أدى إلى ارتكاب حماقات كثيرة فقد فشلنا في ضم عد كاف من العمال وامتنعنا عن تجنيد أعضاء من فئات أخرى وكان أسلوب التجنيد في العمال غير مجد، وحقيقة كان الشبان والشابات يقفون على أبواب المصانع ليجندوا العمال، وكان طبيعياً أن يفشلوا وأن يكونوا مثاراً للسخرية وأن يتسلل البوليس عن هذا الطريق..

كذلك كان هناك سبب آخر هو شخصية أوديت الطاغية والتي عملت على تخويف الكوادر من بعضها البعض وضربها ببعضها البعض، فقد فرضت سيطرتها وعاملت الجميع بقسوة بالغة وقتلت فيهم روح المبادرة.

س: وماذا عن دور سيدني سلامون؟

ج: هو كان مثقف جيد من الناحية النظرية، وكان هو العقل النظري أما أوديت فكانت بارعة في المناورة والتكتيك العملي وكانت قوية الشخصية وتفرض إرادتها على الجميع بما فيهم سيدني سلامون نفسه.

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٣-٦-١٩٧٥

س: أريد أن أتحدث معك حول نقطة محددة هي جهاز الرقابة في المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م.) الذي كنت عضواً في قيادته، فهل يمكن أن توضح لنا ماذا كانت مهام هذا الجهاز.

ج: كان الهدف الأساسي من هذا الجهاز هو عمل تقييم مستمر لكل عضو في المنظمة وحصر الكفاءات والإمكانات ومتابعة تطور العضو ومدى استيعابه ودراسته للنظرية الماركسية، وكذلك كان الجهاز يضطلع بالمهام المتعلقة بأمن المنظمة وبحث الشكوك التي قد تثار حول الأعضاء وكذلك التحقيق مع الأعضاء الذين قد تنسب إليهم مخالفات تنظيمية.

وفيما أتذكر أنه كانت لدى لجنة الرقابة جداول معلومات تتضمن بيانات عن العضو - تاريخ انضمامه - معرفته للغات - معرفته للعمل على الآلة الكاتبة. معرفته للعمل على أجهزة الطباعة - مدى دراسته لوثائق المنظمة ومحاضراته التثقيفية.. إلخ.

س: كيف كانت لجنة الرقابة تمارس نشاطها؟

ج: في كل خلية من خلايا المنظمة كان هناك عضو تابع للجنة الرقابة لا يعرفه الأعضاء وهذا العضو متصل مباشرة بجهاز الرقابة ويقدم تقارير دورية عن كل عضو في مستواه وتطورات الإيجابية والسلبية ويبلغ عن أية شكوك حول الأعضاء.

س: ممن كانت تتكون لجنة الرقابة المركزية؟

ج: من ثلاثة أشخاص المهندس رضا اسكندر (الذي انسحب بعد فترة وجيزة لرفضه القرار الصارم للمنظمة بضرورة احترام كل الكوادر الأساسية) وفتاة أجنبية لا أذكر اسمها وأنا.

س: وماذا عن علاقتكم باللجنة المركزية؟

ج: مندوب من اللجنة المركزية كان يتصل بمسئول اللجنة ويتسلم منه المعلومات ويبلغه بتوجيهات اللجنة المركزية.

س: هل نجحت هذه التجربة في اعتقادك؟

ج: الحقيقة أن الفترة كانت وجيزة جداً، ولم تتح فرصة حقيقية لهذا الجهاز كي يعمل، لأن الضربات توالى بسرعة.

س: أريد أن أوجه لك سؤالاً هاماً هو: لقد كانت م. ش. م في فترة من الوقت أكبر المنظمات الشيوعية وأكثرها تجميعاً للكوادر الأساسية فلماذا صفيت - وبشكل تام - وبسرعة كبيرة، أقصد لماذا لم تستطع هذه المجموعة من الكوادر التي كانت تتقد حماساً أن تصمد وأن تواصل العمل؟ والذي يهمني هو أن كثيراً من المنظمات قد وجهت لها ضربات بوليسية قاصمة، حدثت مثلاً بعد كل هذه الانقسامات في عام ٤٨-١٩٤٩ وبعد حملات القبض والاعتقال وبعد أن تبقى لها خارج السجون أفراد معدودين عادت في الخمسينيات أقوى مما كانت فلماذا لم يحدث نفس الشيء لمنظمة م. ش. م؟

ج: سأجيب على سؤالك بصراحة ولكن في حدود معلوماتي، وأرجو أن تعتبر أن معلوماتي هي معلومات هامشية لأنني وبسبب ظروف خاصة (وضع والذي الخاص) كنت غير مندمج في العمل الداخلي ومع ذلك استطيع أن أقول إن هناك عدة عوامل أدت إلى تصفية المنظمة منها:

- ١- الخط اليساري في السياسة.
 - ٢- الخط اليساري والتصفوي في التنظيم.
 - ٣- الضربات البوليسية والقبض على عديد من الكوادر.
 - ٤- الموقف الانقسامي تجاه المنظمات الأخرى والذي اتسم بالتطرف والانعزالية بل والطفولية والذي وصل إلى درجة اتهام الجميع بالبوليسية ومنع مسجون م. ش. م. من مجرد التكلم معهم باعتبارهم عملاً للبوليس.
- ويدخل ضمن الخط التصفوي القول بشعار ١٠٠% عمال فقد كان مضحكاً إرسال فتيات أجنبيات أو شبان من أسر ارستقراطية ليقفوا على أبواب المصانع بهدف تجنيد العمال وطبعاً المنظمة لم تستطع أن تجند عمالاً بينما أفلت أبوابها أمام الثوريين من العناصر الأخرى وذلك في الوقت الذي توالى فيه الضربات البوليسية وهكذا حدث النزيف الذي لم يعوضه قادمون جدد وانتهى الأمر بالتصفية.

كذلك يدخل ضمن الخط التصفوي في التنظيم ذلك العنف البالغ في معاملة الكوادر وتجريدهم من أية قدرة على مناقشة القيادة وسلبهم وبشكل كامل القدرة على المبادرة أعرف حالة مثلاً لعضوه في اللجنة المركزية نزلت إلى مرشحة، ودونما سبب واضح ودون تحقيق.

س: حسناً كل ذلك يؤدي إلى ضرب المنظمة، وإضعافها، لكن لماذا تفرق الجميع بعد ذلك وتبدد هذا الكم الكبير من الكادر؟

ج: الحقيقة أن أسلوب قيادة أوديت - سلامون كان غريباً وشاذاً فقد شككوا كل إنسان في الآخر، وأخضعوا الجميع لكهنوت تنظيمي صارم، لدرجة أن أي كادر كان يخشى الاتصال بأي زميل آخر لأنه لا يعلم موقف التنظيم منه أو تطور هذا الموقف، هل تتصور أنني وبوليس لطف الله اشتركنا معاً في عام ١٩٥٤ في مكتب للمحاماة واتفقنا على ألا نتكلم في السياسة لأن أحدهما لا يعلم موقف المنظمة من الآخر.

ولا يمكنني أن أفسر ذلك إلا بالنزعة البرجوازية الصغيرة والذاتية المفرطة لقيادة أوديت - سلامون التي كانت تحرص على تدمير أي كادر يمكنه أن يتطور ليهدهد مراكزها القيادية وعندما أصبح العمل صعباً وقبض البوليس على أوديت وسلامون وأخذوا يستعدان لمغادرة مصر، صمما - فيما يبدو لي - على تصفية المنظمة وتفكيك روابطها من منطلق ذاتي.. لقد أخذوا يشيعان أن التنظيم امتلأ بالبوليس وبما أنهما ينويان السفر للخارج أي بما أنهما لن يستطيعا قيادة المنظمة، فإنه لا يمكن أن تبقى منظمة.

لقد تمت تصفية التنظيم عن عمد من جانب قيادة أوديت - سلامون فقد قطعوا كل روابط المنظمة وعن عمد وحرصاً على تشكيك كل إنسان في الآخر وظل وهم موقف التنظيم محلقاً على رؤوس الجميع.

أما مثلاً ظللت متصلاً بالتنظيم حتى أغسطس ١٩٥٢، ثم فجأة قطع الاتصال دون سابق إنذار، وظللت انتظر وأنا لا أعلم أن التنظيم قد صفى وظللت حتى عام ١٩٥٦ وأنا أتصور أن التنظيم قائم، وأحاول أن أبحث عنه، وأرفض الاتصال بأية منظمات أخرى.

والحقيقة أن أحد أسباب التصفية أيضاً هو أن قيادة أوديت - سلامون كانت تطبق نظرية تطهير الحزب تطبيقاً أعمى وبغير ضوابط بحث توالى عمليات الفصل لمجرد تخويف الأعضاء وإرهابهم وبحيث أصبح كل إنسان يتصور أن الآخر ربما يفصل في أحد حملات التطهير.

وباختصار فإن القيادة أوديت - سلامون قد صفت المنظمة عن عمد وحرصت وهي تصفيها على ضمان عدم استمرارها فيما بعد..

تقول إن حدثت عادت رغم الضربات، هذا صحيح، لأنه كانت هناك رغبة في الاستمرار، ولم يكن هناك تعمد للتصفية من جانب القيادة، واستمرت حتى اللافتة التي استطاعت أن تجمع الأعضاء حولها فيما بعد.

س: وماذا بعد ذلك؟



ج: استمر الحال على هذا الوضع كوادرم. ش. م. تخشى الاتصال ببعضها البعض على وهم أن التنظيم قائم وأنه ربما اتخذ موقفًا من هذا الكادر أو ذاك حتى كان تأمين القناة في هذه الأيام اتصل بي على الشلقاني وتصارحنا ودعاني إلى إعادة تجميع الكوادر والأعضاء والعمل وبدأنا في التجمع. وقررنا ألا ننضم إلى منظمة إلا على أساس توحيد كل الشيوعيين، وكانت أفكارنا بشكل عام أقرب إلى أفكار منظمة "الرأية" وهكذا انضمنا إليها قبل الوحدة بعدة أسابيع..

س: هل ثمة أشياء أخرى ترى أنه من المفيد تسجيلها؟

ج: أريد أن أعود إلى أسباب تصفية المنظمة، وفي تقديري أن الجرعة المكثفة جدًا من عبادة الفرد في منظمة م. ش. م. قد ربت الأعضاء والكوادر بروح الخضوع المطلق للقيادة ونفت منهم روح المبادرة ومن ثم فعندما اختفت القيادة لم يجد أحد القدرة على المبادرة أو محاولة التطلع للحلول محلها.

س: حول من كانت تتركز عبادة الفرد هذه؟

ج: حول أوديت أساسًا ثم سيدني سلامون.

س: لماذا؟ وما هي مميزات أوديت هذه التي اكتسبتها كل هذا القدر من "عبادة الفرد"؟

ج: لا أعرف، وربما كانت قوة الشخصية والإصرار والقُدوة، فهي كانت تدعو الجميع إلى تكريس كل جهودهم وكل وقتهم للمنظمة وكانت تفعل ذلك وكان الجميع يشعرون أنها تهبط حياتها للعمل.. وفي هذا الصدد أقول إنه برغم كل السلبيات التي أدت إلى تصفية م. ش. م. إلا أنه كانت هناك ناحية إيجابية هي دفع الأعضاء إلى ما يشبه "التطهر" و "التفاني" في الولاية للتنظيم ولو أن قيادة أوديت - سلامون استخدمت هذا الولاء من جانب الأعضاء في اتجاه تصفوي أدى إلى تصفية المنظمة.

* * *



محضر نقاش

أجريت المناقشة في أثينا بتاريخ ١٠/٣/١٩٧٦

س: كيف بدأت رحلتك مع الشيوعية؟

ج: انضمت إلى المجموعة اليونانية التابعة لقسم الأجانب في حدتو.

س: متى؟

ج: حوالي مايو ١٩٤٨ أي مع بداية تفجر الأزمة السياسية ومع بداية ظهور الانقسامات في الحركة.

س: هل تذكر أسماء زملاء آخرين في المجموعة اليونانية هذه؟

ج: كنا كثيرين أذكر منهم: بيتر زوريو، تاكيس بباروديتس، فيفي كانا، الأخوين ياناكاكس، ديانيتس، ليفكي.. وكان مسئول المجموعة يابيتس كارافولوس.

ج: كم كان عدد أعضاء المجموعة؟

ج: حوالي ٢٠ عضوًا، وكانت المجموعة تابعة لدائرة الأجانب، وكانت نشرات المنظمة تصلنا بالإنجليزية ثم نترجمها إلى اليونانية ونطبعها بالبالوطة. وعندما انضمت إلى المجموعة كانت قيادة هذه المجموعة قد انقسمت بالفعل وانضمت بالعضوية التابعة لها إلى كتل صوت المعارضة، وفي نهاية ١٩٤٨ حضر ممثل عن المجموعة في مؤتمر م. ش. م. وفي هذه الأيام ومع تردي الأوضاع وتحول المنقسمين من ادعاء الثورية إلى الهروب من الكفاح بدأ شعار يرفع في دائرة الأجانب مؤداه أننا أجانب وليس لنا دور في مصر ومن ثم لا مبرر لبقائنا في التنظيم، وتقريبًا غالبية المجموعة اتجهت هذا الاتجاه أما أنا والأخوين ياناكاكس فقد قررنا البقاء في ساحة النضال ورفعنا شعار حيث توجد تناضل.

وفي هذه الأثناء كانت الحرب الأهلية اليونانية مشتعلة وكانت القوى الديمقراطية تعاني من اقتراب الهزيمة وهنا رفع شعار انضموا إلى الجيش الديمقراطي اليوناني وسافر من المتبقين معنا بافيس كارافولوس، أيلبوس ياناكاكس.. وبقي في المجموعة أنا والأخت ياناكاكس وليفكي. وفي ١٩٤٩ قبض على الأخت ياناكاكس ورحلت من مصر.

ومن صوت المعارضة انضمت إلى م. ش. م. وأصبحت مسئول خلية عمالية في مصنع إيديال، وكان محمد عباس فهمي هو مسئول قسم شبرا الخيمة وبعد فترة انقطع اتصالنا



بالمنظمة وبقينا وحدنا. كان ذلك في أواخر ١٩٤٩ أو أوائل ١٩٥٠، لكنني استمررت أمارس عملي مع المجموعة أعددت بضعة محاضرات من كتاب ليونتييف، كما كنا نناقش القضايا السياسية العامة، كانت الخلية من اثنين وأنا كمسئول ثم جندنا رابع..

وانتهت الأحكام العرفية ونحن لا نجد أي اتصال وبدأ الكفاح المسلح في القنال ونحن منقطعون ولا نشعر بأي أثر للمنظمة وبدأنا نحس بوجود حدثو مرة أخرى وبدأت مصر تموج بتحريك ثوري، وحاولنا نحن أن نتحرك فأعدنا منشورًا وكتبناه بالكربون بخط اليد لكن الكميات كانت محدودة.

.. وبالمصادفة قابلت في سينما ديانا مسئولنا السابق محمد عباس فهمي لكنه أبلغني أنه ترك التنظيم، ثم أوصلنا بسعد رحمي لكن سعد رحمي ما لبث أن انضم لحدثو..

وبعد فترة اتصل بي نور سليمان جاسر وكان في السابق مسئولاً في م. ش. م. فأتى لنا كمسئول وقدمت له كشف حساب عن الفترة السابقة، ومن بين ما قلته أننا عندما فقدنا الاتصال حاولنا الاتصال بحدثو في محاولة للبحث من خلالها عن علاقة مع ش. م. لكن نور ثار واتهمني بالبوليسية ولكن يبدو أنه هو نفسه لم يكن مقتنعاً بهذه السخافات التي كانت تتمسك بها م. ش. م. فعاد للاتصال بمجموعتنا واتصلنا بليفكي وبرفيق إيطالي جي مينتاستي وأصبح عددنا حوالي عشرة تقريباً وبدأنا نكتشف أننا كل من تبقى من م. ش. م. فاشترينا رونيو وأصدرنا نشرة "صوت البروليتاريا".. وكانت خطتنا أن نبني المنظمة من جديد، ثم أتى حريق القاهرة وأعلنت الأحكام العرفية واعتقل نور فقمت بتفكيك آلة الرونيو ونقلتها من مكانها في غرفة فوق سطح أحد المنازل إلى منزل جي مينتاستي.

ثم بدأت في نقل الأرشيف والأوراق والحبر إلى غرفة كان قد حددها لي نور قبل القبض عليه وأثناء ذلك قبض علي في فبراير ١٩٥٢. ودخلت السجن وقد تدهش إذ أقول لك أنني شعرت بسعادة عندما دخلت السجن ووجدت بعض أعضاء وقيادات م. ش. م.، فأخيراً سألتني بالتنظيم، لكنني بعد أن قدمت لهم تقريراً عن كل شيء، وأبلغوني لا تكلم أحد مطلقاً لا منا ولا من الآخرين حتى نرد عليك بالتعليمات.. واكتشفت أنهم كانت علاقتهم سيئة بنور فأبلغوني أنهم قاطعوني أنا أيضاً بينما فرضوا علي أن أقاطع آخرين.. ومع ذلك خضعت للتعليمات الحزبية فقد عاهدت نفسي أن أخضع للتنظيم بشكل مطلق ودون نقاش، أن نتحاسب تنظيمياً فيما بعد..

وبقيت وحيداً تماماً طوال عدة سنوات في السجن لا أكلم أحداً ولا أسمع لأحد أن يكلمني.. وفي أحد المرات أجبرتني إدارة السجن على السكن في زنزانة واحدة مع نور سليمان جاسر وأحمد خضر وكنت قد بدأت استشعر خطأ موقفي واستجمع عدد من الوقائع



التي تراكمت لتؤكد لي أنني أعيش وهم وجود منظمة لن تعد موجودة إطلاقاً.. وهكذا انضمت إلى الحزب الموحد في سجن القناطر.

س: هل لك ملاحظات أخرى؟

ج: فقط أعود فأؤكد أن الانقسامية هي الخطر الأكبر، التطرف اليساري الصبياني الذي انساق فيه م. ش. م. فهو ثمرة لروح البرجوازية الصغيرة التي ولدت الانقسامية والتمرد على التنظيم.

* * *

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٨ أغسطس ١٩٨٢

س: كيف تأسست منظمة طليعة الشيوعيين المصريين (ط. ش. م)

ج: كنا مجموعة صغيرة هي آخر من تبقى في التكتل الثوري، فقد تفكك التكتل الثوري سريعاً مثلما تجمع سريعاً، البعض انقسم وأسس منظمات مثل ن. م. ب.، وصوت المعارضة والبعض انضم دون إعلان إلى منظمة طليعة العمال مثل د. فريد حداد، د. فتحي خليل وفريد رمزي ولبيب رمزي.

أما سعد زهران وداود عزيز فقد تركا التكتل الثوري إلى منظمة الراية.

وفي أواخر أيام التكتل الثوري كان التفكك واضحاً، فبعد القبض على شهدي عطية، انفرط العقد، وعندما ظهرت فكرة القاعدة المشتركة دعيت إلى اجتماع في منزل فريد حداد حضره حوالي ٣٠ أو ٢٥ شاب وفتاة ويبدو أنهم كانوا القسم الأجنبي في التكتل فقد كانوا جميعاً من الأجانب، أرمن، يونانيين، إسبان، فرنسيون، كانوا يتقنون حماساً دون أدنى لغة مشتركة مع الشعب المصري وقلت لهم بصراحة أنا متقف مصري ومع ذلك لا تجدون معي لغة مشتركة فماذا عن جماهير الشعب، وأن أقصى ما يمكن أن تقدموه لنا هو بعض الإمكانات المادية فغضبوا وتركونا إلى القاعدة المشتركة ومنها إلى م. ش. م وفي التكتل الثوري كنت في مجموعة تضم عبد المجيد أبو زيد، عبد الله كامل وأنا وكنا مسئولين عن الأجهزة الفنية والمكتبات، وأنا شخصياً كان عندي كمية خرافية من الكتب. وكان التكتل قد بدأ في التفكك وأحسنا أننا بحاجة إلى المعرفة، وأن كثيراً من الأمور اختلطت وقررنا أن نقرأ.. وكونا مجموعة ثلاثية أنا وعبد الله كامل ومصطفى درويش وأخذنا في القراءة في نفس الوقت كنا نحاول التلاصق مع الطبقة العاملة بطريقة قد تبدو ساذجة كنا نلبس ملابس عمال ونذهب إلى مقاهي العمال، وهناك تعلمنا أننا لا يمكن أن نكسب العمال نضالاً من خلال المقاهي، كان من الممكن كسب صداقات وإجراء نوع من الدردشة ولكن لم يكن من الممكن كسب عنصر نضال من دردشات المقاهي. وفي المقهى العمالية اصطدمنا بظاهرة رديئة ومؤسفة حيث كان عمال منظمة طليعة العمال يمارسون وبشكل رديء هجوماً على حدثو وتاريخها أمام العمال.. وأنا كانت لي بعض الركائز العمالية في شبرا البلد منذ أن كنت أوزع الجماهير.. ومنذ أسسنا النادي المصري السوداني في شبرا (وقد أغلقه صدقي عام ١٩٤٦) ومنذ لجان



مكافحة الكوليرا وهكذا كانت لي روابط في المنطقة الممتدة من شبرا البلد - شبرا - جزيرة بدران.

وكانت أحوال الكوادر الوسطى مؤسفة، كل شيء تفكك، والثقة مفتقدة، وكل يوم نسمع عن تأسيس منظمة جديدة تضم حفنة أعضاء، والتقينا بإبراهيم عرفة وكان قد أسس مع أربعة آخرين فقط منظمة اسمها "النضال الثوري" وقدم لنا تقريرًا هزليًا مليء بالعبارات الضخمة، ثم قابلنا البعض من العصبة الماركسية، وكان الجميع يتخبطون، كان الانقسامية قد دمرت كل شيء، وبدأت عملية إعادة البناء صعبة للغاية ويمكن القول إننا أدركنا كارثة الانقسام من الانقسام ذاته، لقد وعينا خطورة الانقسام عندما مارسنا الحياة الانقسامية.

ورفضنا أن ننضم للعصبة الماركسية، وبدأت مناقشات سياسية انتهت بوحدة أو اندماج مع العصبة وتأسيس منظمة باسم جديد نحن الذين اخترناه هو "نواة الحزب الشيوعي المصري" على أساس أن هذا التجمع هو مجرد نواة الحزب..

وكان معنا قبيل الاندماج عدد من الزملاء ولدينا آلة كاتبة والمكتبات وسلمناهم ذلك كله ولم يمض وقت طويل حتى وجدنا أنفسنا مفصولين، ودون أن ندرك ما جرى فصلنا فوزي جرجس دون سابق إنذار، فقط وجدنا أنفسنا بلا أي اتصال.

وعدنا مرة أخرى مجموعة صغيرة، وكان أسلوب فصلنا من النواة صدمة شديدة لنا، فأحسنا أن الشيوعيين أنفسهم بحاجة إلى طليعة، فلنكن نحن هذه الطليعة للشيوعيين المصريين.

وبدأنا في تكوين التنظيم بهذا الاسم وتكونت قيادته مني، مصطفى درويش، عبد الله كامل، حسن حسني "الشهير باسم فوزي أبو شنب" ثم انضم إلينا منصور زكي، وأقمنا علاقات عمالية محدودة استفدنا منها كمدخل للمصانع وبدأ نشاطنا ينمو وانضم لنا عمر مكاي وصعد إلى القيادة، وكان متدينًا للغاية وسافر إلى فلسطين ليقاثل هناك؛ حيث اكتشف أن المعركة تدور على أرض مصر وليس في فلسطين، وانضم هو ومجموعته إلينا.

واتصلنا عن طريق عمر بمكتبه في إنجلترا وبدأ اتصلنا كتب ماركسية من جديد، فمثلاً وصلنا كتب ماوتسي تونج وكانت بالنسبة لنا كنزًا وبدأنا في ترجمتها، وأسنا مطبعة سرية بمعرفة منصور زكي وكنا نطبع عليها ما نترجمه وكان لنا مجلة داخلية اسمها الطليعة ومجلة خارجية اسمها الصراع.

واتفقنا على عدة أسس في عملنا: التوجه في التجنيد إلى العمال والفلاحين وخبرة المثقفين، عدم تجنيد أقارب، عدم تجنيد أجانب. وكانت لدينا منطقة عمالية في شبرا الخيمة، وأخرى في إمبابة ونشاطات في بهتيم وكفر الزيات وبدأنا في الوصول إلى بعض المناطق



الريفية وكانت لدينا كوادرات عمالية ذات نفوذ نقابي مثل محمود فرغلي (النقل) صلاح هلال (النسيج)، كما انضمت إلينا عدة عناصر بعد تفكك م. ش. م. وأخذنا في إعداد كورس تنظيمي مستفيدين من الخبرة الصينية.

ومن أبرز المعارك التي خضناها معركة عمال نسيج الشوربجي بإمبابة (١٩٥٠) عمال الشرق والمكوك الذهبي بإمبابة، كما خضنا معركة الإضراب البطيء لعمال الترام والنقل العام التي قادها محمود فرغلي.

.. وفي مجال آخر للنشاط اهتمنا بموضوع وحدة الشيوعيين، وكانت علاقتنا محصورة في التنظيم الوحيد الذي نعرفه من قبل هو النواة فشكلنا معه لجنة وحدة وأصدرنا مجلة مشتركة وكان يحكمنا في مسألة الوحدة الشكل التقليدي المتمثل في:

- نشرة لكل الشيوعيين.

- مؤتمر واحد لكل الشيوعيين يعلن الحزب.

لكن أعضاء النواة خاضوا معنا معركة عدوانية وليست توحيدية وكنت تحكمهم روح عدوانية والرغبة في إطلاق مسميات مميزة فعندما عرضنا الأفكار الصينية الجديدة عن الثورة الوطنية الديمقراطية من نوع جديد أطلقوا علينا اسم الانتهازية الصفراء.

ومع تصاعد نشاطنا بدأ البوليس يشعر بنا ووجه لنا ضربة عنيفة حيث قبض على كل أعضاء ل. م. ما عداي لأنني كنت في ذلك الحين أعمل مدرساً في كفر الزيات.. والمقبوض عليهم كانوا: عبد الله كامل - منصور زكي (الأجهزة الفنية)، درويش مصطفى، د. عمر مكاوي.

وحاولت إعادة بناء التنظيم وصعدت اثنين إلى ل. م. أحدهما محمد عثمان والآخر لا أذكر اسمه وكونا لجنة من ثلاثة، وبدأنا ننشط من جديد وأصدرنا نشرات بالبالوظة وبصعوبة بدأ العمل ينمو حتى قبض علينا في ضربة جديدة.

* * *



محضر تحقيق النيابة

أجري التحقيق في ١٥-٣-١٩٥٠

فتح المحضر في ١٥-٣-١٩٥٠ الموافق ١٣٦٩/٥/٢٦ بدائرة قسم مصر الجديدة.
الساعة السابعة والنصف صباحاً.

نحن محمد طاهر عبد الحميد وكيل النيابة

ومعنا الجاويش محمد سليمان الهنداوي كاتباً للتحقيق بعد حلفه اليمين حيث انشغلنا الليلة حتى منتصف الثانية صباحاً بالتحقيق في حادث ضبط وكر شيوعي بدائرة مصر الجديدة وإثر الانتهاء من تحقيقه قدم لنا حضرة الصاغ أحمد حلمي محضراً تناول إجراءات ضبط وتفتيش هليل شوارتز وبعد الإطلاع عليه دعونا المتهم وسألناه قال:

اسمي هلال أدهم

سني ٢٧ سنة

مولدي القاهرة

ومقيم في شارع مراد بك نمرة ٢٦ بمصر الجديدة.

أعمل مدرس خصوصي وخريج الليسيه فرانسيه عام ١٩٤٠.

س: ما قولك فيما نسب إليك؟

(*) هليل شوارتز (هلال أدهم) هو مؤسس تنظيم شرارة (ايسكرا) ومستوله السياسي وصاحب نظريته وأسلوبه في العمل. وقد اشتهر في صفوف الحركة الشيوعية المصرية بالاسم الحركي "شندي" وفي غمرة الانقسامات التي اجتاحت حدثت عام ١٩٤٨-١٩٤٩، انقسم "شندي" مكوناً مع عدد آخر من المنظمات المنشقة منظمة ن. ح. ش. م (نحو حزب شيوعي مصري) ألقى القبض عليه في مارس ١٩٥٠ ثم رحل بعد الإفراج عنه في عام ١٩٥٢ إلى خارج البلاد.

يقيم الآن في باريس حيث يعمل موظفاً بوكالة الأنباء الفرنسية. حاول المؤلف الاتصال به أكثر من مرة وإجراء مناقشة معه لإثباتها في هذا الكتاب لكنه رفض بإصرار معلناً أنه قرر عدم الحديث عن فترة إقامته بمصر وأنه نسي كل ما يتعلق بها. ومن هنا فإن محضر تحقيق النيابة معه يصبح ذا أهمية لأنه الوثيقة الوحيدة المتاحة التي تقدم لنا بعضاً من جوانب شخصيته. والنص الذي نقدمه هنا منقول من ملف القضية التي اتهم شوارتز وهو مثبت بالصفحات ١٠٢٩-١٥٣٠ من الملف (المؤلف).



ج: أنا لا أعرف بالتفتيش اللي تم لأنه تم في غير حضوري، ولا حدش مضاني على محضر.

س: هل كنت تحتفظ بمنزلك على أوراق ونشرات؟

ج: أنا مش مستعد أرد على السؤال ده.

س: ضبط في حقيبة قماش كمية كبيرة من نسخ مختلفة من النشرات والتقارير الشيوعية.

ج: أنا موش حا أجابو على حاجة، وأنا لن أجيب على أي سؤال إلا لما أسأل المحامي بتاعي وأشوف أجابو إيه.

س: اعترف بملكية الأوراق المضبوطة معك، كذا اعترفت بالأوراق والكتب المضبوطة بمسكنك.

ج: محدش سألني، وأنا موش حا أجابو على حاجة دلوقت، وأنا ما اعترفتش لحد.

س: أنت متهم بالانضمام إلى المنظمة الشيوعية والترويج لمبادئها..

ج: ما حصلش كلام زي كده.

تمت أقواله

ملحوظة:

طلبنا إلى حضرة الصاغ أحمد حلمي تحرير المضبوطات وإرسالها إلينا بالنيابة.

تمت الملحوظة.

وأقل المحضر على ذلك في تاريخه عقب إثبات ما تقدم، ويرفق محضر الصاغ أحمد حلمي الذي تأشر عليه من بذلك، ويطلب لباكر حضرة الصاغ أحمد حلمي والملازم صلاح متولي والملازم محمد توفيق لمعي ومدام أنيس فرتنش وزوجة المتهم ويحبس المتهم عسكرياً وقررنا العودة.

وكيل النيابة

إمضاء

حضرة علي بك نور الدين لإتمام التحقيق،،

رئيس النيابة

إمضاء



٣٠- هليل شوارتز (٢)(*)

محضر تحقيق النيابة

أجري التحقيق في ١٦-٣-١٩٥٠

نيابة الصحافة والنشر:

فتح المحضر يوم الخميس ١٦ مارس ١٩٥٠ الموافق ٢٧ جمادي الأول ١٣٦٩ هـ.
الساعة الواحدة وخمسة عشر دقيقة مساءً.
بسراي نيابة استئناف مصر.

وكيل النيابة

نحن علي نور الدين

كاتب التحقيق

وعبد الستار الدمنهوري

أحال علينا حضرة صاحب العزة رئيس النيابة اليوم المحضر الخاص بضبط المدعو هليل شوارتز الذي تم تفتيش مسكنه في ليلة ١٥-٣-١٩٥٠ بمعرفة حضرات ضباط القسم المخصوص بوزارة الداخلية بتاريخ ١٤-٣-١٩٥٠ الساعة الحادية عشر وخمس وخمسين دقيقة مساءً. وثابت به أنه وردت لإدارة الأمن العام معلومات تفيد أن هليل شوارتز الذي ينتحل اسم هلال أدهم المعروف بتزعمه للحركة الشيوعية والسابق صدور أمر عسكري باعتقاله لخطورته على الأمن العام والهارب منذ ١٥ مايو ١٩٤٨ يقيم في الوقت الحاضر في شقة بالمنزل رقم ٢٦ بشارع مراد بك تبع قسم مصر الجديدة ويزاول نشاطه الشيوعي في الإشراف على توجيه القائمين بالحركة الشيوعية وأنه بناء على الإذن الصادر من النيابة قد تم تفتيش مسكن هذا المتهم بمعرفة حضرة محرر المحضر.

ومرفق محضر آخر بمعرفة حضرة طاهر بك عبد الحميد وكيل النيابة يوم ١٥-٣-١٩٥٠ الساعة السابعة والنصف صباحاً ثابت به إبلاغ حضرته بهذا الحادث أثناء انشغاله بالتحقيق في حادث ضبط وكر شيوعي بدائرة قسم مصر الجديدة وثابت به أيضاً استجواب المتهم الذي ذكرته أنه يدعى هلال أدهم، وقرر أنه لا يعترف بالتفتيش الذي تم في غير حضوره ورفض الإجابة عن الأسئلة التي وجهت إليه عن حيازته للأوراق المضبوطة إلا بعد سؤال محاميه، كما أنكر اعترافه بملكيتة لهذه المضبوطات أمام حضرة الضابط صلاح متولي. وقد أمر حضرة وكيل النيابة بحبس المتهم عسكرياً، وأمر بطلب حضرة الصاغ أحمد حلمي

(*) هذا المحضر منقول من الصفحات رقم ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨ من ملف القضية.



والملازم صلاح متولي والملازم محمد توفيق لمعي وزوجة المتهم وصاحبة المسكن اليوم لسؤالهم.

وقد حضر اليوم حضرة الملازم أول صلاح متولي ولم يحضر حضرة الصاغ أحمد حلمي وعلمنا أنه سيحضر بعد قليل ومعه الأحرار كما حضر المتهم وزوجته وصاحبة المسكن.

فشرعنا في التحقيق بالآتي:

أدخلنا المتهم هليل شوارتز داخل غرفة التحقيق وسألناه عن اسمه فقال: أنا اسمي هلال أدهم. فسألناه عن اسم هليل شروانز فقال: أنا كان اسمي القديم هليل شوارتز، وغيرته باسم هلال أدهم بناء على حكم من المحكمة من سنة ١٩٣٥ تقريباً وهذا الحكم غير موجود معي ويسأل والدي الدكتور يوماً شروانز بميدان سليمان باشا رقم ١ شقة رقم ١٨ وهو اللي عارف المسألة دي.

ثم سألناه بالآتي:

اسمي هليل أدهم

سني ٢٧ سنة

مدرس خصوصي

مولود في القاهرة

مقيم بشارع مراد بك رقم ٢٦ بمصر الجديدة

س: متى سكنت في شارع مراد بك رقم ٢٦ بمصر الجديدة.

ج: أظن من أكتوبر ١٩٤٩ وسكنت في أوده استأجرتها من مدام أنيس بثمانية جنيهات في الشهر، وأقمت فيها باستمرار من أكتوبر ١٩٤٩ لغاية النهاردة مع زوجتي.

س: ما اسم زوجتك

ج: اسمها برت متالون

س: ومتى تزوجتها؟

ج: تزوجتها في عام ١٩٤٤

س: وأين كنت تسكن قبل سكنك في مصر الجديدة أي قبل أكتوبر؟

ج: كنت ساكن مع والدي في ميدان سليمان باشا.

س: ولماذا تركت السكن مع والدك وسكنت بمفردك؟

ج: نتيجة إعلان الأحكام العرفية شكيت أنهم يقبضوا علي بسبب مسكن أبي.

س: وأين كنت تسكن من تاريخ إعلان الأحكام العرفية في مايو ١٩٤٨ إلى أكتوبر ١٩٤٩ عندما سكنت في مسكنك الحالي؟

ج: مش عاوز أرد على السؤال ده لأنني شايفه خارج عن موضوع التحقيق وأنا تركت السكن مع والدي من تاريخ إعلان الأحكام العرفية.

س: هل كانت زوجتك متزوجة من شخص آخر قبل زواجك بها؟
ج: لا.

س: ولكن الثابت في المحضر أن زوجتك ذكرت أنها تدعى مدام باشكس؟

ج: فعلاً أحنأ سمينأ أنفسنأ أنا باسم موريس باشكس وزوجتي باسم مدام باشكس لما سكنا في مصر الجديدة علشان نهرب من البوليس، لأن البوليس كان عاوز يقبض علي وأنا شكيت في ذلك.

س: ولماذا كان البوليس يبحث عنك للقبض عليك؟

ج: هذا السؤال يوجه للبوليس.

س: ولكنك كنت تعرف بأن البوليس يريد القبض عليك

ج: كنت أشك في هذا.

س: لأي سبب كنت تشك في هذا؟

ج: لأنني بصفتي يهودي كنت ألاحظ أن هناك ناس كثير من اليهود بيتمسكوا بدون أي مبرر فخفت على نفسي.

س: هل كان بحث البوليس بسبب أنك يهوديًا فقط؟

ج: أنا ما أعرفش هم كانوا بيدوروا علي علشان إيه، حتى أنا معنديش تأكيد أنهم كانوا بيدوروا علي.

س: كيف قبض عليك؟

ج: قبض علي وأنا ماشي في الشارع وراجع على البيت يوم الثلاثاء الساعة عشرة مساء تقريباً قرب البيت وكنت ماشي لوحدي.

س: من الذي قبض عليك؟

ج: اثنين رجاله واحد منهم لابس جلابية والثاني بدلة، أظن كده.

س: وما الذي حصل بعد أن قبض عليك هذان الشخصان؟

ج: أخذوني إلى البيت فلقيت هناك الأفندي اللي كان قاعد هنا (يشير إلى حضرة الملازم أول صلاح أفندي متولي الذي كان يجلس في غرفة التحقيق) وضابط آخر لابس رسمي، وأظن كان فيه مخبر ما أخذتش بالي منه، ولقيت واحد من الضباط وهو اللي كان لابس رسمي كان مع زوجتي في الشقة ومقدرتش أتصل بها، وعرفت أنه حصل نوع من التفتيش، وشفّت أوراق مرمية على الترابيزة والأفندي (يقصد الضابط صلاح متولي) فتشني وأخذ مني ظرف كنت شايله في أيدي وأخذ مني محفظة فيها شوية فلوس حوالي ١٢٥ قرش وحاجات عادية زي قلم.

س: كيف عرفت أن البوليس فتش مسكنك قبل حضورك؟

ج: لقيت الورق محطوط وشفّت القفل بتاع الضلفة اللي في الشمال بتاعة الدولاب مكسورة.

س: ألم تسأل زوجتك أو صاحبة المسكن؟

ج: لا مكش عندي فرصة أكلهم.

س: وما هي الأوراق التي رأيته موضوعة على الترابيزة؟

ج: ما قدرتش أتأكد لأنني شفّتهم من بعيد، وكنت في أوده تانية، غير الأوده اللي كان فيها الورق.

س: ألم تستطع أن تتبين أن هذه الأوراق لك أم لا؟

ج: لا ما عرفتش.

س: هل تستطيع أن تعرف إن كانت هذه الأوراق لك أم لا، إذا عرضت عليك الآن؟

ج: أيوه

س: ألم تسأل الضباط الذين وجدتهم بالمنزل عن سبب القبض عليك وتفتيش المنزل؟

ج: سألت المخبر في السكة ومش متذكر إذا كنت سألت الأفندي فقال أنه بوليس وما قلّيش أي سبب.

س: ألم يسألك الضباط عما إذا كانت هذه الأوراق التي رأيته موضوعة على الترابيزة لك من عدمه؟

ج: لا ما سألنيش، وأنا سألت الأفندي الضابط إذا كان عنده أمر تفتيش من النيابة فقال لي لأ مش محتاجين لحاجات من دي.

س: هل كنت تحتفظ بنقود لك في ضلفة الدولاب التي كسرت؟

ج: نعم وأنا كنت شايل فيها سبعين جنيه تقريبًا وحاططهم في ظرف

س: ألا تذكر أوصاف هذا المبلغ؟

ج: أظن كان فيه ورقتين بعشرة جنيهاً وسبع ورقات أو ثمان ورقات بخمسة جنيهاً والباقي جنيهاً باستثناء ٣ أو ٤ أوراق من فئة الخمسة وعشرين قرشاً وطبيعي مش ممكن أتذكر نوع الأوراق بالضبط وقد طلبت من حضرة الملازم الأول (وأشار إلى صلاح أفندي متولي) أن يترك هذه الفلوس والفلوس اللي في محفظتي ويعطيهم لزوجتي فرفض.

س: وأين كنت تضع هذا المظروف الذي به النقود في الدولار؟

ج: على أرض الدولار - ثم عاد وقال: مش متذكر بالضبط.

فسألناه إن كان يضع هذا المظروف في حقيبة فقال مش متذكر بالضبط ومتيالي أنه ما كانش في الشنطة.

س: هل كانت توجد حقيبة في الدولار؟

ج: نعم.

س: ما شكل هذه الحقيبة؟

ج: شكلها زي دي (وأشار المتهم إلى الحقيبة المضبوطة والتي أحضرها منذ برهة حضرة الصاغ أحمد حلمي مع باقي الأحرار) ودي حقيبة عادية جداً زي ما أنت شايف ومش ممكن أضمن أنها بتاعتي.

س: هل كنت تضع في الدولار أوراقاً؟

ج: نعم أوراق خاص بشغلي كمدرس.

س: وكتب؟

ج: نعم كتب خاصة بشغلي كمدرس وكتب عادية للإطلاع.

س: في أي مادة تشتغل بالتدريس؟

ج: بادرس لغات وبادرس أدب وفلسفة وتاريخ.

س: ولمن تقوم بالتدريس؟

ج: تلامذه وناس مش تلامذه.

س: هل تستطيع أن تذكر لنا أسماء التلاميذ الذين تدرس لهم؟

ج: أرفض الإجابة على هذا السؤال، لأنه في رأيي خارج عن موضوع التحقيق.

س: ولكن هذا يثبت أن لك عملاً إذا تقدمت بالدليل عليه..

جـ: ممكن أكون مدرس وأشتغل في الشيوعية، وممكن ماكنش مدرس وما يكونش لي أي عمل ولا أشتغل في الشيوعية، إذن ردي على هذا السؤال لا يمكن أن يثبت شيء.

س: يقول البوليس أنك تشتغل بالشيوعية. فهل هذا صحيح؟

ج: لا غير صحيح.

س: وهل لديك معلومات عن المبادئ الشيوعية؟

جـ: أرفض الإجابة على هذا السؤال لأنه ليس له علاقة بالتحقيق.

س: ضبطت لديك بعض الكتب الشيوعية مما يدل على أنك تهتم بهذه المواضيع.

جـ: هل اهتمامي المزعوم بهذا الموضوع يعتبر جريمة؟

س: هل أنت تهتم بهذا الموضوع؟

جـ: بما أن اهتمامي أو عدم اهتمامي بهذا الموضوع لا يمكن أن يعتبر جريمة في ذاته فأرى أن السؤال خارج عن موضوع التحقيق وأرفض الرد.

س: ألم يسبق لك أن اتهمت في جريمة شيوعية؟

جـ: لا.

س: ما مقدار كسبك الشهري من عملك كمدرس خصوصي؟

جـ: حوالي ٢٥ جنيه.

س: ألم يسبق لك العمل بأي مصلحة أو شركة؟

جـ: اشتغلت في عدة شركات وسيبت عملي بعد إعلان الأحكام العرفية لما شكيت أن البوليس عاوز يقبض عليّ، واشتغلت من وقتها مدرس خصوصي.

س: وما مصدر النقود لديك؟

جـ: من عملي، ولما تركت عملي في مصلحة تابعة للسفارة الأمريكية في مايو سنة ١٩٤٨ كان عندي فلوس متوفرة.

س: ألدك أقوال أخرى؟

جـ: عاوز أسجل احتجاجي على بعض نقط.

أولاً: التفتيش ما تمش بأمر النيابة، وإذا كان فيه أمر فما شفتوش.

ثانياً: التفتيش تم في غيابي.

ثالثاً: ما اتعملش محضر تفتيش وإذا اتعمل محضر ما شفتوش.

رابعاً: إن البوليس حرم مراتي من الفلوس اللي كانت معايا.

خامساً: إن البوليس قفل الدولاب في غيابي.

س: ما جنسيتك؟

ج: مصري

تمت أقواله وأمضى

إمضاء

وكيل النيابة

إمضاء

انتهى التحقيق

٣١- جمال الدين محمود غالي

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٣ فبراير ١٩٧٦

- س: إذ نلتقي في عجالة اسمح لي بسؤال واحد حتى نتمكن من إجراء نقاش متصل..
- سؤالي هو ما معلوماتك عن قضية إغراء قيادات العمالية الثورية بالسفر للخارج للدراسة وقبولهم للإغراء؟..
- ج: لقد رفعت العمالية الثورية شعارات براءة، وتحدثت بكلمات ثورية طنانة طوال فترة الاعتقال وبعد انتهاء المعتقلات عام ١٩٥٠، كان فؤاد سراج الدين وزيراً للداخلية ووضع خطة تستهدف تفسير أكبر عدد من الكوادر الشيوعية من المتقنين للخارج.
- وعرض عليهم منحاً دراسية في الخارج فإن رفضوا توعدهم بالقبض عليهم، وأنا شخصياً تعرضت لهذا الإغراء فقد استدعاني سراج الدين وعرض علي منحة دراسية مدتها سبع سنوات لدراسة الطب الشرعي فلما رفضت توعدني بالقبض علي:
- ومع الأسف فإن كثير من قيادات العمالية الثورية قد قبل الإغراء وهربوا من ميدان الكفاح بعد أن رددوا أكثر الشعارات تطرفاً وتركوا قيادة المنظمة دون سابق إنذار، وفجأة سافر معظمهم دون أن يخطر أحدهم الآخر.. وفي لحظة وجدت المنظمة نفسها بلا قيادة وتفككت والبعض كون منظمة النجم الأحمر أما أنا وكثيرين فقد انضمنا لحدثو.
- س: هل ثمة أسماء نذكرها لهؤلاء الذين سافروا؟
- ج: كثيرين ولا أود أن أذكر الأسماء جميعاً.. لكن القياديين الذي تحملوا المسؤولية أكثر من غيرهم كان من بينهم عبد المعبود الجبلي - عبد الواحد بصيلة - منير ملطي.

عن تنظيم النجم الأحمر

تلك هي مساهمة بسيطة أقدمها لزميلي المناضل المخلص د. رفعت السعيد عسى أن تساعد وتساهم معه ولو بقدر بسيط في إنجاز دراسته عن تاريخ الحركة الشيوعية في مصر. وأني أرى من الأفضل أن أمر سريعاً على أوضاع الحركة الشيوعية قبل وجود تنظيم النجم حتى تكون هناك صورة حية للوضع الذي وجد فيه النجم الأحمر خاصة وأني أعتبر نفسي جندي بسيط من الجنود المخلصة التي ضحت بشبابها ومستقبلها واحتياجات أسرها من أجل نشر الأفكار الاشتراكية العلمية والنضال من أجل تحقيق مجتمع الرفاهية والسعادة للشغيلة المجتمع الاشتراكي.

لقد انتهى الحزب الاشتراكي الأول بعد الضربات التي وجهت له على يد سعد زغلول وشيئاً فشيئاً أيضاً بدأت تسود الأفكار الرأسمالية وأكثر من ذلك عندما يبدو شبح الأزمة الاقتصادية عام ١٩٢٩-١٩٣٠ بدأت تنتشر تدريجياً الأفكار الفاشية والنازية خلال الأزمة الاقتصادية العالمية التي سبقت الحرب العالمية الثانية.. وشيئاً فشيئاً بدأت المجلة التي يرأسها ثابت ثابت في ذلك الوقت وهي مجلة تزوج لسماد نترات الجير الألماني ولكن في حقيقتها مجلة تمهد وتروج للنازية والفاشية على أنهما المنقذ الوحيد للشعب الألماني والشعب الإيطالي لدرجة أن أغلبنا في ذلك الوقت تعلق بهتلر تعلقاً كبيراً على أساس أنه معاد للإنجليز.

ومن جهة أخرى بدأت تظهر الأفكار الاشتراكية تدريجياً خلال الحرب العالمية الثانية نتيجة لاختلاط بعض الجنود الاشتراكيين ببعض المثقفين المصريين وأيضاً نتيجة لاختلاط بعض المثقفين الاشتراكيين الأجانب بالمثقفين المصريين. ونتيجة لهذا بدأت تتكون في مصر حلقات ماركسية كان أهمها الحركة المصرية للتححر الوطني التي كنت أحد أعضائها ومؤسسيها.

٢- د. ش (الفجر الجديد)

٣- الاسكرا التي اتحدت فيما بعد مع الحركة المصرية.

(*) بناء على طلب من المؤلف أعد المناضل أحمد خضر أحد مؤسسي تنظيم النجم الأحمر عام ١٩٥٠ هذه المذكرة.

ولقد تميزت الحركة المصرية للتححر الوطني بأنها ترتبط بعناصر شعبية حتى المتقفين فيها كانوا في الغالب ينتمون للطبقات الفقيرة وخريجي الصناعات والعمال القابلين للتطور والنضال. كانت تنظيمًا مناضلاً يستعمل النظرية كسلاح ومرشداً لتقوية النضال.

ولقد تميزت الحركة المصرية للتححر الوطني بأنها ترتبط بعناصر شعبية حتى المتقفين فيها كانوا في الغالب ينتمون للطبقات الفقيرة وخريجي الصناعات والعمال القابلين للتطور والنضال. كانت تنظيمًا مناضلاً يستعمل النظرية كسلاح ومرشداً لتقوية النضال.

وكان للحركة المصرية خطة وخط سياسي لو أخذ به لكان وضعنا أفضل كثيرًا جدًا من وضعنا الآن.

ولكن الحرب الغير نزيهة التي وجهت ضد الحركة المصرية، وضد هنري كورييل (يونس) بالذات. وأنني للأسف قد اشتركت في حملة التشهير والتشكيك هذه لبعض الوقت.. وقد أثبتت الأيام لي ولكل مناضل شريف أن هنري كورييل كان من الأثرياء الذين ضحوا بمالهم ووقتهم وحياتهم طوال حياته وحتى اغتياله من أجل تحرير الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والكادحين من استغلال الاستعمار والإقطاع والاحتكار.. ومن أجل الجمهورية الديمقراطية.. ومن أجل الاشتراكية العلمية.. من أجل الشيوعية.

إن الحركة المصرية كانت بحق التنظيم الثوري الذي يجمع بين النظرية الثورية والنضال بين الجماهير.

كما كانت الحركة المصرية بقيادة يونس التنظيم الذي سعى دائماً من أجل وحدة الحركة الشيوعية حتى تمكنت من إتمام الوحدة بينها وبين الاسكرا في منتصف عام ١٩٤٧.

أما "الاسكرا" فكانت عبارة عن تنظيم يهتم بالتثقيف النظري بعيداً عن مجالات النضال على عكس الحركة المصرية، وخلق علاقات من خلال الرحلات الأمر الذي يبعد العامل والمتقف عن أرض المعركة بين الجماهير. وقد ساعد ذلك الأسلوب الخاطئ وتلك التربية في "الاسكرا" على خلق تكتلات ومجموعات متنافرة بعد الوحدة مباشرة داخل "الحركة الديمقراطية للتححر الوطني" أما د. ش. فكانت - خاصة في السنين الأولى - تنظيم يهتم بالكفاح الاقتصادي وإن كان هذا مهم ولكنه كان يقف ضد إنزال المنشورات والمطبوعات الشيوعية بين الجماهير ويكتفي بمجلة نظرية عامة يحررها بعض المتقفين الاشتراكيين وكانت تهاجم الحركة المصرية والاسكرا بطريقة أفادت كثيراً البوليس السياسي بصرف النظر عن النوايا الطيبة والإخلاص للشعب.. كما كانت دائماً وأبداً ضد الالتقاء أو الوحدة مع الحركة المصرية والاسكرا لدرجة أنها لما أجبرت على الوحدة في حزب واحد عام ١٩٥٨ سرعان ما اتفقت مع حزب الراية لضرب الحركة الديمقراطية والتخلص من قادتها.

المهم أن الحركة الشيوعية المصرية لم تأخذ أية فرصة من الوقت نتيجة للضربات المستمرة من جانب أعداء الشعب: الملكية والاستعمار والإقطاع، لم تأخذ فرصة ليتضح للشعب من هم أصحاب الخط الثوري السليم ومن هم رفاق الطريق والانتهازيين والانقساميين. ونتيجة لهذا الوضع الشاذ لم يمر إلا وقت قصير وقصير جداً بعد وحدة الحركة المصرية والإسكر إلا وكان أغلب الشيوعيين المصريين من مختلف التنظيمات معتقلين عام ١٩٤٨. وفي المعتقل استمرت الحملة المخربة ضد حدتو وضد المناضل هنري كورييل وزملائه لدرجة أنني نادم الآن لاشتراكى في هذه الحملات الضارة بقضية الطبقة العاملة وبقضية الاشتراكية العلمية والشيوعية بعد اغتيال ذلك المناضل الثوري. ومع تزايد الإرهاب البوليسي بدأت تحدث الانقسامات داخل الحركة الديمقراطية في منتصف عام ١٩٤٩ فهذا "التكتل الثوري" وذلك "نحو حزب شيوعي" وثالث العمالة الثورية.. إلخ.

وهكذا استمر الوضع داخل المعتقل صراع في صراع لتشويه بعضها البعض لدرجة أن كل مجموعة كانت تسخر أغلب إمكانياتها للصراع ضد المجموعات الأخرى، وإن كان للحقيقة أن العناصر الأساسية في الحركة الديمقراطية وبالذات الذين ينتمون للحركة المصرية أقل من الآخرين بكثير هجوماً لأنهم كانوا يهتمون بالمعارك الواسعة وسط الجماهير وإصدار المجالات العلنية والسرية والدعوة للوحدة من جديد كامتداد لخط الحركة المصرية.

أن تبديد إمكانياتنا وجهدنا في الصراع ضد بعضنا هو السبب الرئيسي فيما وصلنا إليه الآن. وفي أوائل عام ١٩٥٠ وبعد خروجنا من المعتقلات استمرت روح الانقسام واستمر النقاش خارج المعتقل داخل العمالية الثورية حتى انقسمت إلى مجموعتين:

النجم الأحمر

نحو حزب شيوعي مصري

النجم الأحمر

تأسس النجم الأحمر في منتصف ١٩٥٠ من مجموعة صغيرة ولكنها كانت تخطو خطوات معقولة إلى حد ما بالرغم من قصر المدة التي عاشها وهي حوالي ٥ سنين منذ تأسيسه حتى الوحدة التي أسست الحزب الشيوعي الموحد عام ١٩٥٤-١٩٥٥. وكان تنظيم النجم الأحمر تنظيمًا مناضلاً بالرغم من صغره. فكان يهتم بالتجنيد من مجالات النضال واختيار العناصر القابلة للتضحية والتطور.. وكان دوره واضح إلى حد ما، وكانت مطبوعاته متقنة وواضحة.

كما أنه التنظيم الذي أعطى اهتماماً لانتشار البطالة في ذلك الوقت بشكل كبير.. لقد أعطى هذه القضية أكثر من غيره اهتماماً كبيراً.. وهو التنظيم الوحيد الذي كتب الزميل نور أحد مؤسسي النجم الأحمر معي وآخرين، كتب كتيباً صغيراً ولكنه كتيب جميل بعنوان الطريق إلى مكافحة البطالة وقد خضنا بالفعل المعركة ونظمنا مجموعات من العمال العاطلين توجهت إلى المطاعم على نطاق كل أقسام القاهرة وفي ساعة واحدة وبعد أن أكلوا امتنعوا عن دفع الحساب على أساس أنهم عاطلون ولا يجدون ثمن الطعام واقتادهم إلى أقسام البوليس في تجمعات شعبية أزعجت الحكومة.. وقد كتبت كل الصحافة في هذا الوقت عن ضرورة تأمين العمال ضد البطالة.

كما أنزل التنظيم المنشورات التي توضح مشاكل العمال والفلاحين والجماهير الكادحة. وكذلك اشترك بدور لا بأس به في حركة السلام المصرية بقيادة المرحوم يوسف حلمي ذلك المناضل الممتاز، وقد قام أعضاء النجم الأحمر بجمع كمية كبيرة من التوقيعات على نداء مجلس السلام العالمي ضد التجارب النووية.. وقد كان دوره في حركة السلام المصرية دوراً واعياً فكان يعمل داخل قضية كان يتناولها من زاوية الدفاع عن السلام العالمي ود تجار الحروب وتجار السلاح.

النجم الأحمر من الناحية السياسية كان له برنامج ولائحة ويهتم بالكتب النظرية لرفع وعي أعضاءه.

النقاط الأساسية لبرنامج النجم الأحمر:

- ١- الدفاع عن السلام العالمي.
- ٢- القضاء على الاستعمار والملكية والإقطاع والاحتكار.
- ٣- بناء جمهورية ديمقراطية شعبية كخطوة أولى في طريق بناء الاشتراكية فالشيوعية.
- ٤- وكان هناك فصلاً عن موقف التنظيم من قضايا الطبقة العاملة وأهمها:
 - أ- استقلالية الحركة النقابية وضمان الحرية الكاملة لها.
 - ب- ٤٠ ساعة عمل في الأسبوع.
 - ج- مساواة المرأة بالرجل في الأجور والحقوق.. إلخ
 - د- دور حضانة ومطاعم ومغاسل لتسهيل عمل المرأة.
 - هـ- التأمين ضد البطالة.

٥- تم فصل عن قضايا الفلاحين وأهم نقاطه.

أ- مصادرة ما فوق الـ ٥٠ فدان وتوزيع الأرض على فقراء الفلاحين المعدمين.

ب- الاحتفاظ بجزء من الملكيات الكبيرة خاصة بعض التفاتيش الملكية لجعلها نموذجًا للمزارع الجماعية والتعاونية.

ج- تعويض الملاك الوطنيين الذين لم يعادوا الثورة وساندوها.

د- النهوض بالريف عمرانيًا وصناعيًا وعلميًا وإزالة الفوارق بين الطبقات والمدينة تدريجيًا.

٦- وفصل عن الحقوق العامة للمواطنين مثل:

هـ- المجالس النيابية والتمثيل فيها من سن ١٨ سنة.. إلخ.

و- التعليم (مجانية وإمكانيات التعليم لكل المواطنين).

ز- الدين (حرية العقيدة وضمان حق العبادة).

ح- المساكن والمواصلات.. إلخ.

٧- اللائحة:

- الانتظام في أحد خلايا الحزب (التنظيم).

- الدفاع عن برنامج وسياسة التنظيم.

- دفع اشتراك منتظم وجمع تبرعات بقدر الإمكان.

- التنظيم أساسه المركزية الديمقراطية.

- ٣ شهور ترشيح بالنسبة للعامل.

- ٦ شهور ترشيح لغير العمال.

- الاحتفاظ بأسرار التنظيم شرط أساسي للعضو كذلك حافظ التنظيم

على إنزال الجريدة (النجم الأحمر) أسبوعيًا.. وإنزال محاضرات

ونشرات سياسية ونظرية بين الحين والآخر.

إن النجم الأحمر قام بنشاط معقول في حدود حجمه وإمكانياته خلال العامين الأولين

منذ تأسيسه في منتصف ١٩٥٠ حتى معتقلات ١٩٥٢ بعد حريق القاهرة واستمر في النضال

ولكن بشكل ضعيف حتى تمت وحدة الحزب الموحد.

القاهرة في ١٩٧٩/٩/٢٦

أحمد خضر

* * *



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٨-١٠-١٩٧٨

س: هي يمكن أن نتعرف على نشأتك وأن نستمع إلى إجابتك على سؤال تقليدي هو: كيف أصبحت شيوعيًا؟

ج: نشأت في أسرة فقيرة، واحدًا من سبعة إخوة، كانت إمكانية التعليم بالنسبة لي تتحصر فقط في إمكانية حصولي على مجانية النفوق. ولدت بالإسكندرية وأمضيت طفولتي في بورسعيد وحصلت على الشهادة الابتدائية هناك وبسبب الفقر عجزت عن دخولي المدرسة الثانوية فدخلت مدرسة الصنائع ثم مدرسة الفنون التطبيقية وقد اعتبرت فيما بعد كمعهد عالي. لكنني لم أعمل بمهنتي لقد استوعبني تمامًا النضال السري.

وقد بدأت كالعادة وفديًا، ثم اتجهت إلى مصر الفتاة، بل إنني انضمت إلى الإخوان المسلمين لمدة ثلاثة أو أربعة أيام فقط..

كنت في ذلك الحين بالقاهرة وتفتح ذهني أول ما تفتح على يد كتابات سلامة موسى.. وبعد أن أنهيت تعليمي وتوظفت وإذ بلغت سن ٢٢ سنة انضمت إلى الحركة المصرية للتححر الوطني (ح.م.).

س: كيف انضمت إلى ح.م. ومتى تحديدًا؟

ج: في عام ١٩٤٦ تقريبًا وفي هذه الأثناء كنت أتردد على الأندية الثقافية مثل نادي أم درمان، جماعة نشر الثقافة الحديثة، دار الأبحاث العلمية.. وقد ترددت على هذه الأندية بدافعين: أولهما الدافع الوطني حيث جذبتني اللهجة المعادية للاستعمار والمطالبة بتحرير مصر من الاحتلال البريطاني، أما الدافع الآخر فهو رغبتني في التعليم التي حرمت منها بسبب الفقر.. وأحسست أنني يتعين علي أن أعلم نفسي فأخذت في التردد على الأندية الثقافية.. ولكنني ارتبطت أكثر بحلقة سلامة موسى وكنت أتردد عليها كثيرًا.

وكنت موظف في عمل إداري بوزارة الحربية عندما انضمت إلى خلية في الحركة المصرية للتححر الوطني في جزيرة بدران. ولكن عملي الأساسي كان وسط عمال السكة الحديد.

س: نتحدث قليلاً عن الحركة المصرية للتححر الوطني.. هل كان بها عدد كبير من

الأجانب؟

وهل كانت علاقاتها العمالية كافية؟ وماذا عن نشاطها الفلاحي؟

ج: أولاً: كان عدد الأجانب قليل جداً ولا يكاد يذكر بالنسبة لمنظمة ايسكرا، أما النشاط العمالي فقد كان مهماً لكنه كان محدوداً بسلاح الطيران - المحلة الكبرى - شبرا الخيمة - السكة الحديد ولا بد أن تعرف أننا كنا في البداية أما النشاط الفلاحي فقد كان موجوداً لكنه محدود..

أما عن التقييم للحركة المصرية فقد أعلنت هي نفسها كمنظمة شيوعية لكنها في واقع الأمر كانت حركة وطنية، فقد افتقد الوطنيون المصريون المعادون للاستعمار بشكل راديكالي إمكانية النضال ضد الاستعمار نضالاً حقيقياً وسط الأحزاب السياسية الرسمية كالوفد أو مصر الفتاة أو الإخوان..

وكانت ح. م صيحة قادرة على رسم طريق واضح ومحدد للنضال الوطني وكانت تؤكد في كل أدبياتها أن الاستعمار هو العدو الأساسي، الاستعمار بكل أشكاله وكان هذا مهم جداً في ذلك الحين حين سادت وسط البرجوازيين الصغار فكرة التحالف مع الألمان ضد الإنجليز.. ولكن ح. م كانت تدرس لنا الماركسية وكانت مهتمة بطبع الكتب الماركسية وتوزيعها.

س: كيف تطورت علاقاتك التنظيمية؟

ج: انضمت إلى ح. م في بداية ١٩٤٦، ثم تمت الوحدة مع ايسكرا عام ١٩٤٧ على ما أذكر وتكونت "حدثو" وهنا يبدأ نشاطي الحقيقي فقد تم تصعيدي إلى عضو لجنة مدينة وبعد شهرين أصبحت مسئول مدينة القاهرة.

س: كيف تم تصعيدك هكذا بشكل مفاجئ؟

ج: لهذا سبب مهم، ولعله يوضح أن التصعيد كان يتم وفق معايير، فقد كنت أنشط جماهيرياً في "رابطة خريجي الفنون التطبيقية" وأصبحت سكرتير هذه الرابطة، وقد أسهمت في تنظيم إضراب لخريجي الفنون التطبيقية على نطاق القطر، ونظمنا اعتصام بمقر الرابطة وكنا نطالب بتحسين أجورنا وبمنحنا لقب مساعد مهندس ثم مهندس وقد تحقق لنا ذلك..

وبعد نجاح الإضراب، طلب كروبييل مقابلتي، وكانت المرة الأولى التي أراه فيها، وطلب مني أن أعد تقريراً عن الإضراب لعرضه على اللجنة المركزية، وبعدها قررت اللجنة المركزية تصعيدي.



وهكذا انضمت إلى لجنة مدينة القاهرة وجلست في اجتماعاتها مع عدد من المثقفين الذين كنت أنظر إليهم بانبهار في النوادي الثقافية المختلفة مثل شهدي عطية، عبد المعبود الجبيلي، عبد الرحمن الناصر، جمال غالي.

س: ألاحظ أن كل قادة القاهرة كانوا من المصريين، فأين الأجانب؟

ج: ابتداء كانت ح. م في أغلبها من المصريين (برجوازيين صغار، قليل من العمال) وكان مثقفوها من أبناء الأحياء الشعبية، وطلابها فيهم كثير من الأزهريين أي أبناء أفقر الفقراء، أما ايسكرا فكانت بها نسبة عالية من الأجانب ومن المثقفين من خريجي المدارس الأجنبية أي أبناء الذوات.

ولكنني أعتقد أن كلاً من كورييل وشوارتز كانا بشكل أو بآخر وبنسبة متفاوتة ضد التصير، صحيح أن شوارتز كان يرفض موضوع التصير أصلاً على أساس أننا حركة شيوعية أممية لا تفرق بين البشر على أساس الوطن، وأن كورييل كان يدعو لتصير المنظمة والجهاز القيادي لكنه كان فعلياً يريد أن يظل المسئول الأول وأن يظل متحكماً في المنظمة ولفترة كان كورييل يأتي بمصريين إلى القيادة ليكون منها أغلبية ساحقة في القيادة لكنه يظل بالنسبة للآخرين جمعياً إلا له الذي لا يناقش.

كذلك فإنني أعتقد أنه كان هناك إصرار من جانب الاثنين على إبقاء "الحزب" بعيداً عن "الشيوعية" وحصره في إطار "التحرر الوطني" برغم كل المقولات الأخرى والكتب والدراسات إلخ.. وهذا تخريب واضح ربما لم يأت عفواً.. ولعل هذا هو سر تمرد شهدي عطية عليه الذي طالب بالخروج من إطار التحرر الوطني إلى الموقف الطبقي والاجتماعي وطالب بالتركيز على العمال.. ورفض تقريره في اللجنة المركزية بل وسحق سحقاً وخرج شهدي وكون التكتل الثوري.

س: ما هو تقييمك لوحدة "حدثو"؟

ج: الوحدة كانت شكلية تماماً، ولم تحقق أي اندماج عضوي لأنها لم تتم على أساس أيديولوجي، أو مبدئي وكانت لها جوانب سلبية فالبرجوازيون الصغار أبناء الأحياء الشعبية من أعضاء ح. م وكذلك العمال تاهو في بحر العضوية الكثيرة العدد من الأجانب والذوات القادمين مع ايسكرا وانبهروا بأحياء جاردن سيتي والزمالك، عموماً كانت الوحدة شكلية تماماً، ولهذا سرعان ما انفرط عقدها.

س: كيف صعدت إلى القيادة؟

ج: بعد حملة القبض الواسعة في ١٩٤٨، قبض على غالبية القيادة وتم تصعيدي إلى اللجنة المركزية وأعددت مشروع خط سياسي جديد ووافق عليه بالإجماع ولم يكن يختلف عن

الخط القديم. لكنني بعد فترة لاحظت أن هذا الخط لا يعبر عن خط ثوري للصراع الطبقي وأنه مجرد خط وطني.

وكان كورييل يرأسني من المعتقل ويلج على أن أحترف، وأن أترك الوظيفة الحكومية لكنني كنت أرفض، كنت لا أريد أن أضع نفسي تحت رحمتهم وأن أعيش بنقودهم. وتلقيت معلومات تفيد أنني سيقبض علي، أرسلها لي كورييل من المعتقل، وعرض علي مرة أخرى أن أحترف وأن أحتفي، ووجدت نفسي بين اختياريين أن أحترف أو أن أبقى في وظيفتي ورفضت الاحتراف، فشنوا على حملة واسعة إنني ضعيف ومتخاذل وتم تنزيلي من اللجنة المركزية.

وفي هذه الأثناء كان شهدي قد عاد لحدثو بعد أن نقد نفسه ونظم عضواً في لجنة قسم واتصلت به وعرضت عليه أن يتفرغ لكتابة تقرير يناقش ويحلل أوضاع "الصراع الطبقي في مصر لكنه رفض.. وبدأ في الاتصال بعدد من الزملاء منهم سعد زهران وداود عزيز وآخرون، وفي نهاية عام ١٩٤٩ تقابلت مع د. فؤاد مرسي وكان عائداً من باريس وكان يستعد لدخول حدثو وأعطيته كل وثائق حدثو وغيرها من المنظمات وأبلغته أنني نفسي تركت حدثو.. وعكف فؤاد مرسي على إعداد التقرير الذي كنت أحلم به فأعد وثيقتين هامتين الصراع الطبقي في مصر وثورتنا المقبلة" والحقيقة أنني بهرت بفؤاد مرسي وكونا معاً منظمة الراية..

س: من هم المؤسسون الأوائل لمنظمة الراية؟

ج: د. فؤاد مرسي وأنا وسعد زهران وداود عزيز وقد أصبحت أنا مسئول التنظيم وكان فؤاد مرسي المسئول السياسي.. ولكن قبل إعلان الراية حاولنا خلق منظمة واحدة وكان فؤاد مرسي متصور وأنا كنت أوافق على ذلك أن كل من يقرأ هذين التقريرين سيضم إلينا ولكن الآخرين رفضوا وبعد ستة أشهر من المحاولات قررنا أن نعلن تأسيس الحزب في يناير ١٩٥٠.

س: ما هي الأسس التنظيمية والسياسية لمنظمة الراية؟

ج: أستطيع أن أتحدث فقط عن فترة البداية منذ التأسيس وحتى القبض علي في ١٨-٧-١٩٥١ لقد بدأنا مجموعة صغيرة، وقررنا أن نكون في البداية تنظيمًا من الكوادر وأن نكون هذه الكوادر ونتقهم ثم نتوسع بعد ذلك، وأعدنا البرنامج ولأول مرة وضعنا ما يسمى ببرنامج الحد الأدنى وبرنامج الحد الأقصى كذلك لأول مرة تحدثنا عن التحرر الوطني كمعركة ليست مستقلة بذاتها وإنما كمقدمة لمتغيرات اجتماعية ومن هنا تأتي أهمية تقرير

"ثورتنا المقبلة" الذي أعده د. فؤاد مرسي والذي تكلم فيه عن ثورة وطنية ديمقراطية تتلاحم وتتداخل مع ثورة اشتراكية.

وفي الوقت الذي كنا ننتقد فيه بشدة تطرف حدثو في العلنية وقعنا في خطأ السرية المطلقة ورفعنا شعار خاطئ - لم يكن من الممكن وضعه موضع التطبيق - هو النقابات والاتحادات ولجان السلام السرية ويمكن القول إننا وقعنا في أسار بعض الأخطاء اليسارية وأنا حاولنا نقل تجربة الثورة الروسية بشكل مفتعل لكننا كنا نصحح أخطاءنا مع الممارسة، فقد رفعنا شعار الجبهة الشعبية في مواجهة شعار الجبهة الوطنية، وفي التطبيق أدركنا خطأ هذه الشعار وغيرناه..

ويمكنني القول إنه في المرحلة الأولى كانت منظمة "الراية" قادرة على تصحيح أخطائها، أما بعد ذلك، وعندما دخلت السجن فقد نشبت خلافات عديدة بيني وبين القيادة. وكما فعلت لك لقد ظلت المسئول التنظيمي للمنظمة في فترة التكوين الصعبة ونجحنا في بناء منظمة قوية وأجهزة طباعة ذات كفاءة عالية.. حتى قبض عليّ في ١٨-٧-١٩٥١. وبعد ذلك تعرض التنظيم لتسلل عنصر أمني إلى القيادة هو جمال غرسه وقد أوقع به خسائر فادحة.

س: سؤال أخير.. بالتحديد ممن تكونت أول لجنة مركزية لمنظمة الراية؟

ج: من أربعة: أنا وفؤاد مرسي وسعد زهران وداود عزيز.

* * *



رسالة

الأستاذ/ الدكتور رفعت السعيد

في صيف عام ١٩٤٩ (وكان عمري ٢٠ سنة) اتصل بي شاب جنده أحد المعلمين (سعد زهران) ولنرمز لهذا الشاب بحرف (ك) فهو الآن كاتب مرموق، قال لي (ك) أن أستاذًا مصريًا ماركسيًا حضر من فرنسا يحمل توجيهًا باستقطاب العناصر الثورية المخلصة لتشكيل معًا تنظيمًا واحدًا يكون سفينة النجاة للثوار لأن كل التنظيمات الأخرى هي تنظيمات بوليسية لا خير فيها ولا بد من تدميرها. وكنت في ذلك الوقت عضوًا في (ن. ح. ش) مع أسعد حليم واتصل (ك) أيضًا بزميلي الذي يعمل في الجهاز الفني لـ (ن. ح. ش) وطلب منا سرقة مطبعة (ن. ح. ش) ليستخدمها الحزب الجديد، ورتب نقل هذه المطبعة لمخازن الحزب متكررًا في زي بائع فول. وبعد ذلك قطع الحزب علاقته بزميلي الذي يعمل في المطبعة وكان متقفاً هاربًا من معتقل الهايكستب فاضطر ليعمل سبًاكًا متجولاً ويصلح بوابير الجاز، بينما تركت دراستي فترة وعملت عاملاً في مطبعة ثم في مصبغة بأمر الحزب.. الذي ما لبث أن قطع صلته بنا.. وبعد جهد استطعت الاتصال مرة أخرى بتنظيم (الراية) وقيل لي إن الحزب يرى أن من يسرق الجهاز الفني لتنظيم ما قد يألف ذلك ويكرر فعلته، ولهذا قرر وضعنا تحت الاختبار ليرى معدننا.

وفي بداية ١٩٥١ صرت عضوًا بلجنة منطقة القاهرة، وساهمت في توزيع منشور في مظاهرة طلابية قامت احتجاجًا على نبأ يقول بإمكان إرسال قوة مصرية لحرب كوريا، وقد اعتقلت بعد هذه المظاهرة وعثر في غرفتي على بعض المنشورات في يناير ١٩٥١، وقد أطلق سراحي بعد ثلاثة شهور بكفالة ودافع عني المحاميان عادل أمين ولطفي الخولي وكنت أول من واجه المحقق بأهداف الحزب وصرحت علنًا بعضويتي وبدعوة الحزب لإسقاط النظام الملكي. وقد كتبت عني (أخبار اليوم) موضوعًا ملفقًا حول الكاتب الربط بين حمامة عليها حلقة معدنية من موسكو وبين قضيتي وبين أنصار السلام، كما نشرت صورتني في المصور ونشرت دفاعي صحيفة الملايين.. (يمكنك الرجوع إليها).

(*) ورد جمال غرسه في كتابي "منظمات اليسار المصري" ١٩٥٠ - ١٩٥٧ حيث أتهمه بعض قادة منظمة (الراية) بالبوليسية، وقد تفضل فوجه إلى هذه الرسالة مدافعًا بها عن نفسه ومواقفه.



وهكذا أصبحت عضواً مرموقاً في الحزب يمثل التحدي والصلابة وعندما قدمت للمحاكمة قرر الحزب أن أخفي لأصبح محترفاً ثورياً، فكنت أول ثوري محترف في الحزب. وقد عملت في الإسكندرية ثم نقلت للصعيد لإقامة قواعد الحزب هناك وإصدار جريدة الفلاحين، ولما حدث حريق القاهرة ١٩٥٢ وفد عليّ عدد من مثقفي الحزب كفلت لهم الحماية في الريف.

وفي فبراير ١٩٥٣ شن البوليس حملة واسعة على تنظيم الحزب بالقاهرة، وبعدها استدعيتي القيادة لإعادة بناء التنظيم بالقاهرة بسبب نجاحي بالإسكندرية والصعيد، وعينت عضواً باللجنة المركزية وبالمكتب السياسي. وقد جلبت عناصر غير مكشوفة من الصعيد لقيادة العمل بالعاصمة وقمت بتأمين العناصر المكشوفة وتأسيس مطبعة لجريدة راية الشعب وكانت مطابع الحزب تدفن تحت الأرض ويكشفها البوليس بخلع البلاط فوضعت فكرة مختلفة لمطبعة الراية وهي أن تكون في الدار الرابع في طنطا وهي مدينة أعرفها جيداً، وفعلاً نفذ الفكرة مهندس بالمصانع الحربية وضع جداراً متحركاً مثبت فيه حوض الغسيل وعندما كشف البوليس مكان الشقة وفتشها اضطر أن يحطم جدرانها قبل أن يصل للغرفة السرية.

غير أن الحزب بين نهاية وبداية ١٩٥٤ تعرضت لحملة تشكيك من داخل الحزب نفسه وإدعاءات بأنني أركز في يدي سلطات كبيرة وأحاول فرض وصاية على القيادة. وكان اسمي الحركي (شريف) والبعض أخذوا يلقبوني بالجنرال، كما زعموا أن عندي ميول إرهابية. والواقع أنني كنت مسئولاً عن الأجهزة السرية وعن جريدة (النصر) التي يحررها بعض الضباط الأحرار المتذمرين من الحكومة كما أنني مسئولاً عن جهاز أمن الحزب أو جهاز الرقابة ولديه عضواً في كل خلية يبعث برسائله لي مباشرة وكنت قد كتبت نشرة عن كيفية كشف الجواسيس ومنع تسريبهم للتنظيم ودربت الكادر على فرزهم.

وقد صار سكرتير الحزب (خالد) يتخوف من هذا الجهاز خاصة عندما طلبت إخضاع اتصالات أعضاء (ل. م) للرقابة، وكان أحد أعضاء التنظيم وهو عامل نقابي اسمه الحركي (عنتر) قد التقى مرة بخالد الذي ساوره الشك في عنتر، وقد طالب خالد جهاز الرقابة باتخاذ إجراءات عنيفة ضد عنتر هذا لكنني رفضت على أساس من المبادئ.

.. وقد زادت حملة التشكيك ضدي بعد ذلك، واستغلت رغبتي في الحصول على موافقة الحزب للزواج من زميلتي الفلسطينية (أ) فطلبوا مني اختبار إخلاصها للحزب ثم اتهموها بعلاقات مريبة مع جهات استعمارية لأن أختها تعمل في إغاثة اللاجئين ومع ذلك تمسكت بها لثقتي في إخلاصها.

وفي نهاية يناير ١٩٥٤ طلبت مني القيادة حل جهاز الرقابة وتسليم كل الوثائق الخاصة به وكذلك مفتاح الشفرة التي تسجل بها المعلومات التنظيمية السرية.. وقد سلمتهم كل ذلك. وقد قيل إن السبب في ذلك القرار كان عدم إذعاني لقرار الحزب بقطع صلتني بالزميلة الفلسطينية وانشغالي بقضايا القلب عن المسائل التنظيمية. ولكن هذا لم يكن السبب الحقيقي، فالسبب كان يكمن في الخلاف السياسي الذي نشب داخل التنظيم وكان صدي للخلاف الكبير بين أنصار محمد نجيب وأنصار جمال عبد الناصر في مجلس الثورة. وإن رأي السكرتير (خالد) مساندة نجيب ضد عبد العناصر لأن نجيباً وعد بجمهورية ديمقراطية، وكان رأيي - الذي تأثر به أعضاء جهاز الرقابة- أن الوقوف مع الإخوان ومع نجيب خطأ، ولهذا اتهمت بتأييد عبد الناصر وبأن عندي ميولاً طائفية معادية للإخوان.

لقد وقعت حملة ٢٧ فبراير ١٩٥٤ بعد تصفية جهاز الأمن في الحزب، وفي ظروف انقسام الرأي في الحزب، في الوقت الذي تعمل فيه أجهزة الأمن الحكومية عبر سلطة أعلى وربما أجنبية لا تتأثر بالصراعات بين أشخاص الحاكمين وهدفها شل أي تنظيم ثوري عن الاستفادة من الثغرات والأزمات في صفوف الحاكمين والمحافظة على النظام ريثما تتجلى الأزمة.

وبعد حملة ٢٧ فبراير ١٩٥٤ قطعت القيادة الحزبية - وكانت في الإسكندرية- صلتها بالتنظيم أو بما تبقى منه، وبعد مضي ثلاثة شهور أو أربعة وزعت بياناً اتهمت فيه "الخائن شريف وعصابته بتخريب التنظيم وكشفه للبوليس، وأكدت من جديد إصرارها على التحالف مع الإخوان وقد تم هذا التحالف كما هو معروف.

وخلال ذلك كان قد قبض على كل زملائي وأصدقائي ومن جندتهم بنفسي وأيضاً على خطيبتني (أ)، وعندما عرف بعض الزملاء بالاتهام الموجه ضدي انهاروا وحاول أحدهم الانتحار داخل السجن، فقد كنت لهم بالنسبة له مثلاً أعلى، أما (أ) فقد مرضت ونقلت للمستشفى، وفي لحظة يأس قررت زيارتها وليكن ما يكون، فالسجن أحب إليّ من الحصار بين اتهامات الزملاء ومطاردة البوليس، ولكن الذي حدث أنني ذهبت للمستشفى وزرت (أ) ولم يقبض علي مما سبب لها صدمة عصبية، وثبت الاتهامات ضدي. وفي نفس الوقت انطلق كل العملاء والذين طردتهم الرقابة من الحزب في حملة مكثفة تتهمني بالخيانة، وصرت أتعمد الظهور في أماكن الخطر ولكن لم يقبض علي، ولما كان هذا فوق طاقة أي إنسان فقد مرضت مرضاً خطيراً وأصبت بالتهاب بللوري، وقد نقلني صديق كان طبيباً في القصر العيني (ويعمل الآن في لندن) إلى المستشفى للعلاج تحت اسم مستعار ولكنني اضطررت للهرب قبل إكمال العلاج لأن أحد الأساتذة أراد أن يتخذني موضوعاً لامتحان الطلاب ومنهم طلبة الطب



من دفعتي، وقد آوتني بعد ذلك أسرة كريمة وضعتني موضع ولدها المغترب وعميدها كان من شيوخ الأزهر الأجلاء وبقيت معهم حوالي سنتين على مسافة أمتار من قسم البوليس، وبعدها تحسنت صحتي أعدت الصلة مع فلول الحزب بالقاهرة وكان معهم عدد من الطلاب السودانيين والصوماليين، غير أن صحتي كانت ضعيفة ولم أكن أقوى على حياة المطاردة خاصة بعد أن عادت الملاحقة من جديد، وكان الحزب السوداني قد طرح دعوة الطلاب السودانيين في ١٩٥٦ للانسحاب من المنظمات المصرية حتى لا ينقلوا للسودان جرثومة الانقسام وقد أيدت هذه الفكرة، وتم تكوين مكتب السودان بالقاهرة التابع للحزب السوداني في الخرطوم، وبعد ذلك رتب الطلاب اليساريون السودانيون نقلي عبر الحدود السودانية حيث خشوا من تدهور حالتي الصحية. واشترك أربعون طالبًا في عملية نقلي لحلفا في عام استقلال السودان. وقد شفيت بعد سنة من الاعتكاف والعلاج في الطقس الجاف.

وفي عام ١٩٦٥ كان بعض قادة حزب الراية قد شغلوا مناصب وزارية، تقدمت بطلب للرئيس عبد الناصر لإسقاط الأحكام الغيابية الصادرة ضدي والأذن لي بزيارة القاهرة، وتوسط نفر من كرام السودانيين منهم مندوب السودان في مكتب الجامعة العربية وأشاروا إلى وقفتي ضد النظام الملكي سنة ١٩٥٠ وقد صدر قرار جمهوري يأذن لي بزيارة مصر على أن أتحاشى الاتصال بمن لهم نشاط سياسي وقد زرت القاهرة عام ١٩٦٥ والتزمت بدقة الشروط السالفة الذكر.

د. جمال غرسه

* * *



ذكريات عن السجن والهروب من الخارج ثم الهروب إلى الوطن (*)

في ٩ فبراير ١٩٤٩ قبض علي في شبرا الخيمة وأودعت سجن مصر وبعد شهر من اعتقاله صدر قرار بتطبيق نظام الحبس المطلق في القضايا الشيوعية. وفي صيف نفس العام حوكمنا أمام محكمة برئاسة حسين الطنطاوي الذي أصدر حكماً علي وعلى فؤاد عبد الحليم وحمدي عبد الجواد وعبد القادر العائدي بالسجن خمس سنوات لكل منا وكان الحكم قاسياً. وفي نفس الفترة صدر حكم أقسى على الشهيد شهدي عطية الشافعي بالأشغال الشاقة سبع سنوات.. وضع الحديد في قدميه لأول مرة في قضية شيوعية وأمضى مدة العقوبة في ليमान طرة.

كنا في سجن الحضره بالإسكندرية وكان الحبس انفرادياً. وكان الشيوعيون موزعون على دورين في السجن بين كل اثنين زنزانه خالية. وكنا نخرج لدورة المياه وللطابور اليومي بشكل انفرادي وذلك ليمنع الاتصال تماماً.. ومع ذلك ففي كل مساء وبعد "التمام" كنا نضع جردل الول فوق جردل المياه وهو الأثاث الوحيد الذي تحتويه الزنزانه إلى جانب البورش والبطانية وكنا نعقد الاجتماعات التي تدوم طويلاً إذ كان علينا أن نوصل أحاديثنا بالواسطة إلى رفاقنا في الزنازين البعيدة وبالذات التي تقع في الدور الثاني وبهذه الطريقة ظللنا ستة شهور نناقش اقتراحاً بالإضراب عن الطعام لوقف الحبس الانفرادي. وكنت من مؤيدي الإضراب. وبعد ستة أشهر حصل الاقتراح على أغلبية الأصوات وقمنا بإضراب نجح بعد ثلاثة أيام وتقرر جمعنا وإلغاء الحبس الانفرادي.

وكان السجن في هذه الفترة شديد القسوة فلا يوجد كانتين. وكان طعام السجن الذي كنا نقتصر عليه خصوصاً في فترة الحبس الانفرادي يقتصر على إفطار مكون من نصف رغيف (شقة) وقليل من الملح. والغذاء يوم فول مليء بالسوس ويوم عدس. أما العشاء فكان عبارة عن ماء ساخن به بعض الأوراق الخضراء يسمى خضاراً وكنا نستلم مرة في الأسبوع قطعة من الشغت تسمى لحماً.

وكنا الأربعة المحكوم علينا أول من صدق علينا في سجن الحضره. وكانت أول تجربة يلبس فيها الشيوعيين الملابس الزرقاء لتنفيذ الحكم. ودعينا مع باقي المساجين وسحبت

(*) أعدت هذه الورقة بناء على طلب المؤلف .



ملابسنا وألقيت إلينا بملابس السجن الزرقاء الممزقة وسحبت منا الأحذية والملابس الداخلية وسكنا كل منا زنزانة كبيرة في الدور الثامن مع السوابق! كانت معاملة المساجين لنا طيبة يحترمونها ولكن السجنانيين لم يكونوا يفرقون في المعاملة.

وفي أحد الأيام نزلنا إلى الحمام وجلسنا القرفصاء كالعادة مع باقي المساجين. وكعادة السجنانيين يقرون أوامرهم برب أول مسجون قريب منهم. وهذا هو ما حدث مع حمدي عبد الجواد وفؤاد عبد الحليم الذين اشتبكا مع السجناء أحياناً إلى الضابط وعندما شكاه من أن السجناء ضربهما قال "وايه يعني هو كفر" وأمر بضربهما مرة أخرى.

استطعنا تسريب الخبر إلى إحدى الصحف الوفدية في ذلك الوقت وكان ذلك في عهد حكومة حسن سري. نشرت الجريدة الخبر وأثار ذلك ضجة حتى أن الضابط حضر إلينا وهو خائف وأخذ في الاعتذار. وبدأ ينفذ كل طلباتنا. فجمعنا في زنزانة واحدة وصرف لنا ملابس داخلية وأحذية وبدأت المعاملة تختلف.

ونقلت بعد فترة إلى سجن مصر. وكان ذلك في عهد حكومة الوفد عام ١٩٥٠ وكان هناك عدد كبير من المسجونين الشيوعيين وقررنا القيام بإضراب عن الطعام لتسحين ظروف معيشتنا وقد أضربنا عن الطعام لمدة ٢٢ يوماً. ولكن الحكومة الوفدية لم تفعل شيئاً لتحسين أوضاعنا. كنت في ذلك الوقت ضعيف البنية وبعد الإضراب وصل وزني إلى ٤٤ كيلو وبرزت عظامي فنقلني الطبيب إلى مستشفى السجن ثم نقلت بعد ذلك مع الدكتور شريف حتاتة إلى مستشفى القصر العيني. وقد نجحت في ذلك وساطة عائلتي مع الحكومة الوفدية.

مكثنا في المستشفى حوالي شهر نعالج من آثار الإضراب. وكنت أسكن في عنبر طويل مع مسجونين من الإخوان المسلمين. أما الدكتور شريف حتاتة فقد عومل معاملة خاصة باعتباره طبيباً فسكن في حجرة مستقلة في نهاية العنبر وكان يحرسني صول واثنين من الجنود. وكان يحرس د. شريف ضابط واثنين من الجنود. أقمنا علاقة جيدة مع حرسنا. ودبرنا مع أحد الأطباء ومع رفاقنا في الخارج خطة الهرب في شهر رمضان.

كان مسموحاً لأهالينا بإحضار أي كميات من الطعام وأحضر شريف راديو وضعه في حجرته. واعتاد الحراس أن أمضي أغلب وقتي في غرفة شريف خصوصاً في شهر رمضان حين كنا نتناول معاً طعام الإفطار.

كان الصول الذي يحرسني مسئولاً أيضاً عن باقي العنبر. أما الضابط الذي يحرس شريف فكان مفطراً وكان يخجل أن يجلس معنا وقت الإفطار. فكان يبقى في الحجرة المجاورة. أما الجنود الأربعة فكانوا يتجمعون في الفراندة التابعة لغرفة شريف لتناول طعام الإفطار. لعدة أيام عودناهم عندما يضرب مدفع الإفطار أن يفتح شريف الباب ويذهب إلى



الضابط في الحجرة المجاورة ويقدم له كوبًا من قمر الدين ثم يعود إلى الحجرة ويغلق الباب خلفه.

في اليوم المتفق عليه للهروب خرج شريف وسلم الضابط قمر الدين وخرجت وراءه وأغلقت الباب وخرج شريف ورائي.. صعدت إلى الدور الأعلى كما كان مخططًا للتضليل وذهبت في الممر الطويل حتى بيت الأطباء حيث نزلت من سلالم البيت وكانت تنتظرنا سيارة أحد الأطباء وخرجنا من القصر العيني ولم يستغرق ذلك غير دقائق قليلة. انفصلنا بعد الخروج وأخذت تاكسيًا إلى مصر الجديدة إلى المنزل المحدد لي. لم أجد صاحبه في المنزل. وكان محددًا عنوانًا آخر احتياطيًا في شبرا هو منزل صلاح حافظ. وكان وقتها طالبًا في كلية الطب ولم أكن أعرف صلاح وكانت هذه أول معرفة لي به. مكثت عنده حوالي أسبوع وأخذت أنتقل من منزل إلى آخر لمدة سبعة شهور.

وكانت أقصى مدة مكثتها في أحد المنازل شهر كامل. ولم أكن أخرج إطلاقًا. وأذكر أنني اختفيت فترة في حجرة كان يستأجرها د. يوسف إدريس في الجيزة لم يكن بها غير سرير واحد كنا ننام عليه معًا وفي أحد الأيام أحسست بألم شديد في أذني وكان يوسف إدريس يدرس في السنة النهائية لكلية الطب فوصف لأستاذه الأخصائي في الأنف والأذن والحنجرة الحالة فوصف لي الدواء الذي عالجني به يوسف إدريس وقد ذكر يوسف إدريس في إحدى أحاديثه بعد ذلك أنه كان يخفي عنده بعض الشيوعيين الهاربين. واختفيت مرتين في منازل بعض الضباط الأحرار.

وكانت فترة الاختفاء طويلة فكنت أمضي وقتي إما في الترجمة أو في سماع الإذاعات الأجنبية وأبعث بأخبار إلى مجلة "الملايين" التي كانت تصدر في ذلك الوقت. ورتب رفاقنا أيضًا عملية هربي إلى خارج مصر لأن بقائي في الوطن مع تضيق الحصار والبحث أصبح صعبًا للغاية.

وكانت الخطة أن أسافر عن طريق بورسعيد وقد صحبني أحد الضباط الأحرار في سيارته إلى بورسعيد وتم الاتفاق عن طريق بعض البمبوتية مع بعض البحارة في مركب فرنسي. وكان الشاعر الرقيق كمال عبد الحليم يشرف على عملية هربي بتكليف من تنظيمنا. الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني. وقد صعدنا خمسة أشخاص سلم الباخرة وأعطينا الضابط الواقف على السلم زجاجة من العطر ونزل أربعة وبقيت أنا في الباخرة حيث أخفاني اثنين من البحارة في مخزن الباخرة تحت عنبر البحارة. وكان أمرًا مألوفًا أن يصعد البامبوتية مع بعض الزوار إلى الباخرة وقت توقفها.

وكان خط سير الباخرة كما يلي: بورسعيد - بيروت - حيفا - الإسكندرية ثم تتحرك من الإسكندرية بعد ذلك.. وكان عليّ في هذه الفترة أن أطبق إجراءات أمن مشددة فلا أخرج على الإطلاق من مخبئ. وكان أحد البحارة الفرنسيين يحضر لي الطعام في مخبئ الذي ظلت به لا أخرج منه لمدة خمسة أيام. وكان يردد (مع الصبر نصل إلى أهدافنا).

وقفت الباخرة لمدة ٢٤ ساعة في ميناء الإسكندرية كنت في أثنائها في شدة القلق من أن ينكشف أمرى. وعندما بدأت المركب في الاهتزاز إيداناً بالتحرك بدأت أشعر بالراحة التي اكتملت عندما تحركت المركب بالفعل. متجهة طوال سبعة أيام إلى مرسيليا وكان الوضع فيها أفضل إذ كان البحار يسمح لي بالنزهة على ظهر المركب لمدة ساعة كل يوم. فبدأت أظهر أمام باقي الركاب وكانت ذقني قد طالت ولم أحضر معي أدوات الحلاقة إذ إنه لم تكن معي أي حقايب وكنت ألبس ملابس كلها فوق بعضها وذهبت إلى الحلاق فوق المركب لحلاقة ذقني وكان في ذلك الوقت مخاطرة كبيرة، ولكن مخاطرة الظهور بلحية غير عادية كانت أكبر.

وفي أحد الأيام تقرر إجراء تجربة إنذار وكان على جميع الركاب أن يحضروا أطواق النجاة ويلبسونها وكنت وحدي لا أملك طوق النجاة فلست مسجلاً في قائمة الركاب وكلمنا رأي القبطان صرح قائلاً "احضر طوق النجاة" وأخذت في البحث عن بحاري الذي وجدني أخيراً وقادني إلى مخبئ.

وصلت المركب أخيراً إلى مرسيليا. حضر إلى البحار وطلب مني أن أبقى حتى ينزل جميع الركاب وبعد خروجهم بحوالي ساعتين اتفق معي على أن أخرج معه وإذا سألني أحد أقول له أنني ابن عمه.

والعادة أن جوازات السفر على السفن الفرنسية تجمع من الركاب قبل الخروج وتختتم وتسلم لهم ويخرجون بعد ذلك وليس من اللازم بعد ذلك أن يبرزوها.

لم يكن معي أي أوراق للسفر.. خرجت مع البحار ولم يتعرض لنا أحد وركبنا سيارة للتاكسي وأوقفنا رجال الجمارك وجرت مع البحار مناقشة لأنه كان يهرب بعض خراطيش السجاير وقد حسم المناقشة برشوة المفتش بعلبة سجاير.

أوصله التاكسي إلى منزله ثم أخذني إلى محطة القطار. اشتريت تذكرة إلى باريس وجلست في إحدى الصالونات مع رجل كان معي على الباخرة. وكانت هناك أيضاً امرأة مسافرة. الرجل في حوالي الأربعين من عمره غير متزوج وقال في حديثه مع المرأة لماذا أتزوج.. ليست عندي مشكلة في الحصول على النساء ثم بدأ يتحدث معي ويسألني عن جهتي. قلت له أنني ذاهب للدراسة. وكان بادى الاستغراب لأنه لم تكن معي أي حقايب.

وسألني هل رأيت المترو؟ قلت له نعم عندنا في مصر مترو. فضحك لأنه أتى من القاهرة. وقال المترو شيء آخر ستراه في باريس.

وصلت إلى محطة ليون في باريس وكان قريباً من المحطة عنوان أحد الأصدقاء ذهبت إليهم على الفور وأمضيت الليلة عندهم. وفي اليوم التالي التقيت مع أحد الأصدقاء الذين كانوا في مصر حتى عام ١٩٤٨ وتركوها بعد أن رحلوا من المعتقل. وكان الوقت شتاء في شهر يناير ولم يكن لدي معطف بل كنت ألبس العديد من الملابس فلم أشعر بالبرد. قال لي إذا مشيت هكذا في باريس سيسألون عن أوراقك ويقبض عليك وكنت الوحيد في الشارع الذي لا يلبس معطفاً. ذهب معي إلى أحد المحلات واشترينا معطفاً.

ظللت في باريس تسعة شهور كنت أمضيها في الترجمة ودراسة اللغة الفرنسية في الأليانس فرانسيز والتقيت هناك بشريف حتاتة الذي كان قد سبقني في السفر بعد أربعة أشهر من الاختفاء في بورسعيد.

أصبحت أشعر بالملل وبقسوة الهجرة والاغتراب وذلك بعد تجربة الحياة في مصر المليئة بالعمل السياسي والنشاط رغم الصعوبات ورغم السجن.

وفي مساء أحد الأيام قبض علي عند خروجي من المترو. وفي ذلك المساء كان مواطنو شمال إفريقيا من جزائريين ومغربيين وتونسيين قد قرروا إقامة احتفال للتضامن مع نضال الشعب المصري ضد الاحتلال الإنجليزي وكان ذلك عندما احتدمت المعركة ضد قوات الاحتلال في قناة السويس وقد منع البوليس الفرنسي الاجتماع. وحاصر عددًا من مخارج محطات المترو القريبة من مكان الاجتماع. وكان البوليس يسأل الأجانب عن تحقيقات الشخصية. استوقفوني وسألوني ولم يكن معي أي أوراق لتحقيق الشخصية. ساقوني إلى القسم وهناك بدأ تحقيق البوليس معي. وكانت التوجيهات التي تلقيتها أنا وشريف حتاتة من الرابطة الديمقراطية للمحامين والتي كانت تسمى "الإنقاذ الشعبي" ألا نتحدث أمام البوليس ولا أمام النيابة حتى لا ينهي التحقيق ونطرد لمدة أربعة أيام أمام البوليس والنيابة أرد برد وحيد هو "لن أتكلم إلا أمام قاضي التحقيق" وقد استفز ذلك محقق البوليس ولكمني في بطني وطردني وكيل النيابة من حجرته وقد شعر بالإهانة صائحاً "أنا القاضي" ولكني ظللت عند موقعي.

وأمام قاضي التحقيق حضر معي المحامي وحكى له القصة كلها ورويت له حادثة ضربي فلم يهتم وقال ساخراً "لو كنت ابن سفير لما ضربك وأمر بحبسي وبعد ثلاثة أشهر من السجن حكمت علي المحكمة بالحبس ١٥ يوماً. والحقيقة أنه لم يكن من المتوقع أن أحصل على عقوبة أكثر من ذلك لأن جريمتي كانت دخول البلاد بدون أوراق ولكن المحامي كان يطلب التأجيل دائماً لأنه كان يخشى إذا أفرج عني أن يرحلني البوليس وكانت الأوضاع في



السجن قاسية بالنسبة لي. وكنت أشعر بقسوة السجن في باريس أكثر من مصر رغم أن الغذاء كان أفضل وكنا ننام على مراتب. وكان يسمح لنا بالكتب.

إلا أنني سجنيت مع المسجونين العاديين (الصوص - تجار الحشيش - إلخ) وقد سجنيت مع نفس هؤلاء في مصر ولكنهم في مصر كانوا يتسمون بالطيبة وكانوا يحاولون باستمرار مساعدتنا.

كانت الزنزانة تضم كحد أقصى ثلاثة مساجين في البداية سجن معي رجل عذب ابنه بأنه حبسه في حجرة ومنع عنه الطعام - وآخر لص. ثم أفرج عنهما وجاء تاجر حشيش من مرسيليا وأحد النصابين وكانت الزنزانة مغلقة بشكل دائم لا تفتح إلا ساعة للنزهة وكان لسائكني كل زنزانة زنزانتهم في الفناء يتجولون فيها.

وقد قبض علي في ديسمبر ولم يبدأ التدفئة إلا في أول يناير ولهذا كنا نعاني من البرد الشديد.. استطعت الحصول على كتاب في تعليم اللغة الروسية وأمضيت الشهور الثلاثة في دراسة اللغة الروسية.

ثم أبلغت المحكمة بأنني حصلت على حق اللجوء السياسي في جمهورية المجر الشعبية. وأفرج عني وذهبت إلى بودابست وعملت لمدة سبعة شهور في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ممثلاً للشباب المصري والسوداني. وقد وصلت بودابست في مارس ١٩٥٢ وفي ٢٣ يوليو سمعت أخبار الثورة وطرد الملك وطلبت من مجلة الشباب المجري مقالاً حول تلك الأحداث فكان تقييمي إيجابياً لها. ثم وصلتني الأخبار من مصر أن تنظيمنا "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني" تؤيد الثورة. وكنت أوزع مطبوعاتنا على ممثلي الأحزاب المختلفة وقد سبب لي ذلك العديد من المشاكل؛ إذ إن جميع الأحزاب تقريباً كانت تعارض موقفنا. وأصبحت أشعر بجو غير ودي في الاتحاد.

وعرضوا علي منحة دراسية قبلتها على الفور واخترت دراسة اللغة الروسية والماركسية اللينينية. فدخلت المعهد العالي للغات الأجنبية. وكانت الدراسة صعبة لأنها كانت باللغة المجرية التي لم أكن أعرفها. ولكنني استطعت بجهد مكثف أن أتغلب على تلك الصعوبة وحصلت على الدبلوم بعد ثلاث سنوات.

ثم طلبت من الشباب المجري مساعدتي في العودة إلى مصر. فقدموا إلي أوراقاً للسفر حتى برلين الشرقية وهناك انتظرني الصديق يوسف حلمي الذي كان قد سافر إلى باريس بسبب ملاحقة السلطات له في مصر. وتسلمت منه جوازاً مزيفاً أعده رفاقنا المصريين في باريس ثم سافرنا من ألمانيا إلى جنيف وأمضينا الليلة عند خالد محي الدين الذي كان مبعداً في ذلك الوقت إلى سويسرا بعد خلافه مع مجلس قيادة الثورة.



وفي اليوم التالي ركبنا معه السيارة حيث عبرنا الحدود إلى إحدى القرى الفرنسية وسألنا حرس الحدود كل شيء على ما يرام؟ قلنا "نعم" ولم يحاولوا حتى الاطلاع على جوازات سفرنا. ركبنا القطار إلى باريس وعشت بعض الوقت مع يوسف حلمي ثم انتقلت للسكن مع أحد الأصدقاء وهو يسوف حزان وبقيت في باريس لحوالي عام. وفي هذه الفترة كانت قد تم الوحدة في مصر بين حدثو وعدد من التنظيمات الشيوعية الصغيرة وتكون الحزب الشيوعي المصري الموحد واخترت عضواً في اللجنة المركزية وأصبحت أثناء وجودي في باريس مسئولاً عن المجموعة الحزبية هناك.

رتبت سفري إلى القاهرة عن طريق السودان. سافرت مع يوسف حزان إلى روما بالقطار وهناك انتظرت لمدة أسبوع لآخذ طائرة تسافر إلى الخرطوم دون المرور على القاهرة. وفي النهاية نصحوني بالذهاب إلى المطار وقد أجد هناك مكاناً. وذهبت بالفعل وركبت الطائرة إلى الخرطوم ونزلت في فندق جراند أوتيل.

في اليوم التالي ذهبت إلى جريدة "الميدان" ورتبت لقاء مع الشهيد عبد الخالق محجوب الذي رحب بي وقال لي إنه لا يجب الذهاب إلى الميدان أو أي أماكن علنية. ورتبوا لي إقامة في فندق رخيص ظلت في الخرطوم لمدة شهر كان الرفاق السودانيون يعدون لي فيها أوراقاً سودانية أدخل بها إلى القاهرة.

وقد سافرت كسوداني بالقطار ثم المركب وكنا في شهر أغسطس وكانت الحرارة شديدة للغاية. ثم أخذت القطار إلى القاهرة. وصلت إلى القاهرة وكانت كل المواصلات متوقفة بسبب إضراب عام للتضامن مع الجزائر في أغسطس سنة ١٩٥٦. كنت قد اتفقت مع أحد الرفاق (فاروق ثابت) على انتظاري وكنت قد بعثت له برقية بذلك ولكني لم أجده. عرفت بعد ذلك أنه كان في الإسكندرية وقت وصول البرقية.

ذهبت إلى بوفيه المحطة وأدّرت رقم تليفون منزلنا فلم يرد. كان قد تغيرت كنت أتراسل مع أختي وعرفت أنها تزوجت من محام هو عصمت سيف الدولة وبحثت عن رقمه في دفتر التليفون واتصلت به وقلت له أنا يحيى السملوطي وكان هو الاسم الذي أرسل به أختي وقت وجودي في الخارج. قال سأحضر على الفور. حضر وأخذني إلى المنزل وكانت مفاجأة شديدة لأختي.

عشت عندها بضعة أيام واتفقنا على ألا يعرف أحد من أقاربي بوجودي باستثناء إخوتي. ثم غادرت منزلها لأواصل نشاطي في صفوف الحزب وعشت في السرية وظللت أعمل سراً إلى أن قبض علي في مايو ١٩٥٩.

* * *



محضر نقاش

أجريت المناقشة في بغداد بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٧٢

س: كيف اقترب كاتب كبير ومشهور كعبد الرحمن الخميسي من الماركسية؟

ج: في عام ١٩٥١ كانت مصر كلها ملتهبة الحماس ضد الاستعمار البريطاني، وكان إلغاء المعاهدة بداية المعركة وليس نهايتها، ولعلك تتذكر كل ما كان.. النضال الجماهيري العام، كتائب الفدائيين، ولعلك تتذكر كل ما كان.. النضال الجماهيري العام، كتائب الفدائيين، كانت مصر كلها تتحرك ثورياً ضد الاستعمار.. في هذه الأثناء بدأت في قراءة الفكر الماركسي وكنت آنذاك أحد كبار محرري جريدة المصري، انبهرت بعمق هذا الفكر وحيويته وقدرته على الإقناع وفعاليته في حل مشكلات الوطن والشعب.

س: تحديداً كيف كان ذلك؟

ج: إذا أردت القصة من بدايتها فهي طويلة للغاية، رحلة شاب مصري، يؤمن بمصر، وبحقها في الحياة الحرة وبحق شعبها في حياة إنسانية، في بداية حياتي السياسية دخلت الحزب الوطني (حافظ رمضان) وفيما بعد ومع سطوع نجمي كصحفي وككاتب أصبحت عضواً باللجنة الإدارية العليا ويمكن القول أنني في ذلك الحين كنت وطنياً متطرفاً، في ٤٤-١٩٤٥ عملت مراقباً عاماً لإذاعة الشرق الأدنى، متوخياً وبوضوح أن مهمتي كانت إدانة النازية وكشفها والتعبير عن وجهة نظر الحلفاء.. وما أن انتهت الحرب حتى وجدت حاجزاً بيني وبين هذا العمل فلم يعد من الممكن العمل في مكان كهذا بالنسبة لوطني مثلي، وتركتها لأعمل بجريدة المصري، وقد بدأت علاقتي بالمصري وتوزيعه عشرة آلاف نسخة، فلما بدأت نشاطي فيه زاد توزيعه للغاية الأمر الذي دفع أحمد أبو الفتاح إلى إطلاق يدي في إدارة تحرير الجريدة فألحقت بالعمل عدداً من الشباب اللامعين في مجال الكتابة والصحافة منهم عبد الرحمن الشرقاوي - يوسف إدريس - أكرم الرافعي - محمود محجوب - عزيز أحمد فهمي - حسن فؤاد ولعل الأسماء موحية فكثير منها كان يسارياً بل كان على علاقة تنظيمية بمنظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني التي كانت تمارس دوراً هاماً في حركة الفكر والثقافة.

وهكذا بدأت علاقتي بعدد من اليساريين تتوطد..

وفي عام ١٩٥٠ دعيت للانضمام إلى المجلس المصري للسلام فلبيت بحماس.

وجاءت أحداث ١٩٥١، وتكاثفت أمور شتى..
مصر الملهبة بالحماس والتي تبحث عن طريق للخلاص.
وعلاقتي بالمتقنين اليساريين..

ثم إحساس المثقف الواسع الاطلاع والمتعدد التجارب بأنه عاجز عن استشفاف سبيل
نحو المستقبل.. وبدأت في قراءة الماركسية، وما أن بدأت حتى أمسكت بمفتاح كنز عزيز
وثمين، تفتحت أمام عيني آفاق رحبة.. واندفعت بحماس لم أعرفه من قبل، وامتزج في داخلي
حس الشاعر الرومانسي، بعشق الوطن والشعب، وبالأمل في فعل شيء لإنقاذ شعبي من
تعاسته وكانت خطوتي الأولى نحو الماركسية ممتزة بذلك كله.. وانضمت لمنظمة حدثو..
س: ثم ماذا؟

ج: يمكن القول إن علاقتي الأولى بحدثو كانت في أيامها الأولى مبهرة، فللمرة الأولى
يجد الشاعر والكاتب المتمرد على كل شيء..، يجد نفسه سعيداً في إطار عمل تنظيمي
منضبط، ثم كانت ثورة يوليو، وكان ما كان من صدام، اشتغلت شرارته الأولى عبر صفحات
جريدة المصري وأغلقت المصري وقبلها كنت أنا في السجن في قضية شيوعية، لكنني وقبل
دخولي السجن تعرضت لأول أزمة خطيرة في علاقتي التنظيمية فالصرح المهيب الذي دخله
الشاعر الرومانسي خاشعاً بدأت في داخله خلافات عنيفة، وكان انقسام بدر (سكرتير عام
المنظمة) وظهور حدثو ت. ث مأساة حقة بالنسبة لي؛ حيث فقدت توازني وإن كنت قد وقفت
مع بدر.

ومن السجن استدعاني عبد الناصر لمقابلته، وبدأ اللقاء بعتاب قال عبد الناصر مبسوط
كده، أنت عملتها وقلبت الدنيا ضد الحركة، وأنت اللي حركت جريدة المصري وحشدت الناس
ضدنا وتسببت في إغلاق المصري وفي سجن الكثيرين.

وكان ردي عاصفاً وفي مجرى الحديث سألته لماذا أمرت بفصلي من المصري؟
فأجاب ببساطة أنا اللي فصلتك دي السفارة الأمريكية هي اللي طلبت ذلك بإلحاح وقد حمل
رسالة السفارة يوسف صباغ وأكد على ضرورة فصلك، وعرض الأمر على أصحاب
المصري فرفضوا، ثم عادوا فألحوا على الحكومة فاستجابت.

وبدأ الحوار يتخذ منحى هجومياً من الجانبين كنت قد شعرت بتقزز من خضوع
الحكومة لطلب السفارة الأمريكية ومن تقبل هذه المذلة ببساطة والحديث عنها ببساطة، وكان
عبد الناصر يشعر بحدثي فيرد بحدة هو الآخر.

والغريب أنه في نهاية الحديث سألني ببساطة: مش عايز أي خدمة؟ فقلت: لا، أعادوني إلى السجن حيث بدأت بعد فترة أبشع عمليات تعذيب شهدتها مصر.

س: أشعر بهذا أن لك تقييماً خاصاً لعبد الناصر ولحركة يوليو.

ج: لا شك أنها حركة وطنية، ولا شك أنه زعيم وطني ولكن افتقاد الديمقراطية دمر الكثير مما فعلوا هل تتصوركم التعذيب الذي تعرض له خصومهم السياسيون، وهل تتصور أنه في أثناء مجابهة العدوان الثلاثي كانوا منهمكين في بناء سجون جديدة ذات مواصفات خاصة تصلح للمزيد من التعذيب.

وخلاصة الأمر فإنني ممن يعتقدون أنه لو أن القوى الوطنية والديمقراطية المصرية تركت لتتفاعل مع الأحداث بحيويتها الخاصة لكانت قد أحرزت من النجاح والتقدم أضعاف ما حققه عبد الناصر..

* * *

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٢ يناير ١٩٨٢

س: الآن، واستكمالاً لما بدأناه من حوار، ولما أوردته في مذكراتك أود أن استوضح منك عن تفاصيل انقسام حدثت. ت، والأسباب الحقيقية لهذا الانقسام؟

ج: منذ فترة ١٩٥٢-٥٠ كانت هناك مقدمات للخلاف، وفي هذه الفترة أنا كنت وثيق الصلة ببدر (سيد سليمان الرفاعي - والسكرتير العام لحدثت) وكنت عضواً في ل. م وفي السكرتارية.

س: ممن كانت تتكون سكرتارية حدثت؟

ج: بدر، يوسف مصطفى (صدقي). والجنيد علي عمر، وأنا وكان معنا رسمياً كمال عبد الحليم لكنه لم يكن يحضر لاعتبارات خاصة بنشاطه الجماهيري.

وفي هذه الفترة كان بدر يشن حملة شديدة ضد المتقنين وخاصة كمال عبد الحليم وزكي مراد وأحمد الرفاعي وكان الثلاثة أساسيين في نشاط حركة السلام، وكان بدر يشن حملة عنيفة ضد عملهم الجماهيري ولا يعطون اهتماماً كافياً للعمل الحزبي. وبهذا كان بدر يضرب في اتجاهين: ضد المتقنين، ضد العمل الجماهيري، ومن هنا كان تقربه من مسلم (سيد خليل ترك) كعامل، وحاول التقرب من محمد علي عامر ولم ينجح.

وكانت هناك مشاكل عدة..

فمثلاً في أواخر عام ١٩٥١ حدث خلاف عندما اقترح كمال عبد الحليم تصعيد علي الشلقاني إلى ل. م على أساس نشاطه الجماهيري الواسع في حركة السلام، وعارض بدر في ذلك، وكانت معارضته صحيحة لكنه صعد بها بشكل غير سليم في شكل حملة ضد المتقنين وفي شكل حملة ضد العمل الجماهيري.. ونمت بذور الخلاف بين بدر وخليل من ناحية وبين بدر وزكي مراد وأحمد الرفاعي من ناحية أخرى.

والحقيقة أن بدر كان قادراً ممتازاً وكان يلعب دوراً هاماً في الجوانب السياسية والتنظيمية لكن الوضع ما لبث أن تفجر عندما اتهم ممدوح (محمد سليمان الرفاعي وشقيقه بدر) بالبوليسية.

وكان خليل هو أول من وجه هذا الاتهام، وأنا أكدت على هذا الاتهام، لأن الواقعة التي أوردها خليل كانت متعلقة بي، فقد قام ممدوح بتسليمي شخصياً للبوليس وأنا أحمل كمية



من المطبوعات والواقعة لم تشغل ذهني عند وقوعها حتى أتى خليل بالتفاصيل والأدلة، فقامت بالتأكد على هذا الاتهام. لكن بدر كان يتخذ موقفاً شخصياً من هذا الأمر واعتبر بدر أن اتهام ممدوح موجه له شخصياً. فليس سهلاً أن يتهم شقيق السكرتير العام بالبوليسية.

س: للتاريخ هل تعود الآن وقد انتهى الأمر إلى تأكيد بوليسية ممدوح؟

ج: أنا متأكد أنه سلمني للبوليس، وقد ربطت بعد ذلك عدة وقائع وأعتقد أنه قام قبل ذلك بتسليم أحد الأجهزة الفنية.

ثم تصاعد الخلاف، في الجانب السياسي كان بدر مع تحليلنا في تأييد حركة الجيش، حقيقة أن هذا التحليل مني بهزيمة في أواخر عام ١٩٥٢، ورفعنا شعار إسقاط حركة الجيش، ثم سارت الأمور بعد ذلك في اتجاه إدانة حدثو واتهامها بأنها أيدت وساندت حركة الجيش عند قيامها، وأعتقد أن بدر قد نظر إلى هذه الإدانة نظرة شخصية بل اعتبرها إدانة له شخصياً باعتباره المسئول السياسي للمنظمة، وكرد فعل راجع بدر العديد من المواقف السياسية القديمة فمثلاً بدأ في معارضة شعار الجبهة الوطنية الديمقراطية، ورفع شعار اللجان الثورية القاعدية السرية، وبالتالي وجه ضربة سياسية لعدة مرتكزات من مواقف حدثو الأساسية مثل:

١- العمل الوطني مع كل القوى الوطنية.

٢- الاستفادة من أي ثغرة في مجال العمل القانوني.

ويمكن القول إن بدر قد شعر بثقل هزيمة سياسية فتراجع مهزولاً.

س: كيف اتجه بدر للانقسام؟

ج: الأفكار التي نادى بها بدر لم تجد صدى داخل قيادة حدثو باستثناء مسلم وصدقي (يوسف مصطفى)، ومن ثم وجد نفسه محاصراً ومعزولاً، وشعر بالغربة وسط تنظيم هو رجله الأول وقائده السياسي.

وفي مثل هذه الحالة كان أمامه أحد الخيارين:

- إما الخضوع للأغلبية حتى تثبت الأيام مدى صحة أفكاره.

- أو الانقسام.

واختار بدر طريق الانقسام وعندما بدأ يفكر في هذا التفكير أحاط به وبسرعة فرسان الانقسامية القدامى، والذين صوروا له أن غالبية كوادر حدثو ستخرج معه.

والحقيقة أن الرفاق السودانيين العاملين في صفوف حدثو قد لعبوا دوراً سيئاً فقد أيدوا الانقسام وكان بعضاً منهم من أقطاب الانقسام، وإن كان هذا لا يعني أن توجيهها من الخرطوم

قد أتى لهم بذلك فالحقيقة أن الحزب السوداني لم يتخذ موقفاً محدداً وترك لأعضائه حرية الاختيار، فذهب البعض مع بدر وبقي البعض في حدتو.

وكان مسلم هو الذراع اليمنى لبدر في انقسامه، وكان مسلم شهيراً بحل المشكلات العملية، أما فرسان الانقسام الحقيقيين منهما حمودة (حمدي عبد الجواد) وسالم (فؤاد عبد الحليم)، والحقيقة أنهما استخدمتا اسم بدر ومكانته ثم ما لبثا أن سيطرا على التنظيم وعزلاه عزلاً تاماً والدليل أنهم في وحدة الموحد لم يقدموا بدر ضمن ممثلي ت. ث في القيادة وإذا كان مقبولاً لتقديم حمودة وسالم في القيادة فإن اختيار العضو الثالث في ل. م الموحد يدل على التصميم على استبعاد بدر فقد اختاروا عيد سيد أحمد وهو عامل قليل الخبرة، حديث التجنيد. والحقيقة التي أود التأكيد عليها أن بدر كان يبالغ منذ فترة طويلة في حساسيته إزاء المتقنين ولعله قد لعب دوراً جزئياً في إبعاد الرجل الثاني في حدتو عام ١٩٥٠.. كمال شعبان (شوقي).

س: نأتي الآن إلى وحدة الموحد.. كيف تمت؟

جـ: في عام ١٩٥٣ تشكلت لجنة للوحدة في سجن مصر ثم انتقلت بانتقال السجناء إلى سجن القناطر، ويمكن القول إن هذه اللجنة ظلت باستمرار هي لجنة الوحدة الأساسية وأن اللجنة التي وجدت خارج السجن. كانت هامشية ومحدودة التأثير في إنجاز الوحدة. وقد تشكلت اللجنة من:

- مبارك عبده فضل ممثلاً لحدتو ثم حل محله فؤاد حبشي.
- حمدي عبد الجواد ممثلاً لحدتو ت. ث وكان يتناوب معه فؤاد عبد الحليم فخري لبيب ممثلاً لتنظيم طليعة الشيوعيين.
- أحمد خضر ممثلاً للنجم الأحمر وكان يحل محله أحياناً حماد عباس أو عدلي جرجس.
- إبراهيم عرفة ممثلاً لتنظيم نواة الحزب الشيوعي وكان يتناوب معه بكر الشرقاوي وفي الاجتماعات الأولى كان فخري مكي (سكرتير عصبة التحرر الوطني الفلسطينية) كمراقب.

وقد اختار الجميع رفعت السعيد سكرتيراً للجنة يحرر محاضرها ويحفظ وثائقها وينظم اتصالاتها باللجنة خارج السجن. وطبعاً قاطعت منظمتي الراية وطلليعة العمال اللجنة.

وقد استمرت اللجنة لفترة في سجن مصر ثم انتقلت بانتقال السجناء إلى القناطر. ويمكن القول إن المناخ السياسي الذي تمت فيه مفاوضات الوحدة كان مناخ هزيمة سياسية

لحقت بخط حدثو، ففي المنظمات المختلفة وحتى وسط كوادر حدثو كان هناك هجوم عنيف على موقف حدثو من حركة الجيش.

ومن الطبيعي أن تنجم عن الهزيمة السياسية تنظيمية

إلى جانب هذا كانت حدثو تعاني من العديد من المشاكل مثل مشكلة بيان السجن الحربي، ويمكن القول إن كل حدثو كانت ضد الموقعين على بيان السجن الحربي، وكانت هناك أيضاً المشكلة القائمة بين قيادة حدثو الموجودة داخل السجن والقيادة المؤقتة الموجودة خارجه.

وكانت هناك مشكلات معقدة فقيادة حدثو المركزية كانت على عكس المنظمات الصغيرة - موزعة على سجون مختلفة: القناطر - أبو زعل - ليمان طره وأيضاً خارج السجن..

وفي هذا المناخ ارتفعت داخل حدثو نغمة الوحدة بأي ثمن، وتصور الكثيرون أن الوحدة ترياق لكل المصاعب والمشكلات وحتى في داخل ل. م حدثو كان البعض مثل عاصف (محمد علي عامر) يهدد بالانقسام إذا لم تتم الوحدة.

وقد تم اتفاق الوحدة على أساس وثيقتين: وثيقة سياسية تم فيها إدانة لموقف حدثو من حركة الجيش ووصف الانقلاب بأنه انقلاب عسكري أمريكي، ووثيقة تنظيمية كانت تتضمن عديداً من المظاهر الليبرالية.. وكان الغريب هو التأكيد سياسياً على دكتاتورية السلطة ثم ينعكس في مجال التنظيم في شكل ليبرالي.

وتكونت اللجنة المركزية للموحد من ٣ ممثلين لكل منظمة من المنظمات الصغيرة.

- النجم الأحمر: مثلها أحمد خضر - عدلي جرجس - وعبد المنعم شتلة (وكان خارج السجن).

- النواة: مثلها فوزي جرجس (فلما اعترض على الوحدة حل محله حسين غنيم من خارج السجن) ومحمود العالم (خارج السجن) وبهيح نصار.

- طليعة الشيوعيين: ومثلها فخري لبيب - عبد الله كامل - محمد عثمان (والثلاثة داخل السجن).

- حدثو ت. ث ومثلها فؤاد عبد الحليم - حمدي عبد الجواد - عيد سيد أحمد (والثلاثة داخل السجن).

أما حدثو فقد مثلها ١١ عضواً في حين مثلت كل المنظمات الأخرى مجتمعة بـ ١٢ عضواً في اللجنة المركزية وكان الآخرين يشترطون ألا تحصل حدثو على أغلبية في ل. م

في حين أنها وفق وجودها السياسي والعدي ونشاطها خارج السجن كانت تستحق أكثر كثيرًا من الأغلبية.

وكان ممثلي حدثو في اللجنة المركزية: زكي مراد - محمد شطا - مبارك عبده فاضل - أحمد الرفاعي - محمد علي عامر - طاهر البدري - محمد يوسف الجندي - شهدي عطية - هنري كورييل (يونس) وقد اتفق على أن تظل عضويته معلقة لحين بحث مشكلته - إبراهيم عبد الحليم - فؤاد حبشي، وتقرر تحت ضغط الآخرين استبعاد كمال عبد الحليم من القيادة.

وقد تمت الوحدة في مناخ عدواني شديد ضد حدثو، ولكن كوادر حدثو ما لبثوا وبصبر وثورية أن كسبوا الكثيرين إلى صفهم، وقد تمت الوحدة في فبراير ١٩٥٥ وسريعا بدأت التحولات في سياسة عبد الناصر وبدأت تنمو داخل قيادة الموحد اتجاهات لإعادة التفكير في الموقف من عبد الناصر واستعادت حدثو مكانتها ومهابتها من جديد داخل صفوف الموحد..

وأنا قدمت أول تقرير أطلب فيه قيادة الموحد بإعادة النظر في الموحد من عبد الناصر وأيدني محمد علي عامر وفؤاد عبد الحليم وحلمي عبد الجواد وعيد سيد أحمد وعارضني بشده طاهر البدري وفخري لبيب وعدلي جرجس.

.. وبعد فترة بدأت المواقف تتحدد بشكل أوضح.. ومن جديد عاد التألق إلى تاريخ ومواقف وكوادر حدثو، والحقيقة أنه بعد خروج المعتقلين بدأ رفاق حدثو في حملة نشاط جماهيري واسعة أذهلت شركائنا في الموحد وبدأت حملة احتضان لهم ودفعهم إلى أحضان الجماهير فتغيرت مواقف كثيرة وأصبح الكثيرين منتمين إلينا فكريا وسياسيا وتنظيميا بعد أن كانوا لنا خصوما أشداء ومن هؤلاء أحمد خضر - فخري لبيب - حسين غنيم - بهيج نصار - محمود العالم... إلخ

ولعل هذا النجاح الكبير في وحدة الموحد هو الذي أغرانا بالاندفاع إلى وحدة ٨ يناير دون ترو وتصورنا إمكان تكرار مثل هذا النجاح.. ولكن كان الفشل كبيرا..

ومع تغير المناخ، اتجهت الرياح لصالح حدثو إلى درجة أن ل. م وافقت على منح كورييل عضوية أصلية في ل. م، وعلى ضم كمال عبد الحليم إلى ل. م.

ويمكن القول إن نشاطا جماهيريا عامرا كان بمثابة عملية صهر لكوادر الموحد معا.

* * *



مذكرات

سنلاحظ أن هذه المذكرات هي مجموعة من الخاطرات سجلها صاحبها دون ترتيب زمني. لكنها تتضمن في مجملها خطوطاً بالغة الأهمية لاستكمال الصورة العامة.. كما أنها تتميز بتقديم صورة مجسدة لأسلوب معاملة الشيوعيين في بعض فترات الاعتقال ومواقفهم إزاءها.

لا أدري لماذا تلح عليّ هذه الذكريات، وكلما حاولت أن أطردها تعود إليّ من جديد، وقد أنساها لمدة طويلة، وأستريح من عنائها، ولكن لا تلبث بعض الأحداث اليومية أن تعيدها إليّ من ثانية. تعيدها في بعض الأحيان باهتة متقطعة لا رابط بينها، ولكن هذا الشريط لا يلبث أن يترابط من جديد، وكأنه فيلم سينمائي يعرض على دقات نواقيس حزينة رتيبة، تودع موكب صغير في بحر الظلام، عليها أن تبحر في ظلمته بين أمواج عاتية قد تبتلعها ولكنها تظل متمسكة بالسطح كعلبة صغيرة تعلو وتنخفض ولكنها رغم ذلك مصرة على إكمال رحلتها.

ما أكثر ما سمعت مثل هذه الذكريات، يرددها أصحابها في شروء وبلهجة المريض الذي يحب باستمرار أن يتحدث عن علته، عساه أن يشرك الغير معه في تخفيف حدتها.. وما أكثر من يطلبون سماع هذه القصص ويستزيدون منها ولكنهم لا يلبثون أن ينصرفوا عنك إما ملأً من كثرة سماعها، وإما اشمئزازاً من تفاصيلها.

وما كنت أريد أن أسجل شيئاً من هذه الوقائع ببطولتها ومآسيها، رغماً عن أنها ليست أحداثاً شخصية، فهي ترتبط بالإنسان وكرامته، الإنسان أي إنسان وأياً كان اسمه وتفكيره، مرتبطة بحاضره ومستقبله. وبالذات الإنسان العربي الذي حكم عليه دائماً أن يعيش في خوف محروماً من حقه في الكلام والتعبير.. ودائماً يعيش منسياً في مجتمعه، يفكر له غيره، ويصوت له في الانتخابات غيره، ودائماً هو حسوب في الـ ٩٩% من الموافقين. نعم هي الكلمة المطلوبة لا. هي الكلمة المرفوضة. الويل لصاحبها.

لم أكن أتصور أنني سأجلس يوم من الأيام لأتناول الكتابة فلم تكن الكتابة مهنتي، ولم أسمع لأن أكون كاتباً يعرف كيف يبرز الصور، ويحبك الصياغة، ويجسد الأحداث، ويستبد بالقارئ فيجعله يعيش معه، أو يستبد به القارئ فيحوّله إلى رواية له.

ذكریات كثيرة وطويلة بعضها لا زلت أعیشه وأذكره، وبعضها صاغ مع الزمن
وسجله آخرون في كتابتهم. ولكنها أيًا كان الرأي عنها فهي جزء من كفاح شعبنا الباسل
المناضل، التي لا بد أن تعرفها الأجيال الجديدة.

سجون في عصر فاروق

وإذ كانت الذكريات كما يقولون تترايط مع بعضها في عقل الإنسان، وكل ذكرى تثير ذكرى أخرى وتخرجها إلى حيز الوجود، فلا زلت أذكر هذه الأيام في سجن مصر في ظل الأحكام العرفية في عام ٤٨ أو ٤٩ ولكنها على كل حال كانت في ظل حكم إبراهيم عبد الهادي باشا حيث أعلنت الأحكام العرفية باسم الأمن المطلوب لحماية قواتنا التي تحارب في فلسطين، والحقيقة أنهم لم يكونوا يريدون بهذه الأحكام العرفية الحفاظ على أمن الوطن كما هو وارد في المادة ٤١ من دستور ١٩٢٣ التي تتيح للمحاكم إعلان حالة الطوارئ إذا كان هناك ما يستدعي ذلك مثل انتشار مرض معدي أو فيضان أو حرب، ولكنهم كانوا يريدون بها تصفية الحركة الوطنية التي وصلت إلى أقصى مداها في عام ١٩٤٩، وتصفية حسابات سابقة مع جماعة الإخوان المسلمين الإرهابية، حينما اغتالت محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء. لقد جن جنون الطبقة الحاكمة في ذلك الوقت، وقسموا القاهرة إلى مربعات ويقومون حينما يأتي الليل بتفتيش منازل كل مربع للقبض على العناصر الوطنية أو عناصر الإخوان المسلمين الهاربة.

وكنيت في هذه الفترة هارباً من طلب نيابة المنصورة بالقبض عليّ، حيث قبض على العديد من العناصر في محافظة الدقهلية من الفلاحين، بحجة أنهم ينتمون إلى منظمة شيوعية (حدثت) وتمكنت من الهرب في هذه الفترة بعد أن أعطى زميل لي في الدراسة كل المعلومات الكافية للقبض علي من وصف للطول والعرض والشكل، واتهامه لي بأنني المسئول عن تجنيد بعض الخلايا الشيوعية في قرية طنّاح والقرى المجاورة لها.

كانت أول مرة في مصر يقبض على الفلاحين بتهمة الانتماء إلى منظمة شيوعية، بعد أن كان المتهمين عادة من الطلبة أو العمال أو المثقفين. ظهر عنصر جديد هو الفلاح المصري، والعامل الزراعي.

ولن أنسى كلمة لمأمور سجن الأجانب في هذه الفترة. حينما فوجئ بالمتهمين في هذه القضية، ووجدتهم كلهم يلبسون الجلباب الأزرق، وبعضهم حفاة، وهو يضرب كفّاً على كف ويقول بلغة المستجير المتشائم: "والله ما دامت الحكاية وصلت إلى أبو رجلين مشقة، ما عدش فيها فائدة. عليه العوض في البلد".

المهم أنني هربت من أمر نيابة المنصورة بالقبض عليّ، واستمر هربي لمدة طويلة، حتى قبض عليّ في القاهرة مع بعض الأصدقاء والرفاق "أحمد فؤاد بليغ" طالب الهندسة "روبير ستون" الأول على التوجيهية والأول في دفعته في كلية الهندسة. وآخرون.

كنا في هذه الفترة في سجن مصر؛ حيث يوجد عدد كبير من الرفاق الآخرين. وكانت المعاملة في منتهى السوء مما دفعنا للإضراب عن الطعام من أجل..

الحق في قراءة الصحف..

الحق في وجود نور في المساء..

الحق في العلاج الخارجي..

الحق في الاستمتاع بغذاء خاص..

وربما كانت النقطة الأخيرة مثيرة للضحك؛ حيث كان معظمنا لا يستطيع أن يستمتع بالغذاء الخاص، وما يقتضيه من تكاليف ومصاريف، ومن المفارقات الغريبة أن البعض من منظمة "م. ش. م" والذين كانوا يرفعون شعار ١٠٠% عمال وكلهم من أبناء الطبقات البرجوازية الكبيرة القادرة والذين ودعوا الكفاح إلى لا رجعة.. يستقبلون غذائهم اليومي من بيوتهم في هدوء وبدون ضجة.

لا زلت أذكر في هذه الفترة قيادة الإضراب..

أسعد حليم.. شريف حتاتة.. كمال عبد الحليم

مناضلون حقًا. ولكن فقراء حقًا. من أين يأتيهم الغذاء الخاص. كنا إذا حل المساء نضحك حتى ننسى آلام الجوع.

واستمر الإضراب حوالي خمسة عشر يومًا. كان إضرابًا قاسيًا لم نحقق فيه أي مكسب. إلا مكسب واحد حيث أقنعنا الإدارة بتركيب أخشاب للنوافذ لتحول دون برد الشتاء القارس. وانتهى الإضراب بتحقيق ذلك المكسب الوحيد.

ومن المصادفات الغريبة أنه مع انتهاء الإضراب ألغيت الأحكام العرفية التي رفضها إبراهيم عبد الهادي وذلك بعد نجاح حزب الوفد وحصوله على الأغلبية المطلقة وتشكيل النحاس باشا للوزارة الجديدة من الوفديين. وما أن ألغيت الأحكام العرفية، وعاد للقضاء العادي اختصاصه الأصلي، حتى بدأ عرض جميع قضايا المتهمين على القضاء من جديد.

ونتيجة للعلاقات العميقة التي كانت تربطني بكثير من الوفديين قاموا بإرسال أكثر من محام ليدافعوا عني، الأستاذ "الدكتور محمد مندور" الأستاذ "حافظ شيجا" الأستاذ "عدلي المولد" ونشرت مرافعتهم إلى جانب مرافعتي في جريدة صوت الأمة، لسان حال الوفد المصري في هذه الفترة.

كان ذلك موقفًا فيه وفاء من الوفديين؛ حيث كنا نشترك معهم في جبهة واحدة ضد السراي وضد إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء. وتقريبًا كنت أنا القاسم المشترك كخطيب

في سرادقات الانتخابات الوفدية؛ حيث كان برنامج الجبهة في ذلك الوقت يدور حول مطالب بسيطة ومحددة.

إلغاء الأحكام العرفية..

إطلاق سراح المسجونين والمعتقلين..

إقامة حكم ديمقراطي..

وفعلاً حصل الوفد على الأغلبية المطلقة، بعد أن تجلت في هذه الفترة عظمة الشعب المصري وأصالته إذ كان ضمن المعتقلين عناصر يهودية فطالب الشعب المصري بإطلاق سراحها، ولا عجب من ذلك فإن العناصر اليهودية كانت معتقلة لأنها ضد الصهيونية، بينما الصهاينة الأصليون يمرحون في شوارع القاهرة. نعم كان هناك عناصر يهودية تتاضل ضد العنصرية وضد الصهيونية..

"زكي فورتى" "هنري كورييل" "هليل شوارتز" وآخرون لا أذكر أسماءهم.

إن الشعب المصري لم يعرف العنصرية يوماً من الأيام، ولم يعرف التحيز الديني.

لقد سقطت الأحكام العرفية، وقدمنا نحن المسجونون السياسيون الذين كانوا على ذمة القضايا التي أعدتها المباحث العامة، والقسم المخصوص (كان تابعاً مباشرة للسفارة البريطانية) في خلال سنتين إلى المحكمة، وفي هذه الفترة كان عددنا حوالي المائة أو يزيد. وكانت المباحث تشعر بالحزن والأسى لأن مجهودها في فترة سنتين قد ينتهي إلى لا شيء ما دامت الأوضاع القانونية أصبحت سليمة، وألغيت حالة الطوارئ، فأجهزة التجسس لا تجد نفسها إلا في ظل الكبت والإرهاب وغياب القانون.

بل وربما كان القاضي الذي ينظر هذه المعارضات، شخصية غير مرغوب فيها من جهة المباحث، لميوله الديمقراطية والقانونية، وإصراره على أن يأخذ القضاء مجراه، كان اسمه "وجدان طاهر" قاض أمين وعظيم ومؤمن برسالة القانون والقضاء.

وما كادت القضايا تعرض عليه، حتى رفض أي طلب للتأجيل تقدمت به النيابة، وكان وكيل النيابة في هذه القضايا جميعها اسمه "علي نور الدين" عين فيما بعد نائباً عاماً، شخص يرتدي نظارة سميكة، ذو كرش يصل إلى ركبته، بحيث تشعر أن سترته تصل إلى ركبته، أو أنه بدون أقدام، دائماً مرعوب من قوة خفية، له في كل من يديه ستة أصابع، يتكلم بصوت خفيض فيه معاني الذلة والمهانة، يرتعد أمام أي ضابط من ضباط المباحث حتى ولو كان في رتبة ملازم..

كان كل همة في هذه القضايا أن يطلب التأجيل لإطالة مدة حبس المعتقلين، ولكن القضايا كان يفرض باستمرار طلباته.

وما أن عرضت القضية التي كنت فيها، حتى وقف وكيل النيابة هذا يترافع بصوت مرتعش متهمًا إياي بالخطورة، وأن المضبوطات التي معي كفيلة بأن تسوقني إلى المشنقة. ولكن القاضي كان يلاحقه باستمرار.. نريد أن نعرف ما هي المضبوطات.. وبعد كثير من مناورات النيابة، اتضح أن المضبوطات لا تعد وأن تكون رواية مترجمة تدور وقائعها حول سجن الباستيل.

واستجار وكيل النيابة في هذه الحالة برئيس القسم المخصوص البكباشي "أحمد حلمي" (الذي اتهمته الثورة بعد ذلك أنه على علاقة بالأمريكان) فمال عليّ وكيل النيابة ليووجهه بالإصرار على التأجيل، ولما قمت بتتبيه المحكمة إلى هذا الوضع المشين.. حيث إن ضابط بوليس يوجه النيابة.. استفز القاضي الجليل، وزجر ضابط القسم المخصوص، وسأله بامتهان عن صناعته وعن اسمه. وأمر بوضعه في قفص الاتهام.

وهنا تدخل بعض المحامين. وأفرج عنه. ولم ينس قبل مغادرته القاعة أن يسر إليّ في أذني لن أنس لك هذا الموقف، وسوف أكون في المستقبل شاهداً ضدك وأنت مساق إلى المشنقة.. وبالطبع لم أذهب إلى المشنقة، بل ذهب هو إلى لا رجعة!!

خرجت من السجن، وخرج باقي المسجونين، ولم تنس النيابة أن تضغط عن طريق السراي لإبعاد هذا القاضي عن القاهرة، وفعلاً أبعاد عن طريق السراي إلى السويس.

ولن أنس ذلك القاضي العظيم، ورئيس المباحث العامة "حسن المصيلحي" وهو يميل عليه، ليلغيه أنه قد أتعب حيث بلغت الساعة الخامسة، وأن عليه أن يؤجل هذه القضايا لصبيحة اليوم التالي، وهو يرفض، بل.. يأمر بالقبض عليه.. لتدخله في أمور ليست من شأنه، ومحاولته التأثير على القضاء.

خرجت بعد عناء طويل، وبعد مؤامرات من محافظ القاهرة "كامل القاويش" الذي أخر الإفراج عني لمدة عشرة أيام منتقلاً بين سجون أقاليم وجه بحري. (كعب داير)، عل النيابة تكون لها مواقف ضدي في هذه الأقاليم.

خرجت بعد هذه الرحلة الطويلة منهكاً متعباً، في أمس الحاجة إلى الراحة بعد أن عرضوني على كل نيابات وجه بحري.

وبعد الإفراج عني ببضعة أيام فوجئت بأحد الرفاق يطرق الباب ويستفسر مني.. هل تعلم أن "صلاح بشرى" قد مات؟؟ وأن اليوم تشيع جنازته؟؟؟

أحسست بالمأساة، صلاح كان زميلي في مدة السجن.. صلاح بشرى ابن السودان، طالب الهندسة.. المريض بالسل.. الممنوع عنه الدواء حتى يركع.. صلاح المرح الذي يعيش في مصر كما كان يعيش في السودان. كل من رفاقه يناديه يا زول.. يضحك يرقص.. يغني الألحان السودانية في بساطة ومرح.. صلاح بن عطبرة.

أصابني الصمت والذهول. لم أجد جوابًا. لم أتكلم.. صمت بارد طويل في شقة في أول دور في المنيرة. ١٩ شارع بستان الفاضل.. لم أستطع أن أتكلم. صمت الرفيق أيضًا.. وبعد الصمت الطويل، سألته.. وما هو المطلوب؟

وأتى الرد من الرفيق.. لقد أعددتنا لمظاهرة ضخمة تطوف شوارع القاهرة لتشهد الشعب على المآسي التي ارتكبتها الرجعية والاستعمار في فترة الأحكام العرفية، التي أعلنت باسم تأمين دخول الجيش لتحرير فلسطين.. وفي الواقع استخدمت أبشع استخدام في تعذيب الوطنيين بل واغتيالهم، لا فرق بين شيوعي ونقابي أو إخوان مسلمين. الكل كان يجلد. يعذب. يعتدي على عرضه. يدفن في الظلام. إنها مأساة غياب الديمقراطية.

وبعد صمت قليل أبلغني أن الرفاق في اللجنة المركزية رشحوني لقيادة هذه المظاهرة وأفهمني أن كل شيء معد، وأبلغني بأسماء بعض الرفاق الذين يتولون تنظيم هذه المظاهرة وحمايتها من أي محاولة تخريبية يقوم بها العناصر العميلة لأجهزة المباحث أو السفارات الأجنبية.

.. من القاهرة إلى الخرطوم.

خرجت مع الرفيق للمشاركة في المظاهرة، وتنفيذ التكليف الموكول إلي حتى وصلنا قرب الجامعة حيث ودعني الرفيق ومضى في طريقه. وما كدت أرى المظاهرة وهي تخرج من حرم الجامعة، حتى تبين لي دقة التنظيم رغم ما يسيطر على المشاركين من غضب واشمئزاز لهول الجريمة.

مضت المظاهرة، وهي تجد الروافد التي تمدّها بالجماهير، طلبة وعمال من الجيزة، وما أن وصلت المظاهرة إلى ميدان التحرير حتى التقت بعشرات الألوف من العمال القادمين من شبرا وحلوان والوايلي والعباسية، وتوجهت المظاهرة إلى ميدان الأوبرا حيث صلى على جثمان الشهيد، وكان الغضب قد استبد بالجماهير وهي تهتف بسقوط الاستعمار، وسقوط الرجعية والسراي والمطالبة بمحاكمة الخونة ورجال المباحث.

وما أن خرج الجثمان من المسجد، حتى كنت آخر الخطباء الذين بكوا صلاح بشرى.. لم يكن الموقف يحتمل الرثاء والبكاء أو الكلمات الحماسية، وإنما دخلت مباشرة في كيفية

اغتيال صلاح، والمطالبة بتحديد المسؤولية، وإلغاء كافة القوانين المقيدة لحرية المواطن وأن تبدأ حكومة الوفد بتنفيذ البرنامج الذي سبق وأن أعلنته وهي في المعارضة.

واستبد الغضب بال جماهير التي أصرت على إرسال مندوب عنها إلى الخرطوم ليقول كلمة الشعب إلى جانب ممثلي الحكومة والسراي الذين سيسافرون إلى السودان، وأصر المشاركون في المظاهرة على أن أكون أنا مندوبهم في تشييع جثمان صلاح بشرى إلى السودان.

وما أن أبدى بعض ضباط المباحث الرفض حتى هجمت عليهم الجماهير، وبسرعة ووافقوا على أن أصحب جثمانه مع ممثلي الحكومة والسراي.

مضت السيارة بالجثمان إلى المطار وأنا معها وما كادت تصل إلى المطار حتى فوجئت بأن الجماهير قد سبقتنا إلى هناك وهي تردد نفس الهتافات.

واضطرت أجهزة الأمن إلى الإسراع في اتخاذ خطوات السفر، فأقلعت الطائرة الخاصة بالجثمان والمشيعين، دونما النظر إلى إجراءات السفر العادية، وما أن ارتفعت الطائرة في السماء، حتى بدأت أنظر إلى جثمان صلاح في صندوقه الخشبي وعليه بعض الزهور وبطاقات النقابات والمدارس والكليات موضوعة في الصندوق.

يا للفظاعة كان صلاح معي في السجن منذ مدة قصيرة. رأيته.. وهو ينزف دائماً من صدره.. سمعته.. وهو يكح حتى يوشك صدره أن يتمزق. تذكرت.. معاركنا في السجن من أجل الوصول إلى مجرد تركيب زجاج لمنع البرد في شهر يناير. اعتصامنا في السجن من أجل السماح له بكوب من الحليب. وتذكرت.. إدارة السجن وهي ترفض بحجة أن ذلك ليس مدرجاً في اللائحة.

وكلمة اللائحة في السجن تعني أنها فوق الدستور، ودونها كل القوانين. اللائحة كبراج على ظهر المسجون، مرض لا بد أن ينهي حياته أو يخرج من السجن عليلًا. تلك هي اللائحة التي وضعها "لوكس" أول مدير للمسجون المصرية. ومضمون هذه اللائحة أن السجين ممنوع عليه تناول أي مادة بها مواد سكرية لا حق له في التدخين.. لا حق له في تناول أي طعام غير طعام السجن المكون من.. نصف رغيف أسود في الصباح مع بعض حبات الملح.. فول أو عدس عدد حبات الرمل به أكثر من الفول ورغيف.. وفي المساء نصف رغيف وسائل لا لون له ولا طعم يسمونه اليمك.

كان هذا هو عالم السجن الذي عاشه صلاح بشرى، وانتهى بإصابته بالسل.. ومع مرور الزمن أصبح جميع العاملين في المصلحة من المدير إلى السجان من عبدة اللائحة. لدرجة أنه بعد الإضراب عن الطعام الذي خضناه في سجن مصر في عام ١٩٥٠ وانتهى بأن



حصلنا على حقنا في التدخين وتناول بعض المواد السكرية. أن أحد موظفي السجن حينما رأى واحداً منا يتناول قطعة من العجوة صاح بأعلى صوته (دي خربت) ثم سقط مغشياً عليه. كان ذلك هو السجن الذي مرض فيه صلاح بشرى، والذي أرافق جثمانه لتشييعه حتى عطرة.

في الطريق إلى عطرة

أقلعت الطائرة من مطار القاهرة وهي لا تضم سوى بضعة أفراد لا يتعدى عددهم خمسة أو ستة أفراد، مندوبين عن جهات مختلفة، ويترأس الوفد مندوب من السراي، وكان أحد الباشوات العاملين في القصر. رجل أحمر الوجه، ذو كرش كبير، وجلد رقيق تكاد الشعيرات الدموية أن تنفر منه إلى الخارج، يتحرك في تؤده وضجر، ولا يفتح فمه بكلمة، وإنما هي مجرد إشارات من يديه القابضة على سيجار طويل، ومن حين إلى آخر يحرك رأسه يميناً ويساراً وكأنه على وشك الاختناق من الضيق لهذه الرحلة التي فرضت عليه، ولمرافقته لأناس هم دونه مستوى.

كنت أجلس في الكرسي خلفه مباشرة، وفي مواجهتي الصندوق والذي به صلاح بشرى.. السوداني الراقص ابن عطرة.

ولا أدري إلا وأنا أتصور أن الدماء التي تجري في عروق هذا الباشا مسروقة من دم صلاح، وأن هذا الباشا على علم بدقائق الأسرار في سجن مصر حيث انتهت حياة صلاح.. كنت أشعر برعشة في جسمي من هذه المقارنة..

وما أن مر بعض الوقت حتى أشار إلي الباشا، إشارة فيها كبرياء واستعلاء.. ثم سألني.. هل تجيد الخطابة؟ ولكن الرد كان مفاجأة له؛ حيث أجبت أنه لا أعرف الخطابة. وثنى على هذا السؤال بسؤال آخر.. هل معك ورقة وقلم؟ فكانت إجابتي أيضاً بالنفي.

وهنا نظر إلي الباشا باحتقار واشمئزاز.. وردد أكثر من مرة بينه وبين نفسه ولكن بصوت مسموع.. وليه أرسلوك.. وليه أرسلوك.

ثم أشار إلى حقيبة صغيرة موضوعة بجواره، وما أن أحضرتها له، حتى أخرج منها ورقة وقلم، وأملأ علي خطبة صغيرة، وأشار علي باستظهارها عن ظهر قلب، لألقيها على الجماهير بمجرد وصولنا إلى أرض المطار. وهي تدور حول أن "الفاروق أعز الله ملكه، وحى عرشه، يعزي شعبه في السودان في وفاة ابنه صلاح".

ولما اطمأن إلى أنني حفظتها عن ظهر قلب، تركني وشأني؛ حيث أخذت أتحدث مع الطيارين وموظف اللاسلكي؛ حيث اكتشفت فيهم أشخاصاً فيهم الكثير من روح المجاملة

والوطنية، والتجاوب مع مشاكل الآخرين وما أن شرحت لهم قضية صلاح بشرى، حتى أحسست بمدى الاشمئزاز على وجوههم من هذه العملية.

وما أن اقتربت الطائرة من مطار عطبرة، حتى نادى عليّ الباشا، وأشار إليّ أن أتقدم صف المشيعين، وأن ألقى الكلمة التي أعدها لي، بعد أن أهتف بحياة الملك.

وما أن توقفت الطائرة ورأيت جموع أبناء عطبرة بملابسهم الفضفاضة وعمائمهم البيضاء، ووجوههم السمراء، وهم يقتحمون كردون العساكر الإنجليز ويتقدمون نحو الطائرة، والباشا من خلفي يبتسم مشجعاً ودافعاً لي إلى مقدمة الطابور لألقي كلمته التي سبق أن أملاها عليّ، وجددتني أهتف بكل ما أوتيت من قوة.. "يسقط فاروق عدو الشعب".. "يسقط فاروق قاتل صلاح".

ومن على سلم الطائرة ألقى كلمتي عن كيفية اغتيال صلاح، وأن مصر في ظل الاستعمار وفاروق عبارة عن سجن كبير، وأن هذا الباشا المرافق لجنّة صلاح، هو واحد من عصابة تعتمد في بقائها على السجون، وعلى الآلاف من الجلادين. وأسقط في يد الباشا..

ومضت جنازة صلاح بشرى ضخمة، مزدحمة بالآلاف من أبناء السودان، وهي تهتف بكفاح الشعبين في مصر والسودان. ويسقط الاستعمار والرجعية. ومضت المظاهرة كبحر لا شطآن له حتى وصلنا إلى المقابر؛ حيث استبد الحماس بطاقم الطائرة، واشتركوا في المظاهرة مرددين نفس الهتافات ضد الاستعمار وضد فاروق.

وبالطبع حالت الجماهير بين الباشا ممثل السراي وبين الاشتراك في المظاهرة.

كنت أعرف معظم قيادة الحزب الشيوعي السوداني، ولكن كانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها "الشفيع أحمد الشيخ"، والعملاق "قاسم أمين"، من رواد الحركة النقابية، ومن قيادات الحزب الشيوعي السوداني البارزة.

والثقافة السودانية في التعازي، لا تختلف كثيراً عن نفس تقاليدنا في مصر؛ حيث يدور الحديث، في فترة استراحة المقرئ، عن الفقيد وصفاته. وكانت فرصة طيبة لشرح الظروف في مصر، وسجونها التي اغتيل فيها صلاح بشرى، مع التركيز على تبرئة حزب الوفد الذي تسلم السلطة قريباً؛ حيث بدأت انفراجة ديمقراطية، من دم صلاح، مؤكداً أن المسؤولية هي فترة الحكم العرفي التي أعلنها النقراسي وعبد الهادي وغياب الديمقراطية، الأمر الذي سمح لبعض رجال البوليس، أن يتحولوا إلى عصابات متخصصة في التعذيب وهتك الأعراض والعمل بشكل مفضوح لخدمة السراي والسفارتين البريطانية والأمريكية.

الجزار "إمام إبراهيم" "حسن المصيلحي" "أحمد حلمي" "توفيق السعيد" "سمير رياض". وكان يرمز لهم جميعاً في هذه الفترة بالعسكري الأسود.

وما أنت انتهى القراء من قراءتهم بعض منتصف الليل، حتى عدت إلى الفندق الوحيد في المدينة مع قاسم أمين، فوجدت الباشا جالساً يدخل في الفراش، وما أن حاول الحديث، حتى كانت نظرة واحدة من العملاق قاسم أمين، ألزمت الصمت، بل ودفعته إلى أن يسحب الغطاء على ووجهه ورأسه وينام.

ما أغرب هؤلاء القوم، يبدوون شجعاناً وفساناً مع المسجونين المضطهدين، المقيدون، يصلون ويجولون.. ولكن عند أول احتكاك مع الجمهور يتحولون إلى جردان.

وقضيت الليلة مع الباشا في نفس الحجرة، وما أن أصبح الصباح، حتى وجدت قاسم يوقظني وهو يبتسم ويصحبني إلى الخارج؛ حيث كان أعد مؤتمراً صحفياً.. وبالطبع قلت فيه كل ما في نفسي ضد فاروق والرجعية المصرية والإنجليز.

ولا أدري ما الذي دفعني لأن أفكر في قضاء بضعة أيام في السودان استجابة لدعوة الرفاق السودانيين. ولكنني فوجئت بالطيارين وقد فكروا أيضاً في عدم العودة، وخاصة بعد أن اشتركوا في المظاهرة وهدفوا ضد فاروق. ولكن الشيء الذي كان يقلقهم.. ما هو مصير الطائرة.. وهل سيتركونها.. وبعد نقاش قصير استقر رأينا على العودة وليكن ما يكون.

وما كادت الطائرة في طريق عودتها تدخل الأجواء المصرية، حتى تحول الباشا الذليل إلى أسد مفترس يهدد ويتوعد، ويطلب من ضابط اللاسلكي أن يتصل بالقاهرة، ليخطر القسم المخصوص بالانتظار، ولكن ضابط اللاسلكي بعد محاولات صورية مع الجهاز أخبره أن الجهاز عاطل.

ومن الغريب، أنه عند وصولي للمطار لم يتعرض لي أحد، وبالاتصال بالمنزل عرفت أن البوليس هناك في الانتظار. لم أذهب إلى المنزل، وبدأت فترة هرب جديدة حتى قبض عليّ بعد رحلة إلى القناطر الخيرية.. ولكن لم يطل الأمر حتى أفرج عني؛ حيث كان الوفد في السلطة بما يحمله معه من تراث في الحريات والديمقراطية. ما أجمل كلمة سعد زغلول.. "الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة".

إن الديمقراطية هي أروع إنجازات البشر، وإذا كان العمل هو الذي يميز الإنسان عن الحيوان، فإن الديمقراطية هي صانعة الإنسان.. فكره.. كبريائه.. أمنه.. طمأنينته.. قدرته على الابتكار، وتركيز قدرة الإنسان على هزيمة الطبيعة وإخضاعها لصالحه.. أما غياب الديمقراطية فتعني.. استئثار بعض الأفراد بامتيازات يعطونها لأنفسهم، ليستعبدوا الآخرين،

وليحولهم إلى عبيد، لأنفسهم فيفقدون هم أنفسهم صفاتهم الآدمية، بعد أن يكونوا قد قتلوا في الناس القدرة على الرفض..

إن الذي لا يملك أن يقول لا.. لا معنى لرأيه حينما يقول نعم.

الاعتقال:

وما أن أصدر محمد نجيب قراره بحل الأحزاب السياسية، حتى بدأت حملة اعتقالات واسعة، مستهدفة أساساً الشيوعيين والقوى الديمقراطية ونجح معظم الرفاق القياديين في الإفلات من الاعتقال. كانت الوظيفة الأولى للملقة على عاتقنا كيف نؤمن وجودنا في الخارج، في الوقت الذي تنطلق فيه قوى المخابرات والمباحث العامة، لتقوم بالتفتيش في كل مكان. الجماهير تبدأ نظرة جديدة إلى الثورة فيها تساؤل وفيها استفسار؛ إذ إنه لم تمر سوى فترة قصيرة على فترة الإرهاب والأحكام العرفية التي أعلنها علي في أعقاب حريق القاهرة، فقد قضينا الفترة من ٢٦ يناير ١٩٥٢ حتى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في العمل السري تحت الأرض، ولم نتوقف عن الاتصال بزملائنا في السجون والمعتقلات. وها نحن نعود من جديد إلى ممارسة نفس حياة الهرب والتخفي.

بدأنا نلتقي من جديد، نجمع شمل فلولنا، ونؤمن بعض الذين لم يجدوا مأوى مستقر وانتقل بعضنا إلى الأرياف. لقد كان معظم أعضاء المكتب السياسي في خارج السجن، وتم أول اجتماع لنا لمناقشة الموقف السياسي.. وكان قرارنا هو الاستمرار في موقفنا ودعم الثورة في خطواتها التقدمية ضد الإقطاع والرجعية وفي نفس الوقت المطالبة بالحرية والديمقراطية لكل القوى المعادية للاستعمار. مع التركيز على مهاجمة التعذيب والاعتقال.

وكان أول منشور أصدرنا يدور حول الطلبة المعتقلين في الثانوية العسكرية حيث قتل الطالب عصام سري الطالب بكلية الطب. كانت تلك فرصة لا بد أن نفتتنها لفضح الإرهاب وقطع الطريق على مسيرة التعذيب التي كانت في بدايتها.

حضر في هذه الفترة الرفيق عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي السوداني وتمت اجتماعات طويلة بيننا انتهت إلى مفهوم موحد، ولكنه أصر في هذه الفترة على عودة "الجنيد علي عمر" السوداني الذي كان عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المصري، ورغم عدم اقتناع الجنيد بالقرار، فقد نفذه وأقمنا حفلاً صغيراً رغم ظروف هربنا، وأخذنا بعض الصور. وكان هذا هو اللقاء الأخير مع جنيد زميل الدراسة والنضال. وما أن وصل السودان، ومضت عليه فترة قصيرة حتى أصيب بحالة عقلية، أعطيت لها تشخيصات كثيرة. كان معظمها يدور حول تعاطيه الكحول، ولكنني أعتقد أنه سافر وهو غير مقتنع بالعودة، فلقد

كانت حياته قد استقرت في مصر، ارتبط بمسيرة نضالها، وأخيراً سمعنا عن وفاته. كان شريفاً ومخلصاً ومناضلاً.

كنت في هذه الفترة، أنقل من منزل إلى منزل، ولا أشعر بالاستقرار وأخيراً نجح بعض الرفاق في أن يوفروا لي مسكناً هادئاً تتوافر فيه كل الشروط المناسبة لإنسان لا يريد الاختلاف بالآخرين.

كنت في هذه الفترة مسئولاً عن منطقة القاهرة، وعن الأجهزة الفنية، وكانت المسئولية تقتضي الكثير من الحركة، التي تتنافى مع وضع إنسان هارب، ولكن حساسية المسئولية فرضت الاستمرار، وكان يشاركني في هذا النشاط المرحوم محمد عباس فهمي.

كان شريف حتاتة أحد المسئولين عن النشاط في الريف، وكان يأتي من حين لآخر لاستلام بعض المطبوعات أو لطبع بعض المنشورات. كان صامتاً هادئاً كعادته، ولكن الشيء الذي كان يشغل بالي، هو عدم ملائمة شريف لهذه المسئولية، فهو قادر على العطاء في أعمال أخرى. طبيب متقدم في دراسته متفوق دائماً أليس جديراً بأن يعمل في مجاله. أما مجال الريف فقد يصلح له آخرون، قد يكونون أقل كفاءة منه ولكنهم قادرون على التأقلم مع حياة القرية أما هو فربما كان قادراً على العطاء في مكان آخر.

كانت الصورة التي ترد عن القرية عن طريق الرفاق الذين يعملون في الريف أن جماهير الفلاحين وعمال الزراعة سعداء بصور قانون الإصلاح الزراعي، الذي أحدث فرساً يكاد يكون كاملاً في القرية، فالعلاقات الإقطاعية المغلفة بغلاف الجيرة والقرابة بدأت تتبخر أمام شهية الفلاح ليمتلك قطعة من الأرض.

لقد بدأ كثير من الإقطاعيين يتملقون الفلاحين، بل إن بعضهم ممن يمتلك علاقات قوية في القرية بدأ يملك جزء من أراضيهم لبعض الذين يثق فيهم، ليساعده على عمليات التهريب ولكن.. حتى هذه الثقة التي استجار بها الإقطاعي لم تلبث أن تبددت أمام المصالح المادية للفلاح.

لم تكن عملية الفرز على هذا المستوى فقط بل امتدت إلى عزل الإخوان المسلمين حينما أحست الجماهير أن قولهم عن الرحمة والعدل والتضامن قد سقط في أول جولة مع حكومة الثورة حينما رفض مرشد الإخوان قانون الإصلاح الزراعي، ثم عاد وطالب برفع الحد الأقصى إلى ٥٠٠ فدان.

أما باقي التنظيمات التي كانت تسمى قانون الإصلاح الزراعي قانون الإفساد الزراعي فلم يكن لها تأثير.

بدأ الفلاح يشعر أن كلمة سياسة تعني مصلحة، والمصلحة التي يتطلع إليها الفلاح في حدود مفاهيمه هي الملكية والحياة القريبة من الإنسانية.

ولكن الرفاق الذين كانوا يعملون في القرية، ويخالطون العناصر الواعية من الفلاحين كانوا ينقلون إلينا صورة أخرى. نعم هناك ترحيب ولكن هذا القانون لم يضع في اعتباره، المزيد من تفتيت الملكية الزراعية، والمزيد من الجسور الفاصلة بين الملكيات القومية، والتي تستهلك جزءاً كبيراً من المساحة بالإضافة إلى الإسراف الذي سيتم في مياه الري.

والنقطة الرئيسية أن الفلاحين لم تنشأ لهم التنظيمات الديمقراطية القادرة على استيعابهم وتعينهم على التعامل مع القانون الجديد.. وما يلزم للفلاح من كيماويات وآلات حرث.. إلخ.

ولكن كل ذلك لم يكن وارداً في قانون الإصلاح الزراعي؛ حيث كان الهدف الأساسي منه عدالة التوزيع والقضاء على النفوذ السياسي للإقطاعيين في القرية. وكانت الصورة التي يقدمها رجال الثورة عن سيطرة الإقطاع على الانتخابات البرلمانية في القرية صحيحة ومعقولة؛ حيث كانوا يصورون العمدة وهم يشحنون الفلاحين وعمال الزراعة في عربات الكارو ليدلوا بأصواتهم في البك أو الباشا.

هذه الصورة حقيقة واقعة في تاريخ بلادنا، وشاهدتها طفلاً في القرية، حينما كانت الانتخابات في القرية تعني المفاضلة بين أسرتين من كبار الإقطاعيين، أسرة نور أو أسرة الشناوي.

ولكن هذه الصورة كانت ينقصها الإطار الذي يوضح هذه المأساة مسألة شحن الفلاحين وعمال الزراعة ليدلوا بأصواتهم للبك أو الباشا.. هذا الإطار هو غياب الديمقراطية على امتداد عهود طويلة في تاريخ مصر.

* * *

وحينما كان محمد نجيب أو عبد الناصر يقدم هذه الصورة الكاريكاتورية لإدانة الديمقراطية، كانت تقفز إلى ذهني صور من تاريخ قريتنا؛ حيث تعلمت أول درس في الديمقراطية، وعرفت منه أنه لا يوجد ثمن يعادل الديمقراطية.. فقد يتوافر الخبز للإنسان توافره للسجين ولكنه يظل فاقدًا حريته فاقدًا إنسانيته. فقد تتوافر المدرسة للإنسان ولكنه بدون الحرية يتحول إلى صفر في المجتمع، ويتحول إلى كرجاج يعد لجلد المجتمع.

ولا زلت أذكر أول مظاهرة رأيتها في طفولتي المبكرة؛ حيث سار الفلاحين في مظاهرة كبيرة وهي تهتف.

يسقط صدقي يحيا الدستور

لم أكن أعلم من هو صدقي الذي يهتفون بسقوطه وما هو الدستور الذي يهتفون بحياته.

القرية صغيرة. شوارعها ضيقة. مليئة بالحجارة والتراب. والفلاحون يرددون الهتافات ووجوههم غاضبة، وبأيديهم النبائيت، وتستمر مسيرتهم حتى نقطة البوليس وهم يرددون هتافاتهم ويحاصرون مبنى البوليسي؛ حيث اجتمع العساكر وحضرة الضابط خلف الأبواب المغلقة. ثم ينصرفوا بعد ذلك إلى مكتب التلغراف؛ حيث يرسلوا برقية إلى النحاس باشا، كنت أول مرة أسمع فيها اسمه، وهم يهتفون:

"النحاس خليفة سعد، النحاس خليفة سعد، هل هالك يا نحاس" ويعود الجميع إلى بيوتهم، وهم يتجمعون خلف حلقات صغيرة، يناقشون.. واسمع بعضهم وهو يقول:

إن صدقي باشا حلف يمينه بالطلاق لازم كل اثنين يلبسوا جلابية واحدة!!!

في هذه الفترة عين عمدة جديد للقرية، وهو واحد من أقربائي، كان هو الوحيد الذي يدافع عن صدقي هذا في القرية، وبمجرد تعيينه استن تقاليد جديدة، لم تكن نعرفها من قبل، هي الضرب بالكرباج وكان يسميه "الأدغر" والويل لمن يبتلي بمقابلته، فالأدغر هذا كان يتناول جسده دون تفرقه بين وجهه وظهره وقدميه.

وأمام منزله وضع جذع شجرة، به حلقات من الحديد يربط بها الفلاحين الذين يخالفون أوامره أو يتأخرون في دفع ضريبة كانت تسمى "ضريبة العتبة" وهي لا تتجاوز في أغلب الأحيان خمسة قروش ولكن الفلاح لم يكن بقادر على دفعها، فيظل يجلد ويجلد حتى يتطوع من يفك أسرهم.

وكان قريبي هذا أو عمي شخصاً قاسي القلب، فظاً في سلوكه، شاذ في تصرفاته. كان رجلاً طويل القامة ذو عنق طويل مجعد، أصلع الرأس إلى حد أنه كان الفلاحون يسمونه (بالأدغر) لا يمل الحديث بصوت عال عن إنجازات حكومة صدقي.

وكانت تأتيه مجموعة نسخ من صحيفة "الشعب" التي كان يصدرها حزب صدقي باشا "حزب الشعب" ولم يكن أحد يقرأها أو يتداولها، وإنما تظل مكومة في منزله لا يعرف أحد من الشعب شيئاً عنها.

ومن جهة أخرى كان هناك جريدة اسمها الجهاد تأتي لبعض أفراد في القرية معظمهم من الحرفيين منهم الحاج مصطفى السقا، الشيخ محمد شمس الدين المأذون وغيرهم وكان

الناس يتجمعون لقراءتها في حلقات صغيرة. ولا زلت أذكر هذه الصحيفة وقد كتب في أول صفحة منها:

قف دون رأيك في الحياة مجاهدًا إن الحياة عقيدة وجهاد.

وكثيرًا ما كان العمدة، هذا يهاجم التجمعات، ولما عجزت قوة الخفر التابعة له عن ملاحظتهم، قام بتعيين عددًا آخر من الخفر يماثلهم في العدد، ولم تكن هذه المجموعة تتسلح بالبندقية الطويلة التي يحملها باقي الخفر، ولكن كان كل منهم يحمل نابوتًا، وعرفت فيما بعد أن القرية هي التي تقوم بدفع مرتباتهم الشهرية.

ولكن هذه القوة التي أضافها حضرة العمدة الجديد، لم تساعد على استقرار الأمن حيث ازدادت الحلقات التي تقرأ "الجهاد" وحيث زاد عدد جرائم قتل القطن والحرائق.

وفي ليلة من الليالي هبط على القرية عدد من الجمال، يمتطيها عساكر سود وبأيديهم الكرابيج، ومعهم حضرة العمدة، وهو يعلن ممنوع الخروج بعد المغرب "يا بلد هلس".

ولكن الفلاحين وجدوا وسيلتهم للخروج، إذ كانوا يشعلون الحرائق في أي مكان دون قصد محدد إلا الخروج إلى الشارع وتحطيم قرار حظر التجول حيث كان العمدة والهجانة أنفسهم يطوفون بالبيوت ليدفعوا الناس إلى الخارج لإطفاء الحرائق. وتوجت تلك المأساة بأن قبض على أبي ولم أشاهد عملية القبض هذه ولكني رأيته بعد الإفراج والناس يهتفون في المنزل، وعرفت أنه قبض عليه هو وكثير من الأعيان في القرى المجاورة لإلقاءهم بصناديق الانتخابات في التربة.

وهكذا كرهت القهر والاستبداد، فكلاهما ليس كلمة تقال في صحيفة، أو قرار يصدره حاكم، وإنما هي موقف ينعكس على المواطنين، ولو كانوا في أقاصي الريف، فالحاكم المستبد الذي يسلب حرية مواطنيه، يتحول شيئًا فشيئًا إلى نصف آدمي. فلقد وصل الأمر بعمدتنا هذا وهو الآمي أن كان يفتي في الدين ويصدر آراء العلماء، مما فيهم إخوة المدرس في الأزهر، ويقيم الليالي والندوات السياسية، وبالطبع عثر على بعض أعوان له في القرية من أصحاب الوشايات والعواطلية والمرترقة والقادرين على تقديم الرشاوي لصغار الحكام.

تذكرت القرية في هذه الفترة، وأنا أستمع إلى بعض أعضاء مجلس الثورة وهم يهاجمون الحياة الدستورية والحرية والنحاس باشا، وأحسست بعدم الراحة. وهم يسخرون من الديمقراطية على أساس أنها شحن في عربات الكارو وهم ذاهبون لإعطاء أصواتهم للباشا أو البيه.. ولكن لم يقدموا صورهم ومسيرتهم وهم يهدمون عدوان صدقي على الحياة الديمقراطية والدستور. ولم يقدموا موقف الفلاح وهو يصوت رغم الكراباج والعمدة لحزب الوفد ليأتي بالأغلبية، حقيقة أغلبية لم تصل إلى ٩٩,٩% ولكنها كانت أغلبية حجت السراي

وأحزاب الأقليات وتبعدهم عن السلطة.. أحسست في هذا الوقت أن الثورة قد فرضت نفسها وصيًا على الشعب، عليها أن تعطيتهم فقط ولكن ليس لهم الحق في أن يطالبوا. عليهم أن يأكلوا وفي نفس الوقت عليهم أن يصمتوا عن أي كلام فيه إساءة لهؤلاء الثوار.

كان هذا هو أول درس تعلمته في قريتنا عن الحرية، ولذلك توقعت بعد هذه الأحاديث التي يدلي بها رجال الثورة أن يقوموا باعتقال كل من يفكر أن يتحرك حتى ولو كان شريكاً لهم بالأمس. أحسست باتجاه الريح فتركت منزلي حيث بدأت الاختفاء.. وفي المساء كان الهجوم على منازلنا ولكن من حسن الحظ أنهم لم ينجحوا في اعتقال أي رفيق من أعضاء المكتب السياسي.



الصراع

لم يكن المعتقلون جميعًا يمثلون اتجاهًا واحدًا، وإنما كانوا يمثلون اتجاهات مختلفة من طليعة العمال والحزب الشيوعي (الرأية).. وبعض أفراد ديمقراطيين نقابيين، وكان العدد الأكبر من أعضاء حدثو.

لم يشترك في الإضراب سوى مجموعة (حدثو) وبعض العناصر الديمقراطية.. وفشلت كل المحاولات لإقناع الآخرين بالاشتراك في الإضراب، ولم يكن الجو صالحًا لعزل نقطة مطالب الإضراب عن باقي الخلافات.. فمن حين لآخر كانت تنهمر علينا الاتهامات من كل جانب.. فأعضاء تنظيم (الرأية) يصرون على أن حكومة ثورة ٥٢ فاشية، وأنها انقلاب أمريكي وتمثل أعلى قمم الرأسمالية، وفي أي مناقشة تستهدف عزل مطالبنا كمعتقلين عن الخلافات ترتفع أصواتهم بالأنشيد الحماسية الاستفزازية، بسقوط الفاشية وعملاء السلطة.. ويقصدون بذلك أعضاء حدثو.. لقد كانوا في معظمهم يمثلون عناصر صغيرة السن من الطلبة التي لم تعركها الحياة السياسية بعد، أو من العناصر التي لم تعرف السياسة إلا عن طريق الكتب فقط.

وكان أعضاء طليعة العمال يخفون صفاتهم كشيوعيين، ويصرون على أنهم مجرد عناصر تقدمية ونقابية، ولم يكن عندهم وضوح سياسي في تحليل السلطة، سوى أنهم يريدون إسقاطها، وكانوا يعلقون آمالاً كبيرة على حزب الوفد في هذه الفترة.

لقد كان الموقف دقيقًا؛ إذ إننا كنا نلمح أن هجوم السلطة على الشيوعيين يشند يومًا بعد يوم، وأن هذا المعتقل إنما يستهدف في النهاية تحطيم معنوياتنا، ولم نكن نملك إلا أن نقاوم بسرعة، فإن توالى الهجوم مع الاستسلام يجعل المواجهة في المستقبل شاقة إن لم تكن مستحيلة، وكنا نشعر أن زملائنا في القاعدة من الممكن أن ينحرفوا إلى أقصى اليسار في ظل هذه الظروف.

كانت مطالبنا تنحصر فيما يلي..

- السماح بقراءة الصحف.
- السماح بالزيارة.
- السماح بالمراسلة.
- نقل وجهة نظرنا إلى السلطة في عودة الديمقراطية.

- رفض المفاوضات مع الإنجليز كأسلوب، واستمرار الكفاح المسلح الذي أوقفه حريق القاهرة.

ولكن باقي التنظيمات رفضت بالكامل الإضراب ومطالبه، واستمرت في حملتها علينا مرددة.. أننا شاركنا في جريمة ٥٢ (يقصدون ثورة ٢٣ يوليو) ومدعية أن عبد الناصر كان عضوًا في تنظيم تحت اسم "موريس".. وبلغت المأساة ذروتها باتهامنا بأننا شاركنا في إعدام "خميس" و"البكري" مع أننا كنا التنظيم الوحيد الذي أثبت أن حريق كفر الدوار كان وراءه "حافظ عفيفي" وأنها مؤامرة رأسمالية تستهدف ضرب الحركة العمالية المسئولة عن تكوين الاتحاد ومجلس قيادة الثورة في هذا الوقت لتوضيح هذه المؤامرة.

لم ننجح في إقناع الآخرين بالإضراب عن الطعام من أجل المطالبة بتحسين أوضاعنا، وأقصى ما وصلنا إليه هو أن يقفوا على الحياد، دون محاولة إضعاف معنويات الزملاء. كان عدداً في ذلك المعتقل حوالي ١٥٠ من أعضاء حدتو وهم يمثلون الأغلبية، فأخذنا نعمل على إعداد الزملاء معنويًا لخوض المعركة، وتوضيح مطالبنا وأسلوب التعامل مع الإدارة في هذه الفترة، وأرسلنا إلى خارج المعتقل لباقي الزملاء والأسر والرفاق في السجون الأخرى، وقسمنا الزملاء إلى دفعات، تدخل كل دفعة الإضراب في تاريخ محدد لها..

وتولى الزملاء الفنانون إصدار مجلة فكاهية كاريكاتورية تصور حالة المعتقلين المضربين، تنشر أخبارهم بطريقة فيها نوع من الفكاهة، هذا إلى جانب قصص قصيرة من مختلف أنحاء العالم عن معارك الشيوعيين في المعتقلات.

وبعد أن تأكدنا من وصول أخبار استعدادنا للإضراب إلى الخارج، بدأنا نتعمد أن تكون مناقشتنا لهذا الموضوع بصورة علنية، وتقدمنا بمطالبنا بشكل واضح إلى الإدارة وإلى الجهات المختلفة. ولكن الإدارة أصمت أذانها عن كل شيء.. وكان كل ما يقوله مدير الليمان أن هذه المطالب ليست من سلطاته.

ودخلت الدفعة الأولى للإضراب وأخلي لهم عنبر خاص. واستمروا في الإضراب أربعة أيام. وفي اليوم الخامس دخلت دفعة ثانية، وبعد ثلاثة أيام دخلت دفعة ثالثة. ووصل عدد المضربين حوالي ستين وإلى اليوم العاشر لم تتحرك إدارة السجن أو يأتي مندوب الحكومة.. ولكن إدارة السجن كانت من حين إلى آخر تبلغنا نتائج اتصالاتها بالمباحث، وكانت تتلخص في كلمة واحدة.. فليموتوا.. وفي اليوم السادس عشر كانت المفاجأة.. أعداد ضخمة من قوات الأمن تتولى حراسة السجن والليمان تتقدم صارخة وهي تحمل الشوم وواضح من حركاتها أنها أعدت إعدادًا كاملاً لهذه المعركة.. فهي تركض وفي أيديها الشوم، وتركض بسرعة جنونية في اتجاه عنبر واحد الذي كان يضم حوالي ثلاثين من المضربين وتبدأ معركة



رهبة بين المضربين وقوات الأمن.. المعتقلون يحاولون أن يغلقوا الباب من الداخل والقوة المجنونة تدفع وتحطم وكأنها تتسابق إلى الداخل، تضرب يميناً وشمالاً دون وعي أو تحديد لاتجاه الضربات.. صراع غير متكافئ سواء من الناحية العددية أو الجسمانية.

ويقف "سعد الساعي" بطل مصر في الملائكة وأول ليسانس الآداب وقفة الملاك الذي يتصور أنه قادر على الصراع.. ولكن شومة غامضة تصرعه، ويعاود الوقوف في تحدي الملاك، ولكن الشوم يلقي به أرضاً وتصل المأساة إلى حد مضحك.. في هذا الصراع يعز على سعد بأن ينهزم فيطلب منا مأمور السجن.. ولا تكتمل كلماته حتى يتحول إلى قطعة من اللحم تتقاذفها الأقدام وتتوشها العصي بصورة محمومة. ويقود هذه المعركة مدير اليمان، ويصرخ كما لو كان جنراً في معركة حربية.. ومن الغريب أنه كان يصطحب ابنه في هذه المعركة كما لو كان يشهد على بطولة أبيه.

ووسط هذا الجو المحموم تنطلق صرخة مدوية. ونفاجأ بطفل يجري بين الجنود متقدماً ليحتضن أحد المعتقلين، ويصرخ وهو يدفع بالجنود بعيداً عنه.. أستاذي.. أستاذي لا تضربوه.. ويتوقف الضرب للحظات. ويعم سكون بارد.. ويكتشف مدير السجن ابنه وهو يحتضن أحد المعتقلين، فيرتجف الرجل وينظر إلى ابنه نظرة استنكار واستفسار. ثم ينتقل بصره إلى المعتقل والدماء تنزف من رأسه وهو شبه عاري.. إنه أستاذي في الفلسفة "جميل عبد الشفيق".

ويرتبك المدير ويدفع بالمدرس وابنه بعيداً لتستمر المعركة.. يا للمهانة الإنسانية.. عندما يصفع الأب أمام ابنه.. أو يضرب المدرس أمام تلميذه.. ويا لنذالة الأب الذي تتحجر عواطفه وهو يعرض نفسه على ابنه في صورة السفاح.. لا أدري لماذا تركزت عواطفها كلها في هذه اللحظة في جميل عبد الشفيق مدرس الفلسفة الرقيق المذهب الذي يشبه العصفورة، وفي هذا التلميذ الذي أثار في نفسي أشياء كثيرة.

لقد أحسست في هذه اللحظة أن الذي ضربهم كل مدرسي مصر، تراثها، حضارتها وتاريخها، وأن صراخ هذا الطفل لم يكن إلا عويل مصر.. التي تعيشها بلا حرية، بلا ديمقراطية، بلا كلمة شريفة وانطلقت الكلاب المسعورة تضرب في كل مكان. لم تترك نظارة إلا وحطمتها، زجاجات الدواء دهستها، الكتب مزقتها.. إلى أين المسير يا بلدي.. المريض يحرم من دواء، ضعيف النظر تحطم نظارته والكتب تثير الرعب والكراهية. أنهم يريدوننا قطيعاً أعمى ومجموعة من المرضى وجماعة من ذوي العقول الفارغة. فالديكتاتورية لا تستطيع أن تعيش إلا إذا جردت الشعب من كل مقوماته. فكرة ثقافية.. وهكذا عاشت مصر في تلك الفترة. مصر التي صارت الاستعمار طويلاً، مصر التي ما انخفض صوتها في أشد

الفترة ظلاماً، مصر التي اعتادت ألا تعطي ثقته لزعيم إلا بعد سنوات وسنوات من النضال.. مصر الآن عليها أن تصمت وتعطي ثقته لضباط لم تعرفهم إلا من شهر.. عليها أن تصمت فالزعيم يتفاوض مع "هايكى" في السفارة البريطانية. وكانت هذه المفاوضات محل انتقاد دائم من الشيوعيين. ويسرع "صلاح سالم" إلى الإذاعة ليؤكد أن المفاوضات كانت ستنتج لولا هؤلاء الشيوعيين الملاحين. ومن هناك كانت عمليات التعذيب والاعتقال.

وينتهي يوم التعذيب الطويل، وتراجع القوات التي قامت به، ويقف مأمور السجن متغطرساً صارخاً.. من يريد الاستمرار في الإضراب عن الطعام يتقدم خطوة إلى الأمام.. ويفاجأ الرجل بأن جميع المعتقلين المضربين عن الطعام لمدة ستة عشر يوماً والمعرضين للتعذيب طوال يوم كامل.. يتحاملون على أنفسهم، ويتساندون على بعضهم البعض حاملين جراحهم ويتقدمون إلى الأمام.. خطوة واحدة. ويصعق الرجل وتراجع الإدارة والمباحث.. وتبدأ المساومات.

وأقبل المساء وبدأ المعتقلون يعودون إلى زنازينهم الانفرادية. بعد فسحة العصر المسموح بها وقدرها نصف ساعة، يملأون فيها الجرادل التي سيشربون منها طوال الليل، وينظفون الجرادل الأخرى المعدة لتلبية نداء الطبيعة، ويستلمون فيها عشاءهم، ولكنها لم تكن تخلو من دردشات وعلاقات إنسانية وتبادل الذكريات الحلوة. والحقيقة أن ما كان يهمني في هذه الفسحة أن أتناول العشاء بمنتهى السرعة رغم أنه كان يأتي في الساعة الخامسة أي بعد موعد الغذاء بساعتين فقط، ولكن الذي كان يعينني في هذا كله أن أجد من يشاركني العشاء.. وكان دائماً عشاءني مع "فتحي خليل" ابن السويس وعاشقها.

لقد كان إنساناً بكل معنى الكلمة، رغم السخرية القاتلة التي يمارسها حيال كل الزملاء حتى حيال نفسه، لقد كان يسرع بعشاءه إلى حجرتي لأأكل سوياً، فهو يعلم جيداً أنني لا أستطيع الأكل بمفردي ولو أدى ذلك إلى أن أنام بدون عشاء أو أصبح بدون إفطار.. لا أستطيع أن أكل إلا مع الآخرين.. وليس كل الآخرين فلا بد وأن تكون لي معهم علاقات إنسانية حسنة، وطالما عذبتني هذه اللازمة.

وما أن أغلقت الزنازين وتم التمام حتى عاد الشاويش "عبد الرزاق" ذلك السجن العجوز الماكر الداهية، لينادي على أسماء ثلاثة من المعتقلين.. أحمد الرفاعي.. كمال عبد الحليم.. عبد المنعم الغزالي.

ولم يكن متوقع من الشاويش أن يعطي معلومات أكثر مما يبلغ إليه، ولو أنه يعلم أشياء كثيرة، لخبرته الطويلة وثقة الإدارة به.

وعبد الرازق شاويز في مصلحة السجون منذ ثلاثين عاماً، نحيل الجسم، بارز عظام الوجه، ذو سحنة تميل إلى الخضرة المشربة بالصفرة، متوسط القامة، لا يثور ولا يرتفع صوته، ولكنه ذو عين نافذة، قاسي الوجه، ينظر إلى الناس كما لو كان واحد منهم قد ظلمه في رزقه أو حظه، فالجميع مجرمون مخطئون ما دام قادراً على أن يستذلهم، ومن لم يستطع أن يستذل فهو سيد مميز ودائماً على حق.

لقد كانت حياة الشاويش عبد الرازق صورة معبرة عن معاناة الفلاح المصري في ظل الاستعمار والإقطاع فهو فلاح منحدر من ريف الصعيد، أخذته السلطة البريطانية في إبان الحرب العالمية الثانية، وأرسلته للعمل في فرنسا.. ولأول مرة أعرف أن المصريين الذين كانوا يعملون في السخرة، قد عملوا في أوروبا.. فكتب التاريخ لا تذكر أنهم عملوا إلا في منطقة الشرق الأوسط.. ولكن عبد الرازق كان يعطي تفاصيل دقيقة عن فرنسا وعن نوع الحياة التي كان يعيشها هناك.

ومن الغريب أن هذا الظلم لم يولد عنده أي رغبة في الاحتجاج عليه أو العطف على المظلومين.. ولظنه خلق منه كائناً يعتقد أن الأصل في الحياة أن تظلم أو تظلم. فإذا لم تكن قادراً على أن تظلم فليس أمامك إلا أن تعيش مظلوماً.. قانون وضعه لنفسه استباح به أن يكون قاسياً وفضلاً مع الجميع.

وقفنا نحن الثلاثة داخل العنبر، والزنازين مغلقة، والرفاق ينظرون من العيون السحرية علينا، وبعضهم قفز إلى الشبائيك ليلقي علينا نظرة الوداع.. إذ إن مجلس قيادة الثورة قد أعلن عن تشكيل (محكمة الثورة) لمحاكمة السياسيين.. وهي محاكم خاصة بلا قانون، وكان قد سبق لها أن أصدرت حكماً بإعدام بعض الذين كانوا يتعاونون مع الإنجليز، وكذلك حكماً بالإعدام على أحد رؤساء الوزراء السابقين. وهو "إبراهيم باشا عبد الهادي"، رئيس الحزب السعودي حزب كبار الرأسماليين المتعاون مع السراي، كذلك حكماً بالسجن المؤبد على "قواد باشا سراج الدين" وزير الداخلية. وكان صلاح سالم قد أعلن أن الشيوعيين سيحاكمون أمام محكمة الثورة، إذن فنحن ذاهبون إلى محكمة الثورة.

النتيجة معروفة مقدماً.. الإعدام.

وارتفع من الداخل صوت الرفاق يرددون الأناشيد، فيها هم رفاق لهم عاشوا معهم الحياة حلوها ومرها، هزائمها وانتصاراتها، عاشوا معهم معارك مصر.. يرسلون إلى الإعدام.

وأقبل السجانة لنقلنا من داخل العنبر لنرحل إلى القاهرة، وكلما ابتعدت خطوة عن العنبر، كانت كلمات الأناشيد تلاحقنا..

بين صخر وحديد وأعاصير وسل

وقيود وسدود قتلوا منا بطل

نشيد حزين. فيه قوة وإصرار، في كل كلمة منه أحس رائحة الدم، ومعنى التطابق بين الموقف السياسي ومواجهة الموقف. إن الإنسان الكامل هو الذي تتطابق عواطفه وآرائه مع موقفه السياسي. كلمات صاعها الرفيق "كمال عبد الحليم" عندما مات أحد المناضلين السودانيين في السجون المصرية، وهو طالب الهندسة "صلاح بشرى".

ومع النشيد الحزين والليل الذي يزحف في عتمة داكنة على سجن بني سويف، وجدنا مئات العساكر مصطفىين على جوانب الطرق ابتداء من السجن حتى محطة بني سويف، وفي داخل المحطة كانت هناك قوات ضخمة من رجال الأمن موزعة على أرصفة المحطة شاهرة السلاح تحت قيادة مدير المديرية.

إن النتيجة واضحة، وواضح أن الحكم أعد سلفاً. إلا لماذا المظاهرة الضخمة المكونة من ألف جندي لحراسة ثلاثة من المعتقلين المكبلين بالأغلال.

ولا أقول سعدنا إلى القطار، وإنما حملونا حملاً إلى إحدى عربات الدرجة الأولى. ومعنا عدد ضخم من الضباط والجنود للحراسة، وبدأت في نظرات الضابط المكلف بحراستي صورة من صور الرثاء، فهو يحاول أن ينظر إليّ، ولكن نظراته تهرب كلما أبصر الحديد على معصمي، وكأنه هو المسئول عن ذلك، أو أنه يتأفف من مشاركته في عملية قذرة. ومن حين إلى آخر كان يسألني هل يؤلمك الحديد.. ولكن لا أدري لماذا لم أكن أرد عليه، فلقد كانت أفكارى سارحة فيما هو أبعد من نفسي..

إلى أين المصير..؟.. وما هي القضية؟

وفي خضم هذه الأفكار التي تتازعني، وجدت ضابط برتبة رائد يستأذن في الدخول إلى الصالون، وجلس إلى جوارى، وبدأ في عيني أنه يريد الحديث معي.. ولكن الضابط المكلف بحراستي أشار إليه أنني ممتنع عن الحديث. ويبدو أنهم كانوا زملاء دراسة في كلية البوليس، فاستأذن الضابط المكلف بالحراسة للذهاب إلى دورة المياه، مطمئناً إلى وجود العساكر وزميله الذي استأذن في الدخول.. وهنا نادني الضابط باسمي التنظيمي.. ولكني لم أرد. فالفعل الباطن مع التدريب المستمر يعيش في يقظة دائمة، حتى أمام أسرع المفاجآت.. وهي عملية مجهدة.. ولكن لا بد منها.

ولما لم يسمع جواباً أخذ يلح عليّ أن أستمع إليه. فأخبرني أنه زميلي في التنظيم وأن هناك مجموعة من الرفاق قد قبض عليهم. وهم في السجن الحربي.. حيث سذهب هناك في هذه الليلة.. وأن هناك بعض اعترافات عليكم.. وأخذ يعدد أسماء الزملاء المقبوض عليهم.



يوسف حلمي.. زكي مراد المحامي.. دكتور شريف حتاتة.. محمد شطا.. حليم طوسون.. بكر سيف النصر.. إبراهيم حسن.. إبراهيم يونس.. خليل قاسم.. ألبير أرييه.. الضابط مصطفى كمال صدقي.. سيد البكار.. وآخرون.

لقد أحسست بخنجر بين أعماقي. إذن لقد قبض على أغلبية المتقنين من اللجنة المركزية مع قيادة الجبهة المكونة من الوفدين وبعض عناصر الحزب الاشتراكي.

فألثقت إليه وقلت له.. متشكر هذه الأسماء لا أعرفها، ولا أدري ماذا تقصد؟.. لقد كاد الرجل أن يجن من إصراري. ولكنني كنت أحس أنه أعطاني الكثير. ولا داعي للاستمرار في المناقشة أكثر من ذلك ما دمت لا أعرفه.. وفي المحطة التالية نزل بعد أن ألقى علي نظرة حب ووداع، لقد كان مأمور مركز بوليس "بوش" محافظة بني سويف في ذلك الوقت، والذي أصبح بعد ذلك "يوسف صبري" الصحفي في روزاليوسف.

لا أدري لماذا تداعت إلى ذهني خواطر كثيرة متلاحقة، وتذكرت ابني الذي مات من أيام، وسعادة الضباط وتشفيه وهو يبلغني الخبر وكأنه حقق انتصاراً كبيراً.. إن المصائب تترايط مع بعضها. فالقبض على أي رفيق في مثل هذه الظروف يمثل نعي عزيز عليّ، وخاصة إذا كانوا رفاقاً لهم تاريخهم وإخلاصهم ونضالهم.

زكي مراد صديق العمر. الرفيق شريف حتاتة القريب إلى قلبي والذي أفهم نظراته دون حديث.. محمد شطا القائد العمالي.. حليم الهادي الرزين.. يوسف حلمي سكرتير أنصار السلام.. بكر سيف النصر ابن البرجوازية الذي لفظها ورفضها.. إبراهيم حسين صديق الدراسة.. مصطفى صدقي الضابط الذي كان ملئ السمع والبصر في وقت من الأوقات، منافس الملك فاروق في غرامياته.. البيرارييه.. عبد اللطيف جمال الدين.. فؤاد منير.. عثمان غالب.. سعد كامل.. الشاعر خليل قاسم.. عبد المنعم الغزالي.. أحمد طه.

إذن فهي قضية الجبهة الوطنية.. لقد أحسست بثقل التهمة التي ستلقى عليّ فلقد كنت ممثلاً للشيوخيين في هذه الجبهة.. أنا الذي وضعت برنامجها، وكتبت أول بيان لها بخطي.

وكان الذي يشغلني في هذه اللحظة.. من هم الآخرون الذين لم يذكرهم الرائد؟.. على كل حال فما باليد حيلة. وما دامت قد وقعت الواقعة فلأمتع عيني بجمال الحقول.. فلعلها آخر مرة أراها.. من يدري؟

وانطلقت أغني بيني وبين نفسي لحناً ريفياً لا علاقة له بالموضوع، إنما فيه ذكريات القرية والطفولة.. يا بهية وخبريني على اللي قتل ياسين.. وبدأت أضحك مع الضابط المكلف بالحراسة.. وكم كان سعيداً ولطيفاً. وأشعل لي سيجارة، وأخذ يحدثني عن شقيقه الذي سبق له وأن اعتقل. وبدأ من كلامه أنه يريد أن يخفف عن نفسه عبئ هذه المهمة، وألا أنظر إليه

نظرة فيها احتقار وازدراء. من خلال الحديث عرفت أن هذا الضابط شقيق لزميل لي في المدرسة الثانوية اسمه "نشأت"، وكان من حين إلى آخر يلح عن شقيقه هذا الذي بدأ حياته ثورياً وانتهى به الأمر إلى بأس قاتل، وكأنه كان يقول.. لينته استمر معكم، حتى ولو لقي نفس مصيركم..

وما كاد القطار يتوقف في محطة القاهرة، حتى أسرع قوات لا حصر لها، واحتاطتنا من كل جانب نحن الثلاثة المعتقلون، كمال عبد الحليم.. عبد المنعم الغزالي، وأنا. وكل من رجال المباحث يبالغ في استخدام العنف ورفع الصوت وكأنه يشهد الجميع على إخلاصه وتفانيه في تنفيذ واجبه.

ومضى رتل السيارات المخصص لنقلنا تتقدمه صفارات مرعبة، وتحيط به سيارات جيب من كل مكان حتى وصلنا إلى مبنى في الصحراء.. إنه السجن الحربي العتيد.

* * *

السجن الحربي

نزلنا أو نزلونا إلى إدارة السجن الذي أنشأه الإنجليز لتعذيب العساكر المصريين حتى يصلوا إلى مرحلة يتمنون فيها الانتحار.

وبدأ تفتيش امتعتنا الفقيرة البائسة.. ملابس داخلية، بيجامات، بعض القصص العربية، والأجنبية، ويتم التفتيش بفضاظة. ويرتفع صوت أحد الضباط.. خونة يقرءون كتب إنجليزية.. ويتم تحريز هذه الكتب وكأنها ألغام خطيرة.. ونعاد إلى السجن. وألمح قرب البوابة بعض الأسماء التي ذكرها يوسف صبري.

ويدفعونني إلى زنزانة ضيقة مظلمة لا أتبين شيئاً فيها.. وبعد دقائق تمر مجموعة من الجنود تدفع إليّ رغيف ومعه بعض الملح.. العشاء.. العشاء..

الحجرة مظلمة لا أعرف محتوياتها أو أبعادها.. أقبض على الرغيف بيد من حديد، وألمس طريقي في الظلام حتى أهتدي إلى الجدار. وأبدأ في تناول العشاء بروح لا تشعر بالاطمئنان. ينحصر كل تفكيري في شيء واحد، لا ثاني له. لا بد وأن أعيش. لا بد أن تمر المحنة.. إن الإصرار هو ابن الإرادة الواعية بأبعاد المأساة.. ومن أجل ذلك لا بد وأن تعود الحياة الجديدة، وأن أتأقلم معها.. فقد كان بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة يدلي بتصريحات عن العنف والبطش وعن الهجوم على الحياة الديمقراطية. وكان تصوراتهم عن الشيوعية كما قال عبد الناصر في ذلك الوقت.. إنها أفعى ذات مائة رأس تتكور وتتكور ثم لا تلبث أن تنتقض عليك من جديد.

إنهم يتصورون أنفسهم فوق الجماهير التي عليها أن تثق بهم.. وطنيون حقاً ولكن يرفضون الديمقراطية يضعون الوطنية والتحرر في تعارض مع حرية الجماهير.. يضربون كل الاتجاهات. كأن مصر لم تولد إلا في ٢٣ يوليو. ما أبرأهم من شباب ولكن ما أخطرهم على مسيرة الشعب.

وانطلق في تفكيري حتى يصل إليّ صوت أحد الجنود وهو يغني الصعيدية.. إن مال عليك الزمن، ميل على ذراعك.. انتبه إلى الرغيف الذي في يدي، فاقضم نصفه واحتفظ بالنصف الباقي حتى الصباح، عليهم لا يقدمون غيره.

وما أن وضعت رأسي حتى غلبني النوم، واستيقظت في الصباح الباكر لأكتشف مكونات الحجرة.. إنها زنزانة صغيرة لا تختلف كثيراً عن زنازين السجون التي سبق أن سكنتها منذ نهاية الأربعينيات وفي أوائل الخمسينيات.. أتطلع إلى الجدران وأحاول أن أقرأ الكتابات عليها، فأنا أعرف أن المسجون إنما يحاول أن يترك أثراً يذكر الآخرين به.

كتابات كثيرة، ولكن استوقف نظري كتابة على باب الزنزانة الحديدية المكتوبة
بمسمار....

محمود صبري.. الشهير بصبري كينج

"ارفع يدك إلى السماء واقرأ لي الفاتحة"

وكنت قد عرفت من زملائي المعتقلين في سجن أسبوط والذين رحلوا إلينا إلى سجن
بني سويف أن محمود صبري الشهير بصبري كينج قد اعتقل مع عدد من المصريين
المتعاونين مع القوات البريطانية بتهمة التجسس. وكنت قد قرأت في الصحف، أنهم نفذوا فيه
حكم الإعدام. ولكن الذي أثار في نفسي الألم أنني الشيوعي أعامل معاملة صبري كينج،
وأسجن في نفس الزنزانة التي مر بها من قبل. لقد أحسست برأسي يلتهب.

كنت أسمع عن صبري كينج منذ اشتركت في معارك الفدائيين في عام ٥١ التي
انتهت في ٢٦ يناير ٥٢ بحريق القاهرة.

أليس غريباً أن أقدم إلى نفس المحكمة التي تحاكم صبري كينج..

أليس غريباً أن أقرأ وداعة للحياة.. وقد تواجهنا أنا وهو في معركة مسلحة.. أنا
كفدائي وهو كعميل متعاون مع الإنجليز.. وتذكرت قول أبي العلاء..

رب لحد صار لحدًا مرارا ساخرًا من تعانق الأضداد

أيقنت في هذه اللحظة أن رجال ٢٣ يوليو، رغم عظمة العمل الذي أنجزوه، لا
يعرفون طريقهم.. إنهم يتصورون الخيانة في بعض العناصر التي قبضوا عليها في منطقة
القناة من العمال الفقراء "صبري كينج" "حسن قدرى" "سعد الحلاق"، ونسوا أن الخيانة تعيش
معهم في القاهرة وفي القصور وفي أجهزة الحكومة.

عشت في هذه التأملات لفترة لا أدري أطالت أم قصرت حتى فتحت الزنزانة، وأطل
منها ثلاثة جنود وضابط أشاروا إليّ أن أرتمي ملابسي.

وما كدت أمشي خارج الزنزانة لبضع عشرات من الأمتار حتى أدخلت إلى حجرة
يجلس فيها وكيل المدعي العام "علي نور الدين". كنت أعرفه منذ زمن طويل كوكيل لنيابة
أمن الدولة. وما كدت أجلس حتى بدأ التحقيق معي. وبعد السؤال عن الاسم ومختلف البيانات.
بدأ السؤال عن التهمة الموجهة إليّ.. أنت متهم بأنك عضو في المكتب السياسي لتنظيم الحركة
الديمقراطية للتحرر الوطني (حدثو)، وأنت عن طريقه أسهمت في إنشاء جبهة من الأحزاب
المنحلة "حزب الوفد" "الحزب الاشتراكي"، لإسقاط نظام الحكم بالقوة المسلحة.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يوجه إليّ فيها الاتهام بالاشتراك في تنظيم شيوعي، ولكن الجديد في هذه التهمة، هو إنشاء جبهة من الأحزاب السياسية المنحلة.

وكان ردي على السيد وكيل المدعي العام، هو النفي، وأني لا أعرف ما هي أهداف هذه الجبهة التي يتكلم عنها، فأخذ سيادته في شرحها من ورقة أمامه..

إطلاق الحريات الديمقراطية

حق الشعب في تكوين أحزابه الوطنية

طرد الاستعمار عن طريق الكفاح المسلح

عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي

إسقاط المشاريع الأمريكية

إعادة محاكمة خميس والبكري

وبعد أن شرح السيد وكيل المدعي العام هذه البنود، أجبتني أنني لا أرى في هذه البنود ما يدعو إلى التجريم، فأني نظام وطني لا يعارض هذه المطالب.. وهنا استدعى السيد وكيل المدعي العام أحد زملائي المتهمين وهو "إبراهيم حسين" واجهني به مستفسراً عن مدى معرفتي به، وكان مفاجأة له أنني لم أنكر معرفتي به، بل أكدت له أنه صديق لي.. وهنا ظهرت البهجة على وجه المدعي العام، الذي أكد أن إبراهيم حسين ضبط في منزله مطبوعة، هو وحليم طوسون وأنه وجد إيصال باسمي بشراء نجفة في هذا المنزل؛ مما يؤكد أن لي علاقة بهذه المطبوعة، التي دأبت على طبع منشورات تطالب بالديمقراطية. كان ردي الوحيد أن إبراهيم صديق، وكان يسكن بحي المنيل قبل ذلك وليس في الهرم كما تقول. وإذا وجدت أوراق تخصني بمنزله فهذا أمر لا يستغرب بين صديق وصديقه.

تفرست في وجه إبراهيم، اكتشفت اللطحات التي على وجهه ومدى التعاسة التي يعيشها، خاصة أنهم قبضوا عليه مع أخيه الطفل الذي قدم من قرية المطرية ليقدم أوراقه إلى الجامعة.

لقد كان إبراهيم صديقاً قديماً.. وهو عضو في حزب الوفد المصري.

وبعد دقائق استقدموا شاهداً آخر. أكد أنه يعرفني وأني كاتب البيان الأول للجبهة، وأني كنت مندوب حدثو مع حزب الوفد والحزب الاشتراكي.. قال هذا وانصرف. كدت أبكي في نفسي للوضع الذي وصل إليه. خاصة حينما عرفت أنهم أخذوه إلى المشنقة وهددوه بالشنق.

انتهى التحقيق وذهبت إلى الزنزانة الانفرادية.. لا علاقة مع إنسان.. لا أرى أحد..
الهم إلا وجوه الضباط الذين يهاجمون الزنزانة ويفتشونها ويتأكدون من أن الحديد الذي يقيد
قدمي ويدي مربوط جيدًا، وكأنما يعتقدون أنني أستطيع أن أحطمه!!!

.....

تهديد بالإعدام:

وفي مساء أحد الأيام يتقدم ضابط ويتلو عليّ من ورقة أنه تقرر إعدامي في صبيحة
اليوم التالي أنا و "زكي مراد"، و "شريف حتاتة"، و "محمد شطا".

ثم يصيح بأعلى صوته: علم؟

فأجبت: علم.

فيقول: قل نعم يا فندم.

فقلت: نعم يا فندم.

ثم يعطيني ورقة وقلم لأكتب ما أريد من وصايا، ولكنني أرفض استلام الورقة
والقلم.. حيث لا يوجد شيء عندي أوصي به ولا يوجد عندي ما أقوله، ولكن التاريخ نفسه هو
الذي سيقول.

ثم يغلق الباب بعنف ويعود بعد قليل.

هل تريد شيئاً؟

لا فقط أريد العشاء

ويخرج الضابط ناعثاً إياي بأحط الألفاظ.. حيوان.. بليد الحس

فأجبت: في هدوء: لماذا أنت غاضب؟

فيقول: أنت عديم الإحساس.

فأجبت: أنا الذي سأموت وليس أنت. فلا تغضب.

وأقضي الليل أفكر في احتمالات الموت. وتشغلني فكرة غريبة مؤداها أن الذين
يسرعون في قتلي لا أكن لهم أي شعور بالكراهية، وإنما هم جزء من معسكر الشعب.. وفي
نفس الوقت يمتد فكري إلى ما بعد الموت. ماذا ستقول الأجيال القادمة.. لماذا قتلت؟ هل
سيضيع دمي هدرًا لأن الذين قتلوني كانوا وطنيين أيضاً؟

إنها تراجيديا أعيشها ليس بمفردي، ولكن بالقطع أيضاً يعيشها هؤلاء الضباط. إنهم
بلا شك ضد الاستعمار، لكنهم يحملون أيدلوجيا فيها الكثير من تأثيرات الفكر الاستعماري

والرجعي من كراهية شديدة لأي بعد اجتماعي لمعركة التحرر من الاستعمار. إن المعركة في ذهنهم بين شعب بأجمعه. منسجم في كل شيء.. لا ظالم ولا مظلوم، لا صغير ولا كبير.. الإقطاعي مجرد ظالم لفلاح، الرأسمالي مجرد ظالم لبعض الشيء للعامل.. ولكن إمعان الفكر في هذا الرأسمالي أو الإقطاعي.. وإن كلا منهم يمثل طبقة شيء غائب عنهم تمامًا.. لا يستطيعون أن يمتدوا بأفكارهم إلى مدى عمق التناقض بين مصالح الفلاح والعامل والاستعمار، مرورًا بالإقطاع والرأسمالية.. المعركة في مفهومهم محدودة المعالم. إنهم وحدهم هم الملائكة الأبرياء المجردون عن المصالح.. وتتطلق كلمات ساذجة مثل قول "جمال سالم" للبعض.. والله لو شنقتني الثورة بهذه الكرافة ما ندمت..

طبعًا لن تشنقه الثورة.. ولكن هل فكر أن الثورة تشنق غيره...؟

وإذا شنقت غيره، فلماذا تشنقه..؟ وفي أي معسكر يقف هذا المشنوق.

امتد تفكيري بهذا الأسلوب حتى الصباح. حتى أفقت على صوت الضابط نفسه.. التنفيذ أتأجل حتى العصر.. هل توجد لديك طلبات..؟

أحسست في نفسي بمدى سذاجته وطفولته حتى الكلمة كنت أبخل عليه بها. أعاد السؤال مرة واثنين وثلاثة.. وأخيرًا قلت له بنوع من القرف..

أريد الفطور فقط والخلوة إلى نفسي.

سب ولعن وانصرف..

امتدت هذه المهزلة لمدة أيام عديدة، ونحن في نفس الوقت نسمع عن محاكمة "سراج الدين" سكرتير حزب الوفد المصري وهو واقف صامد في محنته حتى صدر الحكم ضده بالحكم المؤبد على ما أذكر، وكان ذلك بعد أن أصدرت المحكمة حكمها بالإعدام على "إبراهيم عبد الهادي" رئيس الوزراء السابق والذي سبق أن حكم عليه الإنجليز بالإعدام في ثورة ١٩١٩.

كان الحبس انفراديًا بشكل كامل ومطلق.. كل مسجون يسمح له فقط بالخروج خمس دقائق أو عشر دقائق يذهب فيها إلى دورة المياه، ويأخذ تموينه من المياه ويفرغ البول ويغسل ملابسه وفي نفس الوقت يلزمك السجن حتى داخل المراحيض، ولكن يبدو أن هذه الشدة بدأت تضغط أيضًا على أعصاب الجنود السجناء، الذين بدأت قبضاتهم تتراخي، وبدأت مدة الفسحة تطول، وبدأنا نتبادل بعض الكلمات مع السجناء.. عرفت من هذه المحادثات البسيطة حجة شريف حتاتة، وزنانة إبراهيم حسين وزنانة زكي مراد.

ومن خلال المراحل عرفت عن طريق بعض الكتابات الموجودة على الحائط أن "تيتو" حضر إلى القاهرة وأن حديثاً ما ثار بين جمال عبد الناصر وبين تيتو عن المعتقلين الشيوعيين.

وما أن اكتشف السجانة هذا الأمر، حتى بدأت هجمة بربرية من إدارة السجن على المعتقلين، صفعاً وضرباً بمختلف الأدوات، عصي، حجارة.. ربط الحديد من الخلف.. إلخ. ولن أنسى زكي مراد وهو مقيد اليدين، ومربوط بحبل، والسجان يجبره على أن يأكل التراب وهو يرفض، والضرب مستمر لا يتوقف.

وبعد أيام توقف الضرب، ونقلونا فجأة إلى مبنى آخر؛ حيث أتت دفعة كبيرة من المعتقلين.. عرفت من هتافاتهم أنهم من الإخوان المسلمين.. نقلنا إلى مبنى آخر في السجن الحربي، وبدأت المعاملة السيئة تخف قليلاً بعض الشيء..

وفي نفس المبنى وفي القسم الآخر اكتشفنا وجود بعض قيادات الإخوان المسلمين، "الشيخ فرغل" "الأستاذ الهضيبي" "الأستاذ عبد القادر عودة". وبدأت بعض المناقشات معهم ولكن كان الغريب أن بعضهم في هذه المحنة يرى أن مجرد لمس يد الشيوعي شيء دنس من وجهة نظر الشيخ فرغل.. وللحقيقة والتاريخ كان الأستاذ الهضيبي والدكتور خميس والأستاذ عودة أوسع أفقاً.

وإن أحسنا بئس كامل من الوصول معهم إلى حد أدنى من الاتفاق، إلا أننا كنا حريصين حرصاً كاملاً على استمرار هذه العلاقة حتى لا نفقد علاقتنا بقراءة الصحف؛ حيث كان مصرحاً لهم بها، في الوقت الذي كنا ممنوعين فيه من قراءتها. وفجأة تبدلت المعاملة وبدأ بعض الضباط يكونون في منتهى اللطف، ويحاولون الحديث معنا في السياسة. وكانوا يركزون على محاولة معرفة أيهما نفضل.. عبد الناصر أم نجيب.. وكأن القضية هي كشف هيئة لجمال أو نجيب.. عرفنا منهم أن هناك حركة في سلاح الفرسان تطالب بالديمقراطية والحياة النيابية.. كان معظم هؤلاء الضباط مع محمد نجيب. وكانوا يوحون لنا أن يوم الإفراج قريب وما علينا إلا أن نؤيد محمد نجيب. وما أن امتدت المناقشات حتى كان ردنا.. نحن مع جمال عبد الناصر وضد الاستعمار وأمريكا.

وهنا أشاحوا عنا بوجوههم.. وعاد الحبس الانفرادي من جديد.. وسحبت كل المكاسب التي كنا قد أخذناها مثل قراءة الجرائد أو التصريح لنا بتقبل بعض النقود عن طريق الأمانات. سحب كل هذا وعاد للحياة جفافها السابق. وعادوا من جديد لوضع الحديد في أيدينا من الخلف طيلة النهار. ما عدا بعض دقائق نتناول فيها الطعام أو نذهب فيها إلى دورة المياه.

إنه وضع بشع أن تنام ويداك في الحديد خلف ظهرك.. والحديد يقيد قدميك.. وكانت المأساة أن بعض حضرات الضباط من المرضى نفسياً يحلو لهم المناقشة معك وأنت في هذا الوضع.

ولم تمضي سوى أيام قليلة حتى توقف التعذيب، وبدأنا نتصل مع بعض من جديد في فترة المساء عن طريق أحد السجانة الذي كان يتعاطف معنا بشكل عاقل ورزين.. ومن خلال لقاءاتنا المسائية عرفنا أن الإخوان المسلمين قد أفرج عنهم وأنا وحدثنا في السجن.

وكان واضحاً أن الإخوان المسلمين قد انحازوا بالكامل إلى محمد نجيب ضد عبد الناصر، كنا نعرف هذا من السجانيين.

لكن المشكلة بالنسبة لنا أصبحت أكثر تعقيداً، نحن مع عبد الناصر في مسيرته. ولكن محمد نجيب يرفع شعارات الديمقراطية والحياة النيابية.. وضع معقد وصعب. ولكننا بحكم تجربتنا السابقة في تنظيم الضباط الأحرار، كنا نعرف طبيعة هؤلاء الضباط. إنهم أساساً ضد الاستعمار، وهم من أوضاع طبقية تفرض عليهم مسيرة لا بد وأن تتعارض مع الرجعية إن أجلاً أو عاجلاً، وبالتالي كان تأييدنا لجمال عبد الناصر مشروطاً بما سبق أن أعلنه برنامجاً للجبهة قبل أن نعتقل..

إطلاق الحريات الديمقراطية.

حق الشعب في تكوين أحزابه وتنظيماته الوطنية.

طرد الاستعمار عن طريق الكفاح المسلح.

عقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي.

إعادة محاكمة خميس البقري.

وأضفنا إليها.. إطلاق سراح المعتقلين والمسجونين السياسيين.

ولم تمضي سوى أيام قليلة حتى حضر مندوب القيادة، وعلى ما أذكر كان اسمه "أحمد محمود" وبعد نقاش طويل، غير منظم، كانت تتخلله بعض الاستفزازات من كلا الطرفين، أبدى اندهاشه أننا لا زلنا في المعتقل. فإن ما ترفعونه من شعارات إنما هو ما تمضي فيه الثورة، بل أكثر من ذلك، فبالنسبة للعلاقات مع المعسكر الاشتراكي، فيوجد هناك تقدم ملحوظ مع الاتحاد السوفيتي.

وانتهى النقاش بأن كتبنا بياناً نوضح فيه موقفنا، والذي عرف بعد ذلك باسم بيان

السجن الحربي، وهو لا يخرج عن النقاط التي سبق الإشارة إليها.

وظللنا في سجنان كما نحن، بلا تغير أو تبديل.. حتى نقلنا إلى سجن مصر؛ حيث توجد معظم كوادرات تنظيم حدتو، والتنظيمات الصغيرة الأخرى، بموقفها اليساري الذي يتهم الثورة بأنها تمثل الفاشية، والبعض الآخر يتهمها بأنها انقلاب أمريكي.

رغم أننا انتقلنا من سجن إلى سجن، وليس إلى الحرية، كنا سعداء أننا سنلتقي برفاقنا من جديد. وما كدنا ندخل إلى سجن مصر، حتى بدأت الهمهمات ترتفع عن (بيان السجن الحربي) وأنا يجب أن نقصى بعيداً عن الشيوعيين.. لقد كان موقفاً مؤلماً.. ولكن حان يخفف من وقع هذه الصدمة أن هذه التنظيمات في معظمها لا تعدو أن تكون حلقات معزولة من المثقفين، أو تحت قيادة المثقفين، ولا واقع نضالي لها.. تنظيم (الراية) لا تعدو أن (الحزب الشيوعي المصري) و (النجم الأحمر) و (النواة) و (الطلیعة).. عنوانين وأسماء كثيرة لا أذكر تفاصيلها.

ولكن هناك رفاقنا في قيادة (حدتو) "مبارك عبده فضل" و "فؤاد حبشي" وآخرون لا أتذكر أسماءهم، وقفوا معنا في صلابة وعناد، وعرفنا منهم بعد ذلك مدى المعاناة التي لاقوها من الرفاق في القاعدة، ومن التنظيمات الأخرى في الدفاع عنا؛ إذ كانوا يتهموننا بالخيانة والعمالة.

وما أن أقبل المساء، وأغلقت الأبواب حتى وقف أحد المعتقلين، وأظن اسمه "عبد الخالق الشهاوي" وألقى قصيدة معذبة يتهمنا فيها بالخيانة والعمالة. ثار رفاقنا حتى الذين كان لهم نفس موقفهم، وفي الصباح كان علينا أن نقابل هذا التهور والاندفاع بالشرح والتوضيح. لقد اكتشفنا أن أعضاء ل. م قد اعتقلوا، وأنه قد تشكلت قيادة مؤقتة في الخارج من أعضاء جدد لم يكونوا في ل. م هم.. "محمود توفيق" "عبد الجابر خلاف" "صلاح حافظ" "بدير النحاس".. وأن هذه القيادة اتخذت مواقف يسارية التفت فيها مع باقي التنظيمات، وأولها طردنا من الحركة الشيوعية بلا رجعة.. بل تطوع بعضهم وهو صديق لي أحبه واحترمه بالمطالبة بتصفيتنا جسدياً.. والكارثة التي تفوق هذا أن كل كوادرات التنظيم توحدت مواقفها في النقطة التالية..

إدانة بيان السجن الحربي.. محاكمة الخونة الذين وقعوا على البيان.

البابلة

لقد أدى تأييدنا لثورة ٢٣ يوليو إلى خلق نوع من البابلة في صفوف التنظيم، وخاصة أن الحركة الشيوعية العالمية لم تتعود أن ترى انقلابات عسكرية لها طابع وطني، فكانت معارضة هذه الحركة جزءاً لا يتجزأ من تراث الأحزاب الشيوعية، ما عدا الحزب الشيوعي

الإيطالي الذي تحفظ في موقفه، وعلق على موقف حركة أنصار السلام في مصر من ثورة يوليو.

وزاد من هذه البلبلة أن الثورة كانت تمضي في طريق معاد للديمقراطية بشكل واضح، وأبقت على عدد من المعتقلين ممن سبق وأن اعتقلوا بعد حريق القاهرة. وحينما صدر قانون الإفراج عن المسجونين السياسيين، استثنى منه الشيوعيين. وشكلت محكمة برئاسة أحد المستشارين لينظر في قضايا الشيوعيين كل على حدة، وانتهى أمرها بقرار مضحك مؤداه أن الشيوعية، جريمة اجتماعية، رغم أن وزير الإعلام في ذلك الوقت سبق وأن صرح بأن الشيوعية جريمة سياسية.. ولا غرابة في ذلك فقد كان معتقلاً مع الشيوعيين قبل ذلك ولم يفرج عنه إلا في صبيحة ٢٣ يوليو.

كان تأييدنا لثورة ٢٣ يوليو نابعاً من مشاركتنا فيها عضويًا وسياسيًا؛ إذ كان لحدوث تنظيم داخل الجيش، يساهم مع تنظيم الضباط الأحرار، بل كان معظم أعضائه في تنظيم الضباط الأحرار.

.....

وكان العمل في الجيش يرجع إلى منتصف الأربعينيات، باعتباره فصلاً من الفصائل الوطنية، ولم يكن تنظيم الضباط الأحرار إلا صورة من صور الحياة الوطنية، فقد كان برنامجها يشابه مع برنامج اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال، بل يكاد يتطابق معه.

لذلك فعلاقتنا الوثيقة والعضوية بهذا التنظيم كانت تفرض علينا أن نكون أول المؤيدين له. وهكذا لم يكن مصادفة أن أصدرنا نحن أول بيان لتأييد حركة الجيش طبع ووزع في القاهرة في الصباح الباكر لثورة ٢٣ يوليو. كانت مطبعة التنظيم في ذلك الوقت لا تسمح بطبع منشور يوزع على مستوى واسع، وبالتالي كلفت من الرفاق الموجودين في الخارج بطبع المنشور بأي وسيلة كانت.

ذهبت مع أحد الرفاق إلى مطبعة في السيدة زينب في حي المالية، ودفعت إلى صاحبها بالمنشور، وما كاد بصره يرتفع عن البيان ليناقش، حتى أصدرنا له أمرًا بالبدء فوراً، وكان بيان الثورة قد أذيع. ارتبك الرجل حينما طلبنا منه التنفيذ فوراً بلغة الواتقين، وأنه لا يوجد وقت لنضيعه.. وبالفعل بدأ الرجل في التنفيذ. وما هي إلا ساعة واحدة كان البيان يوزع في كل الأحياء وفي وقت واحد.

اجتمعنا على الفور في حي الزيتون، ومعنا أحمد فؤاد عضو حدتو والذي كان مسئول الاتصال بقسم الجيش، وبدأنا المناقشة فوراً في الواجبات الملقة علينا، وانتهى الاجتماع إلى ضرورة...



الإفراج فوراً عن المسجونين السياسيين.. وكذلك المعتقلين.

تأمين الثورة داخلياً ضد المؤامرات.

وعاد أحمد فؤاد ليؤكد أن كل شيء على ما يرام، وأفرج فعلاً عن المعتقلين السياسيين، ولكن لم يعد يرد عن المسجونين السياسيين، وفعلاً استمروا في السجن كأن شيئاً لم يحدث، وكنا نركز في هذه الفترة على الإفراج عن "شهدي عطية الشافعي" أول شيوعي حكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات يقضيها في سجن طره.

أخذنا في موالاة الاتصال برجال الثورة، مطالبين باتخاذ الخطوات السريعة في الجبهة الداخلية، والإفراج عن المسجونين الشيوعيين.. إذ كان قد أفرج عن بعض السياسيين واستثنى الشيوعيين.

بدأ بعض الرفاق في التنظيمات الأخرى يؤكدون وجهة نظرهم، في أن ما تم هو انقلاب أمريكي وليس ثورة وطنية، ووجدوا في هذا التلكؤ تكأة لوجهة نظرهم المتطرفة يسارياً، وزاد الطينة بلة، أن استغلت الثورة بعض أحداث "كفر الدوار" وأقامت هناك مجلساً عسكرياً، يترأسه أحد الضباط الرجعيين من قادة ثورة يوليو "عبد المنعم أمين" وأصدر المجلس حكماً أرعن ضد "خميس والبكري" بالإعدام، ولم يجهدوا أنفسهم من أجل التعرف على الفاعل الحقيقي والمدير الخفي الذي أظهرت الأحداث بعد ذلك أنه ينتمي إلى "حافظ عفيفي" رئيس الديوان الملكي.

وقامت قيامة الأحزاب الشيوعية والديمقراطية في العالم، وكلها تدين هذا الاتجاه، وهذه البداية الدموية.

حاولنا المستحيل في إيقاف هذه الجريمة ولكن لم ننجح. وبذلك أضيفت ورقة جديدة للمنظمات الأخرى المتطرفة يسارياً. بل أكثر من ذلك أصبحوا يتهمون حدثوا أنها شريك في هذه المجزرة.. وتبعت الثورة ذلك بأن قامت بمهاجمة مطبعة حدثوا، والتي كانت تطبع لهم مجلتهم ومنشوراتهم قبل الثورة ووضعوا الرفاق العاملين بها في السجن. ومن المضحك أنه في أول عرض عسكري، قامت الثورة بعرض هذه المطبعة كجزء من تراث الضباط الأحرار، وهي في حقيقتها مطبعة حدثوا التي كانت تطبع لهم منشوراتهم وأوراقهم.

وفي وسط هذا الجو أصدرت الثورة قانون الإصلاح الزراعي، وكانت لنا مساهمتنا فيه، ولو أنه صدر بصورة أخرى، استهدفت العدالة في توزيع الملكية ولم تلتفت إلى أن يكون الهدف هو زيادة الإنتاج، الأمر الذي ظل يعاني منه هذا القانون حتى الآن، وحال دون انطلاقاً ثورية في الزراعة.

بدأت التنظيمات الصغيرة وبالذات منظمة (الرماية) في التركيز على الهجوم على قانون الإصلاح الزراعي متهمة إياه بأنه صدر لصالح البرجوازية ضد الإقطاع. ولكن ذلك لم يلق أذناً صاغية لدى الفلاحين، الذين رحبوا به كل الترحيب.

ولكن الثورة كانت تتجه يوماً بعد يوم إلى التضييق في مجال الحريات ومحاولة البطش بكل السياسيين القدامى، دون التفرقة بين مواقفهم. فلا فرق لديهم بين النحاس الشخصية الوطنية الشعبية وحافظ عفيفي رئيس الديوان الملكي وصديق الإنجليز.. أو بين عبد الفتاح حسن وسراج الدين وإبراهيم عبد الهادي الذي انشق عن حزب الوفد وعمل لصالح السراي.

كان الاتجاه واضحاً نحو تصفية الحياة السياسية من كل العاملين فيها. على أمل أن يخلو لهم الجو وحدهم.. ومن الغريب أنهم وجدوا في هذه الفترة الدعم والمساندة والتحريض من بعض رجال الحزب الوطني، الذين عملوا معهم لفترة كوزراء.. وأفرزوا كل عداوتهم الموروثة منذ الحزب الوطني القديم ضد الوفد، ونسيانهم بالكامل للسراي والرجعية والملوك.. وكان التركيز بصفة أساسية على الوفد والنحاس. ولم يستطيعوا أن يكتشفوا أن التناقض التاريخي بين حزب الوفد والسراي، وأن الوفد كان باستمرار يمثل خطوة ديمقراطية للجماهير الشعبية.

ومن الغريب أن مستر "ايدن" الذي لم يتعاطف مع ثورة ٢٣ يوليو، والذي ظل عدواً لها حتى أطيح به في أعقاب العدوان الثلاثي عام ٥٦، صرح قائلاً.. أنه إذا لم يكن لثورة ٢٣ يوليو من فضل فيكفيها أنها أزاحت النحاس وحزب الوفد من ميدان السياسة.

خلا الجو في هذه الفترة لـ "سليمان حافظ" الذي كان يعمل في هذه الفترة مستشاراً بمجلس الدولة. فاستخدم كل مواهبه القانونية وأحقاده ضد الوفد في تصفية الحياة السياسية، وركز عدوانه على النحاس، فأصدر قانون حل الأحزاب السياسية، بعد أن أصدر قانوناً قبل ذلك بتنظيم الأحزاب السياسية.

وقد يكون غريباً أنه قد ظهر فيما بعد أنه كان ملتاساً في عقله؛ إذ كان يصور أعضاء مجلس قيادة الثورة على أنهم مجموعة من أصحاب الرسول.. فعبد الناصر هو عمر.. وصلاح سالم هو أبو بكر.. ولم يلبث أن صب جام غضبه عليهم بعد أن تناقض معهم بعد أن رفضوا مسيرته على اعتبار أن وراءها الارتقاء في أحضان الرجعية وأمريكا.

في هذه الفترة تقدمنا بطلب تشكيل حزب جديد "حزب التحرر الوطني" وأهدافه لا تخرج عن أهداف برنامج اللجنة التنفيذية للطلبة والعمال.. وبرنامج الضباط الأحرار مع التركيز على إضافة أبعاد اجتماعية للمعركة وتدور حول حقوق العمال والفلاحين في تكوين

منظمتهم ونقاباتهم في تأميم قناة السويس.. وشكلنا اللجنة التحضيرية من... "محمد كامل البنداري باشا" "يوسف حلمي" "زكي مراد" "أحمد الرفاعي" "حنفي الشريف" "أحمد طه" "عبد العظيم الصيفي" وبعض أسماء لا أذكرها.

وما كدنا ننقدم بالطلب حتى أصدرت الثورة قانون الأحزاب ومصادرة أملاكها.. وصدر الأمر باعتقالنا. ولكن المباحث لم توفق في عملية الاعتقال. وانتقلنا إلى النشاط السري مع استمرار تأييدنا الكامل لثورة يوليو ورغم كل هذه الاتجاهات المعادية كنا على بينة من أن الصبغة الأساسية للضباط الأحرار هي صبغة وطنية، وأن الجيش لم يكن في يوم من الأيام أداة في يد الرجعية.

كان الوضع في غاية التعقيد، نؤيد الثورة ونحن هاربون نعمل تحت الأرض، وكل الأحزاب الشيوعية والديمقراطية في العالم تشن حملتها على رجال يوليو لمعاداتهم الديمقراطية وقتلهم العمال.

أخذت البلبلة طريقها إلى قواعد التنظيم. أخذوا يتجادلون مع فكر المنظمات الأخرى، ولكننا صممنا على موقفنا في التأييد ومقاومة الاتجاهات الخاطئة لثورة ٢٣ يوليو واتهامها بأنها انقلاب أمريكي، وأنها تمثل الفاشية الجديد في المستعمرات، بل أكثر من ذلك ردًا على اعتقالهم لعدد كبير من رفاقنا قررنا أن نطلق سراهم وأن نأخذ المبادرة بيدنا، فتأييدنا لا يعني الاستسلام أو ترك إرادة الحليف طليقة دون أن يشعر بوجودك أو دورك.

وكان المعتقل الرئيسي في هذه الفترة موجودًا في حي روض الفرح وكان به أربعة عشر من أعضاء القيادة. أخذنا في دراسة الموضوع بشكل هادئ ودقيق بعد أن نظمنا عملية الاتصال بهم في داخل المعتقل.

وبعد دراسة كاملة للمنطقة وفي الموعد المحدد، كانت هناك ثلاث سيارات في انتظار إشارة البدء. كان من بينها سيارة المرحوم "يوسف حلمي" وسيارة "أبو بكر سيف النصر" وكان هناك المرشحون للعملية وكنت مسئولاً عن هذه المجموعة. ومن الأمور المضحكة أنه أثناء قيادتنا لسيارة المرحوم يوسف حلمي هذه اصطدمت بإحدى سيارات النقل؛ إذ إن الرفيق الذي يقودها مضطرب الأعصاب. وقضينا وقتًا طويلاً في تصفية الموضوع مع عسكري البوليس وصاحب السيارة النقل.

وما أن قاربت الساعة الثانية حتى كان المعتقل خاليًا من الشيوعيين؛ إذ هربوا من المعتقل. وكانت السيارات في انتظارهم وما هي إلا دقائق قليلة حتى كان الجميع في الأماكن المحددة لهم.

ومن الغريب أنه لم يكتشف أمر هرب الشيوعيين من المعتقل إلا في الصباح الباكر، وانهار قومندان المعتقل الذي أصبح أضحوكة لدى باقي المعتقلين من الرجعيين، الذين لم نسع بالطبع إلى تهريبهم، بل كنا مع اعتقال البعض منهم، وما أن أصبح الصباح حتى أصيب رجال السلطة بالهستيريا.

بور سعيد

ولم تمر سوى فترة قصيرة على خروجنا من معتقل "أبي زعل" في يونيو ٥٦ حتى بدأنا نندمج في الحياة من جديد. وبدأت العلاقات التي قطعتها فترة الاعتقال تتواصل، وتعود إلى سابق عهدها.

لقد تغيرت نظرة الجماهير إلى الشيوعيين، وأصبح المناخ الذي يعيشه الشارع مختلفاً تماماً عن الفترة التي دخلنا فيها المعتقل.

لقد كان المناخ السياسي في مصر بعد حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢ مسرحاً لحملة صليبية ضد اليسار.. حملة تطالب بذبح الشيوعيين في الشوارع ومطاردتهم كخونة وعملاء.. فقد ركزت الدوائر الحكومية عادة حريق القاهرة على إبراز أن الشيوعيين هم الذين قاموا بالحريق والتخريب، فعلفت أفيشيات على الجدران يبدو فيها أصحاب المحال المحترقة ووراءه الدمار وآثار الحريق، وكتب تحتها "الشيوعيين فعلوا هذا".

وبقيام ثورة ٢٣ يوليو توقفت هذه الحملة، وبدأ شهر عسل قصير بينهم وبين اليسار. انقطع في إثر بدأ المفاوضات مع الإنجليز وإثر أحداث كفر الدوار.. وها هي الثورة تعود من جديد إلى أحضان الشعب، بعد أن أحست أن الأمريكان لن يصبروا عليها إلا إذا أحتووها بالكامل.. فهم يرفضون مدها بالسلاح، فقد تأكد هذا بعد رحلة علي صبري إلى أمريكا، كما أنهم يسعون لجبرها إلى الأحلاف العسكرية. وهم يرفضون تقديم المساعدات الاقتصادية من أجل التنمية، بل أكثر من ذلك يحرضون البنك الدولي على رفض تقديم تمويل لقيام مشروع السد العالي.

لقد أصبح الجو مهيباً تماماً لالتقاء الثورة من جديد مع اليسار على أرضية.. عدم الانحياز.. مؤتمر باندونج.. علاقات صداقة مع الاتحاد السوفيتي.. تخطيط واسع للتنمية.

خرجنا من المعتقل في ظل هذه الظروف، وكان علينا أن نعمل بسرعة لن دعم هذا الاتجاه ونعمقه.. فكان أن أقمنا "دار الفكر" للثقافة والنشر حيث نجحت في أقل من ثلاث سنوات في إصدار عشرات الكتب التقدمية وكلها تبرز الجوانب الإيجابية في خطوات الثورة والوجه الكئيب لأمريكا "هذه هي أمريكا".. "التاريخ يحذر من أمريكا" وفي نفس الوقت ندعم

التضامن العربي "سلسلة القومية العربية"، وتدعم قضية الجزائر "قضية الجزائر والتضامن العربي".

في ظل هذا الجو المملوء بالحماس والاندفاع، قام عبد الناصر بتأميم شركة "قناة السويس" تلك الشركة التي تسبب حفرها، مع سفه الحكام، في إفلاس مصر، وموت آلاف من الفلاحين في حفر القناة عن طريق السخرة وتحولت إلى وكر للتجسس.. كانت قناة السويس تمثل في ضمير كل مصري لعنة لا يستطيع نسيانها. فالنضال ضدها مرتبط بتراث من المآسي.. بغدر إمبراطور فرنسا لمصر، عندما اختاره إسماعيل باشا محكمًا في شئونها، فكان قراره في التحكيم قرار رئيس عصابة (شيخ منسر) يتعامل مع ضحاياه.. كانت هذه المأساة هي التي دفعت "إبراهيم الورداني" لاغتيال "بطرس غالي باشا".

واستمر النضال ضد هذه المأساة، حتى نجحنا في إثارة القضية من جديد وشكلنا لجنة من أجل ذلك في عام ٥١ اذكر من أعضائها "زكي مراد" "أسما حليم" "أحمد حسين" (الحزب الاشتراكي) "سعد زغلول فؤاد".. وأصدرنا كتابًا عن تاريخ القناة وما يحمله من مآسي كما دعونا إلى تأميمها. ولكن كان نصيب معظم النسخ أن اشترتها السفارة الأمريكية من السوق وأحرقتها.

لقد أعلن عبد الناصر بصورة بطولية ودرامية تأميم شركة قناة السويس في مهرجان بالإسكندرية.. أعلنه بصورة مسرحية.. قدم فيها صورة كاريكاتيرية لسعد باشا وهو يوقع الاتفاق مع ديليبس.. وفي هذه اللحظة التي أعلن فيها هذا كانت القوات المسلحة تحتل الشركة. وانطلقت الجماهير في حماسة مجنونة.. الناس يقبلون بعضهم في الشوارع.. على طول الطريق من الإسكندرية إلى القاهرة والشوارع مزدحمة تنتظر البطل الذي رد لمصر.. قنواتها..

وبقدر السعادة التي كانت تغمر الجماهير بقدر ما كانت الإمبريالية والرجعية العالمية في حالة توتر. بل إن البرجوازية المصرية أخذت على عبد الناصر عملية التأميم. وكانت ترى أن التمسير هو الحل الأسلم؛ أي إنها كانت تريد أن تكون هي لا الشعب الوريثة للنهب الاستعماري، وأن تكون ثمار الثورة قاصرة عليها وحدها.

وفي ظل هذا الإطار كان علينا أن نعمل من جديد، وأن نجتمع صفوفنا. فالمعركة ضد الاستعمار قادمة لا محالة. وعلينا أن نأخذ عدتنا لها وأن نحول شعاراتنا التي سبق أن رفعناها إلى واقع عملي.

وكان لا بد من العمل السريع، واجتمعنا نحن القياديون الموجودون في خارج السجون - حيث إنه كان هناك زملاء لنا في السجون لم يفرج عنهم بعد- لمناقشة هذا العمل؟ ومناقشة احتمال وقوع عدوان مسلح.

وبعد نقاش قصير كان علينا أن نوقف كل الشعارات ما عدا شعار واحد علينا أن نرفعه.. وهو التأييد المطلق لعبد الناصر في معركته ضد الاستعمار.. وكان بعض المشاركين في الاجتماع يتصورون أن المعركة انتهت بتأميم القناة، ورفعوا شعار التحذير من خلط الأوراق بيننا وبين البرجوازية، ونسوا أن البرجوازية نفسها وإن كانت مع استرداد القناة، إلا أنها تريدها خالصة لها غير مؤمنة.. وفي مثل هذه المواقف تكون بذور الفكر اليساري المتطرف. حيث لا يتمكن من التفريق بين مواقف الطبقة التي عليه أن يتحالف معها حتى ولو كانت بعض شرائحها غير واعية بقيمة هذا التحالف، فعليه أن يقنعها به وأن يدفعها إليه.

وبالفعل ما أن بدت نذر العدوان المسلح تبرز في الأفق حتى اتضح لهم أن جزءاً من البرجوازية لا تريد التمسير ولا التأميم بل تأمل في أن تظل الأوضاع كما هي عليه، وبالفعل فما أن بدت نذر العدوان في الأفق حتى شكلت شريحة من البرجوازية العليا وفداً منها لمقابلة عبد الناصر، لإقناعه أن ما أقدم عليها خطأ، وأن عليه أن يترك لهم الأمر لتسويته مع الإنجليز، إذ أنهم أكثر معرفة منه بالإنجليز، وكان موقفه قاطعاً إذ طلب تشكيل فرقة صغيرة لإطلاق الرصاص على أي واحد يحاول أن يتقدم ليتفاهم معه في موضوع التراجع عن تأميم القناة أو التسليم بمطالب البريطانيين.

حينئذ شعرت هذه المجموعة ذات الموقف اليساري أن موقفها خاطئ ولكنها كانت تستبعد العدوان المسلح، مبالغة منها في قوة حركة السلام العالمي وتهويناً منها بشأن الاستعمار والرجعية المحلية.. ولكن الإجماع التالي انتهى إلى أن العدوان واقع لا محالة وعلينا أن نتخذ عدتنا له، وأن نعرف الإجراءات التي سيتخذها الاستعمار لتنفيذ جريمته.

واستمرت المناقشة طويلاً في هذه الجلسة إلى أن قطعها أحد الرفاق بشكل حاسم.. محدداً ما هو المطلوب بالدقة.. ما دما قد وصلنا إلى أن المعركة واقعة لا محالة.

ونظر الرفاق إلى بعضهم وانتهى الاجتماع إلى القرارات.

أخذ المبادرة في مقاومة العدوان المتوقع، وحشد كل الجهود من أجل الكفاح المسلح.

تجميع أكبر عدد من المعلومات عن تحركات العدو وتجمعاته.

وكان ذلك هما القراران الذي انتهى إليهما الاجتماع، وعند مناقشة موضوع المقاومة والكفاح المسلح، وأخذ المبادرة بين قوات التحالف الوطني. توقف الجميع عن المناقشة، واستمرت المناقشة دون نقاش، ولكن مجرد نظرات فيها معنى الحيرة والمفاجأة ومواجهة

موقف جديد لم يعرفه بعض المشاركين في الاجتماع؛ إذ كان الاجتماع يضم قيادة لها أصول تاريخية مختلفة، بعضها سبق له الخبرة في النضال المسلح وبعضها لم يتعرف عليها.. كنا في ذلك الوقت أعضاء في الحزب الشيوعي الواحد.

وبعد صمت طويل اقترح الرفيق "مبارك" إسناد قيادة ونظر الرفاق إلى بعضهم في صمت طويل وكان الرد على الاقتراح الموافقة بالإجماع. وبعد أن تحول الاقتراح إلى قرار شكرت الرفاق على إسنادهم هذا الشرف لي.. وانتهى الاجتماع وبدأت مواجهة الموقف الصعب مع الزوجة.

أحسست بمدى فداحة المسؤولية الملقاة على عاتقي، وعلى عاتق الحزب، وأن أمام حزبنا أن يكتب صفحة جديدة مشرقة تتفق والطموحات التي يطرحها على الجماهير، صفحة تحول الكلمة المكتوبة إلى واقع عملي، وتمتحن فيه شجاعة الشيوعيين، وصدقهم في مواجهة الموقف، فالعدوان واقع لا محالة والمقاومة هي المحك، وصدق المناضل يتلخص في موقف واحد.. في موقف مواجهة الموت والاستشهاد.

حملت أعبائي واستأذنت من الرفاق، وخرجت من الاجتماع؛ حيث كان منعقدًا في إحدى الغرف في سطح منزل بالعتبة، وقطعت الطريق مشيًا على أقدامي حتى المنيرة، عل المشي يوصلني إلى حل أستطيع به أن أقدم بما أنتويه إلى زوجتي، وهي المحملة بكثير من الأعباء. فقدان ابنها الوحيد وأنا في المعتقل. موت أمها في حادث مؤلم.. سنين المعتقل الطويلة التي عاشتها بمفردها في أسرة لا تعترف بهذا الطريق، بل وترفضه وتقاومه في كثير من الأحيان.

كنت أشعر أن زوجتي قلقة، فهي تستمع إلى الإذاعة، وما تنشره عن اجتماعات المنتفعين من شركة قناة السويس، ولقاءاتهم المتوالية في لندن وباريس، ثم تفويضهم لرئيس وزراء استراليا "منديس"، لما عرف عنه من صلابة لمقابلة عبد الناصر.. كل هذه الأخبار وغيرها تنشرها الإذاعة المصرية، والإذاعات العربية والعالمية.. ثم يلي ذلك رحيل العديد من المرشدين وخبراء الملاحة في القناة.. كل هذه الأخبار كانت كفيلة بأن تجعل كل مواطن يشعر أننا مقبلون على وضع جديد.

وفي صباح اليوم التالي، ناقشت زوجتي مناقشة قصيرة تدور حول غيابي لبضعة أيام أقضيها لإنجاز بعض الأعمال.. لم أترك لها فرصة للمناقشة أو البكاء وإنما انصرفت شبه هارب من مواجهة هذا الموقف.

اتجهت إلى منزل أحد الرفاق الذي أكد لي أنه وصلته رسالة من باريس عاجلة، تؤكد أن القوات الإنجليزية والفرنسية تتجمع لا أذكر في قبرص أو مالطة، وأن العدوان واقع لا

محالة.. وبذلك أسقطت حجج الذين كانوا يتصورون أن الإنجليز والفرنسيين لن يقدموا على المغامرة، حتى عبد الناصر نفسه كان إلى هذه اللحظة يجرم باستحالة وقوع عدوان مسلح.

اتصلت ببعض الرفاق ممن أعرفهم معرفة جيدة. "إبراهيم المناستري" "فتحي مجاهد" "عبد السلام الخشان" "منير موافي" "محسن لطفي" .. واتجهنا إلى الإسماعيلية وهناك توقفنا قليلاً في قرية "طويحر" لاستلام بعض الأسلحة؛ حيث اقترح الرفيق الضابط "محمود المناستري" أن يقوم بنوع من التدريب السريع للرفاق على الأسلحة الجديدة المستعملة، وفي هذه الأثناء تم العدوان المسلح... وسقطت بورسعيد.

تغيرت خططنا، فبدلاً من الذهاب إلى الإسماعيلية، فكرنا سريعاً في الدخول إلى بورسعيد المحتلة المحاصرة؛ حيث قضى تماماً على القوة العسكرية التي كانت موجودة هناك.

قبل الذهاب إلى بورسعيد انتقلت إلى الإسماعيلية حيث يعسكر "كمال رفعت" في قرية "نفيسة" في فيلا. صاحبها من العرب اسمه "أبو خزيم" .. عرضت عليه خططنا لدخول بورسعيد، ولكنه أسر إلينا أنه سيدخلها عن طريق الإسماعيلية ولما عرضنا عليه استحالة ذلك أصر وطلب فرصة للتفكير.

وفي المساء فوجئت به يسير إلي حيث خرجنا في مهمة استطلاعية لبحث إمكانية استخدام الطريق.. وفي الطريق فوجئنا بسيارة عسكرية إنجليزية تستكشف الطريق.. وفي الحال أشار كمال رفعت إليّ وشخصين آخرين أن ننبطح أرضاً على جانبي الطريق لتغطيته، وقام هو في الحال وبصورة مفاجئة بإطلاق النار على السيارة وانهمرت طلقاتنا عليها فولت الفرار. رحم الله كمال رفعت فلقد كان بطلاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني عظيمة، كان أنبل الفرسان الشجعان، كما قال أحد أصدقائه في رثائه.

عدنا إلى المعسكر.. وما كدت أفاتحه، حتى أبدى عدم قناعته بدخول بورسعيد عن طريق الإسماعيلية.. وفي نفس الوقت أبدى تساؤله.. هل عندكم وسيلة أخرى لدخول بورسعيد.. ولم تكن هذه التساؤلات تحتاج إجابتها إلى تفكير، فلقد ذهبت إليه وأنا أعرف تماماً ومن معي طريق التسلل إلى بورسعيد؛ إذ إن معظم الرفاق الذين معي من هذه المنطقة، ويعرفونها جيداً، وسبق أن شاركونا سويًا في محاولة لإنشاء نقابة للصيادين في الأربعينيات.

ولما شرحت له أن الدخول سيتم عن طريق المنزل، وبواسطة الصيادين، أبدى مخاوفه ولكنه وافق مؤكداً أنها مغامرة لا بد أن يخوضها.. ولكنه فوجئ بي وأنا أقول له.. ولكن المجموعة التي تعمل معك لا يمكن أن تصلح لهذه المغامرة.. إذ إن معظمهم من اللصوص وقطاع الطريق ومن سبق لهم العمل مع القوات البريطانية في القنال، أو ممن كانوا يسرقون المعسكرات.. وهنا ضحك كمال رفعت طويلاً، وشرح وجهة نظره في استخدام

هؤلاء الناس. فأكد أنهم خير من يعرف منطقة القنال.. ولكن مقدراتهم لا تتعدى القتال الفردي في هذه المنطقة فهم لا يصلحون للعمل في خارجها.

وفي المساء استدعى كمال رفعت عددًا من رجاله المقربين "عبد الفتاح أبو الفضل" ضابط المخابرات الوطني الذي يعرف منطقة القنال شبرًا شبرًا. "صلاح زعزوع" الضابط الحر وابن القطاع المتمرّد عليه. "سمير هريدي" .. واجتمعنا سويًا ومعنا محسن لطفي واتفقنا على أن نسافر إلى بورسعيد في نفس الليلة.

لم يكن أحد من المجتمعين يعرف الطريق إلى بحيرة المنزلة؛ حيث يوجد موقعها مباشرة في ظهر بورسعيد واتفقنا على أن أتولى توجيه الثلاث سيارات التي كنا نستعملها، وما كدنا نصل إلى المنصورة، حتى وجدنا استحالة في مواصلة السير في الطريق إلى المنزلة، حيث الضباب كثيف ويحول دون الرؤيا واتفقنا على أن يجري كل واحد منا أمام السيارات كدليل تركّز عليه الأضواء لمسافة ٣٠٠ متر. كانت مهمة ثقيلة وصعبة حيث البرد والضباب، ولم يكن الطريق معبدًا. واستمر هذا النضال الطويل ونحن نتبادل الجري حتى اقتربنا من قريتي "طناح" وهناك أشرت عليهم أن نقضي الليل في القرية ونستأنف المسيرة في الصباح. وفعلاً توجهنا إلى منزل العمدة وهو ابن عمي وفي نفس الوقت زوج أختي، وكان استقباله لنا حافلاً، فلقد أصر على أن نتناول العشاء ولكن الإجهاد الشديد كان يشكل استحالة دون تلبية دعوته، ونمنا كما كنا بملابسنا حتى الصباح. وبعد أن تناولنا الطعام اتصلت بعدد من الرفاق من أبناء القرية الذين أظهروا استعدادهم الكامل للاشتراك في القتال بشرط أن ينالوا قسطاً من التدريب في أقرب مركز.

ومن الذكريات التي لا أنساها أننا في الصباح، ونحن لا زلنا في القرية، في طريقنا إلى بورسعيد، غرست عجلات السيارة في وحل الشتاء، وكانت هناك استحالة لانتشالها إلا بمجهود شديد، وكانت المفاجأة أن أبناء قريتي، ومعظمهم أصدقائي وأقاربي، وقفوا يتفرجون ويتضحكون. الأمر الذي دفعني إلى نهرهم. وفعلاً تقدموا لدفع العربة.. ولكن قبل أن يقوموا بذلك التفتوا إلى أحد المرافقين لي من الضباط وتهكموا عليه بشكل مرير قائلين له.. لما لا تأتي بالطلبة "بتوعك" ليدفعوا السيارة. والا الحكاية منظره، فاكرين إن الفلاحين ما ينفعوش في حمل السلاح.

واستفسرت منهم وهم يدفعون السيارة فكانت إجابتهم.. أنهم ذهبوا إلى معسكر طوبخر وإلى نفيشة ولكن حضرات الضباط صرفوهم، وأبقوا على الأفندية وقالوا لهم.. سنستدعيكم عند اللزوم..

.... قفرت إلى ذهني فجأة قضية الطبقة. إن المعركة رغم ضراوتها، فكثيرين لا زالوا في أعماقهم يرون أن المعركة معركة المثقفين وأولاد الناس، أما الفلاحين فلا مكان لهم. تلك هي المأساة التي نعيشها، الثورة لا تنثق في السلاح في أيدي العمال والفلاحين، ولكنها تطمئن إليه حينما يكون في أيدي المثقفين وأبناء الناس من البرجوازية. لم يكن الوقت وقت الحديث في هذه القضية. فهذا هو جرح الثورة الذي سيظل ينزف حتى يقضي عليها، وتستسلم لشريحة من الطفيليين.

وفعلاً دفع الفلاحون السيارة. وتقدم واحد منهم أعرفه جيداً هو "الشحات الصعيدي" الذي كان زميلنا في "حدثو" .. والله الحكاية ما تنفّس من غيرنا. سيبك منهم أحنا الرجالة وبس.. كفك يا راجل.. وضحكنا سوياً مع الزملاء الضباط.

وما كادت السيارة تتطلق إلى الطريق العادي، حتى انخرطنا في الضحك.. وبدأت أسأل حضرة الضابط عن حكاية الفلاحين، ولماذا طردهم من المعسكر، فكانت إجابته أن إحساسه حدثه بأن الطلبة أقرب إلى فهم القضية، وأقدر على تعلم السلاح ولكنه الآن من خلال تهكمات الفلاحين وعمال الزراعة أحس أن المعركة أكبر منا ومن الطلبة والمثقفين.

ومضت السيارات في طريقها من قرية طنّاح حتى وصلنا إلى "المطرية" وهي قرية صغيرة، كل سكانها من الصيادين، وتقع على شاطئ البحيرة في ظهر بورسعيد، بل هي أقرب مكان إلى مدينة بورسعيد.

وما كدنا ننزل في المطرية، ونحتل مبنى الوحدة المجمع، حتى كانت عيون المرافقين تتجه إليّ. وكأنها تسألني.. ثم ماذا بعد ذلك؟ ماذا نحن فاعلون..؟

أعرف المطرية جيداً. وكذلك القرى المحيطة بها، ولكني أحسست في القرية الكبيرة بحركة غير عادية، فلقد أصبحت مليئة بالمهاجرين منذ أن احتل الإنجليز والفرنسيين مدينة بورسعيد.. صغار يهيّمون على وجوههم بحثاً عن أسرهم، أو لقمة خبز يبتلعونها.. أمهات تبحث عن صغارها.. شيوخ مسنون لا يقوون على السير.. وأنشئت هناك إدارة لتسهيل حياة المهاجرين، تحت قيادة ضابط هرب من معركة بورسعيد، ووجد في قضية المهاجرين تسليّة له، فقد تحفظ له وظيفته في الجيش، وتعطيه الحق في لبس البدلة العسكرية.

لقد كانت جميع الطرق الزراعية المتفرعة من مدينة المنزلة مملوءة بالأسر التي خرجت على عجل من بورسعيد بعد احتلالها.. أطفال بلا أسر.. أمهات يبحثن عن أولادهن.. زوجات يبحثن عن أزواجهن.. يمضون على الطرق الزراعية بلا هدف. الفلاحون يقفون على الطرق الزراعية ومعهم الخبز والبيض وكل ما يملكون تقديمه إلى المهاجرين. يدعونهم

للنزول في قريتهم. بعض المهاجرين يستقر في هذه القرية. وبعضهم يواصل السير ليستقر في قرى أخرى، ولو سألت أحدهم لماذا فضل هذه القرية عن تلك. لما وجدت عنده إجابة.

ومع هذه الصورة تبرز صورة أخرى لبعض الضباط الهاربين من بورسعيد، في سيارتهم الجيب وهم يطوفون على الطرق الزراعية يوزعون الأوامر على الفلاحين والمهاجرين، وهم متأكدون أن الأهالي يكونون لهم في نفوسهم أعظم أنواع الاحتقار.. لقد أصبحت مأساة المهاجرين قضية يعيش عليها الكثيرون، وسوقاً لتجار السوق السوداء، الذين يستولون على أنصبتهم من التموين، ليعيدوا بيعها لهم من جديد.

وفي المقابل كان الضباط الذين معنا، بعضهم يتعجل الانتقال إلى بورسعيد بشكل فيه رعونة وبدون أن يعرف ماذا سيفعل.. كل ما يفكرون به مجموعة من القنابل تلقى على الإنجليز أو حركة اغتيالات يقومون بها.. والبعض الآخر في حيرة من أمره.. ولا يعرف موقف القيادة من الاشتراك مع الشيوعيين.

وبعد فترة يعود الضابط الشيوعي محمد منير موافي من مقابلة مع عبد الحكيم عامر، بعد أن أوضح له عن طريق أحد كبار الضباط أن مشاركة الشيوعيين في المعركة أصبح شيئاً أساسياً وضرورياً، عاود اليوزباشي منير موافي بهذه الموافقة التي بددت تردد البعض من الضباط من قضية مشاركتهم الشيوعيين في المعركة.

وكأن الشرط الأساسي لمحاربة الإنجليز، هو ألا تكون شيوعياً.. ولو تذكروا فداحة الهزيمة العسكرية في بورسعيد لكان عليهم أن يتعرفوا على الحقيقة، أنهم كانوا يحاربون الإنجليز والفرنسيين وعينهم الحذرة على العمال والفلاحين، يخشون تطور المعركة وانتقالها إلى صفوف هؤلاء، حيث سيفرض ذلك أبعاداً اجتماعية لمعركة التحرير.

وفي صباح اليوم التالي وصلت رسالة من "سعد رحمي" من داخل بورسعيد، يحملها "إبراهيم هاجوج" من أبناء بورسعيد.. وزميلي في المعتقل في عام ١٩٥٤.

الرسالة كانت تتضمن أشياء كثيرة.. أن هناك عشرات الجماعات التي تحاول أن تعمل ولكنها لا تعرف كيف تعمل.. بل إن بعضها يحاول أن يتخذ من المأساة التي حلت بالبلد وسيلة لإثبات مجده.

وكما قال سعد في رسالته.. الآن يوجد أمامي "ألف نصاب وكذاب زفه" أسماء المنظمات التي تدعي أنها تعمل كثيرة وكبيرة أذكر منها "الانتقاميون" "الأحرار" "المدمرون" "هاتاشاما" تلخيص لاسم هيئة التحرير التي ولدت وماتت في بداية الثورة والتي كان شعارها "الاتحاد والنظام والعمل".. كلام لا يمثل شيئاً في المجتمع أو للمجتمع، ولذلك ماتت بالسكتة

القلبية بعد أن أفرزت عشرات العناصر المتطفلة التي لازمت الثورة وهي تتن بحملهم بعد أن نجحوا في ضرب كل العناصر المناضلة الوطنية والوفدية والاشتراكية والشيوعية.

كانت منشورات هذه الهيئات تعبر عن القائمين بها، فهي شعارات ساذجة بعيدة كل البعد عن المعركة فعلى سبيل المثال.. أصدرت هاتشاما منشورًا على نطاق واسع، حتى الإنجليز أنفسهم الصادر ضدهم المنشور، لم يكونوا يفهمونه، بل كانوا يسألون الجماهير عن مضمونه.. "عودوا إلى بلادكم.. ملككم امرأة".

كان لا بد الانتقال بالمعركة إلى صفوف الجماهير، وإشراكها بكاملها في المعركة.. فالمدينة يسيطر عليها مسحة من الحزن.. منازل مهدامة.. جثث حيوانات متعفنة في الشوارع. التموين على وشك النفاذ. التجول محظور مساءً، معركة التجويع تفرض على الجماهير لإجبارها على العمل مع المحتلين، جهاز السلطة انتهى وتبدد ومن تبقى منهم في المدينة في حماية الإنجليز.. الجماهير تحس بمرارة الهزيمة وأن الجميع تخلى عنها. الصحافة ممنوع دخولها إلى المدينة. الدمار في كل مكان. التمزق النفسي يسيطر على الجميع.

بدأنا بإدخال بعض العناصر الجيدة إلى المدينة. وكانت الوسيلة هي الاتفاق مع بعض الصيادين ممن يعرفون بحيرة المنزلة شبرًا شبرًا، وممن سبق لهم أن كانت لنا بهم صلات سابقة.. كان المظهر الذي يخنفون تحته هو أنهم مهربون.. يهربون المؤن لبيعها بأثمان عالية في المدينة استغلالاً لحاجة الجماهير وفي نفس الوقت تقديم رشوة وخلق علاقات مع نقاط الحراسة التي تحاصر المدينة.. وكان المدخل الأساسي عن طريق "عزبة فاروق".

وفي نفس الوقت قام بعض الرفاق بمسح الجزر الصغيرة المتناثرة في بحيرة المنزلة، باتخاذها نقاط مراقبة لمعرفة تحركات العدو، ورصد حركات بعض الذين يحاولون التعاون مع المحتل.. واتخاذها مخازن لبعض البضائع التي نهربها إلى بورسعيد ومعها بعض الأسلحة الصغيرة.

وكان لا بد أن ينتهي ذلك بإعداد مركز لنا في بورسعيد قريب من البحيرة؛ حيث نتخذ منه مكاناً لاستقبال المشاركين الجدد الذين يدخلون من المطرية إلى بورسعيد؛ حيث يغيرون ملابس الصيادين التي كانوا يلبسونها وارتداء ملابس عادية تجعلهم يندمجون في وسط السكان بشكل عادي.. كان هذا المركز هو منزل "أم سعيد الضو" البمبوتي والذي كان يعمل قبل ذلك في طلاء السفن. سيدة ضخمة الجثة مفرطة في السمنة، تخطت الستين. تجلس أمام منزلها الطيني في أطراف بورسعيد، قرب عزبة فاروق. ترعى في جلستها قليلاً من البط، تخرط له الخيار وبعض حزم البرسيم. من يراها يظن أنها جزء ثابت من المكان، أو أنها تمثال جالس لا حراك فيه.

ما أن يصل إليها أي إنسان ويسألها عن اسم شارع متفق عليه، ولا وجود له حقيقي، حتى تتحرك فيها حاسة يقظة، وتخرج علبة سجائر ومشط كبريت وتبدو كما لو كانت تساومه في الثمن. لم تكن مساومات وإنما كان شرحاً له إلى أين يتجه ومن سيكون في مقابلته، وفي بعض الأحيان كانت تشير على البعض أن يدخل من باب خلفي ليغير ملابسه ويتسلم منها سلاحاً أو رسالة.. سيدة مصرية عظيمة مثل الآلاف من نساء مصر ممكن يمكن أن يلعبوا دوراً عظيماً.

حينما أتذكرها أتذكر بعض أسماء مصريات بارزات "هدى شعراوي" وغيرها.. ولكن التاريخ عادة لا يقف باب الفقيرات. لا صحافة تبرزها. لا ثقافة تقدمها إلى الجماهير.. لا أسرة تعتز بانتسابها إليها. من الأرض أتت وفي الأرض عاشت وللدفاع عن أرضها رصدت حياتها. وأنجبت لها سعيد الضو وأخواه الذي نسيت اسمه. مصريون سمر. عمال. فيهم حسم العامل وبساطته ورؤيته الصادقة الواضحة.

مرت الأيام وانتهت معركة بورسعيد. وبدأ الجميع في العودة إلى أعمالهم بل وإلى بيوتهم، والأصح كل عاد إلى طبقته.. وإلى من يعود سعيد الضو.. إلى أسرته التي تماثل الآلاف من الأسر المطحونة. لا عنوان لها.. لا اسم لها.. يطوف على بيوت الذين عرفهم في المعركة أو في أعقابها.. بعضهم كان له مركز اجتماعي وحظوة عند السلطة.. الجميع يتهربون منه..

يأتي إليّ لأحل له المشكلة. يحدثني بمرارة.. نسيتم العجوزة أم سعيد الضو لسه عايشه وبتسأل عنكم.. وبعد أيام يعود إليّ بوجه باسم. فأسأله.. هل وجدت عمل يا سعيد.. فتتسع ابتسامته وتكون الإجابة بالنفي.. طبعاً لا.. ويستطرد موجهاً حديثه إليّ.. يظهر إنك مش منهم زي حالتنا، مش مهم ليه يا سعيد.. بيوتهم كبيرة وعليها حراس.. بيتك لا حراس ولا ديولوا.. ادخل على طول.. يظهر أني اللي راح أساعدك..

نضحك سويًا وتتوثق علاقتنا.. ويبتعد تمامًا عن كل الذين كان يذهب إليهم وكان يظنهم أصدقاءه، وتزداد علاقته معي ارتباطاً وثقة. وبعد شهور يعود من بورسعيد وأراه من جديد. نضارة برسول. حزام عريض، قميص ملون.. انظر إليه باندھاش.. ما هذا كله يا سعيد.. وبيتسم ويخرج فلوس من جيبه.. أنا باشتغل الآن. أيدي تكسب ذهب. أدهن من جديد سفن باليومية. واتجوزت البنية. فاكرها.. ويغرق في الضحك.. كانت فاكراني أصبحت من الحكام.. ويعلو صوته بالضحك والتهكم على نفسه.

كنت أتذكرها جيداً رغم بعد المسافة والزمن.. كان يختفي في بعض الأحيان لمدة ساعات أثناء معركة بورسعيد. ثم أراه فجأة. وأسأله.. كنت فين يا سعيد.. وبيتسم.. كنت مع

الحته بتاعتي.. ولا زلت أتذكره عائداً بعد غيبة من هذه المقابلات ساخطاً لاعناً. أسأله عنه السبب. فيكون رده.. المجنونة عاوزانه نتجوز الآن.. وما هو المانع يا سعيد.. ألا ترى الخراب والدمار والموت. ولكنه لا يلبث أن يبتسم ويعود مرحه من جديد. ويذهب ليعود بكمية من الصيد شواها عند أمه. ويبتسم.. هدية أم الضو للرجالة.. بسم الله يا رجاله.. ولا ينتظر أن نبدأ ونجد أنفسنا في لهفة، تتسابق أيدينا إلى السمك الصغير المشوي المملح. له طعم خاص، ويثير الشهية. وطوال الأكل لا يمل الحديث عن أم الضو وعن الغليون اللي اشتغل عليه في "بيريه" في اليونان.

ومن الغريب أن هؤلاء السكان لا زالوا يحتفظون بلهجتهم العربية الأصيلة التي لم تتأثر باللهجة المصرية. مما يؤكد أنهم عاشوا في داخل هذه الجزر بمعزل تماماً عن سكان القرى المجاورة. فهم ينادون مثلاً يا فاطمة ولا يقولون يا فاطنة.. وينطقون القاف مقلقة صحيحة، وأنسابهم يعودون بها إلى أسماء القبائل العربية الأولى التي نزلت إلى المنطقة، مثل بني تميم أو النجديين. وهم يعيشون عيشة تكاد تكون بدائية، يربون الأبقار والجاموس بالمشاركة مع سكان القرى ويعيشون على ألبانها وعلى الأسماك التي يصطادونها من المناطق الضحلة في صناديق تشبه المراكب.. جزر جميلة، بقليل من الاهتمام كان يمكن أن تكون من أروع الأماكن السياحية.

حددنا في هذه الجزر أماكن تصلح لمراقبة الطيران البريطاني، وتخزين السلاح، وتموين القوارب التي ستحمل الأفراد الذين يعد ترتيبهم لدخول مدينة بورسعيد.

وفي ليلة بعد منتصف الليل ركبنا أحد المراكب الشراعية ومعنا كدليل "سعيد الضو" والضابط "محمد أبو نار" و "صلاح زعزوع" و "سمير هريدي" والفنان "عبد المنعم القصاص" وآخرون لا أتذكر أسمائهم. وتصل المراكب محملة بالليمون والطماطم والسمك وبعض الطيور البحرية. وما أن وصلنا حتى عرضنا بعضها على أفراد منطقة الحراسة من الإنجليز في عزبة فاروق. وكان معظمهم من الشباب الصغار الذين لا تتجاوز سن أكبرهم العشرين.. بمجرد مناقشة صغيرة تختفي من على وجوههم مسحة العدوان، ويتحولون إلى أطفال يتبادلون النكات مع المواطنين بل أكثر من ذلك كان بعضهم يلعب الكرة الشراب مع أطفال عزبة فاروق.

المدينة تعيش في كآبة صامتة.. بيوت مهدامة. بعض الأسر تعيش بالقرب من منزلها المهدم، وتواصل حياتها بجواره كما لو كان منزلها المهدم هو المحور الذي يتجمع حوله الأسرة. يطبخون ويأكلون ويغسلون ملابسهم. يعيشون في خيام صغيرة من البطاطين وملاءات الأسرة. يتجمعون حول نار يوقدونها في بعض بقايا أثاث الأسر المهاجرة ليحموا

أنفسهم من برد ديسمبر القارص. ومن حين إلى آخر تتقدم بعض القوات البريطانية لتفتش هذه التجمعات الصغيرة. ولتهدم خيامهم التي لا يلبثون أن يقيمونها من جديد.

لقد انتهى حي المناخ وتجمع الأهالي في الحي العربي، وفي عزبة فاروق وفي القبوطي حيث انتشر بين سكانها جميع الذين هربوا من السجن حينما أسقطت الطائرات إحدى قنابلها عليه.

ولكن سرعان ما وجدت المحنة بين الهاربين من السجن والأهالي، ولم تقع أي جريمة عدوان أو سرقة، بل في أوقات المحنة ظهر منهم مقاتلون جيدون.

بدأنا الانتشار في المدينة، بعد أن اخترنا بعض البيوت للسكن فيها وكان معظمها في الحي الإفرنجي؛ حيث لا تحوم شبكات حول سكانه؛ إذ إن معظمهم من الأجانب أو من الأسر الثرية، التي لا ترتاب فيها القوات المعتدية، ربيتها في سكان الأحياء الشعبية.

ولكن كان السؤال الذي يطاردني في هذه الفترة. كيف نعمل؟ رفاق متحمسون، ولكن ما العمل؟.. لا سلطة في المدينة، لقد تبددت مع الإنزال. لا تموين. لا صحافة. الناس بمعزل عن بعضهم تمامًا. لقد انقطعت أوامر العلاقات.. الكراهية عميقة لرجال الحكومة الذين تخلوا عنهم في ساعة المحنة ولاذوا بالفرار وبالذات رئيس المباحث الذي هرب بعد أن سلم أوراقه للقوات البريطانية ليواصلوا مهمته في مطاردة الوطنيين.

كان لا بد من الخروج من هذه الحالة، وإشعار السكان أنهم شعب له قوته وقدرته على النضال، حتى ولو فقد الثقة في حكامه.. وعلى الفور قررنا إصدار مجلة أسميناها "الانتصار". أعدت أكلشيهاتها وبعض موادها في "دار الفكر" وتوليت إصدارها ومعي "عبد المنعم القصاص".. وأقمنا كذلك لجنة لتنظيم التموين ومنع وصوله إلى القوات المحتلة.. ولجنة تتولى الاتصال ببقايا التنظيمات النقابية والشعبية لتحبيبها من جديد.. ولجنة تتولى التحريض ضد القوات المحتلة، وبث الرعب في نفوسهم..

ولجنة تتولى أعمال العنف والقنص ضد القوات المعتدية.

كانت بداية عملنا إعادة الثقة للجماهير في نفسها، وفي قدرتها على الوقوف من جديد وأن نوضح لهم أن العناصر التي تخلت عنها في وقت المحنة لا يمثلون مسيرة الشعب.. وعصاة لعبد الناصر وإرادته في مواصلة النضال.. وكان على رأس هؤلاء العصاة محافظ المدينة المستسلم.

ورئيس قلم المباحث الذي ادعى أن رجله قد أصيبت ووضعها في الجبس، وولى هاربًا تاركًا مدينة بورسعيد، بعد أن أعطى للإنجليز جميع ملفاته الخاصة بأسماء الشيوعيين والديمقراطيين من أبناء المدينة.. هذا إلى جانب عشرات الضباط الذين أهدروا الشرف

العسكري، وهربوا بعد أن تركوا كل الأوراق والخرائط الخاصة بالمعركة، والتي قام الضابط منير موافي بجمعها أكوامًا وحملها في سيارة حتى لا تقع في أيدي القوات المعتدية.

إن اللجان التي أنشأناها لتنظيم التموين أو التحريض ضد العدو أو ممارسة أعمال العنف، لم تأت من فراغ، وإنما حرصنا على أن نضع فيها كل من كان يمارس هذا العمل، حتى قبل احتلال المدينة.

فعلى سبيل المثال فإن لجنة تنظيم التموين، ضمت عناصر ممن لهم سابقة عمل في ذلك المجال.. بل بدأنا في البحث عنهم في كل مكان وتجميعهم من جديد.. حقيقة لقد أنهار جهاز السلطة في المدينة.. ولكن من الخطر أن تستمر المدينة بلا جهاز.. وكان الحل هو استبدال جهاز منهار بآخر فني، يستفيد من خبرة من سبق لهم العمل في هذا المجال.

كانت اللجنة التي تقوم بهذا العمل تحرص أساسًا على أمرين أساسيين: أولهما.. مكافحة أي محاولة لخلق سوق سوداء في أقوت الشعب، أو الاستفادة من المأساة التي تعيشها الجماهير.

ثانيهما.. عدم وصول أي سلعة للعدو، حتى يشعر بصعوبة الحياة في المدينة. ومن هنا كانت النشرة اليومية التي تعلق في كل مكان في المدينة، محددة أسعار السلع، أو تنتشر في مجلة الانتصار.

فعلى سبيل المثال نشرنا في مجلة الانتصار الآتي:

اشتر بهذه الأسعار

أصدرت مراقبة التموين هذه اللائحة التي تضم جميع أسعار الخضروات

الطماطم	٢٥٠	مليم	للاقة
بطاطا	١٥	مليم	للاقة
بطاطس محلية	٢٠	مليم	للاقة
بطاطس هولندية	٤٠	مليم	للاقة
كوسة	٢٥	مليم	للاقة
سبانخ	٢٠	مليم	للاقة
الباذنجان	٢٠	مليم	للاقة
قلقاس	٢٥	مليم	للاقة
كيروسين	١٩٠	مليم	للاقة



كانت أسعار السلع تنتشر يوميًا، وتقوم اللجان بمراقبة الباعة والسوق وبذلك استطاعت بورسعيد في ظل المحنة، أن تتجاوز شراسة السوق السوداء، والعناصر المتطفلة التي لم تتجح في تكوين هيئة أو شريحة تتحكم في أقدار الناس.

وإذا كانت لجنة التموين قد نجحت في تحديد أسعار السلع، فلقد نجحت أيضًا في منع السلع من الوصول إلى أيدي الأعداء، بل كان الأهالي أنفسهم حراسًا لهذه العملية. فلقد حدث أن قام أحد التجار ببيع كيروسين إلى الإنجليز، متحدثًا قرارات لجنة التموين، وجريًا وراء الكسب السريع، فما كان من الأهالي من أبناء حيه، إلا أن قاموا بحرقه حيًا بعد أن أوثقوه بالحبال وصبوا عليه الكيروسين.

انتقام قاسي وسريع، ولكنه عادل في ظل الحرب والاحتلال.

لم تكن كل السلع متوافرة في المدينة، ولكن الحد الأدنى كان موجودًا، وإذا أردنا تحديدًا لأسباب هذه الظاهرة فهي تكمن في أن اللجنة وحدها لم تكن هي السبب، وإنما أيضًا يقظة جهاز الدولة في المناطق المتاخمة لبورسعيد، وحيلولتها دون تسرب الطفيليين للاستفادة من المأساة، فالعناصر الطفيلية لا يمكن أن توجد إلا بمباركة من جهاز الدولة الذي يحولونه لصالحهم، أما في هذه الفترة فهذه العناصر كانت ترتعد فرقًا رغم الآمال التي كانوا يعلقونها على عودة الإنجليز.

كان بعضهم يراهن على انتصار الإنجليز، وإسقاط عبد الناصر، بل بعضهم يقسم أنه في أول جولة سيقدم كافة التسهيلات للإنجليز "تار الإنجليز ولا جنة عبد الناصر" ولقد أحسن عبد الناصر صنعًا بأن وضع معظم قيادات هذه العناصر في المعتقلات ممن ثبت عليهم التواطؤ مع الإنجليز.

وإذا كانت لجنة التموين قد نجحت في عملها، فإن لجنة المحافظة على الأمن - أمن المواطن - قد نجحت هي الأخرى.. إذ كانت باستمرار تحذر من الاعتداء على الأرواح أو الممتلكات، وتدعو إلى الوقوف ضد أي فتنة تستغل ضد الأجانب، بل وتبذل قصارى جهدها في التعاون مع البقية الباقية من رجال الشرطة في المدينة وتنشر مجلة الانتصار بياناتها مؤكدة ذلك.

"لقد تعودنا من أعدائنا الاستعماريين، أنهم حيث يفشلون في العدوان المباشر على سيادتنا، أن يحاولوا تحقيق أغراضهم بأحط الوسائل والأساليب ولذلك وجب علينا، وعلينا نحن أبناء بورسعيد على وجه الخصوص، أن نتكاتف لسد أي ثغرة يحاول العدو أن ينفذ منها.

- علينا أن نحافظ على الأمن في مدينتنا متعاونين مع قوات الأمن.

- علينا أن نمنع أي اعتداء على الأرواح أو الممتلكات.

- علينا أن نحبط أي مؤامرة لإشغال فتنة داخلية ضد الأجانب.
 - علينا أن نقطع دابر أي مؤامرة ترمي إلى بث البغضاء بين الحكومة والشعب. أو بين البوليس والأهالي أو بين الجيش وسائر المواطنين.
- إن كل الانتصارات التي حققناها لم تتم جزافاً، وإنما تمت لأننا خضنا المعركة متحدين. وإن المحافظة على ما أحرزناه من مكاسب، يحتم أن تستمر هذه الوحدة.. هكذا تعلمنا من خبرة معركتنا الدامية، وهكذا تعلمنا من خبرة سائر الشعوب التي انتصرت في معركة الحرية.
- إن الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية تكونت في خضم المعركة، وشاركت فيها ببسالة وشرف، وساهمت بجدارة في تحقيق الانتصار. وإن استمرار جبهتنا المتحدة في كفاحها، واستمرار تدعيمها هو الضمان الأول لتحقيق انتصارات جديدة ولتخطي كافة ما يعترضنا من عقبات.
- إن طريقنا طويل، وعدونا غادر متربص، وإن صمام الأمان الوحيد هو أننا جميعاً الشعب والحكومة والجيش حول أهدافنا التي لن نحيد عنها. وحول القائد جمال عبد الناصر، رمز مقاومتنا الشعبية الظافرة.
- كان ذلك باستمرار هو موقف الجبهة في معركة بورسعيد، بقيادة الشيوعيين، لم تفقد ولو لحظة واحدة حصرها على توحيد الجميع، وحشد كل الإمكانيات، وإبراز جمال عبد الناصر كرمز للمقاومة، وذلك رغم ما كان البعض يثيره من خلافات مفتعلة، ولكن بالصبر وضبط الأعصاب، استطعنا ترويض هذه العناصر، حتى مضى الجميع في صف وحد خلف الجبهة المتحدة للمقاومة الشعبية.
- كان قد تم ذلك في أحلك الظروف التي عاشها الوطن؛ حيث قوات العدو تجوب شوارع المدينة ليلاً ونهاراً، وحتى انتهت السلطة الفعلية للحكومة، وحلت محلها قوات الجبهة في تنظيم كل شيء ابتداء من تنظيم التموين حتى يصل إلى كل المواطنين وانتهاء بالمعارك المسلحة في شوارع بورسعيد.
- ورغمًا عن ذلك، فلا زال الكثيرون بسوء نية، يثيرون الشكوك حول شعار الجبهة حينما يدعو إليها الشيوعيون.. وحتى إذا دعي آخرون فنجد البعض يثير خطورة إشراك الشيوعيين في الجبهة، وهم الذين شكلوا أوسع وأعمق جبهة في تاريخ مصر، وفي ظل أقسى الظروف. (جبهة بورسعيد).
- بل أكثر من ذلك، فحينما كانت الجبهة تحذر من المخربين ومن الاعتداء على الأموال والأرواح، نجد كثيرين بسوء نية، يحاولون بشتى الطرق إلصاق تهم التخريب بالشيوعيين..

حريق القاهرة في سنة ١٩٥٢ قالوا إنه من فعل الشيوعيين.. والذي ثبت أنه كان وراء السفارتين الإنجليزية والأمريكية وبعض رجال المباحث.. ومن الغريب أن من يقول ذلك هم عملاء السفارتين والمباحث وهذه الأكذوبة التي لا تمل الرجعية استخدامها في مصر، سبق أن استخدمتها الرجعية في كل أنحاء العالم.. فحتى هتلر نفسه عدو الديمقراطية، وسفاح الحريات اتهم الشيوعيين بأنهم أعداء الديمقراطية، واتهمهم بحريق الرايشتاخ (البرلمان).. الذي قام هو بنفسه بحرقه.

تعاد هذه الأكذوبة بلا خجل وبلا ملل.. ولكن الشيء المشرق أن أحدًا لم يعد يصدقهم. ومن الغريب أنه رغم أن شعار الجبهة المتحدة هو الدفاع عن عبد الناصر لم يقبل نظام الزعيم عبد الناصر استمرارها بعد المعركة، كشكل ناجح لتجميع كل القوى المناضلة، بل رفضت الحكومة رفضًا كاملاً هذه الصيغة.

لقد كان معظم الضباط الناصريين الذين اشتركوا في معركة بورسعيد متحمسين لاستمرار الجبهة، واتخاذها صيغة للحشد الوطني، بعد أن رأوا نجاحها في معركة بورسعيد وبعد أن شهدوا بعيونهم انهيار هيئة التحرير "هاتاشاما" وأنها تحولت إلى أضحوكة لكل المواطنين في بورسعيد.

ورغمًا عن ذلك فلقد أصدرت الحكومة، وأرسلت بمندوبيها إلى البرتغال لدراسة تجربة سالازار في البرتغال، وعادوا بفكرة "الاتحاد القومي" ذلك المولد الذي اعتبر استمرارًا الذي اعتبر استمرارًا لهيئة التحرير، وادعوا أنه تجمع لكل المواطنين وانتهى أمره إلى أن مات بالسكتة القلبية مثل هيئة التحرير.

إن تتكرر ناصر وهو الزعيم الوطني، لفكرة إنشاء الجبهة ممن سبق أن امتحنهم في تنظيم الضباط الأحرار، وفي معركة بورسعيد، استمر معه حتى إنشاء التنظيم الطليعي والذي انتهى أمره إلى التحلل والاندثار، بل والتخلص من كل رجال ثورة ٢٣ يوليو لتحل محلهم البرجوازية الطفيلية وحكم الأسر التي أثرت من العمولات والسمسرة والتقرب من السلطة.

لم يكن نشاطنا قاصرًا على التمويل، وتأمين المواطنين، ومحاربة كل أنواع الفتن والمؤامرات، وإنما امتد إلى محاربة الروح الانهزامية ومحاصرة دعاة الاستسلام عن طريق التحريض والدعاية وتعبئة الجماهير، ومعرفة خطط العدو، بل والدخول إلى معسكراته، وحرمانه من بعض قواته إما بالقتل أو بخصمهم على الهرب من صفوفه.

إن المأساة الحقيقية التي يعيشها أي شعب هي أن يشعر كل فرد فيه أنه يعيش مأساته بمفرده، وأن يفقد انتماءه إلى المجموع، وأنه بمفرده عليه أن يواجه عدوًا باطشًا منظمًا مدججًا

بالقوة والسلاح، وأن يصل إلى مرحلة ما يمكن أن يسمى بفقدان الإحساس أو المساهمة في الرأي العام.

ذلك هو ما نجح فيه المعتدون، وساعدهم على ذلك بقايا جزء السلطة المستسلم المنهار.

بدأنا الاتصال ببقايا التشكيلات، التي كانت قائمة قبل العدوان.. لجان نقابة لجان طلبة.. نوادي تمثل النوبيين والسودانيين واليونانيين. كان الاتصال بهم لا يتوقف ليلاً ونهاراً حتى نجحنا في استعادة بعضهم إلى المعركة.. وبعد أن أيقنا أننا وصلنا إلى جميع بقايا هذه الهيئات، تم الاتفاق على أن نقوم بمظاهرة في المدينة المحتلة ليشعر العدو أن الشعب موجود في المقاومة، ولتشعر الجماهير بقوتها، وأن ما بقى في المدينة من سكان قادر على المقاومة بل وإنزال الهزيمة بالعدو.

وكان الموعد الذي حددناه هو يوم جمعة في جامع الرحمة، عقب الصلاة وأعلنت الجبهة عن موعد المظاهرة ووزعت البيان التالي:

نداء من جبهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد

أيها الشعب المناضل..

مهما تجمعت قوى البغي ضدنا، فالنصر حتماً في جانبنا، إننا إلى جانب الحق، ونقاتل من أجل قضيتنا العادلة.. إن الرأي العالمي كله في جانبنا، الاتحاد السوفيتي.. الصين الشعبية.. الهند.. وكل الدول العربية.. وحتى الشعوب في إنجلترا وفرنسا تعارض حكوماتها المجرمة.

أيها الشعب المناضل...

لقد ضحيت وكافحت، وكان قرار الانسحاب ثمرة نضالك وكفاحك العنيد المتواصل.

أيها المواطنون...

فلتسر هذه الجنازة الصامتة، التي ستخرج عقب صلاة الجمعة مباشرة في هدوء ونظام. لتكون تعبيراً صادقاً عما نكنه لشهدائنا الأبطال، وليعلم المستعمر أن شعب بورسعيد البطل لن يهدأ أبداً، ولن ينحني أمام الطغاة.

يسقط الاستعمار عدو الشعوب

تحيا ذكرى شهدائنا الأبرار

تسقط إسرائيل أداة الاستعمار

عاشت وحدة الشعب والحكومة والجيش

جبهة المقاومة الشعبية المتحدة ببورسعيد

قام الرفاق من أعضاء الجبهة بتوزيع المنشور قبل الموعد المحدد بأيام أذكر منهم "أحمد حجازي.. إبراهيم هاجوج.. منير موافي.. الشيخ عبد السلام الحشان.. وغيرهم ووزعت المنشورات على المنازل باليد وعلى المحلات التجارية.. على بقايا رجال البوليس وعلى بقايا الجيش.

وفي اليوم المحدد كانت المفاجأة أن بقايا أجهزة السلطة التي سبق أن استسلمت للعدو، جذبت إلى صفها بقايا "هيئة التحرير" (هاتاشاما).. وأنشأت هيئتين وهميتين أخرتين وأصدرت المنشور التالي، داعيًا إلى السكون والاستسلام.

بالإشارة إلى المنشور الموزع للقيام بمظاهرة احتجاجًا على الاعتقالات التي قامت بها قوات الأعداء التعسفية، وبناء على رغبة السيد/ محافظ القنال بمنع التظاهر، حرصًا على صالح المدينة في هذه الظروف العصيبة، وبعد الاتصالات بالمسؤولين بخصوص الإفراج عن المعتقلين، فقد ألغيت مظاهرة اليوم وليطمئن كل مواطن على المعتقلين، فسوف يفرج عنهم في أقرب وقت؛ حيث إنه تجري مفاوضات هامة بشأنهم.

المقاومة المسلحة هاتاشاما الهيئة التنفيذية بالاتحاد

لقد أحسنا ببداية التخريب، المستسلمون يحاولون أن يعيدوا العجلة إلى الوراء ورغم ذلك تجمع حشد كبير لا بأس به من أبناء بورسعيد حول جامع الرحمة وما أن شعر محافظ المدينة بذلك، حتى حضر إلى المسجد، ودفع بأحد رجال الدين ليعتلي المنبر، ليوجه نصيحة إلى المواطنين بعدم تعريض أنفسهم للهلاك وقرأ بصوت منغم متهدج الآية الكريمة "ولا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة".

وما أن ألقى خطبته حتى ارتفع الهتاف أمام المسجد بسقوط الاستعمار وبحياة ناصر.. وتقدم المحافظ ليرهب المشتركين، ولكنه فوجئ بشاب من بورسعيد، يلقيه أرضًا ويدوس عليه بالحداء وهو يهتف بسقوط الخونة والمستسلمين ذلك الشاب هو "إبراهيم هاجوج".

مرت لحظة تردد وصراع بين طليعة المظاهرة، وعناصر الفتنة والاستسلام وفي الحال تقدمت سيدة من بين الصفوف، لا يعرف أحدًا لها اسمًا أو عنوانًا.. سيدة فارعة الطول، وجذبت العلم ورفعته وتقدمت الصفوف في وسط حشود الإنجليز وهي تهتف الثأر الثأر.

يسقط الاستعمار دماء أبناءنا لن تروح هدرًا.

لقد انفجر البركان، وجن جنون الناس وهم يهتفون.. العشرات والمئات يندفعون من الشوارع الجانبية. المظاهرة تسير كالنهر الهادر بلا نظام، عشرات اللافتات ترتفع في السماء. تحمل أسماء هيئات تصور الناس أنها ماتت أو أنها لم تعد موجودة..

مضى النهر الهادر من مسجد الرحمة.. في شارع صفية زغلول.. في طريق المقابر.. لقد أحس الإنجليز أن الجماهير شيء ضخم، لم تكن قوتهم قد أعدت العدة لمقابلته.. آلاف الأطفال يحرسون المظاهرة.. أكاليل الزهور تتقدم المظاهرة.. الميكروفون يذيع الأناشيد الوطنية.

تحت علمنا الحر الأخضر راح تمشي الملايين

أحس الإنجليز بدقة المظاهرة، وضخامة الحشد بحيث يصعب أن يقال إنه بقي في منازل بورسعيد شخص لم يشارك في المعركة أمهات أباء أطفال رجال نساء بورسعيد بأكملها.

الإنجليز يحسون ضخامة الحشد. يقفون بمدرعاتهم على أطراف المظاهرة. المظاهرة تمشي في طريقها المرسوم؛ حيث تعقد مؤتمرها في المقابر؛ حيث الشهداء.. وحيث الجثث لا تزال حية.

يسرع الإنجليز لإيقاف هذا السيل، يرسلون بطائرتهم لتحلق قريباً من رؤوس المؤتمرين في المقابر، الناس لا يتحركون.

السؤال الذي يقفز إلى ذهني في الحال ماذا علينا أن نفعله الآن. إنها اللحظة الحاسمة. جماهير مصر على القتال.. مدرعات مصوبة ببنادقها ومدافعها نحوها. طائرات تكاد تلامس الرؤوس.. أبواب المقابر مفتوحة وتظهر منها الجثث.

ولم أجد بداً من أن أصعد فوق أحد المقابر لأخاطب الجماهير باسم الجبهة ولنعلن إصرارنا على الكفاح. ورفض الهزيمة ولنقسم سوياً أمام شهدائنا على المواصل.

الأم تقسم أمام قبر ابنها الشهيد.

الأب يقسم أمام قبر ابنه الشهيد.

الزوجة تقسم أمام قبر زوجها.

الزوج يقسم أمام قبر زوجته

الصديق يقسم أمام قبر صديقه

الابن أمام قبر أمه وأبيه.

كان القسم يمضي، وكأنه رصاص مصوب إلى العدو. الإنجليز تأخذهم الدهشة.. الشباب يعود إلى البلد المهزوم.. لقد تم القسم وبدأ على الفور في نفس المساء تحطيم قرار تحظر التجول.

النقطة الحمراء

الرمال الصفراء تمتد بعيداً إلى ما لا نهاية، في موجات صفراء كلها تتشابه في خطوطها وانكساراتها والشمس تنعكس أشعتها على هذه الرمال في دوائر صفراء تتسع وتضيق، ولكنها لا تلبث في النهاية أن تخبرك على أن تغلق عينيك ملأً وبلادة.

وعلى هذه الرمال وتحت أشعة الشمس يجلس طابور طويل من العراة تحيط بهم خيول يمتطيها عدد من الضباط ومعهم عدد من الجنود، وبعيداً بعيداً يجلس عدد من القناصة على مدافعهم وبنادقهم المصوبة إلى هذا الطابور من المعتقلين. متقفين. محامون. أطباء وقادة نقابيين. قيادات بارزة من العمال والفلاحين. ومعظمهم ممن خاضوا المعارك الوطنية في مواجهة الملكية والإقطاع وأسقطوا مشروع صدقي بيفن. وبعضهم ممن حمل السلاح في معارك القتال في عامي ٥١، ٥٢.

وفي مواجهة هذا الطابور تقوم استراحة بسيطة جميلة يجلس عليها مجموعة من الضباط، يتوسطهم ضابط صغير الحجم، شركسي السحنة، أنفه مثل المنقار يضع عليها نظارة معدنية، ويمسك بيده منشة صغيرة يحركها بشكل أنثوي، ويحاول بين لحظة وأخرى أن يشد جسده حتى لا يتلاشى في وسط أجساد الضباط الفارهة، وليؤكد رجولته التي جرحتها شائعات كثيرة حول أسباب طرده من القوات المسلحة.. ومن حين إلى آخر تدور عليهم أكواب من المتلجات، وترتفع بعض الضحكات.. وأحس مع هذه المرطبات أن العطش يكاد يزهدق روحي، مع بقايا الدم التي تسيل من فمي.

ويخيم على الطابور صمت حزين، وأحس بمرارة تملأ فمي. وبغرة شديدة في القيء.. ولكن يشغلني عن كل ذلك هذه الدماء التي تتدفق بغزارة من ذلك الجسد الملقى على الأرض والذي يضع رأسه على رجلي، والذي لا تربطه بالحياة سوى هذه الآهات المكتومة التي ترتفع من صدره بين لحظة وأخرى. وأمد يدي أمسك ذراعه التي لا تربطه بجسده سوى جلده رقيقة، بعد أن حطمت العصي الغليظة عظامها وبرزت من اللحم والجلد.. أني أمسكها بيدي وكأنني أحتضن عزيزاً سيوارى التراب بعد قليل..

ينزل همت من على المنصة، ويدور على صفوف المعتقلين العراة، يتحسس أجسادهم، ويتأمل كافة أعضائهم، ويتوقف أمام بعضهم يتأملهم بصورة تبعث الحمرة في وجوه بعض الضباط.. وبعد هذا الاستعراض الغريب يعود إلى المنصة من جديد.

ومن خلال هذا الصمت، وبعد بعض الضحكات الناعمة يرتفع صوته وهو يستفسر في خشونة أنثوية. هل الدكتور موجود؟ العروسة موجودة؟ شاويش الجلد موجود؟

ويرد عليه أحد الضباط في صوت مكتوم.. كل شيء موجود يا فندم.. ويمط رئيسهم الشركسي جسده النحيل، وبصوت يتصنع فيه الهدوء والتعالي يصدر أوامره.. فين الدكتور عlish.. وينصب فجأة شخص أسمر الوجه سمرة تميل إلى الخضرة، مكور الجسد، قصير القامة، مقوس الساقين، وعلى وجهه ذعر دائم وفي يده حقيبة صغيرة ويرد بصوت مرتعش.. موجود يا فندم..

اكشف على المصابين أولاً قبل الجلد.. حتى تتم الإجراءات بشكلها القانوني السليم... على فكرة يا عlish الولد اللي اسمه جمال غالي ده ذراعه بايظه خالص ممكن نقطعها ونريحه من العذاب..

وأحس بنفسه احتضن جمال وترتفع الأصوات من الطابور المخضب بالدم.. لا. لا. لا.

ويتقدم عlish في خطى رتيبة نحو جمال وصفرة باهتة تعلو وجهه، ورعشة سريعة حول فمه، ولكنه ما يكاد يسمع الأصوات حتى يتوقف في منتصف الطريق، وكأنه أصيب بالشلل. ويسود صمت قاتل رهيب ويتوقف السجانة فجأة عن الضرب وتتحول الأنظار إلى شخص أنيق يرتدي بذلة كاملة. طويل رقيق يصرخ بأعلى صوته.. مش ممكن ده يتم. أعطوني المريض. لن أسمح بقطع ذراعه. ابتعد يا عlish من طريقي. أنتم مجرمون. قتلة. خلاص لا أستطيع الصمت. كفاية كفاية.. سنتين نسيت فيهم الطب. تحولت إلى جلد. تعذبون وتبطلون وتقتلون.. وتزورون شهادات طبية.. إنهم ماتوا بالمرض.. سامع يا عlish. سامع يا همت. المأساة لن تستمر. لن نقطع ذراع المصاب.. ويتقدم بخطى واثقة ويحتضن جمال.. أعطوه لي. إنه مريض. لن نقطع ذراعه. أنا حالف اليمين يا ظلمه.. ويقفز فجأة ويحتضن جمال.. أعطوه لي لن نقطع ذراعه أنا حالف اليمين.

ينظر الضابط الشركسي إلى زملائه ويتحول وجهه إلى قطعة من القماش الأبيض ويتم بصوت مسموع.. ما هذا يا دكتور عlish أأنت كبير الأطباء.. وتتعر الكلمات على شفتي عlish، وتخرج منه أصوات غير مفهومة وغير مسموعة. ويرد الدكتور الشاب في ثورة عارمة وفي كلمات مختلطة.. دا مش دكتور، دا جزار. أنا شاهد على كل حاجة. أنا لازم أبلغ النقابة.. ويتلثم الضابط الشركسي وتصدر عنه كلمات لا يفهم منها غير.. يظهر أن الدكتور فؤاد متعاون مع الخونة.. وتأتي المفاجأة الأخرى من جمال.. ذلك الذي كان إليّ لحظة قصيرة ممدداً على الأرض من كثرة الدماء التي نزلت منه. فين تنصب واقفاً أصفر الوجه، وعظام ذراعه بارزة من اللحم، وشعره ملبد بالدم، وذراعه تهتز في حركة لا علاقة لها بجسده، إذ لم يعد يربطه بجمال سوى جلده رقيقة. ويأتي صوت جمال عالياً.. أحنا مش

خونه يا همت. أحنا وطنيين. أحنا اللي عملنا معارك كوبري عباس. أحنا الفدائيين بتوع القتال. أحنا الشعب.. أحنا اللي هاجمنا الملك اللي أنت كنت خدام له أنت وأمثالك.. ويتقدم الدكتور فؤاد ويندفع نحو جمال ويحتضنه.. ذراعك لن تقطع يا جمال. أنت مريض. أنا دكتورك. ويرتبك الضباط، ويضطرب السجانة ويخفضون في خجل عصيهم التي كانت منذ لحظة قصيرة ترتفع وتهبط على رؤوس المعتقلين، تفجر الدماء من الرؤوس الحليقة.. ويهمس ضابط كبير، منتفخ الوجه، ذو كرش كبير كان مديراً في تلك الفترة لليمان أبي زعبل الذي يتبعه سجن الأوردي، كنا نعرفه جيداً. رجل طيب القلب. ضعيف الشخصية في مواجهة رؤسائه. ربما كانت حياته الخاصة والعائلية فيها الكثير من اللمسات الإنسانية، ولكن بحكم السن والمهنة أصبح أسير لقمة الخبز، ثم يرتفع صوته مرطباً الجو.. أنت أخذتها جد قوي يا دكتور فؤاد. خد المريض بتاعك يا سيدي والبيه موافق.

ويحتضن الدكتور فؤاد جمال ويمضي به بعيداً في اتجاه مستشفى السجن الذي يبعد حوالي ٢ كيلو بين الرمال والصخور.. ويسأل عن السيارة لنقله مع المريض ولكن يرد همت.. كفاية كده أنت عاوز تركب الشيوخيين سيارات كمان. دا غيرنا بيحرقهم بالنار.. ويمضي الدكتور وأقدامه تغوص في الرمل محتضناً جمال الذي لا يقوى على السير.

وتتبعهم أنظار المعتقلين حتى يبتعدوا في جوف الصحراء ويتحولوا إلى نقطة حمراء.. ولكن رغم اختفائهم تظل هذه النقطة الحمراء تتسع وتتسع حتى أراها بحيرة واسعة تحتوي الصحراء، وأتحسس رأسي فأجدتها أيضاً نقطة حمراء من الدماء.. وأنظر إلى من أمامي من الرفاق فأجد كلاً منهم أيضاً نقطة حمراء من الدماء.

وتعلو همهمات بين السجانة. وتنخفض عصيهم، ويشعر الضباط على المنصة أن النظام الذي وضعه لمجزرة اليوم، قد ينفرط عقده، وخاصة بعد أن ارتفع صوت سجان عجوز، وهو بين البكاء والصراخ.. وحد الله أنت وهو.. وحد الله أنت وهو.. لقد انفرط عقد النظام، وتحولت وجوه السجانة إلى زميلهم الذي أوشك أن تعاوده موجة التصوف والخوف من الآخرة.

وهنا ينطلق صوت البروجي عاليًا في الصحراء، كبومة تتعق في الخراب، يتبعها صوت همت.. ابدأ الجلد يا شاويش ربحان. ١٦ جلدة.

ويبدأ نداء الأسماء (شحاتة عبد الحليم). ويقف شحاتة بجسمه الأسمر الطويل العريض. يقف سائق الترام كصخرة جامدة. ويتردد السجانة أمامه ثم يهجمون عليه. ولكنه يرد بصوت هادئ. لا داعي لهذا كله.. ويتقدم إلى العروسة، ويضع رأسه في الفتحة المعدة لذلك وتقيد أقدامه ويداه إلى العروسة.. ويبدأ الجلد.

ويرتفع الصوت من جديد..

"إبراهيم عبد الحليم". "إسماعيل المهدي" وتهوي الكرابيج على الأجساد وتتفجر الدماء.
ويصيح همت في حنق.. الجلد مش كده يا شاويش ربحان.. إيدك طرية، أنا عاوزه يتأوه
ويتلوى زي المرة.. ويقول أنا فعرضك يا جمال عبد الناصر.
ولكن يفاجأ همت أنه لا يسمع الأصوات المطلوبة.
وينادي من جديد على اسمي..

أحمد الرفاعي.. وضبه يا شاويش الواد بتاع السجن الحربي.. عاوزه يعرف أن
الحكومة عندها حديد ونار ورجاله.. عد ١، ٢، ١٦ العد غلط يا شاويش، ارجع من
الأول.

وتستمر هذه المجزرة حتى يتم ٦٠ معتقلاً. عراه كما ولدتهم أماتهم.. أجسامهم ملطخة
بالدماء مضربون عن الطعام، لم يتناولوا الطعام منذ ستة عشر يوماً.. وتأتي الخيول الجامحة
تعدو من بعيد مجنونة بضبابها وتدوس صفوف المعتقلين المجلودين الجائعين المربوطين في
السلاسل. وتتطلق بعض الرصاصات في الهواء.

ويعود الهدوء من جديد ويبدأ همت الحديث.. الجلد انتهى يا شاويش. وضب المحضر
يا حضرة الضابط. وتم كل الإجراءات القانونية.. ثم يرتفع صوته من جديد منذراً مهدداً
وهو منفوخ الصدر واقفاً على أطراف أصابعه.

ما فيش جرايد.. ما فيش ديمقراطية..

ما فيش زيارات.. ما فيش كفاح مسلح.

ما فيش حريات.. ما فيش تنظيمات لا سري ولا علني.

والمفاوضات حائتم.

مطالبكم مرفوضة.. ما فيش إلا فك الإضراب أو تموتوا زي الكلاب.. أنتم قاعدين في
لوكاندة يا كلاب. أنتم فاكرين إن إلغاء محكمة الثورة معناه أنكم حخرجوا. أنتم غلطانيين.
صلاح سالم سافر العراق. ونوري السعيد جه مصر. والثورة باقية.

ويرفع أحد الرفاق يده ليرد، فتتهال العصي على رأسه حتى يغمى عليه. ويرتفع
صوت همت. التشريفه انتهت. أرميهم في التأديب في الليمان.

..... التأديب

وبرزت فجأة من الصحراء سيارات كبيرة ذات لون أجرب، ومغطاة بقماش باهت
سميك، ووقفت على بعد أمتار من طابور المسجونين المربوطين جميعاً في سلسنتين طويلتين.



ويتحرك الرجال في اتجاه السيارة، وهم لا يقوون على المسير... وينظر السجانون إليهم في حيرة، وهم يسألون أنفسهم.. لقد أكلنا مع هؤلاء الناس عيش وملح. وعرفنا قصص أكثرهم.. لقد كانت دفاعاً عن أهاليها في القرى، أو زملاءنا في المصانع.. ويرتفع صوت همت.. إيه ده يا سجان أنت وهو. أنتم تعبتم واللا إيه. الظاهر أنكم مش نافعين. كمل التشريفة أنت وهو وحرس سلاح للمعتقلين.

ومع صعود المعتقلين إلى السيارات ينهال الشوم من جديد. فالسيارات مرتفعة، ومرت ستة عشر يوماً على الإضراب، ولم يتناول أحد من المعتقلين لقمة خبز واحدة. لا يستطيعون الصعود فتنهال الشوم عليهم. ثم يتقدم بعض السجانين ليقذفوا بهم إلى السيارات.. ولكن السلسلة الغليظة التي تربط كل مجموعة من المعتقلين تحول دون السرعة المطلوبة. وتلتف بقسوة على يد بعض الذين صعدوا السيارة مع شد الذين لا زالوا في جوف الصحراء. واسمع الأناث.. حاسب حاسب.. إيدي راح تنكسر.

وتستمر عملية شحن الرجال العراة، المرضى الجياع، الذين كانوا إلى وقت قصير يعيشون الحياة بكل ما فيها من أمل وإصرار رغم الجوع والمعتقل وبعد الأسرة والأولاد.. كانوا إلى عهد قريب وفي وقت الجوع يغنون ألحان سيد درويش.. وبول روبسون. ويصدرون مجلة السجن، ويتناولون صور أطفالهم، ويرسلون بياناتهم إلى الحكومة معبرة عن آرائهم بشجاعة.. مطالبين بعودة الديمقراطية.. وحق الفلاحين والطبقة العاملة في تنظيمات تعبر عن مشاكلهم وآرائهم.. والعودة إلى الكفاح المسلح الذي أجهزت عليه مؤامرة حريق القاهرة.

ومن بين طابور العراة تقع عيني على "فتحي عبد الرحمن" المدرس الصعيدي الذي لم تغير الثقافة أو التعليم شيئاً من عاداته أو لهجته الصعيدية.. أسمر ممثلي الجسم. قصير القامة خفيف الروح والظل، لا يمل رواية القصص والذكريات. ومع كل مرة يحكي تزداد حكاياته حلاوة وخفة دم.. أراه في هذا الطابور وهو يصرخ من ألم السلسلة التي التفت حول رقبتة.. إنه صوت فتحي الذي لا أخطئه، وتكون المفاجأة أنه الوحيد الذي يرتدي فانلة، فالكل عراة. من الواضح أنها ليست فانلته فهي طويلة تصل إلى قدميه.. إنه يصر أن يكون أنيقاً حتى في أحلك الأوقات. ولا أدري لماذا اجتاحتني موجة من الضحك!! ومع العصي التي تنهال على ظهري وكفني، كان الضحك يكاد يخنقني. وفي وسط هذا الجحيم يلتفت إلي فتحي مستفسراً مؤنباً.. بتضحك على إيه يا ابن.... دا وقته. ويسرع الصول فيعدل من وضع السلسلة حتى لا تنكسر رقبتة. ويحاولون أن يجردوه من الفانلة، ولكنه يرفض.. عيب يا شاويش، ما يصحش

أنا راجل صعيدي.. ولكن العساكر لا يستطيعون أن يجردوه من الفانلة لأن معنى ذلك أن يفكوا السلسلة كلها.

وتمضي السيارات تترنح بحملها الثقيل حتى تصل إلى الليمان. ويستقبلنا صفين من الجنود ولكن المفاجأة أنهم لا يستخدمون العصي والكرابيج.. لقد اطمأنوا لرحيل همت المرتبط بالمخابرات والمباحث، وأصبحت السلطة في يد ضباط السجون العاديين. ويقلون بنا في الزنازين، في شبه زنازين.. كل زنزانة بها عشر رجال.. لا تكفي لتمديد أجسادهم. وتغلق الزنازين، وينظر المعتقلون إلى بعضهم وترتفع أصوات متضاربة، ضحك وبكاء.. والبعض يضم الآخر إلى صدره.. وأحاول أن أسري عن شاب صغير.. معلى بعد شوية الألم سيزول يا قناوي.. شاب صغير في الثانوية العامة، مرفه في حياته، تفتحت عيناه وهو صغير فعرف الكثير.. ممزق الظهر، أخذه في حضني ولا أكاد أمسح على ظهره حتى يصرخ من شدة الألم. وأشم رائحة الجوع تتصاعد من فمه ويتناهي إلى صوت إسماعيل معيد الفلسفة بالجامعة وكأنه أسلاك من الصلب. أتركه يا زميل عليه أن يتحمل، لا ولاده بلا ألم. كلمات صادقة ولكنها قاسية. فللبشر طاقة وأحسن بالاضطراب وأضع رأسه على ساقي ويتمدد على ظهره ليشعر برطوبة الأرض عليها تخفف حجم الألم الملتهب في ظهره.

ومع إغلاق الأبواب وحلول الظلام تبدأ تشعر بالاطمئنان، فمعنى التمام في السجن أنك في مأمن حتى الصباح ولكن المفاجأة أن التأديب يفتح بعد ساعة ويظهر "أنور السروجي"، سجان ضخيم الجسم، يتصور دائماً أن هذه الضخامة تجعله في مستوى أعلا من زملائه السجانين، وكفيله بأن تضعه في مستوى الضباط.. وينادي على بعض الأسماء من المعتقلين وما أن يخرجوا من الزنازين حتى ينهال عليهم ضرباً ويطلب إليهم أن يشربوا من جرادل البول.. ولكنهم يرفضون، ويحاولون إقناعه بأن ذلك لن يفيد في شيء ولكنه يصر.. وتظل هذه المهزلة مستمرة حتى يشعر بالتعب فينصرف متوعداً بأن ذلك لا بد وأن يتحقق في الصباح.

ومن الغريب أننا اكتشفنا بعد فترة أننا ظللنا نشرب البول لمدة عشرين يوماً دون أن ندري.. إذ كنا نملأ الجرادل من بئر في التأديب تختلط مياهها بمياه المراحيض.. ولم نندم على ذلك إذ أننا كثيراً ما تمنينا بعد ذلك نقطة ماء واحدة حتى ولو كانت بولاً خالصاً حينما حددوا كمية المياه التي تصرف لكل مجموعة من المعتقلين؛ حيث تقوم إدارة السجن في كل مساء بقطع المياه عن العنابر.



عشرون يومًا في تأديب ليّمان أبي زعل، دعمت الصداقة بيننا وبين المسجونين
العاديين، رغم الحراسة المشددة، وتضافرت عواطفهم معنا احتجاجًا على عمليات التعذيب
الوحشية التي أنزلت بالمعتقلين، وإعجابًا بإصرار المعتقلين على مواقفهم.
فالموقف القوي يبعث الدفاء والقوة في محيطه، أما الضعف فلا يثير غير
الاشمئزاز.. وكانت هديتهم لنا قلم ومجموعة من الأوراق.

منشور انتخابي(*)

كون مع زملائه لجنة نشر الثقافة الشعبية (١٩٤٠-١٩٤٤) وكان أهدافها محو الأمية بين جموع الشعب من فلاحين وعمال والعمل على رفع وعيهم السياسي والوطني وافتتحت هذه اللجنة فرعاً لها (سكة جلال الملك رقم ٧ بشارع المطبعة الأهلية) كان يؤمه نحو ١٠٠ عامل.

ساهم مع زملائه في إصدار (مجلة الفجر الجديد) عام (١٩٤٥-١٩٤٦) التي لعبت دوراً أساسياً في توعية جماهير الشعب وتعبئتها للنضال ضد الاستعمار والرجعية حتى عطلها صدقي باشا في ١١ يوليو ١٩٤٦.

كافح مع زملائه من أجل تخلص العمال من سيطرة الأحزاب القديمة ومساعدتهم في شق طريقهم المستقبل وقد تمثل ذلك تكوين (لجنة العمال للتحرير القومي) في أكتوبر ١٩٤٥ أول هيئة عمالية مصرية ببرنامج سياسي تضمنه:

(١) تحديد سلطة الملك بإلغاء حق إقالة الوزارة.

(٢) إلغاء الملكية.

(٣) تأميم الاحتكارات ومنها قناة السويس.

(٤) محاربة الصهيونية.

اشترك مع زملائه في دعوة العمال وتنظيم مقاطعة الباخرة الهولندية فوند أم التي مرت بقناة السويس تحمل العتاد الحربي للقضاء على ثورة شقيقتنا إندونيسيا.

اشترك مع زملائه في فضح عصابة السراي وحكومة النقراشي أثناء حرب فلسطين وفي مقاومة الأحكام العرفية مقاومة عنيفة بالمنشورات والصحف السرية.

اشترك مع زملاءه في تنظيم صفوف الطلبة والعمال والمفكرين والأحرار من صحفيين ومؤلفين للعمل على منع قانون المشبوهين السياسيين عام ١٩٥٠ وقانون الصحافة عام ١٩٥١.

اعتقل في نهاية عام ١٩٥٠ بتهمة النشاط الشيوعي وأُفرج عنه بكفالة بعد شهرين.

(*) نص منشور انتخابي وزع باسم حلمي يس في انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٦ (قبل أن يصدر اعتراض على ترشيحه) ويعبر المنشور عن موقف برنامجي لمنظمة طليعة العمال.



عقب إلغاء معاهدة ٣٦ نظم مع زملاؤه لجان الجبهة المتحدة التي كانت تتولى إرسال المتطوعين والأسلحة وكانت تقوم بالتعبئة السياسية.

عقب حريق القاهرة في ٢٦ يناير ورغم أنه كان يطوف بالشوارع لمنع الجماهير من الانقياد وراء عصابة السراي وعملاء الإنجليز الذين أشعلوا الحريق صدر أمر عسكري باعتقاله فهرب وبأشرف نشاطه وهو مختف.

تمكن البوليس من اعتقاله في مايو ١٩٥٢ وأودع في معتقل الهايكستب حتى أفرجت عنه الثورة في يوليو ١٩٥٢.

وفي نهاية عام ١٩٥٣ قدم القضية للمحاكم وصدر ضده حكماً غيابياً بالسجن أربعة سنوات فاختلف عن الأنظار واشتغل في عدة مهن واستمر في كفاحه.

في أوائل عام ١٩٥٥ عندما أعلنت الحكومة رفضها الحازم لحلف بغداد أعلن تأييده لهذا الموقف وناضل بكل وسيلة من أجل إقناع كافة أجزاء القوى الوطنية والتقدمية بأهمية مساندة الحكومة في موقفها الجديد.

عندما أمتت الحكومة قناة السويس وتحقق بذلك أحد أهدافه التي كافح من أجلها منذ عام ١٩٤٤ دعا هو وزملاؤه الشعب إلى الانضمام إلى جيش التحرير والاستعداد لمواجهة مؤامرات المستعمرين.

عندما حدث الغزو الاستعماري الفاجر كان عمله الأساسي هو تنظيم لجان المقاومة الشعبية وتعبئة الجماهير الشعبية وتنظيمها ودفع المتطوعين لمعسكرات التدريب وتركز نصيبه في العمل أساساً في روض الفرع والشرقية.

في مراحل كفاحه كان يصدر المنشورات والبيانات للشعب ويضع أمامه الرأي السليم الذي يحقق مصالح الوطن.

أصدر كتابي (الاستعمار يهزم في المجر) وكتاب (لنسحق المؤامرة) لفضح الخطط الاستعمارية.

الطريق إلى الاشتراكية

تعيش بلادنا الحبيبة في فترة تاريخية مجيدة، فبعد أن تخلصت بلادنا من الاحتلال الأجنبي وحصلت على استقلالها، أصبح لزاماً علينا أن نكافح دون هوادة من أجل تحويل المجتمع المصري المتأخر شبه الإقطاعي إلى مجتمع صناعي متقدم مزدهر علينا أن نكافح من أجل القضاء على بقايا النفوذ الاستعماري وأن نستأصل كافة الآثار المدمرة التي يرتكبها في جميع مرافق الحياة.

إن الشرط الأساسي كي تحقق هذا الهدف النبيل هو وحدة شعبنا بجميع فئاته عمال وفلاحين وطلاب وموظفين وتجار ورأسمالية وطنية وحدتهم جميعاً في جبهة وطنية متخذة تقف بحزم في وجه مؤامرات الاستعمار وأذنابه وتكافح بإصرار من أجل إنجاز الإصلاحات الأساسية التي تؤدي إلى خلق مجتمع مصري متطور.

إنني وقد كرست حياتي من أجل تحقيق الاشتراكية في بلادنا أرى أن نجاحنا في تنفيذ البرنامج التالي سيخلق الظروف المناسبة ويهيئ الأساس كي تنقل بلادنا إلى مرحلة بناء الاشتراكية.

أولاً: حماية الاستقلال الوطني والسلام العالمي.

- حماية وتدعيم استقلالنا الوطني والوقوف بحزم ضد كافة الأحلاف والمشروعات الاستعمارية وعلى رأسه حلف بغداد ومشروع إيزنهاور.
- حماية المكاسب الوطنية التي أحرزناها شعباً وحكومة مثل تأمين قناة السويس وقانون الإصلاح الزراعي وقوانين تمصير البنوك والمؤسسات الاقتصادية.
- تدعيم وتطوير علاقتنا التجارية والسياسية والثقافية مع كافة الدول على أساس المساواة العامة واحترام سيادتنا التامة وعدم التدخل في شئوننا الداخلية.
- حماية وتطوير سياسة الدفاع عن السلام والحياد الإيجابي.
- المشاركة الإيجابية في الجهود العالمية التي تبذل لتحريم إنتاج واستخدام الأسلحة الذرية ونزع السلاح وتوجيه الطاقة الذرية للتعمير والبناء السلمي.
- السهر على تجهيز الجيش ورفع مستوى تدريبه وتسليحه ومساندته بقوى شعبية مسلحة.

ثانيًا: تحقيق الوحدة العربية الشاملة:

- البدء فورًا في تحقيق الاتحاد السوري المصري كنقطة بداية نحو الوحدة القومية الشاملة.
- المساهمة الإيجابية للحركات التحريرية في البلاد العربية وذلك بتنظيم مساعدة شعوب الجزائر والعراق والأردن.
- توسيع وتدعيم التنظيمات الشعبية العربية مثل اتحاد العمال العرب وتنظيمات الأدباء والمحامين والأطباء العرب.
- توثيق روابط الكفاح المشترك بين مصر والسودان وحل مشكلة النيل بما يحقق مصالح الشعبين الشقيقين.
- رفض المحاولات الاستعمارية لإرغام البلاد العربية على عقد صلح مع إسرائيل والتمسك بضرورة خضوع إسرائيل لقرارات هيئة الأمم وإعادة اللاجئين إلى دورهم وتعويضهم.

ثالثًا: تصفية بقايا الإقطاع والاحتكار:

- سيطرة الدولة على التجارة الخارجية وتأميم الصناعات الكبرى والمرافق العامة التي تلعب دوراً رئيسياً في معيشة الجماهير الشعبية.
- وضع خطة كاملة لبناء اقتصادي قومي متحرر وموجه على أساس مشروعات الخمس سنوات كي يتحقق بناء صناعة وطنية مع التركيز على الصناعات الثقيلة.
- وضع خطة قصيرة الأجل للانتعاش السريع تكفل مواجهة الحرب الاقتصادية التي يشنها الاستعمار وتهدف لتخفيف مشكلة الغلاء والبطالة.
- تشجيع وحماية الرأسمال الوطني وتوجيه أصحابه لاستثمار أموالهم في نطاق الخطة العامة المرسوم لرفع مستوى المعيشة.

رابعًا الحريات العامة. توطيد دعائم الديمقراطية وذلك بالآتي:

- ١- إلغاء كافة التشريعات الموروثة من عهد الاستعمار والإقطاع والموجهة ضد حرية الشعب.
- ٢- ضمان حق الشعب في تنظيم صفوفه داخل التنظيمات النقابية والمهنية والسياسية مع حرمان الإقطاعيين وأذناب الاستعمار من ممارسة نشاطهم.

٣- توسيع القاعدة الديمقراطية لحياة البلاد بإنشاء المجالس القروية والبلدية وجعلها برلمانات محلية منتخبة بالاقتراع العام السري المباشر.

٤- تطهير جهاز الدولة والحكومة من كافة العناصر التي تربت في ظل الاستعمار والتي يعوق وجودها تطوير الديمقراطية بحيث يصبح جهاز الدولة في خدمة تقدم الشعب وحماية الوطن.

٥- جعل الاتحاد القومي تنظيمًا دستوريًا لقوى الجبهة الوطنية بحيث يمثل كل القوى الوطنية وتعبر من خلاله عن مطالبها وكفاحها وتحقق في داخله التضامن الوثيق لمواجهة الاستعمار وبناء المجتمع الديمقراطي المزدهر.

الخدمات الاجتماعية العامة:

- إصدار قانون للتأمين الاجتماعي بالنسبة لجميع الطوائف ضد البطالة والعجز والمرض والشيخوخة تتحمل الدولة والمؤسسات الكبيرة الجانب الأكبر من التزاماته.
- تأمين الطب وتحقيق العلاج والخدمة الطبية المجانية لكل مواطن في بناء المستشفيات وتخريج الأطباء.
- رسم خطة للفحص الشامل والعلاج وتنفيذ على كل الشعب للقضاء على أمراض المستوطنة والصدريّة.
- جعل التعليم إجباريًا حتى المرحلة الإعدادية، وفتح التعليم الجامعي أمام كل راغب فيه والتوسع في المجانية لطلبة الجامعة ودفع مكافآت للطلاب المتفوقين.
- إقامة مساكن ومطاعم للطلاب القادمين من الريف والطلبة الفقراء لرفع مستوى معيشتهم وحماية صحتهم.
- السماح لطلبة المدارس الصناعية والفنية والمتوسطة إتمام تعليمهم بالجامعة.
- تطهير الكتب والبرامج الدراسية من مخلفات الاستعمار وإنماء ونشر التراث الثقافي القومي وكذلك أمجاد الشعب المصري وبطولاته.

مطالب الفئات والطبقات الشعبية:

- العمال: رفع مستوى أجور العمال وتحديد حد أدنى للأجور على أساس متحرك مضطرد مع مستوى الاستعمار وغلاء المعيشة.
- ضمان الحريات النقابية وإبعاد أشكال التدخل في أعمال النقابات.

- تحريم فصل العامل إلا بحكم من القضاء في كافة المصانع والمؤسسات التي يزيد عدد عمالها عن ٥٠.
- وقف غلق المصانع والتشريد الجماعي للعمال.
- إلغاء المادة الخاصة بفترة الاختيار من قانون عقد العمل الفردي.
- تحديد ساعات العمل اليومي بثمان ساعات وتحريم العمل الليلي أو الشاق للنساء والأحداث.
- إقرار حق العمال في يوم إجازة أسبوعية مدفوعة الأجر وكذلك أجازة سنوية بأجر كامل.
- إصدار كادر لعمال كل مهنة أو مجموعة من المهن المتشابهة يضمن العلاوات والترقية.
- إدارة المؤسسات والمرافق الضخمة بواسطة لجنة تضم مندوبين منتخبين عن العمال وأصحاب العمل.
- الفلاحون: تدعيم وتطوير قانون الإصلاح الزراعي وذلك:
- تخفيض الحد الأقصى للملكية الزراعية.
- تخفيض قيمة الأقساط وتخفيض الفائدة المقررة عليها.
- ضرورة البدء في توزيع أراضي مصلحة الأملاك والأوقاف على الفلاحين الفقراء.
- تكوين جمعيات تعاونية لمد الفلاحين بالبذور والأسمدة بالأسعار الرسمية وتقديم لهم السلف وتقوم أيضًا بتسويق المنتجات.
- تنفيذ القانون الخاص بالحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين والعمل على تكوين اتحادات مهنية للفلاحين وحماية العمال من نظام التراجيل والوسطاء.
- إيصال المياه النقية والنور الكهربائي لكل القرى المصرية.
- وضع خطة لإعادة بناء القرى المصرية بحيث يتوافر للفلاحين منازل صحية.
- تصنيع الزراعة بإنشاء محطات حكومية للآلات الزراعية والجرارات والمحاريث والمضخات.
- حماية الإنتاج الزراعي بتشجيع نشر وتعميم نظام الزراعة التعاونية.

التجار:

- توحيد الضرائب ورفع حد الإعفاء من ضريبة الأرباح التجارية للتخفيف عن صغار التجار وفرض نظام تصاعدي للضرائب ومعالجة مشكلة التقدير الجزافي للضرائب.
- إنشاء جمعيات تعاونية لصغار التجار ومتوسطيهم ومدّهم بالقروض بالشروط المناسبة.
- حماية مصالح التجار بأن يشمل نظام التسعير الجبري مصادر الشراء ذاتها مثل تجار الجملة وملاك الأراضي والحدائق إلخ بحيث تضمن مكاسب مجزية لصغار التجار ومتوسطيهم.
- تحويل الغرف التجارية إلى مؤسسات ديمقراطية تمثل التجار وتدافع عن مصالحهم.

الموظفون:

- إلغاء التقارير السرية ومنح الموظف حق مناقشة التقارير المقدمة ضده.
- تثبيت جميع الموظفين في الحكومة والمؤسسات وضمان معاش مناسب لهم.
- تنظيم العلاوات والترقيات بحيث يتقدم الموظف بقدر ما تزداد أعباء الحياة وبقدر ما يستفيد من خبرة وتجربة.
- تحطيم الروتين الحكومي الذي يقبر المواهب وإعطاء مكافآت تشجيعية وترقيات لمن يساعد على وضع خطط مبسطة لأداء الأعمال وتحسينها.
- تنظيم دورة التنقلات إلى الأقاليم بحيث لا يقضي الموظف سنوات طويلة خارج المدن الرئيسية.

مطالب أهالي الدائرة ١٩:

- إن دائرتنا جزء من الوطن وسكانها جزء من الشعب وكل تقدم أو إصلاح يحرزه الشعب سيستفيد منه أهل الدائرة ومع ذلك فهناك مطالب ملحة وعاجلة يجب أن تحقق سريعاً.
- ١- منع إزالة المباني والشروع فوراً في بناء مساكن شعبية ينتقل إليها الأهالي ويكون إيجارها الشهري بمثابة قسط من ثمنها وجعلها مكاناً لهم.
 - ٢- حل مشكلة الكادر وتنظيم العلاوات والترقيات بالنسب للعمال.
 - ٣- إنشاء مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين ومدرسة ثانوية للبنات.
 - ٤- منع تعسف البلدية مع أصحاب المحلات والباعة الجائلين.
 - ٥- منع تعسف البلدية مع أصحاب لمحلات والباعة الجائلين.



- ٦- إنشاء ناديين للشباب والرياضة وأوقات الفراغ والرحلات.
- ٧- إنشاء دار لحضانة أطفال النساء العاملات مجاناً أو بمصروفات زهيدة.
- ٨- إنشاء مصنع يقتصر العمل فيه على نساء الحي الراغبات في العمل كما يقوم هذا المصنع بتعليم وتدريب النساء الراغبات في العمل في منازلهم على بعض الصناعات اليدوية الخفيفة - وذلك ليساهم في رفع مستوى الأسرة.
- ٩- تخفيض الضرائب والعوائد والرسوم المختلفة بالنسبة للفتات الشعبية.
- ١٠- إيجاد مصانع بالحي لتشغيل العاطلين من سكان الحي.



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٦ أكتوبر ١٩٨٥

س: هل لك أن تروي بعض خبراتك خلال نشاطك الشيوعي في منظمة طليعة الشعب الديمقراطية ووحدها مع منظمة الشيوعيين (و. ش)؟

ج: سأبدأ أولاً برؤيتي لمنظمة وحدة الشيوعيين.. وقائدها ومؤسسها إبراهيم فتحي ولكي تعرف حقيقة هذه المنظمة وهذا الرجل يكفي أن أروي لك واقعة قد تبدو طريفة لكنها كافية الدلالة.. فقد كانت وحدة الشيوعيين (و. ش) تصدر نشرة داخلية تنشر مقالات تمثل حواراً عنيفاً بين شخصين كامل، راشد. وفي حديث شخصي لاحق مع إبراهيم فتحي قال لي أن راشد هو كامل وأن أصل المسألة يبدأ من أنه منذ تمرده على قيادة حدثو وتأسيسه منظمة وحدة الشيوعيين وهو طالب صغير السن وكانت المجموعة المحيطة به من مثل مرحلة السنية وكانت بحاجة إلى رمز تقليدي يواجه قيادة حدثو فاخترع لهم قصة وجود قائد شيوعي من الحركة القديمة وله خبرات كبيرة وأنه في قيادة (و. ش). واختار له اسماً وكتب باسمه مقالات ودخل معه في حوار.. واستمر متورطاً في هذه الكلمة لفترة.

وهذه الواقعة توضح طبيعة إبراهيم فتحي وأمثاله من دعاة الزعامة في المنظمات الصغيرة.

أما تنظيم وحدة الشيوعيين فاسمه دليل كاف على هويته فهو لا يتوجه إلى الجماهير ليقود نضالها، وإنما يتوجه إلى الشيوعيين ليوحدتهم وهذا في أحسن الافتراضات.

وشخص آخر التقى به إبراهيم فتحي هو أ. ع وتلاقيا في شيء أساسي هو حالة التباهي المبالغ فيها بالمعرفة والثقافة المجردة وتوسم إبراهيم في أ. ع طموحه الزائد فاقتنصه ليقدمه على أنه راشد. وقبل أ. غ مغامرة القفز من الشارع إلى قيادة المنظمة.

أما المجموعة الأخرى فقد كانت تنظيم جنيني ولم تكن منظمة شيوعية بالمعنى المفهوم، وإنما كانت مجموعة من الكادر يجمعهم معاً الخلاف مع حدثو والخلاف مع الآخرين حول طبيعة الحكم في مصر.

وكان القائد والمفكر لهذه الجماعة فوزي جرجس، وكان فوزي جرجس قائداً لتنظيم نواة الحزب الشيوعي المصري، رفض وحدة الموحد مختلفاً حول أسباب اتهامها والأسس التي تمت عليها وكيفية تمثيل النواة في قيادة الموحد.

فدق تجاهلت النواة تمثيل القائد والمؤسس (فوزي جرجس) وقدمت إلى ل. م الموحد ثلاثة غيره (محمود العالم - بهيج نصار - حسين غنيم). وكان فوزي جرجس يرى أن الوحدة تمت بشكل علوي كاتفاق شكلي بين القادة دون اشتراك للقواعد أو الكوادر وكان بالدقة يسميها تواطؤ بين القيادات. وكان يتشكك في عملية الوحدة وأنها محاولة لعملية تجميع أكبر عدد من الشيوعيين لتأييد عبد الناصر بلا قيد ولا شرط، وأن الوحدة يجب أن يسبقها تحليل عميق للواقع المصري سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وبعد الخروج من المعتقل انتقلت هذه المجموعة بقيادة فوزي جرجس مع مجموعة من غير الراضيين عن التحول السياسي، داخل الحركة الشيوعية عامة لصالح المؤسسة العسكرية الحاكمة، والتأييد المطلق لعبد الناصر وتمجيد الحكم الفردي، وكان تنظيمًا جنيئاً وتطلب الأمر وقتاً كافياً لوضع خط سياسي وتنظيمي واضح.

ولكن بدأت منظمة وحدة الشيوعيين في الاتصال بهذه المجموعة وضغطت بشدة من أجل وحدة كل القوى المناوئة لخط حدثو، بحجة تأسيس تنظيم لينيني ثوري حقيقي.

الكوادر الأساسية التي كانت ملتفة حول فوزي جرجس هي تحديداً: محمود المنسترلي - حمدي حمدان - حسني تمام - فوزي محمد علي - نجيب سري - شعبان حافظ - محمود عزمي - مهدي الحسيني - محمود ماجد - نجاتي عزب - محسن الخياط - رمسيس لبيب.

والعدد ليس كبير لكن فيهم نوعيات جيدة.

وضغط بعض هؤلاء وخاصة محمود المنسترلي وحمدي حمدان وحسني تمام من أجل الوحدة مع و. ش واتفق فوزي جرجس متنازلاً عن موقفه الثابت بضرورة التمسك بشروطه المثالية لأية وحدة، وجلس الطرفان وكشف فوزي جرجس كل أوراقه وقدم أسماء أعضائه وتم الاتفاق مع إبراهيم فتحي (و. ش) على كل شيء حتى على اسم التنظيم وكان طليعة الشعب الديمقراطية وفي اللحظة التي تصور فيها الجميع أن اتفاقاً كاملاً ونهائياً قد تم هرب العريس في ليلة الفرح هكذا فعل إبراهيم فتحي بالضبط، ففجأة وبدون سابق إنذار وفي ذات يوم إعلان الوحدة وتأسيس طليعة الشعب الديمقراطية كانت أسماء ومواقع كل أعضاء مجموعتنا تعلن على المقاهي في حين أن فوزي جرجس كان حريصاً على أن يكون جماعة كاملة السرية عندما كان في المعتقل لم يعلن أنه كون جماعة وإنما اكتفى بإبداء معارضته

لوحدة الموحد.. وتورط فوزي جرجس في اسم طليعة الشعب الديمقراطية وظل يعمل تحت هذا الاسم.

وهكذا هزمت المعارضة اليسارية لحدثو، وهزمت عملية معارضة الارتقاء في تأييد عبد الناصر، وتعطل التنظيم وأصيب كل شيء بالارتباك وكشف كل الأوراق وعاجلتنا جملة يناير ١٩٥٩.

وقبض على الغالبية، وبقي خارج السجن عدد محدود كان قليل الخبرة وإن كان شديد الإخلاص والحماس، وما لبثوا أن تساقطوا واحدًا بعد الآخر، وكان آخرهم رمسيس لبيب.

س: وماذا عن تجربتكم في السجن؟

ج: عدم استكمال الخط السياسي والتنظيمي وعدم تحقيق حضور جماهيري كاف أدى إلى عزلتنا عن الجماهير، كما أدى إلى عزلتنا عن كادر الحركة الشيوعية، كذلك كنا في السجن معزولين عن مجمل الكادر..

وكانت أفكارنا تحيل إلى الفكر الصيني مع بعض التحفظات، وكنا نرى أن التأميمات ليست من الاشتراكية في شيء وأنها تشكل شكل من أشكال سيطرة المؤسسة العسكرية على مقدرات البلاد، وتصفية لنواة الاقتصاد الوطني، ونرى أن في تأميم الصحافة محاولة لفرض وجهة نظر السلطة من خلال كوادرها المدربة على جماهير الشعب والسيطرة على عقولها وغسل مخ الشعب لصالح المؤسسة العسكرية.

وكنا نرى في الاتحاد الاشتراكي مجرد امتداد لهيئة التحرير وجهازًا لتصفية الديمقراطية ومحاولة إضفاء مشروعية للأجهزة البوليسية وعمالها في صيغة تنظيم يدعي الاشتراكية.

وكنا نقول إن الاتحاد السوفيتي في ظل قيادة خروشوف قد انحرف تمامًا عن قضية الاشتراكية، وكنا نرفض كل الأطروحات السوفيتية وخاصة أطروحات سيمينوف وبونيماريوف.

وكنا بطبيعة الحال ننتاقض بشكل شبه كامل مع طابور الحركة الشيوعية الرسمية (حدثو - الراية - ع. ف) وأدى هذا طبعًا إلى المزيد من عزلتنا عن الشيوعيين الآخرين في السجن.

س: وماذا عن مسألة حل التنظيم؟

ج: إذا كانت المنظمات الأخرى قد حلت نفسها فإن منظماتنا قد تحللت. فور الخروج من السجن تباعدت العلاقات وكنا نكتفي باللقاء الشخصي الودي ونتساءل ماذا سنفعل، وكانت

أوضاعنا الشخصية منهارة لا سكن ولا وظائف ولا دخل ولا علاقة فعلية بالواقع المصري ولا احترام اجتماعي، ولا إمكانيات لعقد صلات فعلية مع الواقع.

وكان الوضع الجبار الذي أشاعه عبد الناصر يخيف الجميع وما لبث فوزي جرجس ومحمود عزمي أن اعتقلا بعد فترة وجيزة (في ذات عام ١٩٦٥) ولم يفرج عنهما إلا في يوليو ١٩٦٧ وكان اعتقالاً وقائياً يستهدف إخافة الجميع من مجرد التفكير في بناء تنظيم. هذا إلى جانب أن مناخ الحل كان مسيطراً على الوجود السياسي الشيوعي في مصر، وفقدت الكوادر الثقة في بعضها البعض.

س: ما هو تقييمك لشخص فوزي جرجس؟

ج: فوزي جرجس فترة السجن الأخيرة أجهزت عليه والحقيقة أنه قد بذل جهداً كبيراً على مدة سنوات عديدة لكنه أحبط في السنوات الأخيرة.

ويمكن القول إنه لم يكن يصل إلى المدى النهائي في أفكاره، كان لا يستكمل أفكاره ولا يكملها، صفته الأساسية هي روحه الانتقادية لأفكار الآخرين، لكن ذلك لا ينفي نزعتَه الإبداعية التي لا تكتمل أبداً ولا تصل إلى مداها.

تتلمذ على صبحي وحيدة و د. عبد الفتاح القاضي.

يمكن القول إنه رجل مخلص، مثقف انتقادي، ولكنه بلا نسق فكري متكامل ولا نسق تنظيمي مؤهل للتوجه للجماهير.

محضر نقاش

أجريت المناقشة في عدن يوم ٢٢-٤-١٩٨٣

س: أريد أن أسمع تقييمك لعملية الوحدة، ثم لعملية الانقسام، وهل من معلومات تريد الإدلاء بها في هذا الصدد؟

ج: ساد في الموحد اتجاه جارف لإتمام الوحدة الشاملة، أي الوحدة مع د. ش، الراية وأعتقد أن هذا المناخ كان سائدًا أيضًا في هاتين المنظميتين. ولعل اتفاق الجميع على خط حدثو السابق بتأييد عبد الناصر كان أحد العوامل المشجعة للوحدة.

وتشكلت لجنة للوحدة كانت تضم محمود العالم (موحد)، حلمي يس (د. ش)، سعد زهران (الراية).

وكانت مجموعة د. ش تعرقل الوحدة بشتى الوسائل وبدأت تثير قضايا قديمة جدًا مثل خط القوات الوطنية الديمقراطية (والذي نسي منذ عام ١٩٤٨) والمطالبة بحل مجموعة روما، وإدانة هنري كورييل.. وكنا نحن نرفض مثل هذه الشروط.

وفي بعض الأحيان كانت لجنة الوحدة تعقد في شكل موسع فيحضر اجتماعاتها أنا أو مبارك عبده فضل (موحد) وأبو سيف يوسف (د. ش) وإلهام سيف النصر (الراية).

ومع استمرار د. ش في وضع العراقيل تمت الوحدة بيننا وبين الراية وأقيم الحزب الشيوعي المصري المتحد وبدأنا عملية الدمج وفوجئنا بضعف القوات التي قدمتها الراية، كانت الغالبية مجموعة من المتقنين والطلبة وكانوا محدودي العدد وقيل ساعتهما إن تنظيم الراية قد انفرط عقده عندما تكتشف أخطاؤه السياسية وهزمت شعارات الفاشية واضطروا لتأييد عبد الناصر..

وأعتقد أن الذي مكنهم من ذلك هو موقف البعض ومنهم أنا الذين كانوا يدافعون عن الوحدة وبسرعة وبدون تدقيق بل وبسذاجة، وهم استفادوا من تلهفنا على الوحدة واستولوا على مواقع في القيادة لم يكونوا يستحقونها.

وما أن بدأت الوحدة حتى بدأت المشاكل وبدأ البعض في تعكير الجو عن عمد..

س: من تحديدًا كان يعكر الجو؟ ومن كان يسعى جدًّا للوحدة من مجموعة الراية؟

ج: إذا أردت أسماء فإن أسوأ من كان يعكر الجو عادل سيف النصر، وسعد زهران، أما من كانوا يحاولون بإخلاص تحصين المناخ وحماية الوحدة فهما د. فؤاد مرسي وإلهام سيف النصر.

س: كيف تمت الوحدة مع د. ش؟

ج: تمت الوحدة ونحن لم نتحد بعد مع الراية، فالوحدة تمت على أساس أرقام لم تترجم إلى عضوية، في الجامعة لم يكن لدى الراية إلا عدد محدود جداً وكذلك في الريف.. ولكن كان للراية عدد كبير من القيادة وهذا عقد الأمر، فقد كنا نرسل قادة من الراية ليقودوا عضوية من الموحد.. وأثار ذلك عدداً من المشكلات، ومع إحساس رفاق الراية بهذه الأزمة وجدوا أن الحل هو الوحدة مع د. ش، وبدأوا في الضغط والإلحاح، وأحسست د. ش. بأن الفرصة مناسبة وتخلت عن كل شروطها السابقة ووافقت على الوحدة، بدأت الراية تجد حليفاً لها وتحالف معهم عدد من أعضاء الموحد الذين لم يظلوا على ولائهم لحدثوا مثل عبد المنعم شتله وعدلي جرجس.

س: لقد كان استيلائكم على المطبعة هو بداية الانقسام؟

ج: الانقسام بدأ من تحالف هذه القوى ضدنا ومحاولتهم تصفية المحترفين وحبس الموارد المالية عنهم، ونحن لم نبادر بأخذ المطبعة، والذي حدث أنهم قطعوا مرتب الاحتراف عن مسئول المطبعة لأنه منا وهو محمد الزبير ثم بعد ذلك أرسلوا له بياناً ضدنا ليطبعه فاتصل بنا عن طريق المصادفة وطلب نقل المطبعة، وحملناها في عربة لوري، ونقلت إلى القاهرة ثم تولى فؤاد حبشي مسئوليتها وأعتقد أنه أرسلها إلى طنطا. وانتهى الأمر بطردنا.

وأذكر أن أكثر من كان يدفع بعنف باتجاه الانقسام والتحريض عادل سيف النصر وسعد زهران وقد حاول د. فؤاد مرسي تهدئة الأمور وزارني في منزلي ووعدني بتصحيح الأوضاع لكن شيئاً لم يحدث.

س: وأنتم كيف تصرفتم؟

ج: الذين فصلوا مثلنا تجمعوا معاً، وبقي الآخرون، وهم كانوا إما بغباء أو عن عمد يفصلون كوادرنّا فكانوا يتجمعون معنا، ولكن للحقيقة لم نشكل تنظيم حتى تمت حملة القبض في يناير ١٩٥٩.

س: في السجن ظهرت فكرة المجموعة الاشتراكية.. فما هي معلوماتك عن هذا

الأمر؟

ج: الحقيقة أن معركة بورسعيد عام ١٩٥٦ قد غيرت الكثير من مفاهيمنا وأفكارنا ومواقفنا من ضباط يوليو من حكم عبد الناصر، إن تجربة بورسعيد جعلتنا ندرك معنى التحالف، معنى تحول شخص عادي إلى مناضل ومقاتل، وفي غمار المعركة نشأت علاقات حميمة بيننا وبين العديد من رجال عبد الناصر والحقيقة أن انهيار الجيش المدافع عن بورسعيد كان مهيناً ومزرياً، ولعله ألحق إهانة بالغة بنظام عبد الناصر، لقد فر ضباط الجيش تاركين سلاحاً هائلاً في الصناديق وخرائط المعركة ملقاة في الشوارع.

.. وهنا برز دور الشيوعيين كأبطال حقيقيين للمعركة جمعوا السلاح ووزعوه على المواطنين، جمعوا خرائط المعركة وأخفوها، نظموا هجرة المواطنين الراغبين في الهجرة والحقيقة أن الذين قتلوا خلال الهجرة غير المنظمة في البداية كان أكثر من الذين قتلوا بقنابل الإنجليز.

وعندما تحركت الجماهير تحت قيادتنا ألهم ذلك عدداً من ضباط عبد الناصر الذين لم يكونوا يتقنون في الجماهير، فلما وجدوا الجماهير تتحرك بشجاعة نظام أدركوا قيمة حركة الجماهير.

وإلى بورسعيد أتى عدد من ضباط عبد الناصر منهم عبد الفتاح أبو الفضل، محمد أبو نار، صلاح زعزوع، لطفي واكد، سمير هريدي.

عشنا معاً، ناضلنا معاً، نمنا معاً، أعجبوا بنا وأعجبنا بهم وبدأنا نشعر بتقارب شديد وأحسننا باتجاهات تقدمية ويسارية تنمو بداخلهم.

كان هذا في خلفية قراراتنا، وكانت هناك سلسلة الإجراءات الاجتماعية الهامة، ونحن لم نقل أنها مجموعة ماركسية، وإنما قلنا إن القضية الوطنية سوف تشرق طريقها الحقيقي عبر تحقيق العدالة.

وكان عبد الناصر قد أدرك جيداً أن الرأسمالية لن تحل مطلقاً مشكلة التنمية، وتولدت انطباعات محددة عن المنهج العلمي في التفكير.

ففي مناقشات الوحدة مع سوريا والعراق قدم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ملاحظات توحى باهتمامها بالفكر الماركسي لقد قدما خلال النقاش اقتباسات من كتابي لينين ما العمل وتكتيكان..

.. وحتى بعد الصراع العنيف مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٨، عاد عبد الناصر ليحسن علاقته معه، ولم نفهم هذا على أنه موقف برجماتي وإنما على أنه إيمان بأن الاشتراكية هي الحل وأن الاتحاد السوفيتي هو الصديق.

وبعد التأميمات تدعم هذا الخط.

س: نأتي إلى موضوع الحل، ولدي أسئلة محددة، هل اتصل بكم أحد من رجال عبد الناصر وأنتم في السجن؟

ج: لا.. بالقطع.

س: سمعت أن منير حافظ كان يتصل بحسن فؤاد في السجن.

ج: غير صحيح على الإطلاق.

ولكن أنا مثلاً أعددت مشروع تقرير أقول فيه إن الاشتراكية أصبحت قوة عالمية جاذبة ولهذا اتجه إليها الكثير من القادة، اقتربوا منها، جذبهم إشعاعها دون أن يصبحوا ماركسيين بالمعنى الكامل للكلمة.. وأصبح بإمكانهم أن يتخذوا مواقف تقترب من مواقف الماركسية دون أن يلتزموا بأيديولوجياتها.

وضرب مثلاً بكاسترو، وقلت إن مهمتنا أن نكسب عبد الناصر إلى صف فكرنا، وأن نتعامل معه بصبر وبهدوء وأن نقرب فأكثر من العناصر المتقدمة في مجموعته بهدف تطوير أفكارهم، وقلت في هذا التقرير باحتمال قيام حزب واحد للاشتراكية العلمية في مصر.. وكان ذلك عام ١٩٦٢ في سجن الواحات.

س: وماذا كان رد الفعل؟

ج: قامت الدنيا ولم تقعد، وكثير من رفاقنا رفضوا هذه الفكرة بشدة، وأنا كنت أؤكد في مناقشاتي أن عبد الناصر يتخذ قرارات ومواقف على يسار ما هو مطلوب من أمثاله، ولكن ينقص إجراءاته وجود حزب ثوري يضع برنامج مسبق لهذه العملية ويقودها ويخطط لها ويحميها ويعبئ الجماهير حولها، وأن دورنا هو أن نمحو فكرة العداء للشيوعية وأن نسعى لجذب أفضل رجال عبد الناصر نحو أفكارنا.

وفي هذه الأثناء تقدم إبراهيم عبد الحليم وعادل حسين وعلى نجيب بتقرير يطالبون فيه بحل الحزب والانضمام لعبد الناصر وهذا مختلف تماماً عن فكرتي..

وقد أدنت أنا والجميع فكرة الحل ورداً عليهم كتبت تقريراً بعنوان الحرب ضرورية تاريخية لكن الشيء المؤكد أننا لم نتلق داخل السجن أي اتصال من رجال عبد الناصر، ولا أية عروض، ولا أي اقتراحات أو ضغوط.

وحتى بعد الإفراج لم يكن هناك ضغط بالمعنى المفهوم، كانت هناك مفاوضات وعروض لتكوين حزب طليعي واحد وكان منير حافظ ينقل مقترحات إلى زكي مراد ومحمود

العالم من مجموعة من رجال عبد الناصر تؤيد توحيد الشيوعيين مع مجموعة الناصر في تنظيم واحد.

وكنا نحن نقترح تشكيل حزب واحد تندمج فيه المجموعتين وأن تشكل كل المستويات من الطرفين، وأنا حضرت جلسة مفاوضات بالإسكندرية حضرها عبد المعبود الجبلي، وأحمد حمروش وأنا وفؤاد حبشي وشريف حتاتة وآخرين.. وقد أبدى رجال عبد الناصر تفهماً لموافقنا.

ولكننا في حقيقة الأمر لم نكن ندرك تعقيدات الموقف ولم ندرك أن قوة مؤثرة وكبيرة من نظام عبد الناصر كانت ضد ذلك كله.

لكن ما أورد أن أقرره أننا حتى مع فشل عملية التوحيد مع عبد الناصر لم نتوقف عن خوض المعارك الجماهيرية، فكل منا بدأ نشاطاً واسعاً في مجال جماهيري.. وأنا مثلاً عملت في الحركة النقابية وأصبحت رئيس نقابة عمال الزراعة وهي أكبر نقابة عمالية في مصر، وأصبحت النائب الأول لرئيس الاتحاد العام، ولعبت دوراً هاماً في الحركة العمالية إلى درجة أنهم في الدورة التالية عدلوا قانون النقابات خصيصاً بهدف استبعادي وقد تم تفصيل القانون خصيصاً بهدف حرمانني من ترشيح نفسي.. فعلاً كان النقابيون يسمون هذا القانون قانون أحمد الرفاعي.

محضر نقاش ٢

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٢ مارس ١٩٨٣

س: والآن نحاول أن نواصل حديثنا هل لك أن تروى لنا معلوماتك عن وحدة المتحدة؟

ج: منذ أن تشكل الحزب الموحد وهو يرفع راية توحيد كل الشيوعيين، وأخيراً وبعد أن تلاقت كافة الاتجاهات حول موقف سياسي موحد إزاء حكومة عبد الناصر، أو أن شئنا الدقة بعد أن انتصر خط حديثو السياسي.. طرحت قضية الوحدة بشكل جدي وتكونت لجنة ثلاثية للوحدة ضمت ممثلي الموحد، ع. ف. الراجية.

وإذا حاولت ع. ف تعطيل الوحدة بشتى السبل أنجز الموحد والراجية وحدة باسم الحزب الشيوعي المصري المتحد.. وحصل الموحد على نسبة أعلى من الراجية في اللجنة المركزية ولكن اتفق على نسبة متساوية في المكتب السياسي.

س: ماذا عن القوات التنظيمية عند الوحدة؟

ج: لا شك أن الموحد كان أكثر عدداً بكثير والراجية قدمت معظم عضويتها في القاهرة وواحد أو اثنين فقط في بحري وعدد قليل في الإسكندرية، وكان لهم بعض النشاط في المنيا. وكان زملائنا يشعرون إزاءهم أنهم أرسنقراطيون، وبدأت حساسيات عديدة تنمو وكانت هناك مشكلة انتخابات مجلس الأمة في الوائلي وجزيرة بدران مما ضاعف هذه الحساسيات وقد أثّرت فور الوحدة مسألة مجموعة روما ووجود يهود في الحزب، وتوسط الرفيق سيانو أحد قادة الحزب الشيوعي الإيطالي في الأمر وبضغط منه قبلنا بتجميد مجموعة روما وقد قدمت أنا وإسماعيل صبري صياغة قرار التجميد.

وكانت المسؤولية السياسية في الحزب المتحد ثنائية د. فؤاد مرسي وكمال عبد الحليم.

س: وماذا عن الأساس السياسي للوحدة؟

ج: يمكن القول بأن الوحدة تمت على أساس تأييد سياسة عبد الناصر، ولكن ما لبث بعض أعضاء الراجية أن قدموا للمحاكمة في أواخر ١٩٥٧ فبدأت من جانبهم بعض المواقف اليسارية، وبدأوا يركزون على نقاط الخلاف مع عبد الناصر ويضخمون فيها.

س: وماذا عن ع. ف؟

ج: استمر المتحد يدعو للوحدة، واستمرت لجنة الوحدة والجديد أنها كانت بين طرفين فقط المتحد، ع. ف. وهنا بدأت ع. ف لعبة جديدة فإذا كان الموحد والراية اتحدا معاً، فإنها الآن تتفاوض مع منظمة واحدة وتطالب بأن تحصل على نصف المواقع القيادية في الحزب المقترح وجرت عملية مساومة انتهت بأن حصلت ع. ف على أكثر مما تستحقه بكثير وقد تمت الوحدة تحت ضغوط هائلة من الكوادر والأعضاء، وتحت ضغط من الحزب الإيطالي.

ويمكن القول إنه أثناء الوحدة كانت كل التفاصيل مبعثرة في الشارع وكذلك الأسماء بحيث أتت حملة القبض في يناير ١٩٥٩ لتشمل غالبية الصف الأول والثاني. وقد تمت الوحدة أيضاً على أساس خط التأييد والمساندة لعبد الناصر.

س: تصل بنا في حديثك إلى وحدة يناير ١٩٥٨ فماذا عنها؟

ج: بسبب المساومات أتت الوحدة بلجنة مركزية واسعة جداً بحيث أصبحت عاجزة عن القيادة كهيئة، وتركزت القيادة في المكتب السياسي، وتشكلت لجنة دائمة ثلاثية ضمت كمال عبد الحليم (الموحد) ود. فؤاد مرسي (الراية)، أبو سيف يوسف (ع. ف) ومنذ الأيام الأولى بدأت مشاكل سياسية وتنظيمية وبدأ وجود كمال عبد الحليم يتناقص ويغيب كثيراً عن اجتماعات اللجنة الدائمة.

س: ما هي تحديداً الخلافات السياسية؟

ج: كان الموحد يرى تغليب عناصر التحالف على عناصر الخلاف إزاء عبد الناصر، بينما يرى الآخرون كانوا يغلبون قضايا الخلاف ويضخمونها. وتركزت الخلافات حول عدة قضايا..

الاتحاد القومي.. كان الموحد يرى ضرورة دخوله والعمل فيه والسعي من داخله لتحويله إلى جبهة وطنية حقيقية.

بينما كان الآخرون في الراية و ع. ف يرون أن الاتحاد القومي حزب البرجوازية ومن ثم يتعين مقاطعته.

الوحدة المصرية - السورية: كان الموحد يؤيد هذه الوحدة ويؤيد عموماً قضية الوحدة العربية، وكان خطنا عموماً هو تغليب خط الوحدة وعدم الوقوع في مصيدة الاستعمار الذي ركز على بعض ما لحقها من سلبيات. ورفضنا المفاضلة بين قاسم وناصر ورفعنا شعار ناصر وقاسم ضد الاستعمار.

بينما الآخرون كانوا يبرزون الجوانب السلبية من الوحدة، وتطور ذلك إلى حالة من الهجوم الشامل على الوحدة، وإلى التحالف مع عبد الكريم قاسم ضد عبد الناصر.

القضايا الاقتصادية والاجتماعية: كنا نرى عدم التركيز عليها من منطلق تغليب قضية التحالف، والعمل على حل هذه القضايا في إطار الوحدة الوطنية. أما الآخرون فقد ركزوا على إبراز القضايا وأذكر أنه يوم عودة عبد الناصر من موسكو تجمع بضعة أشخاص من ع. ف في المطار وهتفوا جعانين جعانين وكانت هناك خلافات تنظيمية وقد أكد لي محمد سيد أحمد بعد الانقسام أنه كانت تجري اجتماعات جانبية مشتركة بين ممثلي الرابطة، ع. ف في القيادة وأنهم اتفقوا على أن هدفهم المشترك هو تصفية النفوذ السياسي والفكري والتنظيمي لحدثو، وأنهم كانوا يتفقون على قرارات محددة وعلى أسلوب التصويت عليها.

وقد تفجر الخلاف التنظيمي حول قضية الاحتراف إذ كان أغلبية المحترفين من كوادر حدثو وأيقنوا أن تصفية الاحتراف يعني تصفية حدثو، ووصف المحترفون بأنهم عاطلين، وبأنهم أصحاب معاشات وإذ حجب عنهم دخلهم من الحزب، بدأت أولى خطى الانقسام فقد قرر كادر الموحد أن تكون له مالية خاصة ليدير منها مرتبات المحترفين.

وعندما وقعت قصة الاستيلاء على المطبعة وصدر بيان الأربعة (خليل أحمد - فاروق - عاكف) وصدر قرار بفصلهم بقي من الموحد عدد من أعضاء القيادة ثم فصل مبارك عبده فضل، أحمد خضر، محمد علي عامر، محمد يوسف الجندي بحجة أننا كنا نتصل بالمفصولين، وقد فصلنا فجأة وطلبنا التحقيق معنا فرفضوا..

وبقي في القيادة معهم محمود العالم، سعد رحمي، فخري لبيب، وكانوا معنا سياسيًا لكنهم بقوا هناك تنظيميًا وبفصلنا أصبح هناك حزبان بشكل واقعي نحن وأسمينا أنفسنا الحزب الشيوعي المصري - حدثو وهم اسموا أنفسهم الحزب الشيوعي المصري وأضفنا نحن إليه اسم التكتل.

س: نصل الآن إلى ما بعد الانقسام وإلى تكون الحزب الشيوعي المصري - حدثو، والذي يمكن أن تكون أكثر وثائقه إثارة للجدل وثيقة المجموعة الاشتراكية فما هي قصة هذه الوثيقة وماهية مضمونها؟

ج: عند حملة القبض في يناير ١٩٥٩ كان موقفنا هو أن عبد الناصر يمثل الجزء المتقدم من البرجوازية الوطنية، وأن هذه البرجوازية الوطنية ليست فئة واحدة وإنما فئات عدة، وأن الفئة التي يمثلها عبد الناصر هي فئة وطنية معادية للاستعمار.

وأنها تتطور وتتقدم في إطار معركتها ضد الاستعمار، وأنه يمكننا أن نلعب دورًا في تطويرها وتقدمها، وكنا نقول بأنه من الضروري توجيه عداءنا ضد الاستعمار والإمبريالية، وبضرورة تدعيم التحالف مع هذه المجموعة من البرجوازية الوطنية والعمل على عزل نفوذ الفئات الأكثر تخلفًا وكنا نحلل حملة القبض (يناير ١٩٥٩) على أنها مؤامرة دبرتها القوى

اليمنية في السلطة التي نجحت في جر القوى الوطنية إلى التصارع فيما بينها سواء داخل مصر وعلى النطاق العربي. وحتى بعد الحملة وعندما تبقى عدد محدود من القيادة كمال عبد الحليم، محمد الجندي، رفعت السعيد أصدرنا عدة بيانات بهذا المعنى فانتقدنا سياسة العداء للشوعية ونسبناها إلى مصدرها الحقيقي للإمبريالية واليمين، كما رفضنا بدأ الخلاف بين عبد الناصر وقاسم ورفضنا المفاضلة بينهما باعتبارها نوع من إذكاء الخلاف.

وفي أوائل ١٩٦٠ نشر حديث عبد الناصر لهيكل في الأهرام والذي هدد فيه عبد الناصر الرأسمالية المصرية باتخاذ إجراءات عنيفة ضدها إذا لم تسهم في عملية التنمية وهاجمها بشدة، ثم جاء تأميم بنك مصر والأهلي وتأميم الصحافة، وكنت آنذاك في سجن الإسكندرية حيث تجري محاكمتنا أمام المجلس العسكري العالي وأجرينا مناقشات مستفيضة حول مغزى هذه الإجراءات، وقال البعض بوجود مجموعة اشتراكية في قمة السلطة أما عملية السجن والاعتقال فهي تعبير عن نجاح القوى اليمنية والاستعمار في الوقعة بين القوى الوطنية وبعضها البعض، وكان تقديرنا أن الحملة ضد الشوعية لا تخدم سوى الاستعمار وظل تقديرنا لعبد الناصر أنه رجل وطني وأنه يمكن لعب دور للخروج من المأزق ليس بتصعيد الأزمة بالعمل على رأب الصدع. واستمرت المناقشة في سجن الإسكندرية ثم سجن أبو زعل بعد استشهاد شهدي ثم في القناطر حيث عقد كونفرنس محدود لكوادر الموحد القيادية وتنقل الكونفرنس من سجن الإسكندرية إلى أبو زعل إلى سجن القناطر واستغرق انعقاده حوالي ستة أشهر بتقديم مشروع الوثيقة المسماة المجموعة الاشتراكية وقام بصياغة المشروع بهيج نصار.. وملخصه كالتالي:

- أن البرجوازية الوطنية فئات متعددة، منها فئات متقدمة وأخرى متخلفة، وأنه في ظل الظروف العالمية السائدة آنذاك حيث تنتصر الاشتراكية على نطاق عالمي ويتعاظم قواها، أصبح للأفكار الاشتراكية قوة جذب ضخمة بحيث تواجدت في البلاد المستقلة حديثاً أفكار اشتراكية غير علمية، تختلف عن أفكار اشتراكية الدولة الثانية، تتسم مواقفها بالعداء الحاسم للاستعمار.

- أن هذه الفئات التي تبني هذه الأفكار يمكنها أن تتطور باتجاه الاشتراكية العلمية، وأن هذا يمكن تحقيقه تحت شروط منها أن يلعب حزبنا دوراً إيجابياً في هذا الاتجاه.

- وكانت هناك مقدمة للمشروع تبين أن الرأسمالية في البلاد النامية أصبحت عاجزة عن مواصلة متطلبات معركة التحرر الوطني حتى نهايتها، وأن الفئات المتقدمة من البرجوازية الوطنية التي تتأثر موضوعياً بمناخ انتصار الاشتراكية على النطاق

العالمي أصبحت تتجه نحو الإحساس بضرورة الحل الاشتراكي واتخذت تجربة كوبا دليلاً على ذلك.

- وطالب التقرير بضرورة السعي لتحقيق وحدة العمل مع المجموعة الاشتراكية، وهذا القرار لم يكن يعتبر أن السلطة في مصر اشتراكية، وإنما كان يرى وجود مجموعة في قمة السلطة يتزعمها عبد الناصر تتجه نحو اشتراكية غير علمية وأنها يمكن أن تتطور من خلال معركتها ضد الاستعمار، ومعركة التنمية المستقلة والتأثير الإيجابي لحزبنا - باتجاه الاشتراكية العلمية.

وقد وافقت غالبية الكوادر في القناطر على هذا المشروع وعارضه محمد عباس فهمي - طاهر البدرى - عبد الحميد السحرتي.
وفي سجن الواحات وافق رفاقنا عليه.



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالإسكندرية في ٢٧ يناير ١٩٨٥

س: كنت أحد كوادر الموحد في كفر الدوار فهل لك أن تقدم رؤيتك لتجربة الوحدة؟
ج: دخلت الوحدة ضمن أعضاء حدثو، وفي عام ١٩٥٧ كان الحديث قوياً عن الوحدة، ثم فجأة ودون مقدمات أبلغت بالوحدة مع مجموعة الرابية وأن الحزب الجديد اسمه الحزب الشيوعي المتحد وتمت الوحدة بشكل مفاجئ ودون نقاش أو تحضير لكن أغرب ما فيها كان تركيب القوات وتركيب القيادة هم كانوا جميعاً مجرد أربعة أشخاص أحدهم مشكوك فيه شكوكاً قوية بأنه عنصر أمني.

وكنا نحن ٣٧ عضواً..

وعند تركيب القيادة شكلت لجنة رباعية لقيادة كفر الدوار ثلاثة من الرابية هم عبد المحسن الأعسر، ثريا أدهم عبد الفتاح هريدي.. أما الموحد فقد مثل بعضو واحد هو أنا، وألاحظ أن الثلاثة ليس فيهم عامل واحد في منطقة عمالية أساساً..

وهكذا ترى أن ٣٧ عضواً مثلوا بعضو واحد في القيادة وأربعة أحدهم استبعد بسبب علاقته بالأمن وبقي منهم ثلاثة فقط صعدوا جميعاً للقيادة بل إن المسئول كان منهم وهو عبد المحسن الأعسر.

ثم كانت وحدة ٨ يناير فأنت مجموعة ع. ف بثلاثة أعضاء فقط هم تحديداً فايز علام، عبد الفتاح جمعة وسيد أبو زيد، وكان سيد أبو زيد عضو خلية عندنا فإذا بهم يقدموه كعضو قيادي عندهم.. والثلاثة الذين ضمتهم ع. ف صعدوا جميعاً للقيادة..

س: لكن فايز علام كان شخصية نقابية مرموقة.

ج: أصبح شخصية نقابية مرموقة بعد الوحدة.. وليس قبلها أما عبد الفتاح جمعة الذي صعد إلى اللجنة القيادية ممثلاً لتنظيم ع. ف فقد اكتشفنا أنه يحضر أو اجتماع شيوعي في حياته.

س: وأين كان القائد النقابي البارز محمود عطا الله؟

ج: كان عضواً في حدثو ثم الموحد ولكنه لم يصعد في القيادة بسبب إصرار الآخرين على عدم تمثيلنا إلا بعضو واحد. هكذا ترى أننا في الموحد قد تساهلنا إلى أقصى حد، بل إلى درجة ارتكاب أخطاء فادحة سمحت للآخرين بالصعود إلى القيادة دون أدنى استحقاق بينما حُجبت الأوضاع القيادية عن كوادر عمالية حقيقية ذات ثقف جماهيري بارز لأنهم كانوا من الموحد.

س: كيف استقرت الأوضاع في منطقة كفر الدوار.

ج: اللجنة القيادية من سبعة ٣ راية، ٣ ع، ف، ١ موحد والمسئول أحمد سالم (ع. ف).

س: كيف تطورت الأمور؟

ج: رفاق الموحد أخذوا المسألة بشكل جدي وقطعوا علاقتهم بي نهائياً مكتفين بهذا الوضع التنظيمي الجديد فعزلت عزلة تامة عما يجري بينما الآخرون كانوا يتلقون معلومات عن الصراع الدائر ويحددون مواقفهم على أساسها.. وكنت معزولاً إلى درجة أنني لم أسمع بقصة طرد رفاقنا الأربعة خليل وأحمد عاكف وفاروق.

وأذكر أنني فصلت في هذه الأثناء من عملي وطرحت فكرة تفرغي ولكن أعضاء الراية في القيادة سألوني بشكل جانبي هل توافق على أن يكون الرفيق خالد سكرتيراً عاماً للحزب فأجبت ببساطة أنني لا أعرفه.. وبعدها صوتوا ضد تفرغي للعمل الحزبي.

وأخيراً علمت بالأزمة وكان الانقسام قد وقع، وقررت الاستمرار لأناضل من الداخل، رفضاً لمبدأ الانقسام أيًا كان السبب.

ثم بدأت مشاكل جديدة بين مجموعتي الراية، ع. ف حول منصب السكرتير العام خالد أم عباس ودعيت إلى اجتماع للجنة المنطقة استمر ٤٨ ساعة وكان الصراع على أشده بين المجموعتين وحضر الاجتماع حسين صدقي.. الاجتماع عقد يومي ٣٠-٣١ ديسمبر وخرجنا ليقبض علينا.

س: ما هي إذن تجربتك في السجن مع هذه المجموعة؟

ج: بوضوح اكتشفت أن هناك حزبين، كانت القيادة الحزبية موجودة تقريباً في عنبر واحد، وكانوا يجلسون علناً كمجموعتين ع. ف وحدها والراية وحدها ثم يجتمعون معاً، أما أعضاء الموحد الذين بقوا في القيادة فكانوا عنصر التوحيد وكان كل طرف يحاول كسبهم إلى صفة.. وكانت الخلافات بارزة في كل شيء، من الألف إلى الياء.

حتى الحياة العامة، كانت هناك حياة عامة موحدة شكلياً، وفعلياً حياة خاصة بكل مجموعة. وذات مرة حدثت مشاجرة جماعية في عنبرنا في سجن أبو زعل بين المجموعتين وضربوا بعضهم ضرباً عنيفاً وأحسنا ببشاعة الوضع نحن أعضاء الموحد المتبقون معهم فتجمعنا معاً وبقينا وحدنا سمير توفيق - محمود مرسى خل وأنا أخيراً انضم إلينا محمود العالم وأعلنهم رسمياً أننا لا نخضع لتنظيماً لهم.. وتجمع معنا حوالي خمسة عشر شخصاً أغليبتهم من الموحد وبعضهم كان من الراية، ع. ف فمثلاً كان معنا فكري رفاعي وصابر البياع (ع. ف)، بولس لطف الله (الراية). وفي الواحات عندما رحلنا إلى هناك أعلننا الانضمام إلى رفاق في حدتو.



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٦ يونيو ١٩٨٣

س: كنت أحد كوادر حدثو ثم الموحد في مدينة القاهرة فهل لك أن تحدثنا عن تجربة وحدة المتحد ثم الحزب الواحد من موقعك في أحد لجان الأقسام؟

ج: في الموحد كنت عضو لجنة قسم جنوب وتضم السيدة زينب والمنيل ومصر القديمة والمعادي وحلوان والخليفة، وكنا نعيد بناء قواتنا التنظيمية بسرعة في أعقاب فترة طويلة من الاعتقال والاضطهاد وكان عدد أعضاء القسم حوالي ٥٥-٦٠ عضواً وكان النشاط يتسع بسرعة.. وفي هذه الأثناء كان حلم الوحدة والحزب الواحد جارفاً ومسيطرًا على الأعضاء والكوادر.. وأبلغنا فجأة أن الوحدة تمت بين الموحد ومنظمة الراية وأنا سوف نتسلم أعضاء الراية في القسم خلال أيام.

.. وبعد أيام اكتشفنا أن كل عضوية الراية ثلاثة أعضاء هم تحديدًا محمود شندي - إسماعيل عبد الحكم - عبد الملك يواقيم وشخص رابع كان من المباحث ورفضنا ضمه.

ووفق تعليمات من أعلى تقرر ضم الثلاثة جميعاً إلى لجنة القسم. والحقيقة أننا شعرنا أن هؤلاء الثلاثة قد تنفسوا الصعداء بالوحدة معنا، وبدوا وكأنهم خرجوا من قمقم إلى ساحة عمل جماهيري رحب، وكانوا متجاوبين معنا، وبدأت الأمور سلسة.

وفي هذه الفترة كان لنا وجود جماهيري جيد، وقد نظمنا مؤتمر جماهيري حاشد بالاشتراك مع هيئة التحرير، وسلمت لنا مصلحة الاستعلامات ثلاثة سيارات بميكروفونات للدعوة للمؤتمر وكانوا يتعاملون معنا بوضوح على أننا شيوعيين، وفي هذا المؤتمر ألقى عبد الله الطوخي كلمة ممثلاً للحزب.

.. ثم تمت وحدة ٨ يناير.

ومن جديد طلب إلينا استلام أعضاء ع. ف وكانوا أربعة فقط هم بالاسم صفوت يس (شقيق حلمي يس) وأخ آخر لهما، وإبراهيم آرنست هراري، وشخص رابع لا أذكر اسمه.

وتقرر ضم صفوت يس إلى لجنة القسم.

والأرقام توضح لك حقيقة توازنات القوى في العضوية على الأقل في قسم جنوب، وكيفية صعود قيادات إلى المستويات القيادية دون وجود قاعدي حقيقي..



وعندما انضم صفوت يس إلى لجنة القسم بدأت المشاكل، والحقيقة أنني لم أشعر بأي فترة صدق في تصرفاته وبدأنا نلاحظ أن التحليلات السياسية الصادرة عن اللجنة الدائمة توقع دائماً عباس وخالد ولا يرد ذكر لممثلنا في اللجنة الدائمة خليل وأحسننا أننا نحاصر..

ثم بدأت الضربات تهوى علينا

قرار بوقف جمال غالي، ثم قرار بوقف الرفاق الأربعة من المكتب السياسي شهدي وفؤاد حبشي وأحمد رفاعي وكمال عبد الحليم.

وانفجر الوضع في القسم، وفي هذه الفترة كنت قد صعدت إلى لجنة المنطقة مع استمراري عضواً في لجنة القسم وكان معي من الموحد محمد حجازي وشكري عبد الوهاب وكنا في حيرة شديدة.

وأنا شخصياً قررت في البداية ألا أنقسم، كانت عندنا في حدتو عقدة ضد الانقسام وناقشني كمال عبد الحليم وأحمد رفاعي ومبارك ولم أقتنع بل وبدأت أكتب تقريراً ضد الانقسام وكانت حالتي النفسية سيئة فرفاقي في مكان آخر والذين بقيت معهم سيئ النية ومع ذلك قررت الاستمرار.

ودعت القيادة إلى اجتماع لكوادر الموحد بالقاهرة عقد في منزل فؤاد حبشي وحضره حوالي ١٥ شخص منهم ماري بابا دوبلو، ومحمد حجازي، وأنا ومحمد عثمان وفوزي حبشي وعدلي جرجس وتحدث في الاجتماع د. فؤاد مرسى وهاجم الأربعة هجوماً شديداً وركز الهجوم على خليل وأتهمه بأنه كان دوماً ضد الوحدة ثم إذ به يبلغنا بقرارات طرد لعدد منهم.

وكان غريباً على أسماعنا أن نسمع هجوماً على رفاقنا القياديين وكان مثيراً للسخرية أن نسمع اتهاماً لهم بأنهم ضد الوحدة طوال حياتهم وأن يأتي هذا الاتهام من فؤاد مرسى.

وهاجمنا القيادة بشدة وقلنا أنها هي التي تسببت في الانقسام وصوتنا أنا ومحمد حجازي وماري ضد القرارات.. ومع ذلك قررت الاستمرار وعدم الانقسام.

لكن تصرفات الآخرين بدأت تنثر ريبيتي فقد كنت مسئول المالية في المنطقة ومسئول الجهاز الفني فاتصل بي صفوت يس وطلب أن أسلمه المالية فرفضت ثم طلب أن أسلمه الجهاز الفني فرفضت، ثم طلب أن أسلمه العضوية فرفضت.

... وفي العيد ذهبت أنا وأولادي وأحمد حجازي إلى القناطر الخيرية للنزهة وبالمصادفة قابلنا محمد الزبير وأبلغنا أنه يعمل على جهاز فني مركزي بالقناطر وأن الآخرين يعرفون مكان الجهاز ويسعى للاستيلاء عليه ويطلب مساعدتنا في تسليم الجهاز لرفاقنا القدامى.

وفي هذه اللحظة قررت أن أنضم إلى رفاقي، فسلمته نقود كافية وأرسلت معه أحمد حجازي، وتركت أولادي وأسرعت إلى بيت أحمد الرفاعي حيث رتبت معه تسليم المطبعة. والحقيقة أن أحمد الرفاعي قد دهش لأنه كان يناقشني في اليوم السابق وكنت أرفض بشده أن أخرج معهم، وإذ به يجдени أساعده في استلام المطبعة. وبعدها حضرت اجتماع لجنة منطقة جنوب حيث حضر عبد العظيم أنيس وأبو سيف يوسف وهاجموا رفاقي بشده وقالوا إنهم انقساميون وخونة ورددت عليهم بشده وأعلنت خروجي مع رفاقي.

ولم يبق معهم من رفاقنا في جنوب أحد.

وفي حملة يناير ١٩٥٩ قبض على كل قيادة حدثو ما عدا عدد محدود وتم تشكيل لجنة قيادية لمنطقة القاهرة من رفعت السعيد (مسئول) - شحاتة النشار - ليلي الشال - ماري بابا دبلو - قدرى شعراوي.

لكن الضربات توالى وفي مارس قبض على كثيرين آخرين وأنا منهم.

* * *



محضر نقاش

أجريت المناقشة في ١٠ يناير ١٩٨٥

س: كنت عضواً في لجنة منطقة بحري بالحزب الموحد، هل لك أن تروي لنا تجربتك مع عملية الوحدة؟

ج: كانت منطقة بحري بالحزب الموحد تشرف على النشاط الحزبي في محافظات الدقهلية، الغربية، الشرقية، دمياط، كفر الشيخ، الإسماعيلية، بورسعيد..
أما محافظة السويس فقد كانت تابعة للمركز والبحيرة تابعه للإسكندرية والمنوفية والقليوبية تابعة أيضاً للمركز.

وكانت لجنة المنطقة تضم سيف صادق - طاهر البدرى - سعد عبد اللطيف - أحمد سليم وأنا وكان مسئولها عبد المنعم شتله.

وعندما تمت الوحدة مع منظمة الراية وتأسس الحزب المتحد لم يطرأ عندنا أي جديد وحسب معلوماتي لم ينضم إلينا أحد لا في القيادة ولا في القاعدة، وهذا يوضح لك حقيقة الوضع في العضوية والجديد الوحيد كان تغيير المسئول والغريب أنهم أتوا لنا بمسئول من الراية رغم أنهم لم يقدموا للمنطقة عضواً واحداً وكان المسئول الجديد هو محمد سيد أحمد وفي أول اجتماع أبلغني بقرار تنزيلي من لجنة المنطقة إلى لجنة مركز دكرنس.

وقد عدت إلى لجنة المنطقة بعد الوحدة الأخيرة في ٨ يناير ومن جديد أقرر أن الوحدة مع ع. ف لم تضيف إلينا أي جديد لا في القاعدة ولا في القيادة لم تقدم ع. ف كما لم تقدم الراية عضواً واحداً في منطقة بحري.

وأعيد تشكيل منطقة بحري وصعدت أنا من جديد إلى لجنة المنطقة وصعد إليها أيضاً الشيخ عبد السلام الخشان ورشدي عبد البارى والاثنتين من حديثو..

ولم نسمع بخلافات أو بمشاكل فقد كنا جميعاً قيادة وقاعدة من الموحد..

ولكن خلال زيارة للقاهرة أحسست بوجود خلافات، ثم بدأت المشاكل تتفجر.. وعقدنا اجتماع في بيت زين سليط وحضرة أحمد سليم وعبد السلام الخشان، سيف صادق - رشدي عبد البارى وقد أعلنوا أنهم مع مجموعة حديثو.. أما عبد المنعم شتلة وزين سليط وأنا فقد أعلننا أننا سنخضع للقيادة أيًا كانت تصرفاتها وسوف نصحبها من الداخل.. كان لدينا رفض مبدئي للانقسام..



أما طاهر البدري فكان مقبوضاً عليه.

وأذكر أن أحمد الرفاعي وطاهر عبد الحكيم حضرا لمناقشتي ولكنني رفضت الخروج، وكان طاهر عبد الحكيم في البداية متحمساً جداً لمجموعة حدتو. وأنا ناقشت طاهر وأفنعتته بالخضوع للقيادة. وهكذا انقسمت المنطقة وكذلك انقسمت لجنة دكرنس مجموعة بقيت معي أنا ومحمد طه وحمدينو السيد علي والمجموعة الأخرى خرجت مع عبد السلام الخشان والسيد يوسف. وانقسمت لجنة المنصورة، كذلك انقسمت لجنة شربين أما لجنة محافظة دمياط فقد رفضت الخروج وكان مسئولها سعد أبو رمضان.

وهكذا يمكنك أن تدرك كم خسر الموحد من قوات عندما دخل الوحدة ثم خرج. وتشكلت لنا لجنة منطقة جديدة من عبد المنعم شتلة - محمد عثمان - سعد أبو رمضان - وأنا وحضر الاجتماع عبد المنعم شحتو (ع. ف) ليشرف على تشكيل المنطقة الجديدة وعقد الاجتماع في بيت سعد أبو رمضان بعزبة البرج. ثم بدأت حملة القبض في يناير وانضم إلى المنطقة عدلي جرجس أما أنا فقد نقلت للعمل في القاهرة وحضر معي حمدينو السيد علي.

ثم جاءت حملة بوليسية جديدة وألقي القبض على غالبية من تبقى من أعضاء اللجنة المركزية ولم يبق فيما أذكر من أعضائها إلا سيف يوسف، أحمد سالم، وصدر قرار بتشكيل جديد للجنة مركزية وضم إلى اللجنة سعد بطرس الطويل وشوقي مجاهد ونسيم وإسماعيل المهدي وأحمد الجبالي وأنا.

وبهذا تكونت ل. م من ثمانية أعضاء ٦ جدد واثنين أصليين. وتقرر أن تنقسم ل. م إلى مجموعتين كل مجموعة تعمل معاً حفاظاً على الأمن وضماناً لعدم القبض على الجميع.. وهكذا كانت هناك مجموعتين للجنة المركزية كل منهما مكونة من أربعة أعضاء: مجموعة من سعد الطويل ونسيم يوسف وأحمد الجبالي وأنا والأخرى من أبو سيف وأحمد سالم وشوقي مجاهد وإسماعيل المهدي.

وأصبحت مسئلاً عن منطقة القاهرة وكانت لدينا عضوية لا بأس بها برغم عمليات القبض الواسعة.. وفي ٢١ نوفمبر ١٩٥٩ قبض على مجموعتنا خلال اجتماع لها ورحلنا إلى سجن القناطر حيث كانت هناك مجموعة تضم د. فريد حداد وأحمد عبد العال وأحمد البديني وفي ٢٨ نوفمبر رحلنا جميعاً إلى أوردى أبو زعل حيث عذبنا تعذيباً شديداً استشهد أثناءه د. فريد حداد.

س: كيف كانت الأوضاع التنظيمية في سجن أبو زعل.

ج: هناك وجدنا من اللجنة المركزية الأصلية.. د. فؤاد مرسي - د. إسماعيل صبري عبد الله - حلمي يس - سعد رحمي - سعد زهران - محمود العالم - عبد المنعم شتلة - عبد

المنعم شحتو - محمد بدر وسامي عجيب - والأخيران كانا موقوفان بسبب مسؤوليتهما عن وقوع الجهاز الفني في يد البوليس وكان هناك تحقيق تنظيمي مع سامي عجيب.

وكان مسئول المنطقة د. فؤاد مرسي ثم نزل وحل محله حلمي يس بدعوى أن د. فؤاد هتف باسم جمال عبد الناصر في طابور خارج السجناء.

وبدأ خلاف حقيقي، وكان واضحاً أن هناك محاولة لتغليب ع. ف على مجموعة الراية وكان هناك أيضاً خلاف سياسي فعندما كنا قادة للحزب خارج السجن تبيننا فكرة رأسمالية الدولة الاحتكارية وكان صاحبها ومنظرها د. فوزي منصور بينما كان د. فؤاد مرسي ود. إسماعيل صبري ومحمود العالم يتمسكون بفكرة البرجوازية الوطنية المترددة.. وخلال عملية الصراع الدائر داخل القيادة تقدمت باقتراح بتنزيل المجموعة الجديدة التي ضمت إلى ل. م بعد حملة القبض ووافق على الاقتراح كمحاولة لتهدئة الخلافات وفعلاً تم تنزيلنا أنا ونسيم يوسف وسعد الطويل وأحمد الجبالي ثم رحلنا إلى سجن القناطر لنجد أن المجموعة هناك منقسمة على نفسها، مجموعة مسئولها محمود العطار وتضم صبري عبد العال وماهر سمعان ومحمد مستجير ود. مختار السيد، والمجموعة الأخرى مسئولها سامي عجيب وعندما وصلنا وضع الجميع أنفسهم تحت تصرفنا على أساس أننا أعضاء ل. م فأبلغتهم أننا تركنا ل. م واقترحت عليهم حلاً للخلاف إجراء انتخابات لتشكيل القيادة وانتخب مسئولاً للمنظمة ماهر سمعان ومحمد مستجير ومختار السيد وفوزي حبشي وصبري عبد العال أعضاء.

وواضح أن هذه المجموعة القيادية كلها من الموحد فيما عدا صبري عبد العال من الراية، فقام أعضاء ع. ف بتشكيل قيادة مستقلة تضم سامي عجيب ونسيم يوسف وأحمد الجبالي وكلهم من ع. ف ثم قبض على أبو يوسف وأتى به إلى سجن القناطر فعرضنا عليه الأمر بصفته السكرتير العام فأيد مجموعتنا ثم عاد فغير رأيه بعد اجتماع مع مجموعة ع. ف وبقي الوضع كما هو منقسماً.. كذلك كان الحال في سجن القناطر نساء.

وفي سبتمبر ١٩٦١ هربت من القصر العيني ثم قبض علي وأودعت في التأديب عاماً كاملاً لعزلت عن المجموعة وعن الصراع ورحل الجميع إلى الواحات وبقيت في القناطر مع مجموعة محدودة وأحسست أننا على وشك الإفراج عنا، وأنني بعد الإفراج سأعود إلى بحري حيث لا يوجد أحد إلا مجموعة حدثو.

كذلك أحسست ببشاعة الصراعات غير المبدئية بين الراية و ع. ف فقررت الانضمام إلى حدثو.

* * *



محضر نقاش ٢

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٨ سبتمبر ١٩٨٣

س: سنواصل الآن حديثنا.. ولكن أود أن أسألك أولاً عن معلوماتك عن انقسام ت. ث عن حدثو؟

ج: الحقيقة أنه بعد انقلاب حركة يوليو ابتداء من يناير ١٩٥٣ على المطالب الديمقراطية للشعب شعر كادر حدثو بالإحباط بل الهزيمة، وبدأت مشاعر التشكك في صحة الخط السياسي تسوده، ونجم عن ذلك وجود تيارات معادية للقيادة.

وكان هناك سباق بين خليل وبدر في توسيع ل. م حدثو كل يريد أن يعزز أنصاره، وعندما حدث انقسام ت. ث قررت القيادة تثبيت ل. م على ما هي عليه، وأن كل ما يأتي بعد ذلك يعتبر احتياطي للجنة المركزية وليس عضواً أصلياً.

ويمكنني أن أقرر أن مشاعري واحترامي كان يتجه بدر ولكنني بقيت مع حدثو ورفضت الانقسام.

س: والآن نتحدث عن تجربة وحدة الحزب المتحد.

ج: كانت منظمتي الراية، ع. ف ضد الوحدة، وقد قاومتنا الوحدة لأمد طويل، وأود أن أورد تقييماً شخصياً لقبول هاتين المنظمتين لمبدأ الوحدة.. فأنا أعتقد الوحدة قد تمت فقط تحت مظلة الانبهار بالناصرية، هذا بالإضافة إلى بعض الضغوط الخارجية من أحزاب شقيقة..

وعندما تمت وحدة المتحد أنا كنت مسئول الإسكندرية في حزب الموحد، وكانت الراية حتى آخر لحظة تردد شعارها التقليدي لا شيوعية خارج الحزب وأن جماعة حدثو جماعة بوليسية عميلة للفاشية، وأتى تبريرهم للوحدة أسوأ من ذلك فقد برروا الوحدة تبريراً سخيفاً؛ إذ قالوا لكوادرهم أن حدثو عميلة للنظام وطالما أن النظام قد أصبح وطنياً أصبح من الممكن الوحدة معها.

س: ماذا عن عملية الدمج في الإسكندرية، وأرقام كل من المنظمتين؟

ج: عندما تمت الوحدة اكتشفت هزال تنظيم الراية بالإسكندرية فقد كانت نسبتهم إلينا ١٠ : ١ بدون أي مبالغة، ومع ذلك تمثيلهم في لجنة المنطقة بالتساوي معنا.

س: ثم جاءت الوحدة الشاملة فكيف تمت؟



ج: ع. ف كانت ضد الوحدة بشكل قطعي، ولكنها دخلت الوحدة مرغمة.. وكما يقول ماركس أن الحرب هي امتداد للسياسة بشكل آخر فقد قررت ع. ف قبول الوحدة لتكرس الانقسامية بشكل آخر.. ولم يكن من الممكن بسهولة إذابة آلة العداء التاريخي بين هاتين المنظمين وبين حدثو.. وما أن تمت الوحدة حتى تحالفت الراية، ع. ف ضد حدثو، وانضم إليهم بعض المعادين التاريخيين لحدثو من الموحدو..

والحقيقة أن حدثو قد تعرضت طوال تاريخها لعداء من العديد من الحثالات الديمقراطية. على أية حال بدأت الوحدة، وبدأت ع. ف والراية تمارسان كل عدائهما التقليدي لحدثو ولكن بأساليب أخرى وأسجل للتاريخ أنهم كانوا أبعد ما يكون عن الأمانة فيما يتعلق بالأرقام، وأذكر عني أنني شخصيًا حضرت اجتماعات حزبية حضرها من الراية ومن ع. ف أشخاص عاديين تمامًا لم تكن لهم أية علاقات حزبية أو حتى سياسية وإنما أتوا بهم من الشارع إلى الحزب مباشرة بهدف زيادة أرقامهم.

وكان اللجنة الدائمة ثلاثية خالد - عباس - خليل وقد اكتشفت ع. ف عقده الزعامة عند خالد ولعبت عليها مؤقتًا.

وانتهى الأمر بالانقسام ولكنني وكثيرين غيري من أبناء حدثو رفضنا الانقسام فقد عاهدت نفسي ألا أنقسم عن الحزب مهما كان الأمر.. كنت أعرف أنهم أغلبية شكلية في قيادة مفتعلة، وكنت أعرف أنهم متكئون لكنني كنت أقرر دومًا أنه ليس أمام الثوري سوى الخضوع مهما كان سبيل التغيير صعبًا وشاقًا.

س: كيف بدأت الأزمة؟

ج: الخلاف الفكري كان محدودًا جدًا، وكان يمكن أن يوجد أشد منه داخل التيار الواحد، فقد كان الإطار العام، هو الانبهار بالناصرية.

ولهذا لم يكن مصادفة أن يبدأ التصادم حول قضية تنظيمية هي الموقف من المحترفين الثوريين، وقد كانت ع. ف والراية تمتلكان موقفًا سيئًا للغاية من المحترفين، بينما كانت حدثو تعتبر المحترفين نواة عمل ثوري، ولهذا كانت تمتلك عددًا كبيرًا من المحترفين.

وأذكر أول اجتماع للجنة المركزية ونوقشت قضية المالية، وأقحمت على الاجتماع، بهدف تصفية المحترفين وكان الاجتماع يثير الغثيان.. عندما أسمع عبارة أن المحترفين صايعين أو أرباب معاشات كنت أشعر بالرتاء.

.. وعندما وقع الانقسام بقيت خاضعًا للقيادة لكنني كنت أطحن بشده.. فرفاقي القدامى كانوا يعتبرونني ابنًا عاقًا، والذين بقيت معهم كانوا يعتبرونني مجرد قنبلة زمنية.

وكانت العلاقة بين الراية، ع. في منتهى النفاق، وكان هدف ع. ف البدء بتصفية
حدثو ثم الانفراد بالراية والسيطرة عليها.. وبعد طرد حدثو تفرغوا لبعضهم البعض.
وباختصار كانت سنوات السجن التي قضيتها معهم سنوات محنة ومزايدات لا مبدئية
وصراعات شللية، ولم يكن من الممكن لهذه الوحدة الشكلية أن تستمر لولا إغراق الطرف
الآخر في اليمينية ورفع شعار المجموعة الاشتراكية..
س: وماذا عن قصة الحل؟

ج: خرجت كما كنت عضواً في ل. م وكلفت شكلياً بمسئولية المنيا، لكنني أشعر أن
ثمة شيء يجري من خلف ظهري.. وكانت هناك ضغوط هائلة للحل.. وأتت الضغوط أساساً
من مجموعة العاملين بالأهرام وكان ميشيل كامل الذي ترك الكفاح منذ خروجه من المعتقل
في عام ١٩٥٠ كان يهددنا بالاعتقال إذا لم نقبل الحل، ويمكن القول أنه رغم ما يدعيه الآن
من ثورية واحد من أبطال الحل، وكذلك كان من أبطال الحل إسماعيل صبري، وأبو سيف
يوسف.

وأنا شخصياً أعطيت صوتي في الكونفرنس مع الحل لأنني لم أكن بعيداً عن موجة
اليمن الطاغية، والكونفرنس كان شكلي، وبلا أي محتوى جدي.

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٧ يناير ١٩٨٧

س: هل لك أن تروي لنا تجربتك مع مسيرة الوحدة في الحركة الشيوعية؟

ج: في أوائل الخمسينيات أنا كنت عضو قاعدي في النجم الأحمر.. وقبض علي عام ١٩٥٤ وقد أسهمت في إدخال نسخة من تقرير الرفيق بالم دات القائد الشيوعي الإنجليزي والذي أشار إلى أوضاع الحركة الثورية في مصر وتمنى توحيد الشيوعيين المصريين وقد كان لهذا التقرير تأثيراً في إنجاز وحدة الموحد.

وقد أفرج عني في أكتوبر ١٩٥٥ ولم أعتقل وكنت أول شيوعي يفرج عنه القضاء ولا يعتقل فكان ذلك بداية لتحسن الأوضاع.

وعندما قامت وحدة المتحد كنت في قلب العاصفة فقد كنت عضواً في لجنة منطقة وسط القاهرة حيث كان الصراع محتدماً قبل وفي أثناء معركة انتخابات مجلس الأمة في الوائلي التي تصارع فيها علناً أعضاء الحزب المتحد ضد بعضهم البعض فقد رشح عبد العظيم أنيس نفسه ضد مرشح تؤيده مجموعة الموحد.. وكنت محايداً في هذه الصراعات وأحسست أنني وسط صراع ديناصورات..

س: يقال إن الوحدة تمت على أساس قوائم عضوية وهمية من البعض، فما هي رؤيتك الواقعية لذلك؟

ج: في وحدة المتحد كان الأمر طبيعياً ولم نشعر بأي خلل تقريباً قدمت الولاية مجموعة لا بأس بها ولكنها تتميز بأنها مجموعة متقفين، الموحد قدم مجموعة أكبر ولكن بعضها كان حديث التجنيد وأغلبها كان يهتم بالنشاط العملي واليومي وال جماهيري أكثر من الوعي النظري.

ويمكن القول إن المتحد قد أنكسر، أي تمزقت وحدته في معركة انتخابات مجلس الأمة وتحديداً في دائرتي الوائلي حيث كان عبد العظيم أنيس مرشحاً للولاية مجلس الأمة في الوائلي التي تصارع فيها علناً أعضاء الحزب المتحد ضد بعضهم مرشحاً للولاية وعايدة فهمي مرشحة لحدتو، ولم يكن عبد العزيز مصطفى ولا عايدة فهمي عضوين في حدتو وإنما كانا عاملين وكانت حدتو ترى ضرورة تأييد المرشحين العمال وإخلاء الدوائر لهم..



وكان الطرف الآخر يقول إن تأييد المرشح الشيوعي أوجب من تأييد عامل لا علاقة له بالحزب وأستطيع أن أقول إن السلطة لعبت دوراً هاماً في إذكاء نيران التفرقة عبر هاتين الدائرتين وأسهمت في تمزيق وحدة الحزب.

وفي يناير ١٩٥٨ تمت الوحدة مع ع. ف وأشهد للتاريخ أن ع. ف قدمت عضوية وهمية تماماً قد يكون الطرف الآخر قد قدم عضوية جديدة أو عناصر غير ناضجة ولكن قوائم ع. ف كانت وهمية بشكل كامل ودخلنا في دوامات الحصر وتعداد العضوية والتهرب من التعداد واستغرق الأمر شهوراً انتهت بحملة قبض واسعة في يناير ١٩٥٩.

س: تحديداً كيف كانت معسكرات الصراع داخل الحزب؟

ج: في المتحد كان الصراع بين جماعة حد والراية وبعض عناصر الموحد من غير حدثو كانت تلعب دور المهدئ وعندما تمت الوحدة مع ع. ف وأتى أعضاء هذه الجماعة إلى الحزب اختلطت الأوراق وبدأنا نشعر بتقارب أو بالدقة تحالف بين أعضاء الراية وع. ف ضد أعضاء حدثو أما التيار المحايد فكان متواجداً ولكن بشكل ضعيف للغاية ففي منطقة وسط كان عدد أعضاء لجنة المنطقة ١١ عضواً وكان المحايدون ثلاثة فيما أعتقد وعندما بدأ الخلاف حول موضوع الوحدة مع سوريا بدأ أعضاء حدثو يتخذون موقفاً متباعداً..

س: ما هو عدد العضوية في منطقة وسط؟

ج: حوالي مائة عضو.

س: هل صحيح أن موضوع الموقف من المحترفين هو الذي فجر الخلاف؟ إذ يقول البعض أن عناصر الراية و ع. ف في القيادة أرادوا ضرب حدثو بضرب محترفيها خاصة وأن غالبية المحترفين كانوا من حدثو.. وأن المعركة بدأت بهذا الموضوع.

ج: ليس صحيحاً.. فالخلاف سياسي في الأساس وكان متركزاً حول مواقف سياسية.. الموقف من عبد الناصر، الموقف من الوحدة السورية، ثم فيما بعد الموقف من ثروة العراق وهكذا ولكن الخلاف السياسي أدى لخلاف تنظيمي وبدأت عملية ضرب وتصفية المحترفين من أعضاء حدثو وبدأ الصراع.. الراية تقول أن أعضاء حدثو بتوع جري في الشوارع وليس لهم علاقة بالوعي النظري. وحدثو تقول إن الآخرين متفلسفين.. وفي وسط كان محمد عمارة هو رأس الرمح في الهجوم وكان عنصر الصدام الأساسي عند أعضاء حدثو.

وعندما سرقت المطبعة بواسطة بعض أعضاء حدثو وقفنا (مجموعة وسط) ضد ذلك كما وقفنا ضد إصدار الآخرين لقرارات الطرد.. وبرغم عدم موافقتنا على طرد الأربعة قررنا الاستمرار في الحزب وكان يوم صدور قرارات المكتب السياسي بفصل الأربعة يوم حزن حقيقي ورفضنا القرار ولكننا بقينا..

س: وماذا عن تجربتك في السجن؟

ج: في السجن بدأت الأمور تتضح، واتضح تشنج أعضاء الراية، ع. ف. ورفضهما لأي عنصر غير متفق معهما تمامًا وبدأ أعضاءهما في السجن يتحالفون ضدنا.

وبدأت مواقف عبد الناصر تتغير بينما يتجاوب معها المتشددون ويهمل لها المعتدلون وعندما جاءت قرارات التأميم اشتد تشنج المتشنجون وصمموا على حديثهم الأخرق عن رأسمالية الدولة الاحتكارية أما مجموعة حدتو فقد بدأت تهمل للمجموعة الاشتراكية.

وبدأت أمتز تنظيميًا وانتهى الأمر بأن اجتمع أربعة من كوادر الموحد الموجودين مع جماعة الراية، ع. ف. وهم عبد الله الزغبى ومختار السيد ومحمد مستجير مصطفى وأنا وأصدرنا بياناً عرف فيما بعد ببيان الأربعة.. وهاجمنا القيادة ووصفناها بالتكتل (يلاحظ أن جماعة حدتو كانت تطلق وصف التكتل على هذه الجماعة) وأعلننا أننا لن نخضع لقرارات التكتل وقلنا إنه خطر على الحزب بل وخطر على الوطن ذاته.

وقلنا إن لنا تحفظات أربعة على جماعة حدتو أذكر منها الآن ثلاثة هي: سرقة المطبعة، مجموعة روما، المجموعة الاشتراكية. وأعلننا أننا لن ندخل حدتو إلا بعد تصفية هذه التحفظات..

وكنا قد تركنا المجموعة الأخرى بالفعل.

والحقيقة أن تجربتي مع أعضاء التكتل (الراية، ع. ف.) كانت تجربة مريرة فبرغم نوايانا الحسنة وبرغم عدم خروجنا مع رفاقنا القدامى وإصرارنا على البقاء في الحزب والنضال من داخله إلا أنهم كانوا بعد فترة وجيزة من الاحتضان المفتعل يتعاملون معنا كبقايا حدث بغيث غير مرغوب في استمراره.

على أية حال بعد فترة من النقاش وبعد صدور الميثاق قررنا دخول حدتو كمعارضة في صفوفها.

* * *



محضر نقاش ٢

أجريت المناقشة بالقاهرة (أبريل ١٩٨٣)

س: إذ نواصل حديثنا فأنتي أود أن أستمع منك إلى تقييمك لعملية الوحدة في الحركة الشيوعية المصرية؟

ج: كنت بعيداً عن الاشتراك المباشر في عملية الوحدة عام ٥٧-١٩٥٨.

وإن كنت قد شاركت في إنجاز وحدة الموحد وأعتقد أنه من الضروري إجراء مقارنة مع وحدة الموحد.

وفي تقديري أن ثمة أركان ثلاثة للوحدة:

١- هزيمة الفكر الانقسامى سواء نشأ منقسماً أو انقسم على نفسه.

٢- اتفاق سياسى.. استراتيجى وتكتيكى.

٣- شكل تنظيمى ملائم تتم الوحدة على أساسه.

وفي تقديري أن الوحدة التي أنجزت عام ١٩٥٨ لم تتم في إطار هزيمة الأفكار الانقسامية، الوحدة تمت على أساس فكر انقسامى وممارسات انقسامية.

فمنظمة الراية كانت ترى أنها هي الحزب ولا شيوعية خارج الحزب، وأن القضية ليست قضية وحدة وإنما قضية تصفية أوضاع انقسامية، وتحت ضغط التيار التوحيدى عدلت موقفها المعلن لكن جوهر الموقف ظل كما هو، قالوا إن الفاشية تحولت وأصبحت وطنية وعملوها أيضاً تحولوا.. ومن هنا إذا كان من المفترض التحالف مع الحكم الناصري فإنه من الممكن الوحدة مع عملائه وهو قول سخيف وغير علمي وإن كان ينم عن حقيقة الفكرة التي قبلوا الوحدة على أساسها.

وفي اعتقادي أن هذه المنظمة لم تحل نفسها، وبرغم الوحدة ظلت لها علاقات رأسية وأفقية بأعضائها القدامى.

أما منظمة ع. ف فقد كان هناك صراع شديد في صفوفها حول قضية الوحدة، وقد حسم هذا الخلاف داخل مؤتمر المنظمة، وتم التصويت لصالح الوحدة، وهذه تجربة جديدة في حد ذاتها، ولكن القيادة التي أنتخبها المؤتمر كانت في واقع الأمر معادية للوحدة، فقد ظلت هذه القيادة تقول بفكرة وجود تيارين في الحركة الشيوعية تيار ماركسي وتيار متمرّكس ولكن



الفارق بين ع. ف والرأية أن كثير من كواد ر ع. ف كانت مؤيدة للوحدة فعلاً بغض النظر عن موقف القيادة.

بالنسبة للموحد فإن تجربته في الوحدة تجربة ناضجة، ولكن في اعتقادي أن بعض قادة حدثو ظلوا دوماً يعتقدون أنهم التيار الثوري الوحيد في الحركة الشيوعية المصرية، ومن ثم فإنهم كانوا يشعرون بأنهم يتعاملون مع خصوم تاريخيين..

كما أن حدثو كانت قد اعتادت في عمليات الوحدة التي تشارك فيها ألا تدقق كثيراً في الوثائق السياسية على أساس أن النضال سيحسم كل شيء.

لكنني رغم ذلك أقرر أن القطاع الأساسي والغالب في الحزب الموحد قيادة وقاعدة كان يعمل من أجل الوحدة وقد ضحى من أجل إنجازها، ولعب دوراً أساسياً في إنجازها.

.. ومن الناحية السياسية كان الاتفاق حول وحدة ١٩٥٨ سهلاً لأن الفترة التي تمت فيها الوحدة كانت فترة صعود للحركة الوطنية والاجتماعية، وكان الجميع قد اتفقوا حول موقف متقارب من عبد الناصر، وبرغم ذلك كان جذور الخلافات والممارسات الفكرية والسياسية كامنة.

.. ومن الناحية التنظيمية كان هناك خطأ فادح جداً وقعنا فيه هو خطأ التمثيل بالقوات وحصر القوات وترتب على ذلك أنه في عام ١٩٥٧ وهي فترة مد وطني تمت حركة تجنيد واسعة حريصة بهدف زيادة العضوية المقدمة في عملية الحصر، ومثل هذا الحشد غير الحريص من العضوية الجديدة ستكون له تأثيرات خطيرة عندما بدأت الضربة البوليسية.

كذلك فإن عملية حصر القوات كانت عبارة عن عملية لفتح بطن الخراب وإخراج كامل أمعائه وأساراه وعضويته وبهذا سهلنا الأمر على أجهزة الأمن في ضربتهم في يناير ١٩٥٨.

.. ومع ذلك كله فإنني أعتقد أن وحدة يناير ١٩٥٨ كانت صحيحة في مجملها وضرورية، فقد كان من الصعب تكرار تجربة الموحد.. التي يمكن القول أنها نموذجية. إذاً فأنا أعتبر أن يوم ٨ يناير كان يوم انتصار حقيقي، ومهرجانات احتفالية في مصر والأحزاب العربية الشقيقة.

س: الآن ما هي تجربتك كعضو ل. م في الحزب الذي تم توحيده؟

ج: في الاجتماع الأول للجنة المركزية أقيمت كلمات تحية.. ووزعت المسؤوليات في المناطق والمكاتب المركزية ثم بدأت مشكلة المحترفين، وقد نوقشت عبر قضية المالية، وقد ألقى عادل سيف النصر (الرأية) عبارة استفزت الكثيرين فقال المحترفين مجرد صايعين وثرنا

بشدة وألاحظ أن الراية لم تقدم في قيادتها المركزية ولا محترف واحد بينما كانت كل أعضاء ل. م من الموحد محترفين، كما كانت هناك نسبة من المحترفين في قيادة ع. ف وأقرر أن الصراع حول قضية الاحتراف كان سياسيًا في الدرجة الأولى.. فقيادات الراية لم تكن متفرغة للعمل السياسي، بل كانوا مشغولين بأعمالهم البرجوازية وكانوا يخشون من سيطرة المحترفين المتفرغين..

وكان التمويل الأساسي يأتي من رفاق الراية وتصوروا أنهم يدفعون لمن يهددون نفوذهم في الحزب وحجبا تمويلهم عن المحترفين، ولك أن تعرف أن مرتباتنا كمحترفين كانت هزيلة للغاية (كانت تتراوح بين ١٢، ٢٠ جنيه شهريًا) وردًا على حجب الإمكانيات قام رفاق الموحد بحجب اشتراكاتهم لتمويل مرتبات محترفيهم. وعلى أية حال فقد كان الممكن إيجاد حل ما لمشكلة المحترفين.

كما كان هناك اتجاهين سياسيين داخل ل. م، فثمة اتجاه يرى الوحدة مع الصراع مع البرجوازية الحاكمة، وخط آخر اتجاهه العام مع التأييد بشكل مطلق لعبد الناصر (حدثوا)، وهنا تفجرت خلافات يومية حول المواقف السياسية وثبت أن اتفاقًا استراتيجيًا لم يعد كافيًا.. وبرغم أن الخلاف كان في جوهره سياسيًا إلا أنه عولج تنظيميًا.

ولكنني أود أن ألاحظ أن اليمين الحقيقي في ل. م لم يكن رفاق الموحد وإنما كان رفاق الراية الذين رغم تشددهم الظاهري يقولون بخط ثبات وطنية البرجوازية، وأنها قد حكم عليها بالوطنية في إطار تطورات عالمية وإقليمية ومحددة.

كان رفاق حدثو يمينيين، ولكن المنظرين لليمين الحقيقي كانوا رفاق الراية، ومن ثم فإن أي مناقشة سياسية كانت ستجر إليها رفاق الراية، ولهذا تعجلوا اتخاذ إجراءات تنظيمية ضد رفاق حدثو.

كما أن الراية كانت قد بررت الوحدة معنا بشعار أطلقتته قيادتهم بقول الوحدة مع الانتهازية تصفية لها. فبدأت في التحالف مع ع. ف التي كانت جاهزة تمامًا للإجهاز على حدثو. وقالوا أن الهدف ضرب القيادة ثم تنقيف القاعدة.

واعتقد أن قيادة ع. ف كانت تدرك أن الراية هي اليمين الحقيقي، لكنها فضلت تحقيق حلمها التاريخي بضرب عدوها التاريخي حدثو.

س: هل كان الانقسام حتميًا؟



ج: لا والحجة التي أطلقها رفاق حدثو حجة غير صحيحة، قالوا أن الآخرين تكتلوا ناسين أنه لا تكتل في المستوى الواحد، فقد قبلوا تركيب القيادة ثم لم يقبلوا أعمال التصويت فيها.

وفي اعتقادي أنه كان من الممكن البقاء حتى بعد فصل بعد قادة حدثو، وقد بقينا وطالبنا بعقد كونفرنس وكتبت تقريراً بعنوان وجهة نظر ثالثة في الصراع أدنت فيها الإجراءات التنظيمية كما أدانت الانقسام وقد ووفق على عقد الكونفرنس، لكنه لم يعقد فقد أجهزت الضربة البوليسية على إمكانيات عقده.

لكن الملفت للنظر أن الرفاق الذين انقسموا عام ١٩٥٨ لم يخرجوا تحت اسم الموحد ولا اسم المتحد وإنما ارتدوا إلى اسم حدثو وهذا دليل على أن قناعتهم حتى بوحدة الموحد قد اهتزت.

س: كم خرج من الموحد، وكم بقي؟

ج: بقي تقريباً حوالي ٣/١ من دخل من الموحد.

س: كيف سارت الأمور بعد خروج رفاق حدثو؟

ج: أعيد تشكيل ل. م، وتم تضيقها إلى ١٣ عضواً وشكلت كالاتي:

د. فؤاد مرسي (راية)، د. إسماعيل صبري عبد الله (راية) سعد زهران (راية)، فخري لبيب (موحد) محمود العالم (موحد) عبد المنعم شتلة (موحد)، سعد رحمي (موحد)، أبو سيف يوسف (ع. ف) حلمي يس (ع. ف)، فؤاد شحتو (ع. ف)، محمد بدر (ع. ف)، لويس اسحق (ع. ف) حسن صدقي (ع. ف).

أي أن التوزيع كان كالاتي:

٦ (ع. ف) ٤ (موحد)، ٣ (راية).

وشكلت سكرتارية خماسية من أبو يوسف (سكرتير عام) د. فؤاد مرسي (دعاية) -

عبد المنعم شتلة (تنظيم)، فخري لبيب (عمل جماهيري) حلمي يس (القاهرة).

.. ولم يكن هناك مكتب سياسي..

ونلاحظ أنه فور إبعاد حدثو بدأت السهام تتجه إلى الراية.

فقد انكمش وجودها في ل. م إلى ٣، وانكمش وجودها في السكرتارية إلى ١، وانحصرت المسؤوليات التي تولتها في مسئولية الدعاية.. وفقد د. فؤاد مرسي طموحه للوصول إلى موقع السكرتير العام.. كما بدأت السهام السياسية تتجه أيضاً ضد الراية ففور

خروج رفاق حدثو بدأت الراية تبدو وهي الوجه اليميني الواضح وتحالفنا نحن رفاق الموحد مع ع. ف ضدها.

وكانت الراية تتهمنا بأننا يسار وتغلب عنصر الصراع ضد الحكم..

ثم كانت حملة يناير ١٩٥٩ حيث قبض على كل أعضاء ل. م ما عدا أربعة أبو سيف يوسف، فخري لبيب، عبد المنعم شتله، محمد بدر.

وشمولية حملة القبض ووقوع القادة دون اتخاذ أبسط الإجراءات الأمنية يوحى بسيطرة فكر يميني رغم الكلمات المتشددة، فالحذر من السلطة كان مفقوداً.

وشكلنا ل. م جديدة.. وضم إليها عبد الله كامل - نبيل صبحي - سامي عجيب - إنجي أفلاطون وآخرين..

وشكلت سكرتارية ثلاثية أبو سيف يوسف، فخري لبيب، محمد بدر وتوليت أنا مسئولية التنظيم، وأعيد بسرعة تماسك البناء الحزبي، وأصدرنا بياناً طبع ووزع بكميات كبيرة وفي هذا البيان أدخل الحزب في خطه السياسي عبارة هامة تقول إن الحكم متأثر في قراراته بالاحتكار وشبه الاحتكار.

ثم وضع الحزب خطة سياسية أسميت خطة مايو ١٩٥٩، كان محورها الديمقراطية والتحذير من سياسة معاداة الشيوعية، وتأثير القوى اليمينية على النظام.

وفي اعتقادنا أن إعادة بناء التنظيم بسرعة، وتحركنا الواسع، وسرعة نزول المطبوعات وبكثرة أعطى انطباعاً عن حزب قوي وواسع الانتشار ولم يكن هذا صحيحاً، ولعله عجل بالضربة البوليسية التالية في مارس ١٩٥٩ وقد قصد بها اجتثاث الحزب، وشملت الضربة أعضاء الأقسام والمناطق وعدد من الأعضاء النشطين وقد أربكت العمل الحزبي إرباكاً شديداً ومع ذلك أعيد بناء الحزب وتوالت الضربات، وتوالت معها محاولات التجميع.. لكن الضربات تلاحت بشكل سريع..

س: وتجربتك داخل السجن؟

ج: كانت الأوضاع صعبة وحصدنا في السجن ثمار أخطاء ارتكبتها غيرنا، فمثلاً الراية عندما أوفدت ممثليها إلى اللجنة المركزية عند الوحدة تجاهلت رفاقاً من مؤسسيها، وعندما تجمعنا سوياً في السجن سببوا كثير من المشاكل وجماعة الأفق (شكري عازر، ثروت إلياس، رؤوف نظمي.. إلخ) كانت تقول إنها تقف ليس في مواجهة القيادة الحالية وإنما في مواجهة القيادة التاريخية للراية..

كذلك طبقنا نحن في خارج السجن بعد حملة القبض الأولى نظرية ع. ف بأن القيادة هي دوماً لمن في الخارج فأصدرنا خطة سياسية رفضها رفاق الولاية، كما رفضوا بيان ٩ يناير وقالوا إنه ليس من حقنا أن نغير في الخط السياسي.

وكذلك أصدرنا قراراً بالخارج بأن كل من يحاكم من أعضاء ل. م (باستثناءات محددة بالاسم) يتعين عليه أن يدافع عن عضوية الحزب.

ورفض رفاق الولاية تنفيذ القرار، ولم يتجاسر أحد على محاسبتهم.

وهكذا بدأت التشققات في بنية الحزب.

وبدأت عملية صراع أيديولوجي داخل السجن لكنها حادة جداً وعنيفة جداً بحيث تجاوزت حدود وإمكانات وقدرات أعضاء جندوا سريعاً في عام ١٩٥٧ ودون تكوين فكري كاف، هذا فوق أنه تجاوز الحدود العصبية لسجناء يتعرضون لضغط شديد.. وارتبك الناس، وسادتهم الحيرة.

س: وماذا عن الحل؟

ج: الحقيقة أننا خرجنا لنجد أن برنامجنا المرحلي قد استنفذ أغلبه، ووجهنا بأوضاع سياسية واجتماعية وأمنية صعبة، وأحسننا بعزلة شديدة عن المجتمع، وكنا عاجزين عن تطوير برنامجنا وطرح أفكار جديدة، وبهذا كان من الصعب الاستمرار بلا برنامج، وبلا رؤية مستقلة.

ورغم أن الشيوعيين خرجوا من السجن ومن تحت سطوة التعذيب الوحشي أبطالاً إلا أنهم لم يستطيعوا مواصلة المسيرة.

ولا بد أن نضع في الاعتبار الموقف السياسي لخروشوف وللمفكرين والكتاب السوفيت كذلك فإنني أرى أن الأساس الاجتماعي لغالبية العضوية كان البرجوازية الصغيرة.. وهذا موضوع جوهري..

وعندما خرجنا وجدنا مجموعة من الشيوعيين السابقين متربصة بنا تلح علينا بفكرة الحل، بل وتضغط علينا ضغطاً شديداً لكي نصل إلى الحل ومن هؤلاء أحمد فؤاد - أحمد حمروش - لطفي الخولي - إبراهيم سعد الدين - ميشيل كامل.

وكانت عملية النقاش من جانبهم تستند إلى تهديد واضح وصريح إما الحل وإما السجن...

* * *

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٦ يناير ١٩٨٥

س: كأحد كوادر حدثتو ثم الموحد في القاهرة نريد أن تروي لنا تجربتك مع الوحدة؟
ج: الوحدة تمت وأنا في السجن، فالوحدة تمت في ٨ يناير ١٩٥٨ وأنا أفرج عني في ١٨ يونيو ١٩٥٨ وعندما أفرج عني وأنا أتصور أن هناك حزب واحد، لكنني فوجئت بمناقشات صاخبة في القاهرة ودردشات المنازل والجلسات الخاصة تعلن عن خلافات واسعة في الحزب.

س: أين تم تنظيمك عندما أفرج عنك؟

ج: عندما أفرج عني وجدت حالة من الاضطراب التنظيمي، ولكنني نظمت في لجنة قسم الزيتون وتضم أحياء الزيتون - مصر الجديدة - المطرية وكان كل أعضاء لجنة القسم من الموحد ولهذا لم نشعر بصراعات حقيقية ولكن عندما وقع الانقسام البعض خرج والبعض ومنهم أنا صمم على عدم الانقسام كنا نرفض الانقسام من حيث المبدأ وبعد حملة القبض في يناير ١٩٥٨ أنا هربت وأقيمت في الزاوية الحمراء وصعدت إلى لجنة منطقة القاهرة ثم إلى سكرتارية المنطقة حتى قبض عفي في سبتمبر ١٩٥٩ وعندما قبض علي كنت مسئول قطاع الزيتون والمطرية.

س: ما هي إذن تجربتك في السجن مع هذه المجموعة؟

ج: في سجن القناطر كانت الأوضاع عادية، مع وجود بعض الخلافات، ولكن بدأت تظهر بعض المسائل الحلقية التي أشعرتي بالغربة عن هذا المناخ، ثم كانت واقعة غريبة عندما أفضى إلى شاب كان من مجموعة الراية بمعلومات غريبة قال فيها أنه كان عضواً في منظمة الراية، وعند الوحدة اتفقوا معهم على أن يظلوا في مجموعة موازية ولا تنضم للحزب، وقال أنه كان منضماً في هذا التنظيم الموازي الذي أرادت الراية أن يكون خط تراجع إذا اضطرت للانقسام، وقال إن مسئوله في هذا التنظيم الموازي كان صبري عبد العال.

وأبلغت صبري عبد العال فنفي نفياً قاطعاً، لكن الشكوك بدأت تساورني في مدى صدق هذه المجموعة ومدى ارتباطها بمبدأ الوحدة.. وترافق مع ذلك ظهور قصة الشبح، فقد تواترت أنباء عن أن مجموعة ع. ف هي الأخرى حجت جزء من عضويتها ولم تسلمها للحزب وأن هذه لمجموعة أطلق عليها اسم الشبح..



وكانت تلج علي فكرة التوحيد من جديد، وكان الآخرين يسيطر عليهم عداء شديد لمجموعة حدثت وحالة من الجمود العقائدي التام وشبه المطلق، عندما استشهد شهدي أثر الحادث في تأثير شديدًا، ولا زلت أذكر الواقعة جيدًا، عدت أنت إلى القناطر من رحلة العذاب وقلت لي عبر الزنازين المغلقة شهدي استشهد في أبو زعل، بدأت المسألة تورقني، شهدي الذي يوصف بأنه يميني وعميل للسلطة يموت واقفًا وشامخًا وهو يقول أنا شيوعي.

وعندما رحلنا إلى الواحات كان الأمر أكثر تفجرًا وكانت هناك مجموعة الأفق وكان منظمها الأساسي رؤوف نظمي الذي دعا إلى فكر صيني واضح ومجموعات أخرى والتشققات المعلنة وغير المعلنة كانت أمرًا ملحوظًا وعاديًا.

س: وماذا عن قصة الحل..

ج: عندما خرجنا من السجن لم أشعر أن هناك رغبة حقيقية في إقامة تنظيم شيوعي بشكل جدي.. وتلخصت واقعة الحل في إعداد تقرير أعتقد أن كاتبه أبو سيف يوسف وكان التقرير يحیی كفاح الشيوعيين ثم يؤكد على ضرورة وحدة كل القوى الاشتراكية، ويتحدث عن حل التنظيم المستقل كمساهمة من جانبنا في خلق هذه الوحدة..

وقد قمت أنا بطبع هذا التقرير كتبته على الآلة الكاتبة عند صديق ليس عضوًا بالحزب وطبعته على رونيو خشبي صنعناه لهذا الغرض ولعل هذا يوضح لك طبيعة الأوضاع والإمكانيات.. ووزعت هذه الورقة على عدد محدود جدًا ثم عقد كونفرنس ضم أعضاء ل. م وعدد محدود جدًا من الكادر ويمكن القول إن القياديين من كوادر القاهرة حضروا الكونفرنس وعدد ضئيل من كوادر الأقاليم.. وكان المجموع كله حوالي ١٩ شخص وطرحت مسألة حل الحزب للتصويت برفع الأيدي ورفع الجميع أيديهم.. كان البعض معارضًا وكلنا كنا نعرف ذلك لكنه لم يجد جدوى من المعارضة، ولم يجد مبررًا لإعلان هذه المعارضة في مناخ كهذا المناخ الذي كان يتوعد كل معارض لعبد الناصر.

وانتظرنا طويلاً قيام الحزب الواحد للاشتراكيين دون جدوى، ويومًا بعد يوم تبدد الوهم وتبددت القوى ولم يهتم أحد بالاتصال بأحد.. وأخذ كل طريقه.



محضر نقاش - ٢ -

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٠-١١-١٩٨١

س: هناك أقوال كثيرة حول رفضكم الدائم للوحدة، ثم حول دوركم في وحدة ٨ يناير ١٩٥٨، فهل نسمع منك عرضاً لهذا الدور، وهل صحيح أنكم دعوتكم إلى مؤتمركم وأسستم حزب العمال والفلاحين للابتعاد عن ساحة الوحدة؟

ج: حقيقة كان لنا تقييم سلبي لحدثو، وللراية معاً، وأنت لا يمكن أن تكتب عن منظمة د. ش إلا إذا تعرفت على عقليتها، وتكوينها الفكري كنا نرى أن حدثو يمين متطرف، وأن الراية يسار مغامر، وكنا ننظر للوحدات السابقة على أنها وحدات متعجلة ولم تتم على أسس مبدئية ومن هنا قررنا أن نعبئ ورافقنا وأن نقدم لهم الوعي الكافي بحقيقة هاتين المنظميتين قبل أن نسرع في الوحدة معها..

ولهذا دعونا للمؤتمر بهدف توحيد كادرنا على أسس مبدئية وواعية بحقيقة المرحلة المقبلة كي يدخل رفاقنا إلى الحزب الجديد مسلحين بوعي ثوري كاف وبفهم سياسي واحد كي يكونوا عصباً ثورياً لهذا الحزب الجديد.

وعندما عقد المؤتمر، كان قسم الطلبة عندنا يرى أن عقد المؤتمر وإعلان حزب العمال والفلاحين إنما يستهدف عرقلة توحيد الشيوعيين وكان هناك عضو واحد من القيادة يتعاطف مع قسم الطلبة هو فؤاد عبد المنعم شحتو.

س: كيف تمت الوحدة؟

ج: كان هناك المناخ العام الشديد الحماس للوحدة، وكان هناك التقارب في الموقف السياسي، وكان قسم الطلبة متحمساً للغاية للوحدة، كذلك كان هناك ضغط خارجي فراق الحزب الشيوعي الإيطالي (الرفيق سبانو) والحزب الشيوعي العراقي (عامر عبد الله) وغيرهما كانوا يمارسون ضغطاً شديداً أيضاً.

س: يقال أنكم دخلتم الوحدة بخطة التحالف مع الراية ضد حدثو وتصفيتهما؟

ج: هذا غير صحيح فقد كنا في البداية نعتقد أن حدثو أقرب إلينا من الراية فأعضاء حدثو من أصول شعبية مثلاً. وهم أيضاً يتميزون بالعمل الجماهيري النشط مثلاً. لكن الأمور سارت عكس ذلك.

س: متى؟

ج: عندما فاجأنا كمال عبد الحليم ممثل الموحد في اللجنة الدائمة بطلب إجازة طويلة وأحسننا أننا أمام عملية انقسامية بدأ التفاهم بيننا وبين الراية لكنني أؤكد أننا لم نكن نقعد اجتماعات جانبية معهم.

س: يقال أنكم لم تقدموا كل عضويتكم إلى الوحدة وأنه كانت هناك مجموعة من أعضائكم لم تنضم للوحدة وأسُميت الشبح فما هي حقيقة ذلك؟

ج: الأمر كله غير صحيح على الإطلاق، ولكنني أعترف أننا كنا نربي عضويتنا على مدى تاريخي بروح العداء للآخرين لحدثو والراية وكنا أحياناً نبالغ في هذا العداء، وعندما دعوناهم فجأة للوحدة مع من كنا نتهمهم باتهامات متشددة رفض البعض الجلوس مع هؤلاء.. أي رفضوا الوحدة.

س: قيل أيضاً أنكم اتفقت مع الراية على تصفية المحترفين من كوادر الموحد؟

ج: لم يبدأ الأمر هكذا، ولكن عند الوحدة فوجدنا بقائمة المحترفين من الموحد وكانت كبيرة جداً، ويمكن القول إن غالبية الكادر المتفرغ كان من الموحد، وهذا غير طبيعي لأنه يعني أن تياراً معيناً يسيطر على قنوات النشاط الأساسية لكنني أعترف أننا عالجن الأمر بشكل غير سليم، فقد كان الأفضل أن نناقش الأمر بموضوعية، وأن نعيد توزيع الكادر المحترف بشكل متوازن ووفق الاحتياجات الفعلية للحزب.. لكننا وعلى أساس النظرة التاريخية ضد حدثو والموحد عالجن الأمر علاجاً خاطئاً ومعنا التمويل الحزبي وهم بدأوا في جمع اشتراكاتهم بشكل جانبي لتغطية متطلبات المحترفين.. وبدأت الروح الانقسامية بشكل فعلي.

س: يقال أنكم قدمتم قوائم عضوية وهمية، وأن عضويتكم كانت محدودة جداً؟

ج: ليس هذا صحيحاً، والصحيح أننا كنا في أماكن محددة أقوى من الآخرين مجتمعين مثل المنيا وبني سويف وأسيوط.

س: ولكن البعض ممن ناقشتهم قال مثلاً أنكم لم تقدموا أية عضوية في كل مناطق بحري؟

ج: أنا متأكد مثلاً أنه كان لنا نشاط هام في المحلة وفي سمبود، ولكنني أعود فأذكرك أن بعض أعضائنا رفضوا الوحدة بعد هذا التاريخ الطويل من العداء، وعلى العكس من كل هذه الأقاويل فأنا أقرر أن الموحد والراية قدما في بعض الأماكن عضوية جديدة جداً بل أحياناً قوائم وهمية.

* * *



محضر نقاش

أجريت المناقشة بالإسكندرية في ٥ يوليو ١٩٨٣

س: تدبوا قصة اشتغالكم على الجهاز الفني لحدثو ثم الموحد مثيرة للاهتمام فهل يمكن أن ترويه لنا؟

ج: عملت في حدثو على الجهاز الفني لفترة، ثم قبض علي في إبريل ١٩٥٣، وأرسلت إلى معتقل روض الفرج حيث شاركت في ملحمة الهروب الكبير التي هرب فيها عدد من كوادر حدثو وكنت من بينهم.. ومنذ هروبي في أواخر إبريل ١٩٥٣ وحتى ديسمبر ١٩٥٩ حيث قبض عليّ بالزقازيق كنت أعمل على الجهاز الفني المركزي بلا انقطاع وتنقلت في أكثر من مدينة واتخذت أكثر من غطاء.. وفي أثناء العدوان الثلاثي ١٩٥٦، أرسلني التنظيم إلى بورسعيد المحتلة لأعمل على الجهاز الفني بالمدينة حيث كنا نطبع البيانات والنشرات المعادية للاحتلال.

س: هل من تفاصيل؟

ج: في حدثو كان الأمر سهلاً.. وكنت أنتقل بجهازي الفني وأسرتي من قرية لأخرى ومن مدينة لأخرى ونواصل عملنا دون انقطاع ودون أخطاء أمنية ولم تستطع يد الأمن الوصول إلى..

وفي الموحد تطور العمل كثيراً، وكان مسئول الاتصال بي سمير توفيق وهو مهندس ميكانيكي متمكن استطعنا أن نطور جهازنا الفني وضعنا مطبعة حروف وقمت أنا بشراء حروف وعلمت نفسي كيفية صف الحروف، كما سبق أن علمت نفسي الكتابة على الآلة الكاتبة.

وكنت أنتقل من مدينة لأخرى لأقطع أية خطوط يكون الأمن قد توصل إليها وقد تنقلت كثيراً وفيما أذكر تنقلت بين ميت غمر، شبين الكوم، المحلة السنبلاوين، طنطا، كفر الزيات، بني سويف، الواسطى، أسيوط، المنيا، الزقازيق، ولم يكن لدى أثاث كثير وإنما ما يكفي لتغطية أمن العمل فأحمل الجهاز والأثاث وانتقل من مدينة لمدينة.

وعندما قام الحزب المتحد ظل سمير توفيق هو مسئول الاتصال بي وكان يلتقي بي ليسلمني الميزانية المخصصة لي وللعمل وأصول النشرات، وليتسلم المطبوعات.



وعندما تأسس الحزب الواحد كان الجهاز في القناطر الخيرية، وكان محمد الزبير يعمل كمساعد لي ثم تقرر أن يكون هناك جهازين وانتقلت أنا بجهازي إلى شبين الكوم، وبقي هو بجهاز طباعة آخر في القناطر، وعندما وقع الانقسام سلم هو المطبعة لمجموعة حدثو، أما أنا فرفضت مبدأ الانقسام رغم تعاطفي مع رفاقي القدامى في حدثو ورغم أنني كنت منهم لحماً ودماً ورغم ملاحظاتي الشديدة على الآخرين لكننا كنا في حدثو تربينا على كراهية الانقسام من حيث المبدأ وكنا نعيش ونعمل كمحترفين ثوريين وفق شعار أخضع وناقش.

.. وعلى أية حال أنا كنت معزول تماماً عن الجميع ولم أكن أقابل إلا مسئول الاتصال وهو شخص من المجموعة الأخرى هو سامي عجيب وذات يوم أبلغني أن هناك انقسام، ولم أسأل من انقسم ولا لماذا فأنا محترف ثوري أعمل في عمل حساس وأرفض مبدأ الانقسام.
س: ما هو غطاؤك الأمني.

ج: كل مرحلة تختلف عن الأخرى، مرة عملت كسمكري في قرية، وفي المرحلة الأخيرة عندما كنت في الزقازيق استأجرت بيتاً بأكمله وأعلنت أنني تاجر ورق، والحقيقة أن أخوتي في الإسكندرية كانوا تاجر ورق وكنت أتسلم الورق من المصنع أو من تاجر الجملة باسم أخي ثم تحضر السيارة إلى مسكني لأنزل منها بعض الورق؛ حيث يشاهد الجيران كميات كبيرة من الورق تنزل وكميات أخرى تحمل على السيارة فيبدو الأمر طبيعياً، كما يبدو الغطاء الأمني محكماً...

... وبعد فترة قبض على مسئول الاتصال بي سامي عجيب وأعتقد أنه اعترف على مكاني في التحقيق والحقيقة أن أوراق التحقيق في القضية تتضمن أنه اعترف على مكان الجهاز الفني وعلى.

وقد حضر عبد الرحمن عشوب بنفسه للقبض علي ومعه عدد كبير من الضباط وضبطوا بالبيت روني واثنين آلة كاتبة ومطبعة الحروف التي صنعها سمير توفيق أيام الموحد..

وفي التحقيق قلت أنني تاجر ورق وكرتون وجميع مستلزمات وأدوات الطباعة، والذي حقق معي كان وكيل نيابة أسمه سمير ناجي وكان يضربني بنفسه أثناء التحقيق.

س: كم نسخة من النشرات كنت تطبع؟

ج: من كفاح الشعب (النشرة الخارجية) كنت أطبع ألف، ومن المجلة الداخلية ٥٠٠.

س: وماذا عن فترة السجن؟

ج: دخلت السجن بعد فترة هروب طويلة جداً، كنت فيها معزولاً عن الرفاق والصراعات، وعندما دخلت وجدت رفاقي في المكان الآخر ووجدت الآخرين يتصارعون صراعاً غير مبدئي فيما بينهم، وكان هناك صراع شرس بين مجموعة الراية ومجموعة ع. ف. وقررت البقاء لأنهي التحقيق التنظيمي مع سامي عجيب وأدينه، أما هم فكانوا يريدون إبعادي بأي طريقة حتى يتخلصوا من إلحاحي المستمر بضرورة التحقيق في الموضوع. وبما أن سامي عجيب كان من مجموعة من المجموعتين المتصارعتين فقد استخدم كورقة في الصراع بينهما دون رغبة في الوصول إلى الحقيقة. فإذا اختلفوا معاً أثّر موضوع اعترافه وضرورة التحقيق معه ومعني حول الأمر، وإن اتفقوا نسوا أو تناسوا موضوع التحقيق.

وبعد فترة اكتشفت أن الأمر كله يدخل في إطار الصراع اللامبدئي.. وعدت إلى رفاقي.

* * *

محضر نقاش

أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٥ يناير ١٩٨٥

س: بصفتك أحد كوادر منظمة ع. ف في منطقة المنيا، هل لك أن تروي تجربتك مع الوحدة؟

ج: مع بداية مرحلة الوحدة، كان التيار الداعي للوحدة جازفاً وكنا في المنيا نؤيد الوحدة وكان لويس اسحق مسئول المنطقة من المتحمسين للوحدة.. وكنا في المنيا أقوى المجموعات كان لدينا حوالي خمسين عضواً وكان للراية حوالي أربعين عضواً معظمهم في ملوي أما الموحد فكانت مجموعته محدودة وتصل إلى حوالي عشرة أعضاء.

وعندما اتحد.. تبلور محور منا ومن مجموعة الراية ضد مجموعة الموحد.. أما في بني سويف فلم يكن لمنظمة الراية أية عضوية تقريباً، أما ع. ف فكان لها هناك محمد شبل إسماعيل وكان صاحب مدرسة وحوله مجموعة جديدة من شبان أما مدرسين أو طلاب في مدرسته وكان لدى الموحد حوالي ٢٠ عضو.

في عام ١٩٥٥ فصلت من عملي الحكومي بحجة سابق اعتقالي في ٢٦ يناير ١٩٥٢ والغريب أنني عملت في المنيا ذاتها مدرساً بمدرسة الأمريكان ثم ذهبت إلى بني سويف متفرغاً حزبياً وعملت شكلياً في مدرسة شبل. وكان مسئول بني سويف شكري عازر من الراية ثم جاء محله محمد سيد أحمد وأذكر أنه كان هناك في سمسطا فلاح محترف ثوري من حدتو..

وشكلت لجنة المنطقة من ٩ منهم ستة من ع. ف هم شبل إسماعيل، عبده وربى، محمد المهداوي، وعبد القادر مفتاح وسعد التركي وقد استشهد الأخيران في السجن ولا يذكرهما أحد والثلاثة الآخرون من الموحد وهم نبيل قاسم، إبراهيم الشريف، فلاح من سمسطا (كان محترفاً ثورياً).

وعندما بدأت حملة القبض قبض على كل لجنة المنطقة فقد كان النشاط جماهيرياً مفتوحاً سواء شبل ومجموعته أو مجموعة حدتو وكان الجميع يعملون بشكل شبه علني..

أما في المنيا فالوضع كان مختلفاً وقبض على عدد محدود.

س: كيف تمت عملية حل التنظيم ي ١٩٦٥، وماذا عن موقفكم منها؟

جـ: يقال إن فكرة الحل كانت تناقش داخل السجن سرًا، وعلى أية حال لم يناقش معنا أي شيء وتعرف أن لويس اسحق استشهد في آخر أيام السجن أي في ٤ أبريل ١٩٦٤، وفي الأربعين أي في ١٤ مايو حضر على المنيا عدد من أعضاء ل. م وقيادات الحزب ولكنهم كانوا جميعًا من ع. ف ولم يحضر أحد من الراية ولفت ذلك نظرنا.. وفي محطة السكة الحديد حيث كنا في استقبالهم ثار نقاش حاد حول الموقف من عبد الناصر بين شبل وإسماعيل وأحمد عبد العزيز وقال أحمد محتدًا أنت عايز تبقى محافظ فقال شبل ببساطة منصب المحافظ لا يكفيني فأنا أريد أكثر.. وبدأنا نشعر أن هناك شيئًا ما.

وفي المؤتمر الذي عقد للموافقة على الحل وجهت القيادة الدعوة لمن تعلم أنهم موافقون على الحل فحضر من المنيا نبيل عزيز وعبد المحسن حسين ومن بني سويف شبل إسماعيل وآخر، أما نحن فلم توجه لنا دعوة بل لم يناقشنا أحد ولم نعلم أصلًا بالأمر حتى قرأنا في جريدة الأهرام خبر الحل..

.. وقد سمعت فيما بعد أنه كانت هناك اتصالات ومراسلات بين محمد حسنين هيكل و د. محمد أنيس وبين بعض القادة عن طريق أنجي أفلاطون التي حضرت لزيارة د. إسماعيل صبري في الواحات بين عدد محدود جدًا من أعضاء القيادة وأن لويس اسحق عارضها بشدة.

وهكذا وبعد الخروج من السجن كان الأمر جاهزًا ومعدًا للحل.
والحقيقة أن الكوادر القاعدية كانت تردد عبارات رأسمالية الدولة الاحتكارية لكنها كانت في أعماقها منبهرة بعد الناصر.

محضر نقاش (*)

أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٧-١٠-١٩٨٠

س: كنت واحداً من هؤلاء الذين واصلوا نشاطاً ملحوظاً في صفوف الحزب الشيوعي المصري حدثو في أعقاب حملة القبض في يناير ١٩٥٩، فهل لك أن تروي لنا بعضاً من معلوماتك عن هذا الوضع؟

ج: صباح ١ يناير ١٩٥٩ دخل إلى مكتبي بالموسكي رفعت السعيد وكنت قد تعرفت به منذ أيام قلائل عن طريق محمد حجازي الذي قدمه لي قائلاً إنه قد خرج من السجن حديثاً، وقد فاجأني رفعت السعيد بأن هناك حملة قبض واسعة للغاية وأن كثيراً من الرفاق القياديين قد أُلقي القبض عليهم، وأنه بسبب خروجه من السجن منذ عدة أيام فقط يحتاج إلى إمكانيات وعلاقات للاتصال بمن تبقى من الرفاق خارج السجن.

.. وبعد ساعات من النقاش كان قد استقر الرأي على أن يختفي رفعت السعيد وألا يخضع لنظام المراقبة الليلية تنفيذاً للحكم الصادر ضده، وبدأت مسألة البحث عن مكان يختبئ فيه، وفي البداية استقر الرأي على أن يختفي في منزل أقاربي بابي زعل لكننا عدنا فوجدنا أنه سيكون بعيداً عن القاهرة وسيضطره ذلك للانتقال الكثير بما يهدد أمانه، وأخيراً تقرر أن يختفي بمنزلي بجوار مسجد الرفاعي ومنذ اليوم الأول من يناير أصبح هذا المنزل مقراً لنشاط واسع يستهدف جميع خيوط حدثو التي أربكتها ضربة واسعة ومؤثرة جداً.

س: ما هي معلوماتك عن حجم هذه الضربة؟

ج: أولاً لعلنا سياسياً لم نكن نتوقعها، ومن ثم كانت المفاجأة أشد بالنسبة لنا، وثانياً وهذا هو الغريب بل والمريب في الأمر أن الضربة ضد حدثو أي ضد القوى التي كانت تؤيد النظام الناصري بحماس كانت أشد وأوسع منها ضد الآخرين.. من المعارضين. ولعل جهاز الأمن كان يريد إسكات صوتنا بهذه الضربة، أي إسكات أي صوت عاقل في معركة يراد لها أن تختفي منها آية مسحة من العقل..

س: كيف بدأ العمل؟

(*) يعتذر المؤلف عن وقوع اختصارات في هذا المحضر وذلك في الفقرات التي تضمنته تفاصيل عن دوره الشخصي، التزاماً منه بموقف ثابت إزاء كل ما يخص دور شخصياً.

ج: في المساء كانت قد تجمعت لدينا بعض المعلومات عن تبقى من القيادة وعمن قبض عليه وكان هناك عدد محدود من القيادة أفلت من الضربة فؤاد حبشي الذي ما لبث أن قبض عليه بعد عدة أيام، كمال عبد الحليم الذي وضع لنفسه نظاماً خاصاً من الاتصالات منحه حماية كافية لكنه قلل كثيراً من دوره في فترة صعبة كهذه، ومحمد الجندي وأحمد خضر، وبعد فترة اتصلنا بمحمد يونس من الإسكندرية ووضعت ترتيبات لإعادة تجميع الإسكندرية لكنه ما لبث أن قبض علينا أيضاً.

ونقرر أن نركز نحن جهدنا في تجميع كوادر وعضوية القاهرة، حيث تركزت الحملة البوليسية بشكل مكثف وحيث قبض تقريباً على جميع قيادات المنطقة.. وكانت هناك أيضاً مشكلة الأجهزة الفنية التي سقطت جميعاً في يد البوليس..

.. ومشكلات أخرى عديدة مالية وإدارية، وخاصة بتوفير أماكن للاختفاء، كل ذلك في ظل حملة عنيفة وإعلام شرس وتخويف وإرهاب لم يسبق له مثيل، مع مراعاة أن أمن الكثيرين كان مكشوفاً إلى درجة كبيرة..

وهكذا في الجلسة الأولى لمساء أول يناير، والتي عقدت بمنزلي حددنا هدفنا على أساس محورين تجميع القاهرة - بناء أجهزة فنية..

واقترح رفعت السعيد أن يتم تجميع القاهرة في ثلاثة مجموعات مستقلة كل منها تعمل منفصلة عن الأخرى وكأنها لجنة المنظمة الوحيدة وذلك بهدف ضمان أطول استمرار ممكن للعمل..

وبالفعل بدأنا في الاتصال وتكوين المجموعات، كنت أجلس معه طويلاً لنتفق على الاتصالات المطلوبة وأرتب معه مواعيد المقابلات ثم أقوم أنا ومجموعة محدودة بتجميع هذه الاتصالات وترتيب المواعيد، وكانت زوجتي تعاونني في هذا العمل.

وقد استقرت الترتيبات في النهاية على تكوين ثلاث مجموعات مستقلة:

الأولى: تضم قدرتي شعراوي ليلي الشال - ماري بابا دوبلو - شحاتة النشار، ومجموعة طه دياب - سعاد زهير - على حنيطر، مجدي نصيف، ومجموعة ثالثة تضم محمد الزعفراني - أحمد عز الدين - عبد الله إسماعيل - محمد حسن جاد..

كما كانت هناك مجموعة طلابية كبيرة تضم فتحي مجاهد - عيد اروس القصير - سمير عبد الباقي - حسين عبد ربه وآخرين وقد رؤي أن تستمر في النشاط بشكل مستقل نظراً للتركيز الأمني في ذلك الحين ضد النشاط الطلابي بسبب انعقاد مؤتمر شباب أسيا وأفريقيا بجامعة القاهرة في ذلك الحين. وبدأ كل من هذه المجموعات عملها بحماس ونشاط.

كما نجحنا في بناء جهاز فني عبارة عن آلة طباعة ذات كفاءة متوسطة وقد تفرغ للعمل عليها طه دياب (عامل نسيج) وأقمنا له شبكة اتصال وقد تم ذلك بصعوبة بالغة حيث كانت الإمكانيات محدودة والملاحظات متواصلة والغالبية العظمى من الكوادر مكشوفة.

.. ولكن صدور أول مطبوع أدى فيما أذكر إلى ارتباك شديد، فقد استمرت المطبوعات تنتهج خطة للدعوة للتحالف مع عبد الناصر بينما كانت القواعد تغلي بالغضب ضد الضرب البوليسية المباغتة وضد الحملة الإعلامية الشرسة، وكانت قواعدنا تتعرض لهجوم عنيف من جانب قواعد المجموعة الأخرى التي بدأت تعلن أن الحملة البوليسية هي تأكيد لصحة منطلقاتهم هم..

ومع كل مطبوع كانت الأزمة الداخلية تتفاقم، وأذكر أن كمال عبد الحليم قد حرر منشورًا حلل فهي الأوضاع ووجه الانتقادات لحملة القبض، لكنه وجه أيضًا انتقادات لثورة العراق وكانت تتمتع بتعاطف واسع من القواعد وأنهى المنشور بشعار لتلتف الصوف حول قائد الأمة العربية وقائد القومية العربية المتحررة المدافعة عن السلام جمال عبد الناصر.

وانفجر الوضع في القواعد ووصل الأمر إلى أن أصدرت القيادة تعميمًا داخليًا قالت فيه عبارة لم أزل أذكرها بالنص وهي "نحن نفكر ونعمل بين فكي كسرة البندق" أي تحت ضغط السلطة المتصاعد وضغط القواعد الحزبية.

س: وماذا عن التطورات اللاحقة؟

ج: استمر تركيز حملات القبض على رفاق حدثو أكثر من غيرهم، وقد فزع المخططون لاستمرار الحملة ضد الشيوعية من اللهجة المعتدلة لبيانات حدثو، ولعلمهم خشوا من أن تؤتي بعض الثمار، بل لعلمهم دهشوا من استمرار قدرة الحزب على مواصلة العمل وعلى بناء جهاز فني وتوزيع المطبوعات بكفاءة وتركيز وتساقط العديد من الرفاق، وكانت حملات البوليس ضدنا تشبه حملات التمشيط.. ولكنني لا أزعم معرفتي بما تم في المناطق الأخرى أو حتى مجموعتي القاهرة اللتين عملتا بشكل منفصل عنا، أما عن مجموعتي فقط اتسع نشاطنا بصورة لم أكن أتوقعها واستمر لفترة طويلة نسبيًا وعندما أجريت انتخابات الاتحاد القومي في النصف الأول من عام ١٩٥٩ قررنا أن نرشح فيها بعض رفاقنا لنجد فرصة لعمل جماهيري في مواجهة الإرهاب البوليسي والفكري ولبث الشجاعة في نفوس الجماهير بل ونفوس رفاقنا. وأذكر أنني استخدمت خبرتي في صناعة وتجارة الملابس الداخلية حيث طبعت شعارات جيدة على فانلات خارجية (تي شيرت) ولبسها عشرات من رفاقنا ومؤيدينا في حملتنا الانتخابية بقسم الخلية واستأجر هؤلاء المؤيدين دراجات وكانوا يسيرون في مجموعات للمرور بالحي..

ولعل هذا النشاط الجماهيري قد أزعج البوليس أكثر من أي شيء آخر فبدأت حملات قبض جديدة ضد مجموعتنا.

وبعد فترة قبض على رفعت السعيد كما قبض على بقية المركزيين ما عدا كمال عبد الحليم والذي قطع علاقته بنا، وتركزت علاقتنا برفاقنا في سجن مصر؛ حيث نظم رفعت السعيد مراسلات متصلة معنا كانت تفيدنا كثيراً في عملنا، وقد استمرت هذه المراسلات وكانت هي الرابطة الوحيدة بيننا وبين القيادة وأذكر أن بعضاً من هذه الخطابات قد ضبط مع أحد الرفاق، وقد وقف البكباشي مصيلحي ليدلي بتفسيرات مضحكة عن هذه الرسائل التي كانت موجهة دوماً إلى عزيزتي سونيا ولم يعرف أحد أن سونيا هو الاسم الذي أختاره رفعت السعيد ليراسلني به منا لسجن وبعد فترة ليست بالقصيرة قبض على محمد حسن جاد، وعبد الله إسماعيل، وأحمد عز الدين أثناء مقابلتهم معاً لعقد اجتماع ثم أُلقي القبض علي حيث أرسلت إلى معتقل أبو زعبل.

